مواقف عربية

إعداد

دكـتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت



بطاقة فهرسة

مكتبة كنوز المعرفة

اسم الكتاب: مواقف عربية

إعـــــداد: د. رجب محمود بخيت

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١٢



المقدمـة

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سـبق بل أنشـأه ابتداعا وعدله اصـطناعا فأحسـن كل شيء خلقه وتمم مشـيئته وأوضـح حكمته فدل على ألوهيته فسـبحانه لا معقب لحكمه ولا دافع لقضـائه تواضـع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم.

وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده إلها تقدسـت أسـماؤه وعظمت آلاؤه وعلا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شـبيه كل مصنوع فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول ولا الأفهام يعصى_ فيحلم ويدعى فيسـمع ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السـيئات ويعلم ما تفعلون.

وأشهد شهادة حق وقول صدق بإخلاص نية وصحة طوية أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالصـته وصـفيه ابتعثه إلى خلقه بالبينة والهدى ودين الحق فبلغ مألكته ونصـح لأمته وجاهد في سـبيل الله لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يصـده عنه زعم زاعم ماضـيا على سنته موفيا على قصده حتى أتاه اليقين فصلى الله على محمد وعلى آل محمد.

أما بعد..

فالخير في الأمة الإسلامية باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمهما ضعفت الأمة، ومهما تـأخرت عن مكانها اللائق بها باعتبارها خير أمة أخرجت للناس، ومهما عظمت المؤامرة عليها وتنوعت أدواتها، إلا أنها تبقى أمة خصـبة، تنبت الأعلام العظماء، يكونون فيها كالمصابيح في الدجى، وتظل مواقفهم مواقف عزة وفخر لهم وللأمة الإسلامية كلها.

ونحن المسـلمون إذا تصـفحنا مواقف تاريخنا المديد نجد أعلاما للأمة في كل العلوم والآداب في الذود عن الحق والوقوف في وجه الباطل وفي اللغة والفقه والحديث و... وكلها آيات رائعة يفوح منها الشـذى العاطر، وتؤكد بقاء هؤلاء الأعلام بيننا بعلمهم وعملهم وذكراهم العطرة، فقد وعت ذاكرة التاريخ أمثلة رائعة من مواقف مشوقة لأعلام الأمة.

إن هذه الأمة أمة عظيمة، أمة كريمة مجيدة، ما شـهد التاريخ مثلها، وما عرف المخاض مولودا أكرم على الله منها، أمة تغفو ولكنها لا تنام، قد تمرض ولكنها لا تموت، أمة أنجبت للدنيا أعلامًا في كل فن من الفنون وكل نوع من أنواع المعارف الإنسانية، وأخرجت للكون أبطالا شرفاء، ولنا اليوم وقفة مع أشـهر المواقف في حياة الأمة لنقلب الصـفحات

ونلتمس العبر والعظات.

اقــرؤوا الــتــاريخ إذ فيــه العبر ::: ضــــل قــوم ليس يــدرون الخبر

و هؤلاء الأعلام بعلمهم وعملهم أحياء وإن وســدوا في قبورهم، وإن واراهم التراب، وإن فقدت شـخوصـهم، إلا أنهم أحياء بعلمهم وبتراثهم، ومواقفهم، بجهودهم، وبآرائهم، وبـاجتهـاداتهم، وبـأعمالهم التي كلما ذكرت ذكروا، فـأثنى النـاس عليهم خيراً، وترحموا عليهم، بل وكرهوا البقاء بعدهم.

عــفــاءٌ على أرض تقيم بغيرهـــا ::: فــليس بهـــا للصــــالحين معرج

لمن تســتجــد الأرض بعــدك زينة ::: فــتصــبــح في أثوابهــا تتبــهرج

وليس البكـــا أن تســـفح العين إنما ::: أحـــر الـــبكـــائين البكـــاء المولج

قـال علي بن أبي طـالـب رضي الله عنه: القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربَّاني، ومتعلِّم على ســبيل نجاة، وهَمجٌ رِعَاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرســك وأنت تحرس المال.... مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الـدهر، أعيـانهم مفقودة، وأمثـالهم في القلوب موجودة... أولئـك هم الأقلون عـدداً، الأعظمون عنـد الله قـدراً، بهم يحفظ الله الحجـة حتى يؤدونهـا إلى نظرائهم، ويزرعونها في قلوب أشـباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاسـتلانوا ما اسْتَوعَرَ المترفون، وأنسوا بما اسـتوحشَ منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة في المحل الأعلى، آه.. آه.. شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك).

وهذه صــفحات من حياة الأمة أودعتها مواقفاً من حياة الأعلام في مختلف المجالات، ونتفاً من مواقف أعلام الفقه والحديث والقضـاء والأدب واللغة، ونادراً من ثبات أكثر أهل الملة، ونبذاً من نصــح الأمة لدينها، وشــذراً من زهد العلية الأجِلَّة، وطيفاً من قوة البرهان والحجة مع السير على المحجة.

وهي بـاقـة من مكـارم الآبـاء تهدى إلى الأبناء، وطاقات علمية نادرة، وعبقريات فذة مدهشــة، هي لأهل العلم تذكرة، وللعامة والخاصــة تبصرــة، نرجو أن ينعش بها العليل، ويشــحذ بها الكليل، ويُبعث الوســنان، ويُوقظ الهاجع، ويُنشرــ المطوي، ويُفتح المغلق، وينهض المقعد، ويمشي الكسيح.

أضـعها بين أيديكم كالمائدة تختلف عليها أصـناف الأطعمة لاختلاف شـهوات الآكلين،

وأنا لا أدعي - معاذ الله - أني أتيت فيها بجديد، ولكني ـــ بفضل الله وحده ـــ جمعتها من بطون الكتب لتكون بين أيديكم لعل الله عز وجل أن ينفع بها.

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبله مني ويثيبني عليه.

رب تقبل عملي ولا تخيب أملي

أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

مواقف الصابرين

مواقـــف عربيـــة

مواقف الصابرين

إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من التخبط، والهداية الواقية من القنوط. والصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، ولابد أن يبنى عليها أعماله وآماله وإلا كان هازلا.. يجب أن يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر ؟ وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كُربة، يجب أن يظل موفور الثقة بادى الثبات، لا يرتاع لغيمة تظهر في الأفق ولو تبعتها أخرى وأخرى، بل يبقى موقنا بأن بوادر الصفو لابد آتية، وأن من الحكمة ارتقابها في سكون ويقين.

وقد وصف الله - تعالى - الصابرين بأوصاف، وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل:{ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا** } [السجدة: ٢٤]. وقال تعالى:{ **وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } [النحل: ٩٦]. وقال تعالى:{ **أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا** } [القصص: ٥٤]، وقال تعالى:{ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** } [الزمر: ١٠]. فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب، إلا الصبر، ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى:{ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** } [البقرة: ١٥٣، والأنفال: ٤٦]. وجمع لهم بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى:{ **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** } [البقرة: ١٥٧].

وقد قال الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم: **مَا رُزِقَ عَبْدٌ خَيراً لَهُ وَلاَ أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**[١].

وعَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلي الله عليه وسلم: **النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرَجُ مَعَ الْكَرْبِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسراً، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسراً**[٢].

---

(١) متفق عليه، البخاري (١٤٠٠) باب الاستعفاف عن المسألة، مسلم (١٠٥٣) باب فضل التعفف والصبر، مستدرك الحاكم (٣٥٥٢) تفسير سورة السجدة، واللفظ له، تعليق الذهبي في التلخيص " على شرط البخاري ومسلم ".

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥٤١١)، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع (٦٨٦).

وعَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّاب وَأَبِي صَالِحٍ: عَنْ شَيْخٍ مَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّد صلي الله عليه وسلم قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلي الله عليه وسلم: **الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرِ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الْمُؤْمِن الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاس وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُم**(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَجُلاً كَانَ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَة، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَة، فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ الله صلي الله عليه وسلم حِيْنَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَجِدتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلي الله عليه وسلم: **نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ فَكَذَّبَهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَجْلِس إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ**(٢).

عَنْ مُعَاذ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله صلي الله عليه وسلم قَالَ: **مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرُهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ**(٣).

وقال الجنيد: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله تعالى شديد، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع الله أشد.

وسئل الجنيد عن الصبر، فقال: هو تجرع المرارة من غير تعبيس.

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس في الجسد.

وقال أبو القاسم الحكيم: قوله تعالى:{ وَٱصۡبِرۡ} أمر بالعبادة، وقوله:{وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ} [النحل: ١٢٧]، عبودية، فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك؛ فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية.

---

(١) أحمد (٥٠٢٢)، تعليق شعيب الأرنؤوط " إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين "، سنن البيهقي الكبرى (١٩٩٦٢) باب فضل المؤمن القوي الذي يقوم بأمر الناس ويصبر على أذاهم، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع (٦٦٥١)، الصحيحة ٩٣٩.

(٢) أبو داود (٤٨٩٧) باب في الانتصار، واللفظ له، تعليق الألباني " حسن بما بعده "، أحمد (٩٦٢٢)، تعليق شعيب الأرنؤوط " حسن لغيره ".

(٣) متفق عليه، البخاري (٦٩٤٣) باب قول الله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾} [الذاريات: ٥٨]، واللفظ له، مسلم (٢٨٠٤) باب لا أحد أصبر على أذى من الله ♣.

وقال ابن عطاء: الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى.

وقال أبو عثمان: الصبار: الذي عوّد نفسه الهجوم على المكاره.

وقيل: الصبر: المقام مع البلاء بحسن الصحبة، كالمقام مع العافية.

قال عمرو بن عثمان: الصبر. هو الثبات مع الله سبحانه وتعالى، وتلقي بلائه بالرحب والدعة.

وقال رويم: الصبر: ترك الشكوى.

وقال ذون النون: الصبر: هو الاستعانة بالله تعالى.

وقال عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو.

وأنشد بعضهم:

صبرت ولم أطلع هواك على صبري ::: وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر
مخافة أن يشكو ضميري صبابتي ::: إلى دمعتي سرًّا فتجري ولا أدري

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود ♠: تخلق بأخلاقي، وإنَّ من أخلاقي أنني أنا الصبور.

وقيل: الصبر لله: عناء، والصبر بالله: بقاء، والصبر في الله: بلاء. والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله: جفاء.

وأنشدوا:

والصبر عنك فمذموم عواقبه ::: والصبر في سائر الأشياء محمود

وأنشدوا:

وكيف الصبر عمن حل مني ::: بمنزلة اليمين من الشمال
إذا لعب الرجال بكلِّ شيء ::: رأيت الحب يلعب بالرجال

وقيل: الصبر على الطلب عنوان الظفر، والصبر في المحن علامة الفرج.

وقيل: حالك التي أنت فيها رباطك، وما دون الله تعالى أعداؤك، فأحسن المرابطة في رباط حالك.

- وقيل في الصبر على النوائب

أتصـــبر في البلوى عزاءً وحســـبةً ::: فتؤجر أم تســـلو ســـلو البهائم[١]

وقيل:

عوِّلُ على الصـــبرِ واتخـــذْ ســـبباً ::: إلى الـــلـــيـــالي فـــإنهـــا دُوَلُ

وقيل:

- تنقـــلُ الـــدهرِ للفتى ســـبـــبٌ ::: والمـــرءُ والـــدهرُ حيـــثُ ينتقـــلُ

فـــدمْ على صـــبرِكَ الجميـــلِ لـــه ::: واعمـــلْ فـــإن الملوكَ قـــد عملوا

ومن المواقف:

فاحتسب ابنك:

عن ثابت عن أنس قال: مات ولد لأبي طلحة من أم سـليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشـاء فأكل وشرب، ثم تصـنعت له أحسـن ما كانت تصـنع قبل ذلك، فوقع بها فلما رأت أنه قد شـبع، وأصـاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا فقالت: فاحتسـب ابنك.

قبلت رأس علج:

عن عكرمة عن ابن عباس قال: أسرت الروم عبد الله بن حذافة السـهمي صاحب رسول الله صـلي الله عليه وسـلم فقال له الطاغية: تنصرـ وإلا ألقيتك في النقرة النحاس. فقال: ما أفعل، فدعا بنقرة من نحاس فملئت زيتا وأغليت، ودعا رجلا من المسـلمين فعرض عليه النصرـانية فأبى فألقاه في النقرة، فإذا عظامه تلوح، فقال لعبد الله بن حذافة: تنصرـ، وإلا ألقيتك. قال: ما أفعل، فأمر أن يلقى في النقرة فكتفوه فبكى فقالوا: قد جزع قد بكى قال ردوه فقال لا تظنن أني بكيت جزعا ولكن بكيت إذ ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله عز وجل، كنت أحب أن يكون لي أنفس عدد كل شـعرة في، ثم تسـلط علي فتفعل بي هذا قال: فأعجبه وأحب أن يطلقه، فقال: قبل رأسي وأطلقك. قال: ما أفعل، قال: تنصرـ وأزوجـك ابنتي وأقاسـمك ملكي. قال: ما أفعل. قال: قبل رأسي وأطلق معك ثمانين من المسلمين. قال:

---

(١) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ٢٥١/١.

أما هذا فنعم، فقبل رأسه، فأطلقه وثمانين معه، فلما قدموا على عمر قام إليه عمر فقبل رأسه، وكان أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يمازحون عبد الله، ويقولون: قبلت رأس علج(١).

عروة بن الزبير: اللهم إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت:

ثم قـدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شـــلت رجله فقيل له: اقطعها. قال: إني لأكره أن أقطع مني طـابقـا، فـارتفعت إلى الركبة، فقيل له: إنها إن وقعت في الركبة قتلتك، فقطعت ولم يقبض وجهه، وقيل له قبل أن يقطعها: نســقيك دواء لا تجد معه ألما؟ فقال: ما يســعني أن هذا الحائط وقاني أذاها.

وسقط محمد بن عروة بن الزبير وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية من سطح في اصطبل دواب الوليد بن عبد الملك فضربته بقوائمها حتى قتلته، فأتى عروة رجل يعزيه فقال عروة: إن كنـت تعزيني برجلي فقـد احتســـبتهـا، فقال: بل أعزيك بمحمد قال وماله فخبره بشأنه فقال:

(**وكنـــتُ إذا الأيـــّامُ أحـــدَثْنَ نكبةً ::: أقول شـــوًى ما لم يُصـــِبْن صَميمي**)

اللهم أخذت عضوا وتركت أعضاء، وأخذت ابنا وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت.

فلما قدم المدينة نزل قصرـــه بالعقيق فأتاه ابن المنكدر، وقال: كيف كنت فقال:{لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا} [الكهف: ٦٢].

كأنك لم تدع الى ضر مسك:

عن ســفيان بن عيينة عن محمد بن ســوقة قال: مررت مع عون بن عبد الله بالكوفة على قصرـ الحجاج فقلت: لو رأيت ما نزل بنا ههنا زمن الحجاج! فقال: مررت كأنك لم تدع إلى ضر مســك؛ ارجع فاحمد الله واشـكره؛ ألم تســمع إلى قول الله عز وجل:{مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ} [يونس: ١٢].

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، الثبات عند الممات، تحقيق عبد الله الليثي الأنصــاري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ص٥٤.

أكثروا سؤال العافية:

عن سفيان بن عيينة عن مسعر قال: كان عبد الأعلى التيمي يقول: أكثروا سؤال العافية فإن المبتلي وإن اشـتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء؛ وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم؛ ولو كان بلاء يجره خير ما كنا من رجال البلاء؛ ولو كان بلاء قد أجهد في الدنيا وأجزى في الآخرة فما يؤَمِّن من بلاء قد أجهد في الدنيا وأخزى في الآخرة؟! فما يؤَمِّن من أطال المقام على معصـية الله أن يكون قد بقي له في بقية عمره من البلاء ما يجهده في الدنيا ويفضـحه في الآخرة؛ ثم يقول عند ذلك: الحمد لله الذي إن نعد نعمه لا نحصيها، وإن ندأب له عملاً لا نجزيها، وإن نعمّر فيها لا نبليها(١).

فأنت الراكب وأنا الماشي:

وخرج يوما إلى الحج ماشـيا فرآه رجل على ناقته، فقال له: إلى أين يا إبراهيم؟ قال: أريد الحج. قال: أين الراحلة فإن الطريق بعيد؟ قال لي: مراكب كثيرة ولكن لا تراها. قال: ما هي؟ قال: إذا نزلت مصـيبة ركبت مركب الصبر، وإذا نزلت نعمة ركبت مركب الشكر، وإذا نزل القضـاء ركبت مركب الرضـاء، وإذا دعتني نفسي إلى شيء علمت أن ما في من الأجل أقل مما مضى. فقال سر بإذن الله فأنت الراكب وأنا الماشي(٢).

المال مال الله:

عن ابراهيم بن بشـار خادم ابراهيم بن أدهم قال: نظر ابراهيم بن أدهم إلى رجل قد أصـيب بمال ومتاع كثير وقع الحريق في دكانه فاشتد جزعه حتى خولط في عقله فقال له: يا عبد الله إن المال مال الله متعك به إن شـاء وأخذه منك إن شـاء فاصـبر لأمره ولا تجزع فإن من تمام شكر الله على العافية الصبر له على المصيبة، ومن قدم وجد، ومن أخر فقد وندم(٣).

(١) عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، فقه الأدعية والأذكار، ط الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٢٧٧/١.
(٢) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ١ / ٨٧.
(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٣/٨.

فانظر ماذا يفعل بالمرضى عنهم!:

وقال، قال لي أبو سليمان: " يا أحمد!، أيكون شيء أعظم ثوابًا من الصبر؟ " قلت: " نعم!، الرضا عن الله! "، قال: " ويحك!، إذا كان الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فانظر ماذا يفعل بالمرضى عنهم! ".

وقال، قال لي يومًا: " إذا أردت أبداً حاجة من حاجات الدنيا فلا تأكل شيئاً حتى تقضيها، فإن الأكل يغير العقل ".

فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟!:

حدث الأوزاعي عن عبد الله بن محمد قال: خرجت الى ساحل البحر مرابطاً وكان رباطنا يومئذ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً؛ قال الأوزاعي: قال عبد الله: قلت: والله لآتين هذا الرجل ولأسألنه أنى له هذا الكلام؟! فهمٌ أم علمٌ أم إلهامٌ ألهم، فأتيت الرجل فسلمت عليه فقلت: سمعتك وأنت تقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير من خلقت تفضيلاً فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟! وأي فضيله تفضل بها عليك تشكره عليها؟! قال: وما ترى ما صنع ربي؟! والله لو أرسل السماء علي ناراً فأحرقتني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فغرقتني، وأمر الأرض فبلعتني، ما ازددت لربي إلا شكراً لما أنعم علي من لساني هذا؛ ولكن يا عبد الله إذ أتيتني لي إليك حاجة قد تراني على أي حالة أنا أنا لست أقدر لنفسي على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بني لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسه لي رحمك الله، فقلت: والله ما مشي خلق، في حاجة خلق كان أعظم عند الله أجراً ممن يمشي في حاجة مثلك، فمضيت في طلب الغلام فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه فاسترجعت وقلت: أنى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي صلي الله عليه وسلم فلما أتيته سلمت عليه فرد علي السلام، فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى؛ قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي؛ قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى، قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش

من أقربائه وأحبائه؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيره غرضاً لمار الطريق هل علمت؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابراً شاكراً حامداً، أوجز رحمك الله؛ قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقاً يعصيه فيعذبه بالنار ثم استرجع وشهق شهقة، فمات؛ فقلت: إنا لله وانا إليه راجعون؛ عظمت مصيبتي؛ رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع وإن قعدت لم أقدر على ضر ولا نفع؛ فسجيته بشملة كانت عليه وقعدت عند رأسه باكياً فبينما أنا قاعد إذ تهجم علي أربعة رجال فقالوا: يا عبد الله ما حالك وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه فكشفت عن وجهه فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مره ويديه أخرى ويقولون: بأبي عين طالما غضت عن محارم الله وبأبي جسم طالما كان ساجداً والناس نيام؛ فقلت: من هذا يرحمكم الله؟! فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي صلي الله عليه وسلم؛ فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا وصلينا عليه ودفناه فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي، فلما أن جن على الليل وضعت رأسي فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة وعليه حلتان من حلل الجنة وهو يتلو الوحي:{سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ٢٤]، فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى، قلت: أنى لك هذا؟ قال: إن لله درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية[1].

* * *

(١) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ - ١٩٧٥م، ٤/٥.

مواقف المتواضعين

مواقف عربيــة

مواقف المتواضعين

التواضــع لغــة: مصـــدر تواضـــع أي أظهر الضّـــعـة، وهو مـأخوذ من مـادّة (و ض ع) الّتي تدلّ على الخفض للشّيء وحطّه، يقال: وضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها.

والوضـائع قوم ينقلون من أرض إلى أرض يســكنون بها، والوضـيع الرّجل الدّنيّ، والدّابة تضع في سيرها وضعا وهو سير سهل يخالف المرفوع.

واصـــطلاحا: إظهار التّنزّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله، وفي الرّسالة القشيريّة: التّواضع هو الاستسلام للحقّ وترك الاعتراض في الحكم [1].

وهنـاك فرق بين التّواضـــع والمهـانـة (أو الذّلّ) أنّ التّواضـــع يتولّد من بين العلم بالله ســبحانه ومعرفة أســمائه وصــفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها، فيتولّد من ذلك كلّه خلق هو التّواضع وهو انكسار القلـب لله وخفض جنـاح الذّلّ والرّحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضـــلا ولا يرى له عند أحـد حقّـا، بـل يرى الفضـــل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنّما يعطيه الله عز وجل من يحبّه ويكرّمه ويقرّبه.

وأمّـا المهـانـة (الـذّلّ) فهي الدّناءة والخسّـــة وبذل النّفس أو ابتذالها في نيل حظوظها وشـهواتها كتواضـع السّفل في نيل شهواتهم وتواضع طالب كلّ حظّ لمن يرجو نيل حظّه منه فهذا كلّه ضعة لا تواضع والله سبحانه يحبّ التّواضع ويبغض الضّعة والمهانة.

وقـد قـال الله عـز وجـل:{ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾} [الفرقان: ٦٣].

وقد قال الحبيب محمد صـلي الله عليه وسـلم قال: **ما من آدمي إلا في رأسه حكمه بيد ملك فإذا تواضــع قيل للملك: ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك: ضــع حكمته** [2].

---

(١) مـدارج السـالـكـين (٦/ ١٣٤). وفـتـح الـبـاري (١١/ ٣٤١)، دلـيـل الـفـالـحـين لابـن عـلان (٣/ ٥٠).

(٢) المـعـجـم الـكـبـير (١٢٩٣٩)، تـعـلـيـق الألـبـاني " حسـن "، صـحـيـح الـجـامـع (٥٦٧٥)، الصحيحة (٥٣٨).

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول في دعائه: **اللهم! أحيني مسكينا وأمتني مسكينا** [١] **واحشرني في زمرة المساكين** [٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** [٣].

وقال المسيح ♠ : طوبى للمتواضعين في الدّنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين النّاس في الدّنيا، هم الّذين يرثون الفردوس يوم القيامة.

وقال أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التّقوى، والغنى في اليقين، والشّرف في التّواضع.

عن عائشة ♥ قالت: تغفلون أفضل العبادة: التّواضع.

وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه أنّه قال له سلمان رضي الله عنه: يا جرير تواضع لله. فإنّ من تواضع لله في الدّنيا رفعه الله يوم القيامة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من تواضع لله تخشّعا رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظّما وضعه الله يوم القيامة.

وسئل الحسن البصريّ عن التّواضع؟ فقال: التّواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلاّ رأيت له عليك فضلا.

و سئل الفضيل بن عياض - رحمه الله عن التّواضع؟ فقال: يخضع للحقّ، وينقاد له ويقبله ممّن قاله، ولو سمعه من صبيّ قبله، ولو سمعه من أجهل النّاس قبله.

وقال عروة بن الورد: التّواضع أحد مصايد الشّرف، وكلّ نعمة محسود عليها صاحبها إلاّ التّواضع.

(١) مسكينا: هذه المسكنة ليست التي يرجع معناها إلى القلة، وإنما سأل المسكنة التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع.

(٢) الترمذي (٢٣٥٢) باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، ابن ماجه (٤١٢٦) باب مجالسة الفقراء، واللفظ له، تعليق الألباني " صحيح ".

(٣) رواه مسلم والترمذي وقال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٨٠٩ في صحيح الجامع.

ومن فوائد التواضع جملة:

- التّواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين ودليل محبّة ربّ العالمين.
- وهو طريق موصل إلى مرضاة الله وإلى جنّته.
- وهو السّبيل إلى القرب من الله ومن ثمّ القرب من النّاس.
- التّواضع عنوان سعادة العبد في الدّارين.
- يحبّ الله المتواضعين ويكلؤهم برعايته ويحيطهم بعنايته.
- المتواضعون آمنون من عذاب الله يوم الفزع الأكبر.
- وهو دليل على حسن الخاتمة وعلى حسن الخلق.
- التّواضع يؤدّي إلى حصول النّصر والبركة في المال والعمر.

ومن المواقف:

كنّا أذّل قوم فأعزّنا الله بالإسلام:

وخرج عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى الشّــام ومعه أبو عبيدة بن الجرّاح فأتوا على مخاضــة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفّيه فوضــعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضـة فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع خفّيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضـة؟. ما يسرّني أنّ أهل البلد اسـتشرفوك. فقال عمر: أوّه [١]، لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمّة محمّد صـلي الله عليه وسـلم إنّا كنّا أذّل قوم فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزّ بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله[٢].

(١) أوه: كلمة توجع وتضجر.

(٢) الحاكم في المستدرك (١/ ٦٢) وصححه ووافقه الذهبي.

فوضعني الله حيث يترفّع النّاس:

و عن عمرو بن شـيبة؛ قال: كنت بمكّة بين الصّـفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان يعنّفون النّاس. قال: ثمّ عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر، فإذا أنـا برجـل جاف حاسر طويل الشّـعر. قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمّله، فقال لي: مالك تنظر إليّ؟. فقلت له: شبّهتك برجل رأيته بمكّة ووصفت له الصّفة، فقال له: أنا ذلك الرّجل. فقلت ما فعل الله بك؟ فقال: إنّي ترفّعت في موضـع يتواضـع فيه النّاس فوضـعني الله حيث يترفّع النّاس.

هذا والله الملك الهنيء:

ولما ورد المرزبان على عمر رضي الله عنه فأورد باب دار وقرع بابه فقيل: إنه قد خرج آنفاً فكانوا يسألون عنه فيقولون مر من ههنا آنفاً، فاستحقر المرزبان أمره إلى أن انتهى إليه وهو نائم في ناحية المسـجد، فلما رفع رأسـه امتلأت نفس المرزبان منه رعباً فقال: هذا والله الملك الهنيء، لا يحتاج إلى حراس ولا إلى عدد!

أتدري من هذه ويحك؟:

ومن التواضـع المأثور ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج ويده على المعلى، فلقيته امرأة من قريش فقال له: يا عمر، فوقف لها فقالت: كنا نعرفك مرة عميراً ثم صرت من بعد عمير عمر، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين، فاتق الله يا بن الخطاب، وانظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت. فقال لها المعلى: إيها إليك يا أمة الله فقد أبكيت أمير المؤمنين، فقال له عمر: أتدري من هذه ويحك؟ هذه خولة بنت حكيم التي سـمع الله قولها من سـمائه، فعمر أحرى بأن يسمع قولها ويقتدي به.

إن كان إلا شيطاناً أذهبه الله بك:

وأقبل رجل يمشي مرخياً يديه، طارحاً رجليه يتبختر، فقال له عمر رضي الله عنه: دع هذه المشـية فقال: ما أطيق، فجلده فترك التبختر؛ فقال عمر: إذا لم أجلد في مثل هذا ففيم أجلد؟ فجاءه الرجل بعد ذلك فقال: جزاك الله خيراً إن كان إلا شيطاناً أذهبه الله بك.

ميل المأمون إلى التواضع:

قال: ونظر يوماً إلى رؤوس آنيته محشوةً بقطنٍ وكانت قبل ذلك بأطباق فضة، فقال لصاحب الشراب: أحسنت يا بني إنما يباهي بالذهب والفضة من قلا عنده، وأما نحن فينبغي أن نباهي بالأفعال الجميلة والأخلاق الكريمة، فإياك أن تحشو رؤوس أوانيك إلا بالقطن فذاك بالملوك أهيأ وأبهى.

أما تعرفني؟:

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء فقال: يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟ فقال المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بل أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة [١].

ولما شبت صرت مرائياً:

ودخل عليه رجل، فقال له: " ما حاجتك؟ "، قال: " زيارتك " فقال: " أما أنت فقد فعلت خيراً حين زرت، ولكن انظر ما ينزل بي أنا، إذا قال لي: من أنت لتزار؟. من الزهاد؟ والله. أنت من العباد؟ لا والله. أنت من الصالحين؟. لا والله ". ثم أقبل يوبخ نفسه " كنت في الشبيبة فاسقاً، ولما شبت صرت مرائياً ".

ثم صاروا يراؤون بما لا يقولون ولا يفعلون:

قال ثابت البناني: دخلت على داود الطائي، فقال لي: ما حاجتك؟ قلت: زيارتك. قال: ومن أنا حتى أزار ليس من العباد أنا لا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها. وقال: كنت في زمن الشباب فاسقاً، ثم تبت فصرت مرائياً والله إن المرائي لشر من الفاسق ويقال: كان الناس يراؤون بما يفعلون لا بما يقولون، فصاروا يراؤون بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراؤون بما لا يقولون ولا يفعلون [٢].

احتيج إلي؟!:

وعن سفيان عن أبيه عن إبراهيم النخعي قال: سألته عن شيء فجعل يتعجب يقول: احتيج إلي؟! احتيج إلي؟!

---

(١) أدب الدنيا والدين، ٢٩١/١.

(٢) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ١ / ٢٣.

ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري!؟ [١]:

وقال أبو حصين: أتيت إبراهيم النخعي أسأله عن شيء فقال: ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري[٢].

وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء:

وعن ميمون بن أبي حمزة قال: قال لي ابراهيم النخعي: لقد تكلمت ولو وجدت بداً ما تكلمت، وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء[٣].

لخشيت المقت من الله:

خرج أيوب السختياني في سفر فشيعه الناس، فقال: لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي لهذا كاره لخشيت المقت من الله [٤].

عطاء بن رباح: قد خبث زمان يزار فيه مثلي:

كان رضي الله عنه إذا حدثه أحد بحديث وهو يعلمه يصغي إليه كأنه ما سمعه قط لئلا يخجل الرجل.

وكان يقرأ في قيامه في صلاة الليل المائتي آية أو أكثر وكان إذا استأذن عليه أحد لا يفتح له، حتى يقول له: بأي نية جئت إلي؟ فإذا قال: لزيارتك يقول ما مثلي من يزار ثم يقول: قد خبث زمان يزار فيه مثلي.

وكان يقول: من جلس مجلس ذكر كفر الله تعالى عنه بذلك المجلس عشرة مجالس من مجالس الباطل، وكان رضي الله عنه مولى لأبي ميسرة الفهري، نشأ بمكة[٥].

ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟:

دخل سيار أبو الحكم على مالك بن دينار في ثياب جياد، فقال له مالك: مثلك يلبس هذا اللباس؟!فقال: ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟

قال: بل تضعك. فقال: هذا التواضع.

ثم قال: يا مالك، إني أخاف أن يكون ثوباك قد أنزلا بك من الناس ما لم ينزلا بك من الله.

---

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٦٤/٤.

(٢) المصدر السابق، ٢٢٦/٤.

(٣) المصدر السابق، ٢٢٣/٤.

(٤) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٢٠٧.

(٥) الشعراني، الطبقات الكبرى، ٣٦/١.

إنما مالك حمار!:

قال ابن شوذب: قسم أمير البصرة على قرائها، فبعث إلى مالك بن دينار، فأخذ، فقال له ابن واسع: قبلت جوائزهم؟قال: سل جلسائي.

قالوا: يا أبا بكر! اشتر بها رقيقا، فأعتقهم.

قال: أنشدك الله، أقلبك الساعة على ما كان عليه؟

قال: اللهم لا، إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع.

يقولون: مالك زاهد!أي زهد عند مالك وله جبة وكساء؟:

كان مالك بن دينار يقول: يقولون: مالك زاهد!أي زهد عند مالك وله جبة وكساء؟إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها، فأعرض عنها[١].

أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة:

ولما نظر مالك بن دينار إلى المهلب بن أبي صفرة يجر أذياله ويتبختر في أثواب خيلائه، ناداه أن ارفع من ثيابك. فقال له المهلب: أوما تعرفني؟ قال له مالك: بلى إني أعرفك، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة[٢].

هَكَذَا تَجْلِسُ الْعَبِيدُ بَيْنَ يَدَيْ أَرْبَابِهَا:

قَالَ السَّرِيّ بْنَ مُغَلِّسٍ، " غَزَوْتُ رَاجِلًا فَنَزَلْنَا خرْبَةً للْرُومِ، فَأَلْقَيْتُ نَفْسِي عَلَى ظَهْرِي، وَرَفَعْتُ رِجْلِي عَلَى جِدَارٍ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ بِي: " يَا سَرِيَّ بْنُ مُغَلِّسٍ، هَكَذَا تَجْلِسُ الْعَبِيدُ بَيْنَ يَدَيْ أَرْبَابِهَا " [٣].

كذا تجالس الملوك؟:

قال سري السقطي: صليت وردي ليلة ومددت رجلي في المحراب، فنوديت: يا سري كذا تجالس الملوك؟ قال: فضممت إليّ رجلي ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبداً [٤].

* * *

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٧ / ٣٣٥.

(٢) الطرطوشي، سراج الملوك، ١ / ٢٥.

(٣) الخطيب البغدادي، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، نشر دار البشائر الإسلامية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ١١١.

(٤) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤١.

مواقف الزاهدين

مواقــف عربيــة

مواقف الزاهدين

قيل الزهد هو بغض الدّنيا والإعراض عنها، وقيل: هو ترك راحة الدّنيا طلبا لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك ممّا خلت منه يدك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة: الزّهد المشروع: هو ترك الرّغبة فيما لا ينفع في الدّار الآخرة، وهو فضول المباح الّتي لا يستعان بها على طاعة الله، كما أنّ الورع المشروع: هو ترك ما قد يضرّ في الدّار الآخرة.

وهو ترك المحرّمات والشّبهات الّتي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها، كالواجبات، فأمّا ما ينفع في الدّار الآخرة، فالزّهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾} [المائدة: ٨٧] . كما أنّ الاشتغال بفضول المباحات، هو ضدّ الزّهد المشروع، فإن اشتغل بها عن فعل واجب أو فعل محرّم كان عاصيا، وإلاّ كان منقوصا عن درجة المقرّبين إلى درجة المقتصدين.

وقال ابن الجوزيّ: الزّهد: عبارة عن انصراف الرّغبة عن الشّيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوبا فيه، ولا مطلوبا في نفسه لم يسمّ زاهدا. كمن ترك التّراب لا يسمّى زاهدا وإنّه ليس الزّهد ترك المال وبذله على سبيل السّخاء والقوّة واستمالة القلوب فحسب، بل الزّهد أن يترك الدّنيا للعلم بحقارتها بالنّسبة إلى نفاسة الآخرة.

وقال ابن القيّم: إنّ الزّهد سفر القلب من وطن الدّنيا، وأخذه في منازل الآخرة. وعلى هذا صنّف ا لمتقدّمون كتب الزّهد، كالزّهد لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهنّاد بن السّريّ، ولغيرهم.

ومتعلّقه ستّة أشياء لا يستحقّ العبد اسم الزّهد حتّى يزهد فيها: وهي المال، والصّور، والرّياسة، والنّاس، والنّفس، وكلّ ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداود - عليهما السّلام - من أزهد أهل زمانهما. ولهما من المال والملك والنّساء مالهما. وكان نبيّنا صلي الله عليه وسلم من أزهد البشر على الإطلاق. وله تسع نسوة، وكان عليّ بن أبي طالب، وعبد الرّحمن بن عوف، والزّبير وعثمان ♦ من الزّهّاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير.

وقد قال المولي عز وجل :{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)} [يوسف: ١٦ - ٢٠].

وقال تعالى:{ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)} [طه: ١٣٠ - ١٣١].

وقال تعالى:{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)} [القصص: ٥١ - ٥٥].

وقال تعالى:{ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)} [القصص: ٨٣].

وقال تعالى:{ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)} [الشورى: ٢٠].

وقد قال الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم: **كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنّها تزهّد في الدّنيا وتذكّر الآخرة**[(١)].

(١) ابن ماجه (١٥٧١) واللفظ له وفي الزوائد: إسناده حسن، وأصله عند مسلم (٩٧٦، ٩٧٧)، وذكره الحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٥)، ونحوه قبله عن أبي سعيد الخدري وصححه ووافقه الذهبي على رواية أبي سعيد.

وعن سهل بن سعد السّاعديّ رضي الله عنه قال: أتى النّبيّ صلي الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، دلّني على عمل، إذا أنا عملته، أحبّني الله، وأحبّني النّاس فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **ازهد في الدّنيا، يحبّك الله، وازهد فيما في أيدي النّاس، يحبّوك**[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه كان يقول: الله الّذي لا إله إلاّ هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع. وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوما على طريقهم الّذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلاّ ليشبعني، فمرّ ولم يفعل، ثمّ مرّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلاّ ليشبعني، فمرّ فلم يفعل، ثمّ مرّ بي أبو القاسم صلي الله عليه وسلم فتبسّم حين رآني، وعرف ما في نفسي ـ وما في وجهي. ثمّ قال: يا أبا هرّ! قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: الحق، ومضى ـ فتبعته فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخل فوجد لبنا في قدح، فقال: من أين هذا اللّبن؟ قالوا: أهداه لك فلان - أو فلانه - قال: أبا هرّ! قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصّفّة[٢]فادعهم لي.

قال: وأهل الصّفّة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هديّة أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللّبن في أهل الصّفّة؟ كنت أحقّ أن أصيب من هذا اللّبن شربة أتقوّى بها، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللّبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلي الله عليه وسلم بدّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: **يا أبا هرّ**، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: **خذ فأعطهم**، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرّجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح فأعطيه الرّجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح فأعطيه الرّجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح حتّى انتهيت إلى النّبيّ صلي الله عليه وسلم وقد روي القوم كلّهم. فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسّم فقال: **أبا هرّ**، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: **بقيت أنا وأنت**، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: **اقعد فاشرب** فقعدت فشربت. فقال: **اشرب** فشربت، فما زال يقول: **اشرب**، حتّى قلت: لا والّذي بعثك بالحقّ، ما أجد له مسلكا،

(١) ابن ماجه (٤١٠٢) وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه برقم (٣٣١٠).

(٢) أهل الصفة: هي سقيفة مظللة كانت تأوي إليها المساكين في المسجد النبوي.

قال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله، وسمّى وشرب الفضلة)[١].

وعن ابن عمر ☻ قال: أخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم بمنكبي فقال: **كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل**. وكان ابن عمر ☻ يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصّباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[٢].

وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ارتحلت الدّنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدّنيا؛ فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل.

وعنه رضي الله عنه أنّه قال: طوبى للزّاهدين في الدّنيا، والرّاغبين في الآخرة، أولئك قوم اتّخذوا أرض الله بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، والكتاب شعارا، والدّعاء دثارا، ورفضوا الدّنيا رفضا.

عن عروة بن الزّبير ☻ قال: ما كانت عائشة أمّ المؤمنين تستجدّ ثوبا حتّى ترقّع ثوبها وتنكّسه[٣]. قال: ولقد جاءها يوما من عند معاوية ثمانون ألفا، فما أمسى عندها درهم، قالت لها جاريتها: فهلاّ اشتريت لنا منه لحما بدرهم؟. قالت: لو ذكّرتني لفعلت[٤].

قال ابن مسعود رضي الله عنه الدّنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا علم له.

وعن الحسن رضي الله عنه: ليس الزّهد في الدّنيا بتحريم الحلال وإضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها، أرغب منك فيها لو لم تصبك.

وقال سفيان الثّوريّ - رحمه الله -: الزّهد في الدّنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة.

---

(١) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٥٢).

(٢) البخاري - الفتح ١١ (٦٤١٦). قالوا في شرح هذا الحديث: معناه لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله وبالله التوفيق.

(٣) تنكسه: تلبسه منكسا أي ما كان داخلا مستترا منه يصبح من الظاهر، وما كان ظاهرا يصبح باطنا.

(٤) الترمذي (١٧٨١) وهذه زيادة من كتاب رزين، وله شواهد في الصحيحين، وانظر: الزهد لوكيع (١/ ٣٣٧).

ومن فوائد الزهد جملة:

- فيه تمام التّوكّل على الله.
- يغرس في القلب القناعة.
- صرف المسلم عن التّعلّق بالملذّات الفانية إلى العمل من أجل النّعيم المقيم.
- فيه كبح جماح النّفس إلى الشّهوات.
- يؤصّل العفّة والنّزاهة في نفوس المؤمنين.
- يعلّم المسلم كيف يسدّد هدفه إلى الدّار الآخرة.
- الزّاهد يحبّه الله ويقرّبه إليه.
- راحة في الدّنيا وسعادة في الآخرة.
- حبّ النّاس له حيث أنّه لا يزاحمهم على دنياهم.
- فيه التّأسّي برسول الله صلي الله عليه وسلم وصحابته الكرام.
- الاطمئنان إلى جناب الله والرِضا بما قسم.
- يؤصّل في النّفس حبّ الإنفاق في سبيل الله وعدم التّعلّق بالدّنيا.
- يخرج نفسه من عبوديّة الشّيطان والدّنيا والنّفس.

ومن المواقف:

خذها، وأطعم الحلواء صبيانك:

يروى: أنه كان لرجل على آخر دين مائة دينار، فطلب الرجل الوثيقة،فلم يجدها، فجاء إلى بنان ليدعو له، فقال: أنا رجل قد كبرت، وأحب الحلواء، اذهب اشتر لي من عند دار فرج رطل حلواء حتى أدعو لك، ففعل الرجل، وجاء، فقال بنان: افتح ورقة الحلواء، ففتح، فإذا هي الوثيقة، فقال: هي وثيقتي، قال: خذها، وأطعم الحلواء صبيانك [١].

أوصني!:

(١) سير أعلام النبلاء، ١٤ /٤٨٩.

قـال: " بينا أنا أســير بين مكة والمدينة، وإذا شــخص قد تراءا لي، فأممت نحوه، فلما قربت منه سـلمت عليه، وقلت له: " أوصـني! " فقال: " يا بنان! إن كان الله قد أعطاك من سر سره سراً، فكن مع ما أعطاك؛ وإن كان الله لم يعطك من سر سره سراً فكن مع الناس على ما هم عليه من الظاهر ".

أليس حبيبك معك؟!:

وقال: " دخلت البرية - على طريق تبوك - وحدي، فاسـتوحشـت، فإذا هاتف يهتف: يا بنان! نقضت العهد! لم تستوحش؟! أليس حبيبك معك؟! " (١).

لا ذاق داود تمرا ما دام في الدنيا:

قال الوليد بن عقبة: كان يخبز لداود الطائي سـتون رغيفا فيعلقها بشريط ويفطر كل ليلـة على رغيفين وملح ومـاء فـأتي ليلة بفطره فجعل ينظر إليه ومولاة له تنظر إليه فقامت فجاءته بشيء من تمر؟ فأفطر ثم قام فصـلى حتى أصـبح ثم أصـبح صـائما فلما جاء وقت الإفطار أخذ الرغيفين وجعل ينظر إليهما قال الوليد بن عقبة: فحدثني جار له قال: سـمعته يعاتب نفســه ويقول: اشـتهيت البارحة تمرا قد أطعمتك، واشـتهيت الليلة تمرًا لا ذاق داود تمرا ما دام في الدنيا فما ذاقه حتى مات.

فكان في اعتزالي أكثر العافية:

قال القاســم بن معن: لما اعتزل داود الطائي أتيته فقلت يا أبا ســليمان تركت إخوانك ومجالسـة من يذاكرك العلم فسكت طويلا ثم قال: رحمك الله اني رأيت قلوبا لاهية وألسنة مؤتلفة وهمما مختلفة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة فكان في اعتزالي أكثر العافية.

---

(١) تاريخ بغداد، ٧ /١٠١.

لقد هان الخلق على داود:

عن حبان بن علي قال: احتاج الحسن بن قحطبة أن يسأل داود الطائي عن مسألة فهابه أن يأتيه وحده فقال لرجل من وجوه طيء وشيوخها إني احتجت إلى لقاء داود فكن معي فأتياه فدخلا وسلما عليه ورد السلام عليهما فلما عرف ابن قحطبة تقبض وجعل لا ينظر اليهما فابتدأ الحسن فسأله عن المسألة فلم يجبه ولم يكلمه، فأعاد عليه فأعرض بوجهه عنه فلما رأى ذلك ابن قحطبة خرج وتوقف الشيخ عنده، فقال له: يا أبا سليمان يجيئك ابن عم لك يسألك من مسألة من أمر دينه فلا تجيبه فنظر إليه نظرة منكرة ثم قال{ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ } [المؤمنون: ١٠١]. فقام الشيخ مبادرا فأصاب ابن قحطبة: ينتظره فأخبره فقال ابن قحطبة لقد هان الخلق على داود طوبى له ثم ذهب.

وهى تريد الجنة غداً:

ويروى أنه خرج يوماً إلى السوق، فرأى الرطب، فاشتهته نفسه، فجاء إلى البائع فقال: " أعطني بدرهم إلى الغد ". فقال له: " اذهب إلى عملك " فرآه بعض من يعرفه، فأخرج له صرة فيها مائة درهم، وقال له: " اذهب فان أخذ منك بدرهم رطباً فالمائة لك ". فلحقه البائع، وقال له: " ارجع خذ حاجتك " فقال: لا حاجة لي فيه. أنا جربت هذه النفس، فلم أرها تسوى في هذه الدنيا درهماً، وهى تريد الجنة غداً ".

كان لنا عند الله مذخورا:

عن حماد بن أبي حنيفة أن مولاة لداود الطائي كانت تخدمه فقالت له: لو صنعت لك دسما؟ قال: وددت فطبخت له شحما وجاءت به فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان قالت على حالهم قال: اذهبي به إليهم. قالت: فديتك إنك لم تأكل أدما منذ كذا وكذا. قال: إن هذا إذا أكلوه كان لنا عند الله مذخورا، وإذا أكلته كان في الحش [١].

أقل من إتياني:

قال نعيم بن يعقوب: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كنت ربما أتيت داود الطائي فإذا أتيته تبينت ثقل موضعي عليه، وأراه يتململ، فقال لي يوما: يا سفيان أما لك شغل يا سفيان أقل من إتياني [٢].

(١) أخبار أبي حنيفة، ١ / ١٢١.
(٢) أخبار أبي حنيفة، ١٢٣.

وأنا أستحي من الله:

ودخل عليه بعض أصحابه، فرأى جرة ماء، قد انبسطت عليها الشمس، فقال له: " ألا تحملها إلى الظل؟ " فقال: " حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي من الله أن يراني أمشى لما فيه حظ نفسي ".

ادعه حتى أشتهيه:

ودخل عليه رجل، فوجده يأكل ملحاً جريشاً بخبز يابس، فقال له: " كيف يشتهى هذا؟ " قال: " أدعه حتى أشتهيه " [١].

تلك ضالة لا توجد:

وأتاه الفضيل بن عياض يعوده فقال له أقلل من زيارتنا فإني خليت الناس فجاءه يوما ولم يفتح له الباب، فقعد فضيل يبكي في الخارج وداود في الداخل، فقال له: دلني على رجل أجلس إليه؟ قال: تلك ضالة لا توجد[٢].

كنت أخاصم نفسي:

وقال إسماعيل بن حسان: جئت إلى باب داود الطائي فسمعته يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحداً، فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت، فقال: ما بدا لك في الاستئذان قلت: سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحداً، قال: لا ولكن كنت أخاصم نفسي؛ اشتهت البارحة تمراً فخرجت فاشتريت لها، فلما جئت اشتهت جزراً، فأعطيت الله عهداً ان لا آكل تمراً ولا جزراً حتى ألقاه.

إن في قبلوهما عتق رقبانا من الرق:

وقدم محمد بن قحطبة الكوفة فقال: أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس؛ فقيل له: ما يجمع هذه إلا داود الطائي، فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم، وقال: استعن بها على دهرك، فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما: إن قبل البدرتين فأنتما حران، فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما، فقال: إن في قبلوهما عتق رقبانا من الرق، فقال لهما: إني أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتي في النار، رداهما إليه وقولا له: إن ردهما على أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا.

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٣٤.

(٢) عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ١ / ٥٤٠.

فما أبقيت لآخرتي:

قال أبو الربيع الأعرج: دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرب لي كسيرات يابسة، فعطشت فقمت إلى دن فيه ماء حار، فقلت: رحمك الله! لو اتخذت دفاً غير هذا يكون فيه الماء بارداً، فقال لي: إذا كنت لا أشرب إلا بارداً ولا آكل إلا طيباً ولا ألبس إلا ليناً، فما أبقيت لآخرتي قال: قلت له: أوصني، قال: صم عن الدنيا، واجعل إفطارك فيها الموت، وفر من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أخف مؤونة وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا إن عملت به.

إنما يفعل هذا بالصبيان:

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي فقالوا: داود يجيبكم أرسلوا إليه، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة: نحن نذهب إليه، قال ابن السماك لحماد في الطريق: إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها، فقال حماد: رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها!! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يفعل هذا بالصبيان، وأبى أن يقبلها [١].

رأيت خيرها كثيراً:

قال جعفر بن نفيل الرهبي: رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له: كيف رأيت خير الآخرة قال: رأيت خيرها كثيراً، قلت: فماذا صرت إليه قال:

صرت إلى خير الحمد لله، قال فقلت له: هل لك من علم بسفيان بن سعيد فقال: كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير.

هذا إن قبلك:

لقي رجلٌ داود الطّائي فقال: من أين يا داود وإلى أين؟ قال داود: استوحشت من الناس وأنست بالله تعالى، فقال: يا داود، هذا إن قبلك، فصاح صيحةً وخرّ مغشياً عليه ثم أفاق فقال: نبّهك الله إذ نبّهتني [٢].

(١) وفيات الأعيان، ٢ / ٢٦٢.

(٢) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣٠/٣، ٤٦/٨.

ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة:

أصابت داود الطائي ضيقة شديدة، فجاءه حماد بن أبي حنيفة بأربعمائة درهم من تركه أبيه، فقال داود: هي من مال رجل ما أقدم عليه أحداً في زهده وورعه وطيب كسبه، ولو كنت قابلاً من أحد شيئاً لقبلتها إعظاماً للميت وإيجاباً للحي، ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة [1].

أردت أن تخدعني؟:

وقال عطاء بن مسلم الحلبي: عاش داود عشرين سنة بثلاث مئة درهم ينفقها على نفسه، فأتاه ابن أخيه فقال: عم تكره التجارة؟ قال: لا، قال: فأعطني شيئاً أتجر به، قال: فأعطاه ستين درهماً وقال: فمكث شهراً ثم جاءه بعشرين ومائة درهم فقال: هذه ربحها، فقال: أنت كل شهر تربح للدرهم درهماً؟ ينبغي أن يكون عندك بيت مال، أردت أن تخدعني؟قال: فرمى بها عليه وقال: رد علي رأس مالي.

إنما طلقت نفسي من هذه الشهوات:

ودخل رجل على داود الطائي فقال: يا أبا سليمان بعت كل شيء حتى التراب، وبقيت تحت نصف سقف، فلو سويت هذا السقف فكان يكنك من الحر والبرد والمطر، فقال داود: اللهم غفراً، كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام، يا عبد الله، اخرج عني، فقد شغلت قلبي، إنّي أبادر جفوف القلم وطي الصحيفة. قال: يا أبا سليمان، أنا عطشان، قال: اخرج واشرب، فجعل يدور في الدار لا يجد ماء، فرجع إليه فقال: يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة، فقال: اللهم غفراً، بل هناك ماء، فخرج يلتمس فإذا دن من هذه الأصص الذي ينقل فيه الطين وخزفة أسفل كوز فأخذ تلك الخزفة فغرف بها فإذا ماء حار كأنه قد غلي لم يقدر أن يسيغه، فرجع إليه وقال: يا أبا سليمان: مثل هذا الحر؟ الناس يكادون ينسلخون من شدة الحر، ودن مدفون في الأرض وكوز مكسور فلو كانت جريرة وقلة؟ فقال داود: حب حيري وجرة مذارية وقلال منقشة، وجارية حسناء وأثاث وناض - يعني بالناض الدنانير والدراهم وفضول، لو أردت هذا الذي يشغل القلب لم أسجن نفسي ـ ها هنا، إنما طلقت نفسي ـ من هذه الشهوات، وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا إلى روح الآخرة. فقال: يا أبا سليمان ففي هذا الحر أين تنام وليس لك سطح؟ قال إني أستحي من مولاي أن يراني أخطو خطوة ألتمس راحة نفسي

---

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٣، ١٢٤، ١٣٢، ١٨٥، ٣٠٥، ٤٨٧، ٤٨٩.

في الدنيا حتى يكون مولاي هو الذي يخرجني من الدنيا (١).

ما شعرت بذلك!!:

وقال إسحاق بن خلف: كان داود الطائي - رحمه الله تعالى - على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له، قال: فوثب صاحب الدار من فراشه عرياناً وبيده سيف وظن أنه لص، فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف، وقال: من ذا الذي طرحك من السطح، قال: ما شعرت بذلك!!.

لعل تركه أن يكون أنجى:

وجاء داود الطائي أحد أصحابه بألفي درهم وقال: هذا شيء جاء الله به لم تطلبه ولم تشره له نفسك. قال داود: إنه لمن أمثل ما يأخذون قال فما يمنعك منه قال: لعل تركه أن يكون أنجى [٢].

ما يوقفك هنا؟:

وعن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي قال: رأيت داود الطائي يومًا قائمًا على شاطئ الفرات مبهوتًا؛ فقلت: يا أبا سليمان، ما يوقفك هنا؟ قال: انظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى؟[٣].

ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف:

قال ابن خزيمة: كان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أعلم من رأيت بمذهب مالك، فوقع بينه وبين البويطي خلاف عند موت الشافعي، فتنازع ابن عبد الحكم والبويطي مجلس الشافعي، فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال الآخر كذلك.

فجاء الحميدي، وكان بمصر فقال: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف، ليس أحد من أصحابي أعلم منه.

فقال ابن عبد الحكم:

كذبت.

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٤٣.

(٢) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، ١/ ٣٦٧، ٣٨٨، ٢ / ١٧٥.

(٣) عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١، ص ٩١.

قال: بل كذبت أنت وأبوك وأمك.

وغضب ابن عبد الحكم.

فجلس البويطي في مكان الشافعي، وجلس ابن عبد الحكم في الطاق الثالث. وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه، وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه [١].

وقد كان الشافعي ♠ آخى محمد بن عبد الحكم المصري وكان يحبه ويقربه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، واعتل محمد فعاده الشافعي، فحدثني القرشي عن الربيع قال: سمعت الشافعي ينشد وقد عاد محمدا:

مرض الحبيب فعدته ::: فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني ::: فبرأت من نظري إليه

وما شك أهل مصر أن الشافعي يفوض أمر حلقته إليه، وأنه يستخلفه بعد موته ويأمر الناس بالحضور عنده، حتى سئل عن ذلك في علته فقيل له: يا أبا عبد الله إلى من نجلس بعدك، ومن يكون صاحب الحلقة، وهم يظنون أنه يشير إلى محمد فاستشرف لذلك محمد وتطاول لها، وكان جالسا عند رأسه فقال: سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي، فانكسر لها محمد ووجد في نفسه ومال أصحابه إلى أبي يعقوب البويطي، وقد كان محمد حمل علم الشافعي ومذهبه وفارق مذهب مالك، إلا أن البويطي كان أزهد وأورع، فحمل الشافعي نصحه للدين والنصيحة للمسلمين، ولم يداهن في ذلك بأن وجه الأمر إلى أبي يعقوب، وآثره لأنه كان أولى، فلما قبض الشافعي رضي الله عنه إنتقل محمد ابن عبد الحكم مذهبه، وفارق أصحابه ورجع إلى مالك، وروى كتب أبيه عن مالك، وتفقه فيها، فهو اليوم من كبار أصحاب مالك رضي الله عنه.

أنت تموت في الحديد:

وما كان أبو يعقوب ليموت إلا في الحديد كيف وقد قال الربيع: كنت عند الشافعى أنا والمزنى وأبو يعقوب، فقال لى أنت تموت في الحديث، وقال لأبى يعقوب: أنت تموت في الحديد، وقال للمزنى: هذا لو ناظره الشيطان لقطعه.

قال الربيع: فدخلت على البويطى أيام المحنة فرأيته مقيدا إلى أنصاف ساقيه مغلولة يداه إلى عنقه.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١٢ / ٦٠.

هذا لساني:

وقال الربيع: كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى، وما رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي. وقال الربيع أيضاً: كان لأبي يعقوب منزلة من الشافعي، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره فيقول: هو كما قال. وقال أيضاً: ربما جاء رسول صاحب الشرطة إلى الشافعي فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول: هذا لساني.

لعل الله يخلصنى بدعائهم:

وقال أبو عمرو المستملي: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلى فقرأ علينا كتاب البويطى إليه وإذا فيه والذى أسألك أن تعرض حالى على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصنى بدعائهم، فإني في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة فضج الناس بالبكاء والدعاء له.

انظر إلى هذا الحبر رحمه الله لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض، ولم يتأثر بالقيد ولا بالسجن فرضي الله عنه وجزاه عن صبره خيرا.

اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني:

كان أبو يعقوب البويطي، إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني [(١)].

من رأى ذاك ورأى هذا لا يغتر بالدنيا:

قال أبو الحسين بن سمعون: قال لي الشبلي: كنت باليمن وكان باب دار الإمارة رحبة عظيمة وفيها خلق كثير قيام ينظرون إلى منظرة، فإذا قد ظهر من المنظره شخص أخرج يده كالمسلم عليهم فسجدوا كلهم، فلما كان بعد سنين كنت بالشام وإذا تلك اليد قد اشترت لحما بدرهم وحملته فقلت له: أنت ذلك الرجل؟ قال: نعم من رأى ذاك ورأى هذا لا يغتر بالدنيا.

(١)وفيات الأعيان، ٧ / ٦٣.

أجعل للصلح موضعا:

وقال الشبلي: كنت في قافلة بالشام فخرج الأعراب فأخذوها وأميرهم جالس يعرضون عليه فأخرج جرابًا فيه لوز وسكر فأكلوا منه إلا الأمير فما كان يأكل، فقلت له: لم لا تأكل؟ قال: أنا صائم. قلت: تقطع الطريق، وتأخذ الأموال، وتقتل النفس وأنت صائم قال: يا شيخ، اجعل للصلح موضعا، فلما كان بعد حين رأيته يطوف حول البيت وهو محرم كالشن [١] البالي فقلت أنت ذاك الرجل، فقال: ذاك الصوم بلغ بي إلى هذا [٢].

فأجاب بثمانية عشر جوابا:

وقال الشبلي كتبت الحديث عشرين سنة وجالست الفقراء عشرين سنة وكان يتفقه لمالك وكان له يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوما صيحة تشوش ما حوله من الخلق وكان يجنب حلقته حلقة أبي عمران الأشيب فقال الأبي الفرج العكبري ما للناس قال حردوا من صيحتك وحرد أبو عمران وأهل حلقته فقام الشبلي وجاء إلى أبي عمران فلما رآه أبو عمران قام إليه وأجلسه إلى جنبه فأراد بعض أصحاب أبي عمران أن يرى الناس أن الشبلي جاهل فقال له يا أبا بكر إذا اشتبه على المرأة دم الحيض بدم الإستحاضة كيف تصنع فأجاب بثمانية عشر جوابا فقام أبو عمران وقبل رأسه وقال يا أبا بكر أعرف منها اثني عشر وستة ما سمعت بها قط [٣].

سألتك عن الرب الذي تعبده:

- أدخل الشبلي دار المرضى ليعالج فدخل عليه علي بن عيسى الوزير عائدا فأقبل على الوزير فقال ما فعل ربك فقال الوزير: في السماء يقضي ويمضي فقال سألتك عن الرب الذي تعبده لا عن الرب الذي لا تعبده يريد الخليفة المقتدر [٤].

هو ذاك:

- عن خير النساج قال كنا في المسجد فجاءنا الشبلي وهو سكران فنظرنا ولم يكلمنا فانهجم على الجنيد في بيته وهو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس فهمت أن تغطي رأسها فقال لها الجنيد لا عليك ليس هو هناك قال فصفق على رأس الجنيد وأنشأ يقول:

---

(١) الشن: الخلق من كل آنية صنعت من جلد.

(٢) تاريخ دمشق، ٦٦ /٥٢.

(٣) تاريخ دمشق، ٦٦ /٥٤.

(٤) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٧.

عودوني الوصــال والوصــل عذب ::: ورموني بالصــد والصــد صــعب
زعــمــوا حين عــاتبوا أن جرمي ::: فــرط حبي لهم ومــا ذاك ذنــب
لا وحســن الخضــوع عند التلاقي ::: مــا جــزى من يحــب إلا يحــب

ثم ولى الشبلي فضرب الجنيد رجليه وقال هو ذاك وخر مغشيا عليه[١].

أموات جاؤوا إلى جنازة حي:

قال أبو الحسن المالكي بطرسوس اعتل الشبلي علة شديدة فأرجفوا بموته فبادرنا إلى داره فاتفق عنده ابن عطاء وجعفر الخلدي وجماعة من كبار أصحاب الجنيد قال: فرفع رأسه فقال لهم: مالكم إيش القصة؟ قال: فقلت وكنت أجرأهم عليه: مالنا جئنا إلى جنازتك فاستوى جالسا فقال: الجوار الجوار أموات جاؤوا إلى جنازة حي، ثم قال لهم: ويحكم أحسب أني قد مت فيكم من يقدر أن يحمل هيكلي [٢].

فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود:

قال أحمد بن محمد النهاوندي مات للشبلي ابن كان اسمه غالبا فجزت أمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع، فقيل له: يا أستاذ ما حملك على هذا؟ فقال جزت هذه شعرها على مفقود فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود [٣].

لهم تحت الثياب قبور:

قال أبو نصر: سمعت أحمد يقول حضرت الشبلي وسئل عن قول بعضهم لا تغرنكم هذه القبور وهدوها فكم من فرح مسرور وداع بالويل والثبور، فقال: أيما هي القبور عندك؟ قال: قبور الأموات. فقال: لا بل أنتم القبور، كل واحد منكم مدفون، فالمعرض عن الله داع بالويل والثبور، والمقبل على الله الفرح المسرور ثم أنشأ يقول:

قبور الورى تحــت التراب وللهوى ::: رجــال لهم تحــت الثيــاب قبور

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٧.
(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٣٦٨.
(٣) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٠.

فقلت له يا سيدي ونعد في الموتى فقال:

يحبـــك قلبي مـــا حييـــت فإن أمت ::: يحـــبـــك عظم في التراب رميم (١)

إنني بريء مما تعبدون هذه الأطعمة:

- جاء ذات يوم الشبلي إلى أبي بكر بن مجاهد وكان في مسجده غائبا فسأل عنه فقيل له هو عند علي بن عيسى فقصد دار علي فاستأذن فقيل أبو بكر الشبلي يستأذنك فقال أبو بكر بن مجاهد لعلي بن عيسى اليوم أريك من الشبلي عجبا فلما دخل وقعد قال له أبو بكر بن مجاهد يا أبا بكر أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم أين هذا من العلم والشرع فقال له قول الله: " فطفق مسحا بالسوق والأعناق " أين هذا من العلم فسكت أبو بكر بن مجاهد وقال لعلي كأني لم أقرأها قط وبلغني عن غيره أنهم عاتبوه في مثله فتلا هذه الآية: " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم " وتلا إنني بريء مما تعبدون هذه الأطعمة وهذه الشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منهم وأحرقه (٢).

من أسعد أصحابك بصحبتك؟:

قال أبو العباس محمد بن الحسن الخشاب: سمعت بعض أصحاب الشبلي يقول رأيت الشبلي في المنام فقلت له يا أبا بكر من أسعد أصحابك بصحبتك فقال أعظمهم لحرمات الله وألهجهم بذكر الله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة في مرضات الله وأعرفهم بنقصانه وأكثرهم تعظيما لما عظم الله من حرمة عباده قال الشيخ ذكر جماعة من أعلام العارفين أدركنا أيامهم انتشرت في العالم أحوالهم لاعتصامهم بالشرع المتين فكانوا به عالمين وعاملين وبمعالي الأحوال عارفين قائمين وبمكارم الأخلاق متمسكين آخذين ذكرت عن كل واحد منهم نبذا مما نقل إلينا من أقوالهم الحميدة وأحوالهم الشديدة(٣).

---

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٠.

(٢) حلية الأولياء، ١٠ /٣٧٤.

(٣) حلية الأولياء ١٠ /٣٧٥.

ما أعزك أحد إلا أذله الله!:

ويروي انه قال: " كنت يوماً جالساً، فجرى بخاطري أني بخيل، فقلت: أنا بخيل؟! فقاومني خاطري، وقال: بلا!، انك بخيل!. فقلت: مهما فتح على اليوم، لأدفعنه إلى أول فقير يلقاني!. قال: بينا أنا أتفكر، إذ دخل على صاحب لمؤنس الخادم، ومعه خمسون ديناراً، فقال: اجعل هذه في مصالحك "، فأخذتها وخرجت. وإذا بفقير مكفوف، بين يدي مزين، يحلق رأسه، فتقدمت إليه، وناولته الصرة، فقال لي: أعطها للمزين ". فقلت: " أنها دنانير! "، فقال: " أو ليس قد قلنا انك بخيل؟! "، فناولتها للمزين: " من عاداتنا أن الفقير إذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجراً ". قال: فرميتها في دجلة فقلت: " ما أعزك أحد إلا أذله الله! ".

فأيش كانت بضاعتك؟:

ورؤى الشبلي في جامع المدينة قد كثر الناس عليه في الرواق الوسطاني، وهو يقول: " رحم الله عبدا، ورحم والديه دعا لرجل كانت له بضاعة، وقد فقدها؛ وهو يسأل الله ردها! " والناس صموت. فخرق الحلقة غلام حدث، وقال: " من هو صاحب البضاعة؟ "، الشبلي: " أنا! " قال: " فأيش كانت بضاعتك؟ "، قال: " الصبر، وقد فقدته! " فبكى الناس بكائاً عظيماً ".

أمجنون أنت؟!:

وقيل ضاق صدره يوماً ببغداد، فانحدر إلى البصرة، فلما ضاق صدره خرج لوقته، فلما قرب من دار الخليفة، إذا جار تغني بين يدي الخليفة:

أيا قادماً من سفرة الهجر، مرحباً ::: أنا ذاك، لا أنساك، ما هب الصبا
قدمت على قلبي، كما قد تركته ::: كئيباً حزيناً بالصبابة متعبا

فصاح صيحة، ووقعت مغشياً عليه، فقال الخليفة: " ألحقوه واحملوه! " فحمل أليه، فقال له: " أمجنون أنت؟! ". قال: " يا أمير المؤمنين! كان من أمري كيت وكيت، فتحيرت في أمري " فبكى الخليفة لما رأى من حرقته.

ووجهك أن رأيتُ شفاء دائي:

وآخر يوماً العصر ونظر الشمس وقد نزلت للغروب، فقال: " الصلاة ياسادتي! " وقام فصلى، وانشأ يقول مداعباً وهو يضحك: " ما احسن من قال:

نسيت اليوم من عشقي صلاتي ::: فلا ادري عشائي من غدائي
فذكرك سيدي أكلي وشربي ::: ووجهك أن رأيتُ شفاء دائي[1]

سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن!:

قال بكير الدينوري " وجد الشبلى خفة - في يوم جمعة - من وجع كان به، فأمر بمضيه إلى الجامع، فراح إليه متكئاً، فتلقاه رجل مقبل من الرصتفة، فقال: " سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن! ". فصلينا ثم غدونا، فتناول شيئاً من الغداء، فلما كان الليل مات. فقيل لي: " في درب السقايين رجل يغسل الموتى " فدلوني عليه في السحر، فأتيته فدققت الباب خفيفاً فقلت: " سلام عليك "، فقال: مات الشبلى؟ "، قلت: " نعم! " فخرج إلى، فإذا به الشيخ، فقلت: " لا إله إلا الله! " فقال: " لا اله إلا الله، تعجبا مم؟ " قال: " قال لى الشبلى أمس - لما وجدناك -: " غداً يكون لي مع هذا شأن. بحق معبودك!، من أين لك أن الشبلى قد مات؟ ". قال: " يا ابله! فمن أين للشبلى أن يكون له معي اليوم شأن؟ "[2].

فأخرجه من البيت:

- جاء رجل الى الشبلى يشكو إليه كثرة العيال، فقال: ارجع إلى بيتك فمن وجدت منهم ليس رزقه على الله، فأخرجه من البيت.

أي صبر أشد على الصابرين:

- وقف رجل على الشبلى فقال: أي صبر أشد على الصابرين؟ قال الشبلى: الصبر في الله تعالى. فقال: لا. قال: فالصبر لله. فقال: لا. قال: فالصبر مع الله تعالى. فقال: لا قال فأى شيء؟ قال: الصبر عن الله، فصرخ الشبلى صرخة عظيمة ووقع.

بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره؟:

- وقام إلى الشبلي رجل فقال: بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره؟ فزعق زعقة ثم أنشد:

من لم يكن للوصال أهلاً ::: فكلّ إحسانه ذنوب

(١) طبقات الأولياء، ص ٣٥.

(٢) طبقات الأولياء، ص ٣٦.

- سنة التوفيق أجدى من يقظة الرؤية، وقليل النجح خير من كثير من الجهد.

فلاناً يعيب الباذنجان:

وحكي أن الشبلي رئي يوماً على الجسر، وكان يوماً مطيراً، فقيل له: إلى أين؟ فقال: بلغني أن فلاناً يعيب الباذنجان فأريد أن أمر عليه فأخاصمه.

وضيعت العمر وليس له بدل:

وأوصى الشبلي رحمه الله أن يكتب على قبره: تركت الجنة وليس لي قيمة وتعلقت بالدنيا وليس لها بقاء، وضيعت العمر وليس له بدل واتبعت النساء وليس لهن وفاء، وجفوت الرب وليس منه عوض.

وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب:

مرض الشبلي فأرسل الخليفة إليه طبيبا فعالجه فازداد مرضه فقال يا شيخ المسلمين لو علمت أن شفائك في قطع عضو من أعضائي لفعلت فقال شفائي في قطع زنارك فقطعه وأسلم فوثب الشبلي كأن لم يكن به مرض فقال الخليفة ظننت أني أرسلت الطبيب إلى المريض وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب..

إنك لتحب الدنيا:

- وقال له رجل: " إنك لتحب الدنيا "، فقال: " أين السائل عن الآخرة؟ " قال " ها أنا! "، قال: اخبرني أيها السائل عنها، أبالطاعة تنال أم بالمعصية؟ ". قال: لا، بل بالطاعة " قال: " فأخبرني عن الطاعة، أبالحياة تنال، أم بالممات؟ " قال: " لا، بل بالحياة " قال: " فأخبرني عن الحياة، أبالقوت تنال، أم بغيره؟ " قال: " لا، بل بالقوت " قال: " فأخبرني عن القوت، أمن الدنيا هو، أم من الآخرة؟ " قال: " لا، بل من الدنيا "، قال: " فكيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت، اكتسب به حياة، أدرك بها طاعة، أنال بها الآخرة؟! ". فقال الرجل: " أشهد أن ذلك معنى قول النبي صلي الله عليه وسلم : **إن من البيان لسحرا**[١].

(١) طبقات الأولياء، ص ٥٥.

ما تقول فينا أهل البيت:

ودخل على علوي ببلخ زائراً له ومسلماً عليه فقال له العلوي: أيد الله الأستاذ، ما تقول فينا أهل البيت قال: ما أقول في طين عجن بماء الوحي، وغرس بماء الرسالة، فهل يفوح منهما إلا مسك الهدى وعنبر التقى فحشى العلوي فاه بالدر، ثم زاره من الغد، فقال يحيى بن معاذ: إن زرتنا فبفضلك وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائراً ومزوراً [1].

أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب:

قال أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي: " بدء أمري في سياحتي حيث خرجت من الري، فوقع في قلبي شأن المؤنة، والنفقة، فتفكرت في نفسي، فإذا بهاتف يهتف في قلبي: أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب "

ألا قلت له مع من هجرهم فيه:

قال أ بو بكر بن طاهر: كان ليحيى بن معاذ أخ يقال له إسماعيل وكان أكبر منه قال رجل مع من يريد أن يعيش أخوك يحيى وقد هجر الخلق قال فذكر ذلك ليحيى فقال له يحيى ألا قلت له مع من هجرهم فيه.

فانظر ما همومك ياهشام:

قال جعفر وكنت عند مالك بن دينار فجاء هشام بن حسان وكان يأتيه هشام بن حسان وسعيد بن أبي عروبه وحوشب يطلبون قلوبهم فجاء هشام فقال أين أبو يحيى قلنا عند البقال قال قوموا بنا إليه قال فحانت منه نظرة إلى هشام فقال يا هشام إنى أعطى هذا البقال كل شهر درهما ودانقين فآخذ منه كل شهر ستين رغيفا كل ليله رغيفين فإذا أصبتهما سخنا فهو ادمهما يا هشام إنى قرأت في زبور داود إلهى رأيت همومى وأنت من فوق العلى فانظر ما همومك ياهشام[2].

---

(١) وفيات الأعيان، ٦ /١٦٧.

(٢) صفة الصفوة، ٢٨٤/٣.

وأخرجوا الدنيا من قلوبكم:

عن مالك بن دينار قال إن الله جعل الدنيا دار مفر والآخرة دار مقر فخذوا لمقركم من مفركم وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ولاتهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ففى الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لايعرفه واجتنبه من عرفه ومثل الحيه مسها لين وفي جوفها السم القاتل يحذرها ذوو العقول ويهوى إليها الصبيان بأيديهم[١].

إن الثكلى لاتحتاج إلى نائحة:

قال جعفر قلنا لمالك بن دينار ألاتدعو قارئا قال إن الثكلى لاتحتاج إلى نائحة فقلنا له ألا تستسقى فقال أنتم تستبطئون المطر لكنى أستبطئ الحجارة[٢].

لولا البول ماخرجت من المسجد:

وسمعته يقول: يا أخوتاه، بحق أقول لكم لولا البول ماخرجت من المسجد[٣].

أفر بديني من شاهق إلى شاهق:

قال سفيان بن عيينة: رأيت إبراهيم بن أدهم في جبال الشام، فقلت: يا إبراهيم تركت خراسان؟ فقال: ما تهنأت بعيشي إلا هنا، أفر يديني من شاهق إلى شاهق [٤].

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف:

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملأها، ثم قال: (بسم الله) وشرب الماء، ثم قال: (الحمد لله)، ثم ملأ كفيه من الماء وقال: (بسم الله) وشرب، ثم قال: (الحمد لله)، ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب،

---

(١) صفة الصفوة، ٢٨٥/٣.

(٢) صفة الصفوة، ٢٨٥/٣.

(٣) صفة الصفوة، ٢٨٦/٣.

(٤) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، ١٦٤/٢.

فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟![1].

أمّا نحن فقد استوفينا أجورنا:

فلما أكلنا قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبته.

قال: نعم، كنّا يوماً صياماً، فلمّا كان الليل لم يكن لنا ما نفطر عليه، فلمّا أصبحنا قلت، يا أبا إسحاق، هل لك في أن نأتي الرّستن فنكري أنفسنا مع الحصّادين قال: نقم، فأتينا باب الرّستن، فجاء رجل فاكتراني بدرهم فقلت: وصاحبي، قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفاً، فما زلت به حتى اكتراه بثلثين، فحصدنا يومنا، وأخذت كرائي، فأتيت به، فاشتريت حاجتي،) وتصدّقت بالباقي، فهيأته، وقدمته إليه، فلمّا نظر إليه بكى، قلت، ما يبكيك قال: أمّا نحن فقد استوفينا أجورنا، فليت شعري أوفينا صاحبنا أم لا قال: فغضبت، قال: ما يغضبك أتضمن لي أنَّا وفيناه فأخذت الطعام فتصدّقت به[2].

لو أمكنني أن أطلِّق نفسي لفعلت:

قال ضمرة: سمعت إبراهيم بن ادهم قال: أخاف أن لا يكون لي أجر في تركي أطايب الطعام، لأنّي لا أشتهيه، وكان إذا جلس على طعام طيّب رمى إلى أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون.

قال رجل لإبراهيم بن ادهم: لو تزوّجت، فقال: لو أمكنني أن أطلِّق نفسي لفعلت[3].

صيّر مالي وماله واحداً:

دخل إبراهيم بن ادهم الجبل بفأس، فاحتطب ثم باعه، واشترى به ناطفاً، وقدّمه إلى أصحابه فقال: كلوا كأنّكم تأكلون في رهن.

قال عصام بن داود بن الجرّاح: كنت ليلة مع إبراهيم بن أدهم بالثغر، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافيه، فنظر إلى سرجي فقال، خذ ذاك السّرج، فأخذه، فما داخلني سرور قطّ مثله حين علمت أنّه صيّر مالي وماله واحداً.

---

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ / ١٣٤.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٤٨/١٠.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٤٨/١٠.

ما إيّاك عنيت:

قيل لإبراهيم بن ادهم: ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله قال: أن تقول للجبل تحرّك فيتحرّك، قال: فتحرّك الجبل، فقال: ما إيّاك عنيت[١].

ليس إيّاك أردت:

قال عيسى بن حازم النَّيسابوريّ: كنّا مع إبراهيم بن أدهم بمكة، فنظر إلى أبي قبيس فقال: لو أنّ مؤمناً مستكمل الإيمان هزّ الجبل لزال، فتحرّك أبو قبيس، فقال: إبراهيم: اسكن، ليس إيّاك أردت[٢].

وقال هلك أصحاب الأثقال:

قال عبدالملك بن قريب حدثني رجل صالح من أهل البصرة قال وقع حريق في بيت مالك بن دينار فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما فقيل له يا أبا يحيى البيت فقال ما فيه إلا السندانة ما أبالي أن يحترق قال الدورقي وذكر عبد الله بن المبارك قال وقع حريق بالبصرة فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائة وقال هلك أصحاب الاثقال[٣].

فإنّا مملوكان لأبيك:

بينما إبراهيم بن أدهم يحصد وقف عليه رجلان معهما ثقل، فسلّما عليه وقالا: أنت إبراهيم بن أدهم قال: نعم، قالا: فإنّا مملوكان لأبيك ومعنا مال ووطاء، فقال: ما أدري ما تقولان، فإن كنتما صادقين فأنتما حرّان والمال لكما، لا تشغلاني عن عملي[٤].

مالي فيها حاجة:

قال خلف بن تميم، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: يجيئني الرجل بالدنانير فأقول: مالي فيها حاجة، ويجيئني بالفرس فأقول: مالي فيه حاجة، ويجيئني ذا، فلما رأى القوم أنّي لا أنافسهم في دنياهم أقبلوا ينظرون إليّ كأنّي دابة من الأرض، أو كأني آية، ولو قبلت منهم لأبغضوني، ولقد أدركت أقواماً ما كانوا يحمدون على ترك هذه الفضول[٥].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٠/١٠.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٠/١٠.

(٣) صفة الصفوة، ٢٨١/٣.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٥/١٠.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٦/١٠.

من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره:

قال خلف بن تميم: سـمعت إبراهيم بن أدهم يقول: من تعوّد أفخاذ النسـاء لم يفلح. يحيى بن آدم: سـمعت شريكاً يقول: سـألت إبراهيم بن أدهم عمّا كان بين عليّ ومعاوية ☻ ، فبكى، فندمت على سؤالي إيّاه، فرفع رأسـه فقال، من عرف نفسـه اشـتغل بنفسه عن غيره، ومن عرف ربّه اشتغل بربه عن غيره.

وعن إبراهيم قال: حبّ لقاء الناس من حبّ الدنيا، وتركهم ترك الدنيا(١).

اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضّاري:

قال إبراهيم بن بشّـار: أوصـانا إبراهيم بن أدهم: اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضّاري، ولا تخلَّفوا عن الجمعة والجماعة(٢).

هكذا كلاب بلخ!:

وقال إبرهيم لشـقيق: " علام أصـلتم أصـولكم؟ " فقال: " إذا رزقنا أكلنا، وإذا منعنا صـبرنا ". فقال إبرهيم: " هكذا كلاب بلخ! إذا رزقت أكلت، وإذا منعت صـبرت. أنا أصـلنا أصـولنا على إنا إذا رزقنا آثرنا، وإذا منعنا حمدنا وشـكرنا ". فقام شـقيق، وقعد بين يديه وقال: " أنت أستاذنا! " (٣).

مات وكفن في الملاءتين:

عن إبراهيم بن أدهم قال: حدثني رفيقة قال: خرجت مع إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس، فنفذ زادنا في الطريق، فجعلنا نأكل الخرنوب وعروق الشـجر حتى خشنت حلوقنا، وبلغ منا الجهد، فقلت: ندخل القرية عسى نطلب عملا فإذا في القرية نهر فتوضـأ وصـف قدميه فدخلت ألتمس فتقبلت من قوم حائطا قد سـقط أجره بأربعة دراهم فقلت: قد تقبلت عملا فجعل يعمل عمل الرجال، وأعمل عملا ضـعيفا فجاؤونا بغداء فغسـلت يدي أبادر الطعام، فقال: لي هذا في شرطك بعد ما تعالى النهار، فقلت: لا. قال: فاصـبر حتى تأخذ كراك وتشـتري، قال: فلما فرغنا أخذنا الدراهم واشـترينا وأكلنا وطعمنا ثم خرجنا فأصابنا في الطريق الجوع، فأتينا قرية من قرى حمص، فإذا سـاقية ماء فتوضـأ للصـلاة وصـف قدميه وإذا إلى جانبنا دار فيها غرفة فبصر بنا صاحب الغرفة حين نزلنا ولم نطعم فبعث إلينا

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٧/١٠.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٨/١٠.

(٣) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ١ / ١.

بجفنة فيها ثريد وخبز عراق فوضعت بين أيدينا فانفتل من الصلاة فقال: من بعث؟ فقلت: صاحب المنزل. قال: ما اسمه؟ قلت: فلان ابن فلان فأكل وأكلت، ثم أتينا عمق إنطاكية، وقد حضر الحصاد فحصدنا بنحو ثمانين درهما، فقلت: آخذ نصف هذه، وأرجع ما بي قوة على صحبته، فقلت: إني أريد الرجوع إلى بيت المقدس. قال: ما أنت لي مصاحبا فدخل إنطاكية، واشترى ملاءتين من تلك الدراهم، فقال: إذا أتيت قرية كذا وكذا التي أطعمنا فيها فسل عن فلان ابن فلان وادفع اليه الملاءتين ودفع إلى بقية الدراهم وبقي ليس معه شيء فدفعت الملاءتين إلى الرجل، فقال: من بعث بها قلت إبراهيم بن أدهم، فقال: ومن إبراهيم بن الأدهم، فأخبرته أنه كان أحد الرجلين اللذين بعث إليهما بالطعام فأخذهما ومضيت إلى بيت المقدس فأقمت حينا فرجعت وسألت عن الرجل فقيل لي مات وكفن في الملاءتين[1].

قال أحمد بن فضيل العكي رأيت إبراهيم بن أدهم إذا حصد يحصد ويستعين معه الضعفاء فيسبقهم في أمانه يعني الموضع فيحصده ثم يشير إلى أصحابه أن اجلسوا ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يرجع إلى ما في أيديهم فيحصده دونهم وهم جلوس ثم يصلي ركعتين ثم يرجع إلى أمانه فيحصده[2].

مخافة أن أكون كأجير السوء:

قال محمد بن إسحاق الشمشاطي سمعت ذا النون يقول بينما أنا أسير في جبال أنطاكية وإذا أنا بجارية كانها مجنونة وعليها جبة من صوف فسلمت عليها فردت السلام ثم قالت أسألك مسألة قلت سليني قالت أي شيء السخاء قلت البذل والعطاء قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قلت المسارعة إلى طاعة المولى قالت فإذا سارعت إلى طاعة المولى تحب منه خيرا قلت نعم للواحد عشرة قالت مر بإبطال هذا هذا في الدين قبيح ولكن المسارعة الى طاعة المولى ان يطلع الى قلبك وأنت لا تريد منه شيئا بشيء ويحك يا ذا النون إني أريد أن أقسم عليه في طلب شهوة منذ عشرين سنة فاستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجر ولكن أعمل تعطيما لهيبته وعز جلاله قال ثم مرت وتركتني [3].

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٧٤/٧.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٧ / ٣٧٤.

(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٠.

حب ربك سبحانه واشتق إليه:

قال ذو النون بينما أنا في بعض مسيري إذ لقيتني امرأة فقالت لي من أين أنت قلت رجل غريب فقالت لي ويحك وهل يوجد مع الله أحزان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء قال فبكيت فقالت لي ما يبكيك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع لي نجاحه قالت فإن كنت صادقا فلم بكيت قلت والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم قالت لأن البكاء راحة للقلب وملجأ يلجأ إليه وما كتم القلب شيئا أحق من الشهيق والزفير فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب وهذا ضعف الأطباء بإبطال الداء قال فبقيت متعجبا من كلامها فقالت لي مالك قلت تعجبت من هذ الكلام قالت وقد نسيت القرحة التي سألت عنها قلت لا ما أنا بالمستغني عن طلب الزوائد قالت صدقت حب ربك سبحانه واشتق إليه فإن له يوما يتجلى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبائه فيذيقهم من محبته كأسا لا يظمأون بعده أبدا قال ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحدا يسعفني على البكاء أيام حياتي ثم تركتني ومضت[1].

ألا إن الله عز وجل شفعهم في كل من حج:

قال شقيق بن إبراهيم: بينا أنا ذات ليلة نائم حيال الكعبة في المسجد الحرام إذ رأيت في منامي ملكين أتياني فوقفا علي، فقال أحدهما لصاحبه: كم حج العام؟ قال له صاحبه: حج ثلاثة: فلان وفلان، وفلان يقال له شقيق. قال: لا، شقيق عليه فضل ثوب. قال: فلما كان قابل حججت في عباء، فبينا أنا راقد في المسجد الحرام رأيتهما في منامي، فقال أحدهما لصاحبه: كم حج العام فقال: ثلاثة فلان وفلان وشقيق، ألا إن الله عز وجل شفعهم في كل من حج.

قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين:

قال محمد بن أحمد الشمشاطي سمعت ذا النون المصري يقول بينا أنا سائر على شاطئ نيل مصر إذا أنا بجارية تدعو وهي تقول في دعائها: يا من هو عند ألسن الناطقين، يا من هو عند قلوب الذاكرين، يا من هو عند فكرة الحامدين، يا من هو على نفوس الجبارين والمتكبرين قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين، قال: ثم صرخت صرخة خرت مغشيا عليها.

---

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٠.

واطلب دواءك ممن ابتلاك:

وقال ذو النون دخلت إلى سواد نيل مصر فجاءني الليل فقمت بين زروعها فإذا أنا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سنبلة ففركتها ثم امتنعت عليها فتركتها وبكت وهي تقول يا من بذره حبا يابسا في أرضه ولم يك شيئا أنت الذي صيرته حشيشا ثم أنبته عودا قائما بتكوينك وجعلت فيه حبا متراكبا ودورته فكونته وأنت على كل شيء قدير وقالت عجبت لمن هذه مشيئته كيف لا يطاع وعجبت لمن هذا صنعه كيف يشتكي فدنوت منها فقلت من يشكو أمل المؤملين فقالت لي أنت يا ذا النون إذا اعتللت فلا تجعل علتك إلى مخلوق مثلك واطلب دواءك ممن ابتلاك وعليك السلام لا حاجة لي في مناظرة الباطلين ثم أنشأت تقول:

وكيف تنام العين وهي قريرة ::: ولم تدر في أي المحلين تنزل

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا:

قال أبو بكر محمد بن خلف المؤدب وكان من خيار عباد الله رأيت ذا النون المصري على ساحل البحر عند صخرة موسى فلما جن الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال: سبحان الله ما أعظم شأنكما بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما فلما تهور الليل لم يزل ينشد هذين البيتين إلى أن طلع عمود الصبح:

اطلبوا لأنسكم مثل ما وجدت أنا ::: قد وجدت لي سكنا ليس هو
في هواه عنا إن بعدت قربني ::: أو قربت منه دنا

أنشد العباس بن أحمد لذي النون المصري:

إذا ارتحل الكرام إليك يوما ::: ليلتمسوك حالا بعد حال
فإن رحالنا حطت لترضى ::: بحلمك عن حلول وارتحال
أنخنا في فنائك يا إلهي ::: إليك معرضين بلا اعتلال
فسنا كيف شئت ولا تكلنا ::: إلى تدبيرنا ياذا المعالي[1]

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٤.

قد كان لي قلب فقدته:

قال أحمد بن عيسى الوشاء سمعت أبا عثمان سعيد بن الحكم يقول سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول بينما أنا أسير ذات ليلة ظلماء في جبال بيت المقدس إذ سمعت صوتا حزينا وبكاء جهيرا وهو يقول يا وحشتاه بعد أنسنا يا غربتاه عن وطننا وافقراه بعد غنانا واذلاه بعد عزنا فتبعت الصوت حتى قربت منه فلم أزل أبكي لبكائه حتى إذا أصبحنا نظرت إليه فإذا رجل ناحل كالشن المحترق فقلت يرحمك الله تقول مثل هذا الكلام فقال دعني فقد كان لي قلب فقدته ثم أنشأيقول:

قد كان لي قلب أعيش به ::: بين الهوى فرماه الحب فاحترقا

فقلت له:

لم تستكي ألم البلا ::: وأنت تنتحل المحبة
إن المحب هو الصبو ::: ر على البلاء لمن أحبه
حب الإله هو السرو ::: ر مع الشفاء لكل كربه[1]

كم تقول: عزلتي أنسي:

قال الجنيد: قال لي الحارث: كم تقول: عزلتي أنسي لو أن نصف الخلق تقربوا مني، ما وجدت لهم أنسا، ولو أن النصف الآخر نأوا عني، ما استوحشت.

ورؤية الشهوات:

قال سمعت الجنيد بن محمد يقول كان الحارث المحاسبي يجيء إلى منزلنا ويقول أخرج معنا نصحر فأقول له تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات فيقول أخرج معي ولا خوف عليك فاخرج معه فكأن الطريق فارغ من كل شيء لا نرى شيئا نكرهه فإذا حصلت في المكان الذي يجلس فيه قال لي سلني فأقول له ما عندي سؤال أسألك فيقول لي سلني عما يقع في نفسك فتنثال على السؤالات فاسأله عنه فيجيبني عنها للوقت ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتبا.

---

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٥.

ما استوحشت لبعدهم:

قال وسمعت الجنيد يقول كنت كثيرا أقول للحارث عزلتي أنسي تخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات فيقول لي كم انسى وعزلتي لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنسا ولو أن النصف الآخر ناء عني ما استوحشت لبعدهم [1].

كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله؟:

قال إسماعيل بن إسحاق السراج: قال لي أحمد بن حنبل يوما يبلغني أن الحارث هذا يعني المحاسبي يكثر الكون عندك فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه فقلت السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله وسرني هذا الابتداء من أبي عبد الله فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة فقلت وتسل أصحابك أن يحضروا معك فقال يا إسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر وأكثر منهما ما استطعت ففعلت ما أمرني به وانصرفت إلى أبي عبد الله فأخبرته فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار فاجتهد في ورده إلى أن فرغ وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلوا بعدها وقعدوا بين يدي الحارث وهو سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف الليل فابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكأن على رؤوسهم الطير فمنهم من يبكي ومنهم من يزعق وهو في كلامه فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله فوجدته قد بكى حتى غشي عليه فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرقوا فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير الحال فقلت كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله فقال ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل وعلى ما وصفت من أحوالهم فاني لا أرى لك صحبتهم ثم قام وخرج [2].

(١) تاريخ بغداد، ٨ /٢١٣.

(٢) تاريخ بغداد، ٨ /٢١٤.

ما أسرع الناس إلى البدع:

قال سعيد بن عمرو البرذعي: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسـائل إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضـلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هـذه الكتـب قيل له في هذه الكتب عبرة قال من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هـذه الكتب عبرة بلغكم أن مالك بن أنس وسـفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صـنفوا هذه الكتب في الخطرات والوسـاوس وهذه الأشـياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتونا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديبلي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق ثم قال ما أسرع الناس إلى البدع [١].

فتبسم ثم مات:

قال جعفر بن أخي أبي ثور حضرـت وفاة الحارث يعني المحاسـبي فقال إن رأيت ما أحب تبسمت اليكم وإن رأيت غير ذلك تبينتم في وجهي قال فتبسم ثم مات [٢].

اغرب من بين يدى فلا أراك:

عن مالك بن دينار أنه كان يقول إن الله عز وجل إذا أحب عبدا انتقصـه دنياه وكف عنه ضـيعته ويقول لا تبرح من بين يدى قال فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل وإذا أبغض عبدا دفع في نحره شـيئا من الدنيا ويقول اغرب من بين يدى فلا أراك بين يدى فتراه معلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا[٣].

لبادرتكم إليه:

عن مالك بن دينار قال والله لو وقف ملك بباب المسـجد وقال يخرج شر من في المسجد لبادرتكم إليه [٤].

---

(١) تاريخ بغداد، ٨ /٢١٤.
(٢) تاريخ بغداد، ٨ /٢١٥.
(٣) صفة الصفوة، ٢٨١/٣.
(٤) صفة الصفوة، ٢٨٢/٣.

هذا والله الكسب الحلال:

قال رياح بن عمرو القيسي سمعت مالك بن دينار يقول دخل على جابر بن زيد وأنا أكتب فقال يا مالك مالك عمل إلا هذا تنقل كتاب الله عز وجل من ورقة إلى ورقة هذا والله الكسب الحلال.

جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة وكفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين[١].

سواء علي أكلت من رطبكم أو لم آكل:

ويقال: إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة ما صح له أن يأكل من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان إذا انقضى أوان الرطب يقول يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شي ء سواء علي أكلت من رطبكم أو لم آكل[٢].

هذا كان جليسك، أفلا نصحته؟:

كان يجلس مع سفيان الثوري رجل ضرير، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد فيصلي بالناس، فيكسى ويعطى، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة أثيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا: قد تعجلت ثوابك في الدنيا فقال: يا أبا عبد الله تقول لي هذا وأنا جليس لك؟ قال: إنّي أخاف أن يقال لي يوم القيامة: هذا كان جليسك، أفلا نصحته؟[٣].

كيف طرحت الدرهم في الطين؟:

عن مالك بن دينار أنه حضر رجلاً يبني داراً، وهو يعطي الأجراء الدراهم، فمد يده فأعطاه درهما، فطرحه في الطين، فتعجب الرجل وقال: كيف طرحت الدرهم في الطين؟ فقال مالك: أعجب منه أنك طرحت كل دراهمك في الطين، يعني ضيعتها في البناء[٤].

ما أحرمك ما تريدين إلا لكرامتك علي:

كان مالك بن دينار يمر بالسوق فيرى ما يشتهيه فيقول: يا نفس اصبري، ما أحرمك ما تريدين إلا لكرامتك علي.

---

(١) صفة الصفوة، ٣/٢٨٢.

(٢) أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ١/٣٢٠١.

(٣) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١/٤٢.

(٤) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /٥١.

إنّ نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة:

وقال له جار له في مرضه: ما تشتهي؟ قال: إنّ نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة، رغيف أبيض ولبن في زجاج، فأتاه به فجعل ينظر إليه ثم يقول: دافعت شهوتي عمري كله، حتى إذا لم يبق من عمري إلا مثل ظمء الحمار آخذها؟ انظروا يتيم آل فلان فادفعوه إليه، ومات بشهوته [(١)].

ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟:

سأل رجل ذا النون فقال رحمك الله ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال ذكر المقام وقلة الزاد وخوف الحساب.ثم سمعته يقول بعد فراغه من كلامه ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم والعرض على الله أمامهم وقراءة كتبهم بين أيديهم والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار ثم قال مثلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم قال وسمعت ذا النون يقول قال الحسن ما أخاف عليكم منع الإجابة إنما أخاف عليكم منع الدعاء [(٢)].

العلم نور لصاحبه:

قال إسرافيل سمعت ذا النون يقول كتب رجل إلى عالم ما الذي أكسبك علمك من ربك وما أفادك في نفسك فكتب إليه العالم أثبت العلم الحجة وقطع عمود الشك والشبهة وشغلت أيام عمري بطلبه ولم أدرك منه ما فاتني فكتب إليه الرجل العلم نور لصاحبه ودليل على حظه ووسيلة إلى درجات السعداء فكتب إليه العالم أبليت إليه في طلبه جدة الشباب وأدركني حين علمت الضعف عن العمل به ولو اقتصرت منه على القليل كان لي فيه مرشد إلى السبيل.

فاعذرني واتهم نفسك:

سأل رجل ذا النون المصري عن سؤال فقال له ذو النون قلبي لك مقفل فإن فتح لك أجبتك وإن لم ينفتح لك فاعذرني واتهم نفسك [(٣)].

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ١٥٦.

(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٦.

(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٤٧.

أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد:

قال محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري سمعت ذا النون يقول يا خراساني إحذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا قلت وكيف ذلك قال لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه ثم قال تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصديقون بولي الأسباب ثم قال علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا ومن علامة تعلق قلب الصدبق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به ثم قال ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال مع الله ثم قال أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد [١].

وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء:

قال محمد أبو الحسن الأنصاري سمعت يوسف بن الحسن يقول قال ذو النون المصري يوما وأتاه رجل فقال له أوصني فقال بم أوصيك إن كنت ممن قد أيد منه في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق إلى يومنا هذا دعاء النبيين والمرسلين والصديقين وذلك خير من وصيتي لك وإن يكن غير ذلك فن ينفعك النداء [٢].

يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبا:

قال محمد بن أحمد سمعت ذا النون يقول بينما أنا سائر بين جبال الشام إذا أنا بشيخ على تلعة من الأرض قد تساقطت حاجباه على عينيه كبرا فتقدمت إليه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم أنشأ وهو يقول بصوت عليل يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبا ويا من قصد إليه الزاهدون فوجدوه حبيبا ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه سريعا مجيبا ثم أنشأ يقول:

وله خصائص مصطفين لحبه ::: اختارهم في سالف الأزمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه ::: فهم ودائع حكمة وبيان

ثم صرخ صرخة فإذا هو ميت [٣].

---

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥١.

(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٤.

(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٤.

أصبحت من الدنيا على فناء:

قـال ســعيد بن الحكم ســمعت ذا النون يقول دخلت على متعبدة فقلت لها كيف أصـبحت قالت أصـبحت من الدنيا على فناء مبادرة للجهاز متأهبة لهول يوم الجواز أعترف لله على ما أنعم بتقصيري عن شـكرها أقر بضـعفي عن إحصائها وشكرها قد غفلت القلوب عنـه وهو منشـئها وأدبرت عنـه النفوس وهو يناديها فسـبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيادي والأنعام.

كالهارب من السبع:

قال وسـمعت ذا النون يقول بينا أنا أسـير في بلاد الشـام إذا أنا بعابد خرج من بعض الكهوف فلما نظر إلي استتر بين تلك الأشـجار ثم قال أعوذ بك سـيدي ممن يشـغلني عنك يا مأوى العارفين وحبيب التوابين ومعين الصـادقين وغاية امل المحبين ثم صـاح واغماه من طول البكـاء واكربـاه من طول المكـث في الدنيا ثم قال سـبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطـاع إليـه فلا شيء ألـذ عنـدهم من ذكره والخلوة بمنـاجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قـدوس فنـاديتـه أيهـا العـابـد قف لي فوقف لي وهو يقول اقطع عن قلبي كـل علاقة واجعل شـغله بك دون خلقك فسـلمت عليه ثم سـألته أن يدعو الله لي فقال خفف الله عنك مؤن نصـب السير إليه وذلك على رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة ثم سعى من بين يدي كالهارب من السبع[١].

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٥.

صوت حزين كئيب موجع القلب:

قال سـعيد بن الحكم سـمعت ذا النون يقول بينا أنا أسـير في بعض سـياحتي فاذا أنا بصوت حزين كئيب موجع القلب أسمع الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول سبحان مفني الدهور سـبحان مخرب الدنيا سـبحان مميت القلوب سـبحان باعث من في القبور فاتبعت الصوت فاذا أنا بنقب وإذا الصوت خارج من النقب وهو يقول سبحان من لا يسع الخلق إلا سره سبحانك ما ألطفك بمن خالفك وأوفاك بعهدك سبحانك ما أحلمك عمن عصاك وخالف أمرك ثم قال سيدي بحلمك نطقت وبفضلك تكلمت وما أنا والكلام بين يديه بما لا يستأهله قدري فيا إله من مضى قبلي ويا إله من يكون بعدي بالصالحين فألحقني ولأعمالهم فوفقني ثم قال أين الزهاد والعباد أين الذين شدوا مطاياهم إلى منازل معروفة وأعمال موصوفة نزل بهم الزمان فأبلاهم وحل بهم البلاء فأفناهم فهل أنتظر إلا مثل الذي حل بهم ثم أقبل على ما كان فيه فقلت رجل غرقت نفسه عن كلام الناس فانصرفت وتركته باكيا [1].

يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر:

قال محمد بن يزيد سـمعت ذا النون يقول خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينا أنا بالطواف إذا بشخص متعلق بأستار الكعبة وإذا هو يبكي وهو يقول في بكائه كتمت بلائي من غيرك وبحت بسري إليك واشتغلت بك عمن سواك عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ثم أنشأ يقول:

ذوقتني طيب الوصال فزدتني ::: شوقا إليك مخامر الحسرات

ثم أقبل على نفسه فقال أمهلك فما ارعويت وستر عليك فما استحيت وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت ثم قال عزيزي مالي إذا قمت بين يديك ألقيت علي النعاس ومنعتني حلاوة قرة عيني له ثم أنشأ يقول:

روعت قلبي بالفراق فلم أجد ::: شيئا أمر من الفراق وأوجعا
حسب الفراق بأن يفرق بيننا ::: وأطال ما قد كنت منه مودعا

قال فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفيا فلما أحس تحلل بخمار كان عليه ثم قال يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر فإني حرام فعلمت أنها امرأة فقلت يا أمة الله مم يحوى الهموم قلب المحب فقالت إذا كانت للتذكار محاورة وللشوق محاضرة ياذا النون أما علمت أن الشوق يوري السقام وتجديد التذكار يورث الأحزان ثم أنشأت تقول:

---

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٥٩.

لم أذق طـعـم وصـلـك حتى ::: زال عـني محـبـتي لـلأنـام

ثم أنشأت تقول:

نعم المحـب إذا تزايـد مصـلـه ::: وعلـت محبتـه بعقـب وصـال

فقالت أوجعني أما علمت أنه لا يبلغ إليه إلا بترك من دونه (١).

واشغل هواك بحور عين:

حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا أحمد بن الحسين الأنصاري ثنا ابو عصمة قال كنت عند ذي النون وبين يديه فتى حسـن يملي عليه شـيئا قال فمرت امرأة ذات جمال وخلق قال فجعل الفتى يسارق النظر إليها قال ففطن ذو النون فلوى عنق الفتى وأنشأيقول:

دع المصـوغـات من مـاء وطين ::: واشـغـل هـواك بحور عين (٢)

وتضييعي قلبا لا أقتني مثله أبدا:

- كتب الوليد بن عتبة الدمشقي الى ذي النون بكتاب يسأله فيه عن حاله فكتب إليه كتبت إلي تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به من حالي وأنا بي خلال موجعات أبكاني منهن أربع حب عيني للنظر ولساني للفضول وقلبي للرياسة وإجابتي إبليس لعنه الله فيما يكرهه الله وأقلقني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة وقلب لا يخشـع عند نزول العظة وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا ومعرفة كلما قلبتها وجدتني بالله أجهل وأضـناني منها أني عدمت خير خصـال الايمان الحياء وعدمت خير زاد الآخرة التقوى وفنيت أيامي بمحبتي للدنيا وتضييعي قلبا لاأقتني مثله أبدا (٣).

ذو النون والمريض:

دخل ذو النون على مريض يعوده فراى المريض يئن، فقال ذو النون: ليس بصـادق في حبه من لم يصبر على ضربه، فقال المريض: لا ولا صدق في حبه من لم يتلذذ بضربه، فقال ذو النون: لا ولا صدق من رأى حبه لربه، عز وجل (٤).

---

(١) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٥.

(٢) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٥.

(٣) حلية الأولياء، ٩ /٣٧٦.

(٤) السراج القارئ، مصارع العشاق، ١ / ٩٠.

لأن البكاء راحة للقلب:

قال: ذو النون المصري: خرجت يوماً من وادي كنعان، فلما علوت الوادي إذا بسواد مقبل علي وهو يقول: وبـدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسـبون ويبكي. فلما قرب مني السـواد إذا بـامرأة عليهـا جبـة وبيـدهـا ركوة، فقـالـت لي: من أنـت؟ غير فزعة مني، فقلت رجل غريب، فقالت: يا هذا وهل توجد مع الله غربة؟ قال: فبكيت من قولها، فقالت: ما الذي أبكاك؟ قلت: وقع الـدواء على داء قـد قرح، فـأسرع في نجـاحـه قالت: فإن كنت صـادقاً فلم بكيت؟ قلت: يرحمك الله الصـادق لا يبكي، قالت: لا، قلت: ولم ذاك؟ قالت: لأن البكاء راحة للقلب، قال ذو النون: فبقيت والله متعجباً من قولها انتهى[1].

يا راقدا والجليل يحفظه:

قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سـياحتي إذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسـود قد أقبل إلى أن جاء إلى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لأنظر فإذا بضفدع قد خرج من المـاء وأتـاه فحملـه على ظهره وذهـب بـه إلى ذلـك الجانب قال ذو النون فاتزرت بمئزري وعمت خلفه حتى إذا صـعد من ذلك الجانب صـعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء إلى شـجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شـدة السـكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصـقت العقرب برأس التنين ولسـعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت:

يـا راقـدا والجـليـل يحفظـه ::: من كـل سـوء يكون في الظلم

كـيـف تنـام العيون عن ملـك ::: يـأتـيـك مـنـه فوائـد النعم

ثم أيقظـت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سـمع ذلك قال أشـهدك على أني قد تبت عن هذه الخصـلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسـحا وسـاح إلى أن مات رحمه الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم:

---

(١) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٢ / ٦٤.

إذا لم يســالمــك الزمــان فحارب ::: وبــاعــد إذا لم تنتفع بــالأقــارب
ولا تحتقر كيــد الضــعيف فربمــا ::: تموت الأفــاعي من سموم العقــارب
فقــد هــد قدما عرش بلقيس هدهد ::: وخرب فــأر قبــل ذا ســد مأرب
إذا كــان رأس المــال عمرك فاحترز ::: عليــه من التضــييع في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصــبح معرك ::: يكر علينــا جيشــه بــالعجائب [1]

والمحبوب لا يدرى ما حاله!:

ولقيه سـكران، فجعل يقبله ويقول: " يا سـيدي! " ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما ولى تغرغرت عينا بشرـ، وجعل يقول: " رجل أحب رجلا على خير توهمه! لعل المحب قد نجا، والمحبوب لا يدرى ما حاله! " [2].

أليس كنت تبغضهم؟!:

قال أبو عبد الله المحاملي، حدثني أبي قال: كان عندنا رجل من التجار صــديقاً لي، وكان يقع في الصــوفية كثيراً، ثم رأيته بعد ذلك يصــحبهم، وينفق عليهم ماله. فقلت له: " أليس كنت تبغضــهم؟! " فقال: " ليس الأمر على ما كنت أتوهم ". فقلت له: " كيف؟ ". قال: " صـليت يوماً الـجمعة، فرأيت بشراً مسرعاً خارجاً من المسـجد، فقلت في نفسيـ: لأنظرن إلى هذا الزاهد!. فاشترى خبز الماء بدرهم، ثم شواء بمثله؛ فزادني غيظاً. ثم ثم قالوا ذجاً بدرهم؛ فتبعته فخرج إلى الصحراء، وأنا أقول: " يريد الخضرة والماء! ". فما زال يمشى إلى العصر وأنا خـافـه، فدخل مســجداً في قرية، فيه مريض، فجعل يلقمه. فقمت أنظر إلى القرية وعدت، فقلت للمريض: " أين بشر؟ ". قال: " ذهب إلى بغداد ". قلت: " كم بيني وبينها؟ ". قال: " أربعون فرســخاً ". فقلت: " أنا لله! " فقال: " اجلس حتى يرجع ". فجاء الجمعة القابلة، ومعه شـئ يطعمه للمريض، فلما فرغ قال له: " يا أبا نصرـ! هذا الرجل صـحبك من بغداد، وهو عندي منذ جمعة ".قال فنظر إلى كالمغضـب، وقال: " لم صحبتنى؟! " قلت: " أخطأت! " قال: " قم فامش! ". فمشـيت إلى المغرب، فلما قربنا من بغداد قال: " اذهب إلى محلتك ولا تعد! " فتبت إلى الله مما كنت أعتقده فيهم، ثم آثرت صحبتهم، وأنا على ذلك " [3].

(١) شـهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشـيهي، المسـتطرف في كل فن مستظرف،، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ١ / ٣٠٨، ٢ / ٢٥٥.

(٢) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٧.

(٣) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٧.

أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد:

وقال بعضـــهم: " دخلت على بشرـ في يوم شـــديد البرد، وقد تعرى من ثيابه وهو ينتفض، فقلـت له: " الناس يزيدون من الثياب في مثل هذا اليوم، وأنت قد نقصـــت؟! " فقال: " ذكرت الفقراء، وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد " (١).

لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة!:

وقال منصـور الصياد: " مر بي بشر - وهو منصرف من صلاة العيد - فقال لى: " في هذا الـوقـت؟! " فـقـلـت: " لـيـس في الـبـيـت دقـيـق ولا خـبـز! " فـقـال: " الله المسـتعان! احمل شـبكتك وتعال إلى الخندق ". وأمرني بالوضوء وصلاة ركعتين، ثم قال لي: " ألقها، وقل: بســم الله! " فألقيتها، فوقعت فيها ســمكة كبيرة، فقال: " بعها! " فبعتها بعشرـة دراهم، واشــتريت منها جميع ما يحتاجونه إليه. ثم أخذت رقاقتين وعليهما حلوى، وجئت بهما إلى بشر، فدققت الباب، فقال: " من؟ " قلت: " منصور الصياد! " فقال: " ادفع الباب، وضـع ما معك في الدهليز، وادخل أنت " فدخلت، فقال " لو ألهمنا أنفســنا هذا ما خرجت السمكة! " (٢).

ذهب عنك اسم الحافى:

وروى أنه أتى باب المعافى بن عمران فدقه، فقيل: " من؟ " قال: " بشرـ الحافى " فقال: بنية من داخل الدار: " لو اشتريت نعلا بدانقين ذهب عنك اسم الحافى " (٣).

دخلت دار بشر:

وروى أن امرأة جـاءت إلى أحمـد بن حنبـل، فقـالـت: " إنى امرأة أغزل بالليل والنهار، وأبيع الغزل، ولا أبين غزل النهار من الليل، فهل على في ذلك شيء؟. فقال: " يجب أن تبيني! " ثم انصرــفت، فقال أحمد لأبنه: " اذهب فانظر أين تدخل! ". فرجع فقال: " دخلت دار بشر " (٤).

---

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٧.
(٢) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٧.
(٣) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٨.
(٤) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٨.

فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت:

وقال محمد بن نعيم: " دخلت علي بشرـ في علته، فقلت: " عظني! ". فقال: " إن في هـذه الدار نملة، تجمع الحب في الصـيف لتأكله في الشـتاء؛ فلما كان يوماً أخذت حبة في فمها، فجاء عصفور فأخذها، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت " [١].

الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور:

قال أبو بكر الباقلاني: سمعت بشر بن الحارق ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور[٢].

أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم:

قال عباس بن دهقان قلت لبشر بن الحارث أحب أن أخلو معك قال: إذا شئت فبكرت يوما فرأيته قد دخل قبة فصـلى أربع ركعات فسـمعته يقول في سـجوده، اللهم إنك تعلم فوق عرشـك أن الذل أحب إلي من الشرـف، اللهم إنك تعلم فوق عرشـك أن الفقر أحب إلي من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشـك أني لا أوثر على حبك شـيئا فلما سـمعته أخذني الشهيق والبكاء فلما سمعني قال: أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم [٣].

الحمد لله الذي أرضى بشرا بما صنعنا:

أدخـل أحمـد بن حنبـل الكير فخرج ذهبا أحمر وآل علي فبلغ ذلك أحمد فقال الحمد لله الذي أرضى بشرا بما صنعنا [٤].

---

(١) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٩.

(٢) وفيات الأعيان، ١ /٤٦٨.

(٣) أبو عبـد الله محمـد بن أحمـد بن عثمان بن قـايمـاز الـذهبي، العلو للعلي الغفـار، تحقيق: أبي محمـد أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص ١٧٢.

(٤) حلية الأولياء، ٨ /٣٣٦.

المحدثون كثير:

قال الحســن بن ســعيد كنا يوما عند بشرـ بن الحارث فجاء رجل من خراســان فبرك قدامه فقال له يا أبا نصرـ أنا وفد خراسان حدثني بخمسة أحاديث أذكرك بها بخراسان فلم يزل يتـذلـل لـه وبشرــ يقول لـه المحدثون كثير فلم يزل يداريه ويجتهد به فلما رأى أنه لا ينفعه شيء قال له يا أبا نصرـ أليس تروي عن عيسىـ ♠ أنه قال من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيما في ملكوت السماء قال له كيف قلت أعد علي فأعاد عليه القول من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيما في ملكوت الســماء قال له صــدقت قد علمنا حتى نعمل ثم نعلم (١).

فابشر يا أبا نصر:

قال أحمد بن محمد بن غزوان بكرت أنا وأخي في غداة باردة جدا إلى بشرــ فألفيناه على بابه معه خليل الخياط ثم قام يمشيــ أمامنا وعليه فرو خلق وخف قصــير فوق عقبه فقام ليخرج إلى الســوق وعليه إزار لطيف جدا فما مر بواحد أو أكثر إلا رفع صــوته وقال: السـلام عليكم فلما خرج الى السـوق وقف على رجل دقاق فسـأله عن سعر الدقيق بالأمس فقال: ناقص فابشر يا أبا نصر فحمد الله وأخذ.

أشتهي أن أمرض بلا عواد:

ومما سمعت من كلامه أن بشرا أرجف الناس بموته بباب الطاق في يوم مطير فجئت في المطر والطين حتى بلغت بابه فإذا على بابه ثلاثة نفر شــيخ منهم يقول: إنما جئنا نعودك يا أبا نصرــ فقال لهم: وهو يبكي لا حاجة لي في عيادتكم اذهبوا عني فقد آذيتموني وهو يبكي وقال: قال فضيل أشتهي أن أمرض بلا عواد (٢).

ضاق على الماء فكيف أتكلم في النبيذ:

قال محمد بن يوسـف الجوهري سألت بشر بن الحارث عن النبيذ فقال: قد ضاق على الماء فكيف أتكلم في النبيذ(٣).

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٣٧.
(٢) حلية الأولياء، ٨ /٣٣٨.
(٣) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٠.

وأنت قلت ولم تعمل:

قال محمد بن اسحاق أمام سلامة قلت لبشر بن الحارث إني أحب أن اسلك طريق إبراهيم بن ادهم قال لا تقوى قلت ولم ذاك قال لأن إبراهيم عمل ولم يقل وأنت قلت ولم تعمل [١].

تغتم لي حية وميتة:

- قال محمد بن الهيثم كنت أدخل على أخت بشر في صغري فأعطتني يوما كبة من غزل فقالت: بع هذه الكبة واشتر خبزا وسمكا ففعلت فدخل بشر والخبز والسمك موضوع فقال بشر ما هذا الطعام قالت رأيت أمي وأمك في المنام فقالت: إن أردت فرحي وإدخالك السرور علي فبيعي من غزلك واشتري خبزا وسمكا فإن أخاك بشرا يشتهيها قالت فلما ذكرت أمي وأمه بكى وقال رحمها الله تغتم لي حية وميتة فقال بشر إني لأشتهيه منذ خمس وعشرين سنة ما كان الله عز وجل يراني أن أرجع في شيء تركته لله. وكان غزل أخته فيما ذكر أنها قصدت أحمد بن حنبل فقالت إنا قوم نغزل بالليل ومعاشنا منه وربما يمر بنا مشاعل بني طاهر ولاة بغداد ونحن على السطح فنغزل في ضوئها الطاقة والطاقتين أفتحله لنا أم تحرمه؟ فقال لها: من أنت؟ قالت: أخت بشر. فقال: آه يا آل بشر لا عدمتكم لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم [٢].

ما أقبح بمثلي:

قال عمر بن موسى سمعت بشر بن الحارث يقول لقد شهرني ربي في الدنيا فليته لايفضحني في القيامة ما أقبح بمثلي يظن في ظن وأنا على خلافه إنما ينبغي لي أن أكون أكثر ما يظن بي أني أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب ولولا أني مريب لأي شيء أكره الموت [٣].

إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه:

وقال رجل رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر فقلت يا أبا نصر لعلك تشتهي من هذا شيئا قال لا ولكن نظرت في هذا إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه [٤].

---

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٤٨.
(٢) حلية الأولياء، ٨ /٣٥٣.
(٣) صفة الصفوة، ٢ /٣٢٦.
(٤) صفة الصفوة، ٢ /٣٢٦.

ينبغي أن أستحيي من الله:

وعن أبي بكر المروزي قال سـمعت بعض القطانين يقول أهدى إلي أسـتاذي رطبا وكان بشرـ يقيل في دكاننا في الصـيف فقال له أسـتاذي يا أبا نصرـ هذا من وجه طيب فإن رأيت أن تأكل قال فجعل يمســه بيده ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال ينبغي أن أسـتحيي من الله إني عند الناس تارك لهذا وآكله في السر [1].

- حكي عن بشرـ أنه قال ربما رفعت يدي في الدعاء فأردها أو قال فأسـتلها أقول إنما يفعل هذا من له عنده وجه

اللهم إنك تعلم أني أخاف أن أسكت:

وعن الفتح بن شـحرف قال كنت جالسـا عند بشرـ إذ جاءه رجل فسـأله عن مسـألة فأطرق مليا ثم رفع رأسـه ثم أطرق ثم رفع رأسـه فقال اللهم إنك تعلم أني أخاف أن أتكلم اللهم إنك تعلم أني أخاف أن أسكت اللهم إنك تعلم أني أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام.

تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي:

وعن زبدة أخت بشرـ بن الحارث قالت دخل بشرـ علي ليلة من الليالي فوضـع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار وبقي كذلك يتفكر حتى أصـبح فلما أصـبح قلت له في ماذا تفكرت طول الليلة قال تفكرت في بشرـ النصرـاني وبشرـ اليهودي وبشرـ المجوسي ونفسي واسـمي بشرـ فقلت مالذي سبق منك حتى خصك فتفكرت في تفضله علي وحمدته على أن جعلني من خاصته وألبسني لباس أحبائه.

إليك عني تأكلين قوتي:

وقال بشرـ كان لي سـنور فكنت إذا وضـعت طعامي بين يدي جاءت فعيناها في عيني فآكل وأرمي لها قال فقلت إليك عني تأكلين قوتي [2].

---

(١) صفة الصفوة، ٢ /٣٢٧.

(٢) صفة الصفوة، ٢ /٣٢٨.

هكذا ندفع الدنيا:

وعن عمرو بن موسى بن فيروز قال رأيت بشرا ومعه رجل فتقدم إلى بئر ليشرب منها فجذبه بشر وقال تشرب من البئر الأخرى حتى جاوز ثلاثة آبار فقال له الرجل أبا نصر أنا عطشان فقال له بشر أسكت فهكذا ندفع الدنيا (١).

أنين المريض هل هو شكوى:

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخلت امرأة على أبي فقالت له: يا أبا عبد الله، إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما طفىء السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل علي أن أبين غزل السراج من غزل القمر فقال لها أبي: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، فقالت له: يا أبا عبد الله أنين المريض هل هو شكوى فقال لها: إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى، ثم انصرفت؛ قال عبد الله: فقال لي أبي: يا بني ما سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة، اتبعها؛ قال عبد الله: فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر، فأتيت أبي فقلت له: إن المرأة أخت بشر الحافي، فقال أبي: هذا والله هو الصحيح، محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي.

من ههنا أتيت:

وقال عبد الله أيضاً: جاءت مخة أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت: يا أبا عبد الله، رأس مالي دانقان أشتري بهما قطنا فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة، وقد مر الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت ضوء المشعل وغزلت طاقين في ضوئه، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى في مطالبة، فخلصني من هذا خلصك الله تعالى، فقال أبي: تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرا منه؛ قال عبد الله: فقلت لأبي: لو قلت لها حتى تخرج رأس مالها، فقال: يابني سؤالها لا يتحمل التأويل، فمن هذه المرأة فقلت هي مخة أخت بشر الحافي، فقال أبي: من ههنا أتيت.

وقال بشر الحافي: تعلمت الزهد من اختي فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما لمخلوق فيه صنع (٢).

---

(١) صفة الصفوة، ٢ /٣٣٣.

(٢) وفيات الأعيان، ١ /٢٧٦.

فخشيت على نفسي شيطانيه:

وقفت جارية لم ير أحسن وجها منها على بشر الحافي فسألته عن باب حرب، فدلها، ثم وقف عليه غلام حسن الوجه فسأله عن باب حرب، فأطرق رأسه، فرد عليه الغلام السؤال فغمض عينيه، فقيل له: يا أبا نصر جاءتك جارية فسألتك فأجبتها، وجاءك هذا الغلام فسألك فلم تكلمه؟ فقال: نعم يروى عن سفيان الثوري أنه قال: مع الجارية شيطان، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسي شيطانية.

إن كنت حراً فاصنع ما شئت:

يروى أن بشراً الحافي مر على بيت فسمع فيه صوت الدفوف، والمزامير، والغناء! فقرع الباب، فخرجت إليه امرأة، قال لها: من صاحب هذا البيت؟ قالت: ماذا تريد منه؟ قال: أريد أن أعلم أعبد هو أم حر؟ قالت: لا بل هو حر، قال لها: أخبريه بأن بشراً الحافي يقول لك: إن كنت حراً فاصنع ما شئت، وإن كنت عبداً فلا تتصرف إلا بإذن سيدك.

فضحكت المرأة وذهبت للرجل، وقالت: في الباب رجل مخبول! يقول: كذا وكذا، قال: كلا والله! هذا هو عين العقل، صدق، أنا عبد ولست حراً، أنا عبد لله عز وجل، وما عندي من مال ومتاع، لا يجوز لي أن أتصرف فيه إلا بإذن سيدي وهو الله تعالى، فتاب إلى الله تعالى، وكسر مزاميره، وطنابيره، وأقلع عما كان يفعله.

بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!:

- ولمَّا سُئِل بشر الحافي رحمه الله عن أناس يتعبدون في رمضان ويجتهدون، فإذا انسلخ رمضانُ تركوا، قال: بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!

لا يؤاخذك الله على هذا:

- عن محمد بن نصر الخزاعي الصائغ قال: سمعت بشر بن الحارث الحافي وقد ضحك عنده رجل فقال: احذر يا بن الأخ لا يؤاخذك الله على هذا.

من أين تأكل؟:

وقيل لبشر الحافي: من أين تأكل؟ قال من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك.

فهو ماء بشر الحافي:

ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا أندعوا لك طبيبا فقال إني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فألح عليه أهله وقالوا لا بد أن ندفع ماءك إلى الطبيب فقال لأخته ادفعي إليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان حاذقا في الطب فأتوه بمائه في القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن هذا الماء إن كان ماء نصراني فهو راهب قد فتتت كبده العبادة وإن كان مسلما فهو ماء بشر الحافي فإنه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى قالوا هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا إلى بشر قال لهم أسلم الطبيب فقالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندي هتف لي هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة [1].

فَالنَّفَقَةُ الَّتِي بَلَغْتَ بِهَا إِلَى هَذَا مِنْ أَيْنَ؟:

قَالَ سَرِيُّ بْنَ مُغَلِّسٍ: " غَزَوْنَا أَرْضَ الرُّومِ فَمَرَرْتُ بِرَوْضَةٍ خَضِرَةٍ فِيهَا الْخُبَّازُ، وَحَجَرٌ مَنْقُورٌ فِيهِ مَاءُ الْمَطَرِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَئِنْ كُنْتُ آكُلُ يَوْمًا حَلَالًا فَالْيَوْمَ فَنَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي، وَجَعَلْتُ آكُلُ مِنْ ذَلِكَ الْخُبَّازِ، وَأَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ بِي: " يَا سَرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ، فَالنَّفَقَةُ الَّتِي بَلَغْتَ بِهَا إِلَى هَذَا مِنْ أَيْنَ "؟

منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار:

قال السري: منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي: الحمد لله مرّة. قيل: وكيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني رجل، فقال لي: نجا حانوتك.فقلت: الحمد لله. فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيراً مما حصل للمسلمين!!.

أعرف طريقاً مختصراً إلى الجنة:

قال الجنيد: سمعت السريّ يقول: أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة: فقلت له: ما هو؟.فقال: لا تسأل من أحد شيئاً، ولا تأخذ من أحد شيئاً، ولا يكن معك شيء تعطى منه أحداً.

---

(١) وفيات الأعيان، ١ /٢٧٧.

أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد:

قال الجنيد بن محمد: سمعت السري يقول: أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: أخاف ألا يقبلني قبري فأفتضح.

حتى عفا عليه التراب:

قال الجنيد: دخلت يوماً على السريّ السقطي وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: جائتني البارحة الصبيَّة، فقالت: يا أبتي، هذه ليلة حارَّةٌ، وهذا الكوز أعلّقه ها هنا حتى يبرد الماء.

ثم إني حملتني عيناي فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرّج في الكيزان.فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته.

قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسّه، حتى عفا عليه التراب [١].

قد خلوا ابنك:

قال مظفر بن سهل المقرئ: كنت جالساً مع سري يوماً، فوافته امرأة فقالت: يا أبا الحسن أنا من جيرانك، أخذ ابني الطائف البارحة، وكلم ابني الطائف، وأنا أخشى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معي، أو تبعث إليه، قال: علان: فتوقعت أن يبعث إليه، فقام فكبر وطوّل في صلاته، فقالت المرأة، يا أبا الحسن الله الله فيّ، هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان، فسلم وقال لها: أنا في حاجتك، قال مظفر: فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت: الحقي قد خلوا ابنك [٢].

أنا تائب من الملح:

قال أحمد بن خلف دخلت يوما على السري فقال لي ألا أعجبك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق فأكون قد أعددت له لقيمة فأفتها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان ففكرت في سر العلة في وحشته مني فوجدتني قد أكلت ملحا طيبا فقلت في سرى أنا تائب من الملح فسقط على يدي فأكل وانصرف [٣].

---

(١) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٩.

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٣٩.

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤٠.

يا معشر الشباب جِدّوا:

قال الجنيد: سمعت السري يقول: يا معشر الشباب جِدّوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما قصرت، وكان في ذلك الوقت، لا يلحقه الشباب في العبادة [(١)].

هذه أغلال:

قال علي بن عبد الحميد الغضائري: جئت إلى سري بن المغلس السقطي لأقرأ عليه شيئاً، فدققت عليه الباب، فسمعته من داخل وهو يقول: اللهم من شغلني عنك فاشغله بك، ثم فتح الباب وقعد، فأخذت أقرأ عليه، فقال: إن هذه أغلال، إن هذه أغلال [(٢)].

لو سمعت منك هذه الكلمة من قبل لما صحبتك:

قال الجنيد: دخلت على السري في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف تجدك يا شيخ؟ قال: عبد مملوك لا يقدر لنفسه شيئاً، فأخذت المروحة لأروحه فقال: دعني كيف أتروح بريح المروحة، فأحشائي تحترق، فقلت له، أوصني أيها الشيخ قال إياك وصحبة العوام فقلت له: زدني، قال: فرفع رأسه إليّ بعدما طأطأه وقال: لا تشتغل عن صحبة الله بصحبة الأخيار فقلت له: لو سمعت منك هذه الكلمة من قبل لما صحبتك.

فإذا اسمي في الحاشية:

قال أبا عبيد بن حربويه: حضرت جنازة سري السقطي، فسررت فحدثنا رجل عن آخر أنه حضر جنازة سري فلما كان في بعض الليالي رآه في النوم فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلي عليّ. قلت فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك، قال: فأخرج درجاً فنظر فيه، فلم ير لي فيه اسماً، فقال: فقلت: بلى قد حضرت، قال: فنظر فإذا اسمي في الحاشية [(٣)].

ترانا اليوم نأكل بأدياننا:

قال علي بن الحسين بن حرب بعث بي أبي إلى السرى بشيء من حب السعال لسعال كان به فقال لي: كم؟ ثمنه قلت له: لم يخبرني بشيء. فقال: اقرأ ♠، وقل له نحن نعلم الناس منذ خمسين سنة ألاَّ يأكلوا بأديانهم ترانا اليوم نأكل بأدياننا.

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤٠.

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤١.

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤ /٢٤٤.

اللهم اشغل من شغلني عنك بك:

قال علي بن عبدالحميد الغضائري الحلبي سمعت سريا السقطي ودققت عليه الباب فقام إلى عضادتي الباب فسمعته يقول اللهم اشغل من شغلني عنك بك فكان من بركة دعائه أني حججت أربعين حجة من حلب على رجلي ماشيا ذاهبا وجائيا [١].

رجل يتكلم في موارد القلوب:

قال الجنيد بن محمد بعثني السري يوما في حاجة فأبطأت عليه فلما جئت قال لي إذا بعث بك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطئ عليه فإنك تشغل قلبه [٢].

فأردت أن يكون معه الأكثر:

قال أحمد بن عمر الخلقاني خرج معي سرى السقطي يوم العيد من المسجد فلقي رجلا جليلا فسلم عليه سلاما ناقصا فقلت له إن هذا فلان قال قد عرفته قلت فلم نقصته في السلام قال لأنه يروى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: **إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما** — فأردت أن يكون معه الأكثر.

اللهم علمنا أدب العيادة:

قال الجنيد بن محمد سمعت السرى يقول اعتللت بطرسوس علة فدخل علي ثقلاء القراء يعودونني فجلسوا فأطالوا جلوسهم فأذاني ثم قالوا إن رأيت أن تدعو الله فمددت يدي وقلت اللهم علمنا أدب العيادة.

إن الجوع أورثهم الحكم وإن الشبع أورثهم التخم:

قال أبو بكر العطشى قلت لسري السقطى ماذا أراد أهل الجوع بالجوع فقال ماذا أراد أهل الشبع بالشبع إن الجوع أورثهم الحكم وإن الشبع أورثهم التخم [٣].

---

(١) حلية الأولياء، ١٠ /١١٨.

(٢) حلية الأولياء، ١٠ /١١٨.

(٣) حلية الأولياء، ١٠ /١٢٢.

ملحك مدقوق:

قال الجنيد: وسـمعته يقول: أريد أن آكل أكلة ليس لله علي فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منـة فلم أجـد، فـأتـاني حي الجرجـاني فدق علي باب الغرفة فخرجت إليه فقال لي: يا سري، ملحـك مدقوق فقلت: نعم، قال: لا تفلح، ثم قال: لولا أن الله عز وجل عقم الآذان عن فهم القرآن ما زرع الزارع، ولا تجر التاجر، ولا تلاه الناس في الطرقات، ثم مضىـ فأتعبني وأبكاني [(١)].

عند ذلك تصل إلى محبة المحبوب:

وقـال: " بينما أنـا مار في طريق بيت المقدس، إذ رأيت امرأة عليها جبة مســح، وعلى رأسـها خمار صـوف، وهي جالسـة، ورأسـها بين ركبتيها، وهي تبكي؛ فقلت لها: ما أبكاك، يا جـاريـة؟. فقـالـت: يـا أبـا سـليمان؛ وكيف لا ابكي وأنا احب لقائه؟!. فقلت لها ما تحبين؟، فقـالـت: وهـل يحـب المحـب غير لقـاء المحبوب؟!. فقلت لها: ومن محبوبك؟ فقالت: علام الغيوب!، قلت: كيف تحبينه؟، فقالت: إذا صــفيت نفســك من العيوب، وجالت روحك في الملكوت، عند ذلك تصــل إلى محبة المحبوب ". فقلت: " فكيف يكونون في محبتهم له؟ "، فقـالـت: " أبـدانهم نحيلـة، وألوانهم متغيرة، وعيونهم هـاطلـة، وقلوبهم واجفة، وأرواحهم ذائبـة، وألســنتهم بذكر محبوبهم لهجة "، قلت: " من أين لك هذه الحكمة، التي تنطقين بها؟! "، فقالت: " يا أبا سـليمان!، لا تجيئ بطول العمر! ". فقلت: " بماذا تجئ؟ "، قالت: " بصفاء الود، وحسن المعاملة؟ "، ثم أنشأت تقول:

قـد كتمـت الهوى فباح بسـره ::: عـبرات مـن الجفون تسـيل

ثم قالت: أواه! أواه!. وأنشأت تقول:

كتب الدمع، فوق خدي، سـطورا ::: كـل وجـدٍ بمن هويـت قليـل
اعـذروني، إذا بليـت من الوجد، ::: فـمـالي إلى الـعـزاء سـبيـل
ان دمعي لشـاهـد على الحـب، ::: دلـيـل بـأن حـزني طـويـل

ثم قامت ودخلت في واد بين الجبال، وأنا انظر أليها ".

---

(١) صفة الصفوة، ٢ /٣٧٦.

وإذا أردتم انكشفت:

وحكى بعض أصـــحـابه، قال: " كنا ببيت المقدس، ولا نتكلم إلا في أوقات، وكان له عمود في المســـجـد يجلس إليـه؛ فجئـت يومـاً إلى العمود فما رأيتـه، كـذا ثانية. فلما كان يوماً ثالث كنت بجانب العمود وما رأيته، فحدثني وقال: " اجلس! " فنظرت فإذا هو قائم في العمود، فجلســـت وأنـا مرعوب، وجـاء اخر فقعـد، وجـاء اخر، فقـال أبو ســـليمان: " من النـاس من يطلبني اليوم واليومين والثلاثة، فإذا اردت استترت، وإذا اردتم انكشفت، وحدثته فقعد " [1].

يا معلم! ما فعل الله بك؟:

قال أحمد بن أبي الحواري: تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني في المنام، فرأيته بعد سنة، فقلت له: يا معلم! ما فعل الله بك؟

قال: يا أحمد! دخلت من باب الصغير، فلقيت وسق شيح، فأخذت منه عودا، فلا أدري تخللت به أم رميت به، فأنا في حسابه من سنة [2].

هو الذي يلقى ربه وليس فيه إله غيره:

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سـليمان: " إلا من أتى الله بقلب سـليم " قلت له: القلب الســـليم الذي يلقى الله به وليس فيه أحد غيره؟ــــ فبكى ثم قال: ما ســـمعت منذ دخلت الشام حديثا مثله، هذا هو الذي يلقى ربه وليس فيه إله غيره [3].

فارتحلت وما صحبني حديث غير هذا:

حدث أبو سليمان الداراني، قال: شهدت مع أبي الأشهب جنازة بعبادان، فسمعته يقول: أوحى الله سـبحانه إلى داود: حذر وأنذر أصـحابك أكل الشـهوات، فإن القلوب المعلقة بحب الشهوات في الدنيا عقولها محجوبة عنيــــ قال: فارتحلت وما صحبني حديث غير هذا [4].

---

(١) طبقات الأولياء، ص ٦٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٠ /١٨٥.

(٣) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص ١٧٤.

(٤) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص ١٧٩.

يا أبا سليمان قم إلى الحائط:

قال أبو سليمان الداراني: وقعت أمي من فوق وتكسرت فأهمني أمرها فقلت يا رب من يخدمها فجعلت أبكي في سجودي فإذا هاتف يهتف يا أبا سليمان قم إلى الحائط فخذ ما فيه وادع به فقمت فإذا بقرطاس ما رأيت على نقائه وبياضه بخما رأيت مثله حسنا تفوح منه رائحة المسك وإذا فيه مكتوب يا مدرك الفوت بعد الفوت ويا من يسمع في ظلم الليل الصوت ويا من يحيي العظام وهي رميم بعد الموت فدعوت بها وأنا ساجد فإذا أمي تقول يا أبا سليمان ما فعلت الليلة قال قلت لها قد قمت قالت نعم [(١)].

فبماذا تغسل قلبك:

قال أحمد بن أبي الحواري: ثار أبو سليمان ذات ليلة فلما انتصف الليل قام ليتهيأ فلما أدخل يده في الإناء بقي على حالته حتى انفجر الصبح وجاء وقت الإمامة فخشيت أن تفوت صلاته فقلت الصلاة يرحمك الله فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال يا أحمد أدخلت يدي في الإناء فعارضني عارض من سري هب أنك غسلت بالماء ما ظهر منك فبماذا تغسل قلبك فبقيت متفكرا فألهمت حتى قلت بالغموم والأحزان فيما يقربني من الأنس بالله [(٢)].

يا بني، اتق الله وخفه وارجه:

قال حميد بن هشام أبو هشام: قلت لأبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية: يا عم، لم تشدد علينا وقد قال الله عز وجل في كتابه: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم؟ قال: اقرأ، فقرأت:{ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾} [الزمر: ٥٤]، ثم قال: اقرأ، فقرأت:{ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾} [الزمر: ٥٥ - ٥٨]،

(١) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٣٤.

(٢) تاريخ دمشق، ٣٤ /١٣٥.

فـأقمـت أيـامـا ثم قرأت مـا يتلو هـذا: { بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ } [الزمر: ٥٩].

فقلـت لـه: يـا عم، قـال الله: بلى قـد جاءتك آياتي فكذبت بها واســتكبرت وكنت من الكـافرين، فأنا بحمد الله ونعمته لم أكذب بآيات ربي ولا اســتكبرت عن عبادته، وما أنا من الكافرين، فمسح - يعني رأسه - وقال: يا بني، اتق الله وخفه وارجه(١).

لو عاديت آدميا لكرهت لقاءه:

قال عبد الرحيم بن صالح: سمعت أبا سليمان الداراني، يقول لأم هارون: أتحبين الموت؟ قالت: لا قال: ولم تكرهين لقاء الله عز وجل؟ ففاضــت دموعها بالانتحاب، فقالت: يا أبا سليمان، لو عاديت آدميا لكرهت لقاءه فصرخ أبو سليمان ووقع مغشيا عليه (٢).

بما كسبت يداك:

قال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سـليمان لم أوتر البارحة ولم أصل ركعتي الفجر ولم أصل الصبح في جماعة قال بما كسبت يداك والله ليس بظلام للعبيد شهوة أصبتها (٣).

فإن لم تكن قمرا فكن شمسا:

قـال أحمـد بن أبي الحواري لي أبو ســليمان يا أحمد كن كوكبا فإن لم تكن كوكبا فكن قمرا فإن لم تكن قمرا فكن شـمسـا فقلت يا أبا سـليمان القمر أضـوأمن الكوكب والشـمس أضـــوأمن القمر قـال يا أحمد كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر فقم أول الليل إلى آخره فـإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشـــمس تطلع أول النهار إلى آخره فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله بالنهار (٤).

(١) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص ١٩٢.

(٢) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص ١٩٧.

(٣) حلية الأولياء، ٩ /٢٥٨.

(٤) حلية الأولياء، ٩ /٢٦٠.

معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء:

قال عبيد جاء رجل من الشام إلى معروف يسلم عليه فقالوا له فقال إني رأيت في المنام يقال لي إذهب إلى معروف فسلم عليه فانه معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء.

ولكني رجوت دعاءه:

قال عبيد بن محمد الوراق مر معروف بسقاء يقول رحم الله من شرب فتقدم فشرب فقيل له أما كنت صائما قال بلى ولكني رجوت دعاءه.

إن حفظهم رجعوا ولم يذهبوا:

- مر معروف على قوم من أصحاب زهير يخرجون الى القتال ومعهم فتى فقال اللهم احفظهم فقيل له تدعو لهؤلاء فقال ويحك إن حفظهم رجعوا ولم يذهبوا [١].

إن الملك دائم لا يفتر:

قال محمد بن عبد الرحمن دوست قدم قوم الى معروف فأطالوا الجلوس فقال يا قوم إن الملك دائم لا يفتر عن سوقها.

ما أحصينا مذ قلتها عام أول:

قال معروفا الكرخي يقول ودع رجل البيت فقال أللهم لك الحمد عدد عفوك عن خلقك ثم رجع من قابل فقالها فسمع صوتا ما أحصينا مذ قلتها عام أول [٢].

فهات المصحف، وخذي الملحفة!:

ونزل يوماً إلى دجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفة فجاءت امرأة فأخذتهما، فتبعها، وقال: " أنا معروف!، لا بأس عليك!، ألك ولد يقرأ القرآن؟ "، قالت: " لا! "، قال: " فزوج؟ "، قالت: " لا! "، قال: " فهات المصحف، وخذي الملحفة! ".

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٥.

(٢) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٦.

ولم يضركم شيء:

وكان قاعداً على دجلة ببغداد إذ مر به أحداث في زورق، يضربون الملاهي ويشربون؛ فقال له أصحابه: ما ترى هؤلاء - في هذا الماء - يعصون! ادع الله عليهم! "، فرفع يديه إلى السماء وقال: " إلهي وسيدي!، كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة! " فقال له أصحابه: " إنما قلنا لك: ادع عليهم! "، فقال: " إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم شيء ".

يا هذا! لو زدتنا لزدناك!:

وجاء رجل إليه، فقال: " جاءني البارحة مولود، وجئت لأتبرك بالنظر إليك ". فقال: " أقعدت!، عافاك الله!، وقل مائة مرة: " ما شاء الله كان "، فقالها؛ قال: " قل مثلها "، فقالها، حتى قال ذلك خمس مرات، فكان ذلك خمس مئة مرة؛ فلما استوفاها دخل عليه خادم جعفر وبيده رقعة وصرة، فقال: " ستنا تقرأ عليك السلام، وتقول لك: خذ هذه، وادفعها إلى قوم مساكين "، فقال: " ادفعها إلى ذلك الرجل "، فقال: " فيها خمسمئة درهم! "، فقال: " قد قال خمسمئة مرة: ما شاء الله كان "؛ ثم أقبل على الرجل، وقال: " يا هذا! لو زدتنا لزدناك! ".

وددت لو أني تزوجت!:

وروى في النوم، فقيل له: " ما فعل بك ربك؟، قال: " أباحني الجنة، غير أن في نفسي حسرة، أني خرجت من الدنيا ولم أتزوج "، أو قال: " وددت لو أني تزوجت! ".

او ليس قد مت؟!:

وقال أبو بكر الخياط: " رأيت - في المنام - كأني دخلت المقابر، فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم، وبين أيديهم الريحان؛ وإذا بمعروف بينهم، يذهب ويجيء، فقلت: " أبا محفوظ!، ما صنع الله بك؟، أو ليس قد مت؟! "، قال: " بلى! ". ثم أنشد:

موت التقي حياة لا نفاذ لها ::: قد مات قوم، وهم في الناس أحياءُ[1]

* * *

(١) طبقات الأولياء، ص ٤٨.

مواقف العافين عن الناس

مواقف عربية

مواقف العافين عن الناس

العفو لغة: مصدر قولهم عفا يعفو عفوا وهو مأخوذ من مادّة (ع ف و) الّتي تدلّ على معنيين أصليّين الأوّل:

ترك الشّيء، والآخر طلبه، ومن المعنى الأوّل عفو الله تعالى عن خلقه، وذلك تركه إيّاهم فلا يعاقبهم، فضلا منه تعالى، قال الخليل: العفو تركك إنسانا استوجب عقوبة فعفوت عنه، والله سبحانه هو العفوّ الغفور.

وقال الجوهريّ: يقال: عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه، والعفوّ على فعول: الكثير العفو.

والعفوّ من أسماء الله تعالى:

قال ابن الأثير: من أسماء الله تعالى العفوّ— هو فعول من العفو وهو التّجاوز عن الذّنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطّمس، وهو من أبنية المبالغة.

وقال الغزاليّ: والعفوّ صفة من صفات الله تعالى، وهو الّذي يمحو السّيّئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنّه أبلغ منه فإنّ الغفران ينبأ عن السّتر، والعفو ينبأ عن المحو، والمحو أبلغ من السّتر. وحظّ العبد من ذلك لا يخفى وهو أن يعفو عن كلّ من ظلمه بل يحسن إليه كما يرى الله تعالى محسنا في الدّنيا إلى العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة. بل ربّما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم، وإذا تاب عليهم محا سيّئاتهم، إذ التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له. وهذا غاية المحو للجناية.

وقال ابن القيّم - رحمه الله - تعالى: ومن حكمة الله عز وجل تعريفه عبده أنّه لا سبيل له إلى النّجاة إلاّ بعفوه ومغفرته - جلّ وعلا - وأنّه رهين بحقّه، فإن لم يتغمّده بعفوه ومغفرته، وإلاّ فهو من الهالكين لا محالة فليس أحد من خلقه إلاّ وهو محتاج إلى عفوه ومغفرته كما هو محتاج إلى فضله ورحمته.

وقال الله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾} [النساء: ٩٧ - ٩٩].

وقال تعالى:{إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾} [النساء: ١٤٩].

وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾} [المجادلة: ٢].

وقال تعالى:{وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ٥١ - ٥٢].

وقال تعالى:{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾} [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى:{وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ } [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ الرّبيّع - وهي ابنة النّضر - كسرت ثنيّة جارية فطلبوا الأرش [١]، وطلبوا العفو فأبوا، فأتوا النّبيّ صلي الله عليه وسلم فأمرهم بالقصاص. فقال أنس بن النّضر: أتكسر ثنيّة الرّبيّع يا رسول الله؟ لا والّذي بعثك بالحقّ لا تكسر [٢] ثنيّتها. فقال: **يا أنس، كتاب الله القصاص** فرضي القوم وعفوا، فقال النّبيّ صلي الله عليه وسلم: **إنّ من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه** [٣].

(١) الأرش: في الحكومات، وهو الذي يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع، وأروش الجنايات والجراحات من ذلك.

(٢) قوله (لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها): ليس من باب العصيان لأمر رسول الله ■، وإنما من باب الرجاء والدعاء أن يلهمهم الله العفو ويعفو. وهذه من كرامة المسلم عند الله إذا دعا استجاب له.

(٣) البخاري - الفتح ٥ (٢٧٠٣) واللفظ له، ومسلم (١٦٧٥).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسـول الله صلي الله عليه وسلم، قال: **إنّ الأنصار كرشي وعيبتي** [١] **وإنّ النّاس سـيكثرون ويقلّون** [٢]**، فاقبلوا من محسـنهم، واعفوا عن مسيئهم** [٣].

وعن عبـد الله بن عمرو بن العاص ☻ أنّ رســول الله صــلي الله عليه وســلم، قال: **تعافوا**[٤] **فيما بينكم، فما بلغني من حدّ فقد وجب** [٥].

وعن عبد الله بن عمر ☻ قال: جاء رجل إلى النّبيّ صلي الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! كم نعفو عن الخادم؟. فصمت!، ثمّ أعاد عليه الكلام، فصمت!، فلمّا كان في الثّالثة، قال: **اعفوا عنه في كلّ يوم سبعين مرّة** [٦].

وعن أبي بكر رضي الله عنـه أنّه قال: بلغنا أنّ الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي: من كـان لـه عنـد الله شيء فليقم، فيقوم أهـل العفو، فيكـافئهم الله بما كان من عفوهم عن النّاس.

وخطب أبو بكر رضي الله عنه قال: قام رسـول الله صلي الله عليه وسلم مقامي هذا عام الأوّل، وبكى أبو بكر، فقال أبو بكر: سـلوا الله المعافاة - أو قال: العافية. فلم يؤت أحد قطّ بعد اليقين أفضـــل من العـافية أو المعافاة - عليكم بالصّـــدق فإنّه مع البرّ وهما في الجنّة، وإيّاكم والكـذب فـإنّه مع الفجور وهما في النّار، ولا تحاســدوا ولا تباغضــوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا كما أمركم الله تعالى[٧].

---

(١) كرشى وعيبتي: معناه جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم.

(٢) ويقلون: أي ويقل الأنصار.

(٣) مسلم (٢٥١٠).

(٤) تعافوا: أمر بالعفو وهو التجاوز عن الذنب.

(٥) أبـو داود (٤٣٧٦) والـلـفـظ لـه، وقـال الألـبـاني (٣/ ٨٢٨): صـــحـيـح، وهـو عـنـده في الـنســـائي (٤٥٣٨، ٤٥٣٩)، النسـائي (٨/ ٧٠). الحاكم (٤/ ٣٨٣) وقال: هذا حديث صـحيح الإسـناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٦) أبو داود (٥١٦٤) واللفظ لـه، ونظرت جميع رجـالـه ثقـات مـا عـدا الخولاني قال عنه في التقريب: لا بأس به. وأخرجه الترمذي وقال: حسـن غريب، فالحديث حسـن الإسـناد، وقال الألباني (٣/ ٩٧٠): صـحيح وعنده في الترمذي (٢٠٣١). وقال محقق♂جامع الأصول " (٨/ ٤٨): إسناده حسن.

(٧) أحمد في المسند (١/ ٣) وقال محققه الشيخ أحمد شاكر (١/ ١٥٦): إسناده صحيح ورواه الترمذي (٣٥٥٨) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر - رضي الله عنه -.

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: كلّ النّاس منّي في حلّ.

وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سبق النّبيَ صلي الله عليه وسلم، وصلّى أبو بكر وثلّث عمر، ثمّ خطبتنا أو أصابتنا فتنة، يعفو الله عمّن يشاء.

وعن ابن عبّاس ☻ قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان من النّفر الّذين يدنيهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبّانا. فقال عيينه لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عبّاس: فاستأذن الحرّ لعيينة فأذن له عمر، فلمّا دخل عليه قال: هي يا بن الخطّاب، فو الله ما تعطينا الجزل [1] ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتّى همّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين! إنّ الله تعالى قال لنبيّه:{ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾} [الأعراف: ١٩٩] وإنّ هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافا عند كتاب الله[2].

وعن الحسن، قال: أفضل أخلاق المؤمن العفو.

وروي أنّ راهبا دخل على هشام بن عبد الملك، فقال للرّاهب: أرأيت ذا القرنين أكان نبيّا؟. فقال: لا، ولكنّه إنّما أعطي ما أعطي بأربع خصال كنّ فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا حدّث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد.

ومن فوائد العفو عن الناس:

- العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق.
- كلاهما دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- كلاهما دليل على سعة الصّدر وحسن الظّنّ.
- كلاهما يثمر محبّة الله عز وجل ثمّ محبّة النّاس.
- العفو أمان من الفتن وعاصم من الزّلل.
- الغفران دليل على كمال النّفس وشرفها.
- كلّ من العفو والغفران يهيّء المجتمع والنّشء الصّالح لحياة أفضل.
- كلاهما طريق نور وهداية لغير المسلمين.

---

(١) الجزل: الكريم المعطاء، والعاقل الأصيل الرأي.

(٢) البخاري - الفتح ٨ (٤٦٤٢).

ومن المواقف:

فاجعله آخر ذنوبه:

و جلس ابن مسعود في السّوق يبتاع طعاما فابتاع، ثمّ طلب الدّراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلّت، فقال: لقد جلست وإنّها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللّهمّ اقطع يد السّارق الّذي أخذها، اللّهمّ افعل به كذا، فقال عبد الله: اللّهمّ إن كان حمله على أخذ ها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذّنب فاجعله آخر ذنوبه.

وقال معاوية رضي الله عنه: عليكم بالحلم والاحتمال حتّى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصّفح والإفضال.

أقول لا تثريب عليكم اليوم:

وقال مالك بن دينار: أتينا منزل الحكم بن أيّوب ليلا وهو على البصرة أمير، وجاء الحسن، وهو خائف فدخلنا معه عليه، فما كنّا مع الحسن إلاّ بمنزلة الفراريج، فذكر الحسن قصّة يوسف ♠ وما صنع به إخوته، فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النّساء ومن الحبس، ثمّ قال: أيّها الأمير، ماذا صنع الله به؟

أداله منهم، ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله له أمره وجمع له أهله؟ قال:{لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } [يوسف: ٩٢] ، يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه، قال الحكم: فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلاّ ثوبي هذا لواريتكم تحته.

خلّوا سبيله:

وروي أنّ زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخا له فقال له: إن جئت بأخيك وإلاّ ضربت عنقك، فقال: أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلّي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى، ثمّ تلا:{ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} [النجم: ٣٦ - ٣٨]، فقال زياد: خلّوا سبيله، هذا رجل قد لقّن حجّته.

سياسة المنصور في العفو عن المسيء:

ولما احتال أبو الأزهر بالمهلب بن عبيثر المهري لعبد الحميد بن ربعي بن خالد بن مغداق وأسلمه إلى حميد بن قحطبة وأسلمه حميد الى المنصور قال لا عذر فأعتذر وقد احاط بي الذنب وأنت أولى بما ترى قال لست أقتل أحدا من ال قحطبة بل أهب مسيئهم إلى محسنهم وغادرهم لوفيهم قال: إن لم يكن في مصطنع فلا حاجة لي في الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم قال اسكت مقبوحا مشقوحا اخرج فإنك أنوك جاهل أنت عتيقهم وطليقهم ما حييت.

وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم:

ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله وصار إلى المنصور أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رؤوس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ثم قال قل لهم يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفتم ما كان من إحساني اليه وحسن بلائي عنده وقديم نعمتي عليه والذي حاول من الفتنة ورام من البغي وأراد من شق العصا ومعاوتة الأعداء وإراقة الدماء وأنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب وعظيم العذاب وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه ورب نعمائه السابقة عنده لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه وما يؤمله من الخير العاجل والآجل عند العفو عمن ظلم والصفح عمن أساء وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم.

تأن علي فإن التأني نصف العفو!:

أتي بعض الملوك برجل قد أجرم فأمر بضرب عنقه فقال له الرجل: يا مولاي! تأن علي فإن التأني نصف العفو! فعفا عنه.

فيك موضع للصنيعة:

أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار بن أبي عبيد فأمر بضرب عنقه فقال: أيها الأمير ما أقبح أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول: يا رب! سل مصعباً فيم قتلني؟ فقال مصعب: أطلقوه! قال: اجعل ما وهبت في حياتي من خفض! قال: أعطوه عشرة آلاف درهم! قال: بأبي أنت وأمي أشهد الله أن لابن قيس الرقيات خمسة آلاف! قال: ولم؟ قال: لقوله:

إنما مصعب شهاب من الله ::: تجلت عن وجهه الظلماء
يتقي الله في الأمور وقد ::: أفلح من كان همه الاتقاء

فضحك مصعب؛ وقال: فيك موضع للصنيعة. وأمره بملازمته وأحسن إليه معه حتى قتل مصعب.

إن عفوك لا يكون غدراً!:

قال بعض المشايخ؛ جرى بين شهرام المروزي وبين أبي مسلم الخراساني كلام شديد فما زال أبو مسلم يقاوله إلى أن قال له شهرام بالغيظ: كذبت! فلما قال له ذلك صمت أبو مسلم وندم شهرام وأقبل عليه معتذراً وخاضعاً متذللاً؛ فلما رأى ذلك أبو مسلم قال: لسان سبق ووهم أخطأ، وإنما الغضب شيطان وأنا جرأتك بطول احتمالي إياك؛ فإن كنت متعمداً فقد شاركتك فيه، وإن كنت مغلوباً فالعذر يسعك؛ وقد عفونا عنك على كل حال. فقال شهرام: أيها الأمير! إن عفوك لا يكون غدراً! قال: أجل! قال: فإن عظم ذنبي لا يدع قلبي يسكن! ولج في الاعتذار فقال أبو مسلم: يا عجبي! كنت تسيء وأنا أحسن فإذا أحسنت أسيء؟!.

اذهب فأنت حر:

كان للمأمون خادم، وهو صاحب وضوئه، فبينما هو يصب الماء على يديه، إذ سقط الإناء من يده، فاغتاظ المأمون عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: " والكاظمين الغيظ ". قال: قد كظمت غيظي عنك. قال: " والعافين عن الناس ". قال: قد عفوت عنك. قال: " والله يحب المحسنين ". قال: اذهب فأنت حر.

فكان عذره له أحسن من إحيائه إياه:

ومدح شاعر أبا حاتم كاتب الديوان فلم يصله بشيء فأنشأ يقول:

لتُنصفنّي يا أبا حاتم ::: أو لأصيرنّ إلى حاكم
أول ما أتلفت من ماله ::: خمسين ألفاً في شرى هاشم
خمسين ألفاً وضحاً كلها ::: من مال هذا الملك النائم

فاحتفظها صاحب الخبر ورفعها إلى الرشيد فقال: صدق، لولا أني نائم ما كانت أموري تجري على هذا السبيل: وأمر بإخراج الجرائد من الدار إليه. فأول ما وجد على منصور بن زياد عشرة آلاف ألف درهم.

فحدّث صالح صاحب المصلّى قال: دعاني الرشيد وهو على كرسي فقال: اذهب الساعة فخذ منصور بن زياد بالخروج من عشرة آلاف ألف درهم فإن لم يوردها بينك وبين المغرب فاضرب عنقه وجئني برأسه وأنا نفيٌ من المهدي لئن أنت دافعت عنه لأضربنّ عنقك. قلت: يا سيدي فإن أعطاني بعضها ووقّت لي في بعضها وقتاً؟ قال: لا. فخرجت فأعلمته الخبر فأسقط في يده وقال: ما أراد إلا قتلي لأنه يعلم أن مقدار مالي لا يبلغ ما به طالبني، ولكن تأذن لي أن أدخل بيتي فأودّع أهلي؟ فأذنت له فدخل ودخلت معه وبقيت واقفاً فبعث إلى أمهات أولاده وبناته ونسائه أن اخرجن إلي كما كنتن تخرجن عند موتي فإن هذا آخر أيامي ولا ستر لكن بعدي. فخرجن إليه مشققات الجيوب مخمّشات الوجوه بصراخ شديد. فبكى إليهن وبكين إليه وبكيت معهن ثم ودعهن وخرج وهنّ في أثره واضعات التراب على رؤوسهن، ثم قال: يا أبا مقاتل لو أذنت لي في المصير إلى أبي عليّ يحيى بن خالد البرمكي فكنت أوصيه بولدي وأهلي؟ فقلت: امض.

وصرنا إليه وقد نزل في ساعته وهو على كرسي يغسل يده، فلما توسطنا الدار جعل منصور يبكي ويمشي إليه حتى دنا منه وهو يسأله عن الحال فيمنعه البكاء من إخباره، فأقصصت عليه قصته فقال: ارجع إلى أمير المؤمنين وسله أن يهبه لي. قلت: ما لي إلى ذلك سبيل ولا يراني إلا والمال معي أو رأس منصور كما أمرني. فقال لخادم له: ائت فلانة فسلها كم لنا عندها من المال. فانصرف وذكر أن عندها خمسة آلاف ألف درهم. فقال لي: احملها وابلغ أمير المؤمنين رسالتي في باقيها. فأعلمته أن لا سبيل إلى حمل بعضها دون بعض. فأطرق ثم رفع رأسه ثم قال: يا غلام ائت دنانير فقل لها تبعث إلي بالجوهر الذي وهبه لها أمير المؤمنين. فبعثت إليه بحقّ فقال: هذا جوهر ابتعناه لأمير المؤمنين بمائتي ألف دينار وهو عارف به وقد جعلته له بمائة ألف دينار وهو ألفا ألف درهم، واحمل إليه هذه السبعة الآلاف الألف والرسالة. فأبيت.

فوجّه إلى الفضل ابنه: إنك كنت أعلمتني أنك على ابتياع ضيعة نفيسة وقد أصبتها ولا يوجد مثلها في كل وقت وابتياعها فرصة فاحمل إلي مالها. فعاد الرسول ومعه ألفا ألف درهم. ووجه إلى جعفر ابنه أن يوجّه إليه بألف ألف درهم. فأنفذ إليه صكاً أو صكاكاً إلى الجهبذ بها. فقبضت المال ووافيت الرشيد قبل المغرب وهو منتصب على حالته ينتظر رجوعي إليه. فأخبرته الخبر فلما انتهيت إلى خبر الحقّة قال: صدق وقد ظننت أنه لا ينجيه غيرهم، احمل هذا المال أجمع إلى أبي عليّ وارده عليه وأعلمه أني قد قبلت ذلك عن منصور ورددته عليه. ففعلت ذلك.

ولقيني بعد ذلك يحيى منصرفاً من الدار ومنصور معه يسايره ويضاحكه والناس خلفه فقلت: والله لأنصحن هذا الشيخ الكريم. فدخلت معه ودخل منصور ودعا بغدائه، فلما نهض منصور قلت: يا أبا علي إني والله ما رجعت معك إلا لنصحك وقد رأيت مكان هذا الرجل منك وكنا حين حملت المال أنهضته معي فوالله ما قطع نصف الصحن من الدار حتى تمثل بهذا البيت:

فما بُقيا علي تركتماني ::: ولكن خفتما صرد النبال

فعارض أكرم فعلك بألأم خصلة فيه فدعاني الامتعاض من ذلك إلى إخبارك، فإني من تعلم في مودتك وطاعتك. فأكب على الأرض ساعة ثم رفع رأسه فقال: اعذره فقد كان عقله عزب عنه في ذلك الوقت. قال: فكان عذره له أحسن من إحيائه إياه[١].

والأمر قريب والموعد الصراط والحكم الله:

قيل: وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جنايةً. فحبسه يحيى وسأله عنه الرشيد فقيل: هو كثير الصلاة والدعاء. فقال للموكل به: اعرض عليه أن يكلمني ويسألني إطلاقه. فقال له ذلك الموكل به فقال: قل لأمير المؤمنين إن كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعد الصراط والحكم الله. فخرّ الرشيد ساجداً مغشياً عليه وأمر بإطلاقه[٢].

لست بأرحم لك ممن أوجب عليك الحد:

قيل: وأُتي الرشيد برجل قد وجب عليه الحد فأمر أن يضرب فضرب. فقال: يا أمير المؤمنين قتلتني! قال: الحق قتلك. قال: ارحمني! قال: لست بأرحم لك ممن أوجب عليك الحد. ثم أمر بإطلاقه.

ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة:

قال الشعبي: دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله، فقلت: أصلح الله الأمير، أنت على فعل مالم تفعل أقدر منك على ما فعلت، ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة. قال: صدقت يا شعبي. وأمر بالرجل إلى السجن[٣].

---

(١) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص ٢١٧.

(٢) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص ٢١٧.

(٣) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ٧٥/١.

إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك!:

وسمع الشعبي رجلاً يشتمه فقال: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك! ثمّ تمثَّل:

ليست الأحلامُ في حال الرضى ::: إنما الأحلامُ في حال الغضبْ

فأعطه ما يحب من العفو:

قال المدائني: أراد الحجاج قتل من بقي في ديوان بن الأشعث من أصحابه حين ظفر بهم، فقال له قتيبة بن مسلم: أصلح الله الأمير إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعطه ما يحب من العفو، فبلغ ذلك عبد الملك، فقال: لله در قتيبة لقد أبلغ في الموعظة، ولقد أحسن الحجاج في القبول[1].

ويحك! بأي وجه تلقاني؟:

هجا نهار بن توسعة قتيبة بن مسلم، وكان ولي خراسان بعد يزيد بن المهلب، فقال:

كانت خراسان أرضاً إذ يزيد بها ::: وكل باب من الخيرات مفتوح

فبدلت بعده قرداً نطوف به ::: كأنما وجهه بالخل منضوح

فطلبه فهرب منه، ثم دخل عليه بكتاب أمه، فقال له: ويحك! بأي وجه تلقاني؟ قال: بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك. فقر به ووصله وأحسن إليه[2].

لم حَلُمت عنه؟:

وقال المدائني: شتم رجل المهلّب بن أبي صفرة فلم يردد عليه، فقيل له: لم حَلُمت عنه؟ قال: لم أعرف مساويه، وكرهت أن أبْهَتَه بما ليس فيه. وشُتم رجل فقال الرجل لشاتمه: يا هذا، ما ستر الله عليك من عورتي أكثر، وأنشد:

لن يدرك المجدَ أقوامٌ وإن كَرُموا ::: حتى يُذَلّوا وإن عزوا لأقوام

أو يُشْتَموا فترى الألوانَ مشرقةً ::: لا صفحَ ذلّ ولكن صفحَ أحلام[3]

والله ماكان شيءٌ من هذا:

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٤٧/٢.

(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١٣٦/١.

(٣) المبرد، الفاضل، ٢٧.

وهجاه رجلٌ قضى عليه لزوجته فقال:

فـتنَ الشـعـبيُّ لمـّا ::: رفـعَ الـطـرْفَ إلـيـهـا
فـتـنـتـه حـين ولـَّت ::: ثمّ هـزَّت مـنـكـبـيـهـا
فـتـنـتـه بـقـوامٍ ::: وبخـطـيَّ حـاجـبـيـهـا
وبـنـان كـالمـداري ::: وبحسـن معصـمـيـهـا
مـن فـتـاةٍ حـين قـامـت ::: رفـعـت مـأمـتـيـهـا
كـيـف لـو أبصـر مـنـهـا ::: نحـرهـا أو سـاعـديـهـا
لصـبـا حـتى تـراه ::: سـاجـداً بـين يـديـهـا

قال للجلواز: قدمها وأحضر شاهديها

فقضى جوراً على الخصم ولم يقض عليها

بـنـتِ عـيسـى بـن جـرادٍ ::: ظـلَـمَ الخصـم لـديـهـا
مـا عـلـى الشـعـبي لم يـوُ ::: فِ الـذي كـان عـلـيـهـا

فلما سمع الشعبي الأبيات ضحك وقال: لا والله ماكان شيء من هذا[١].

وما ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك:

ذكر عبد الغني المقدسي في كتابه محنة الإمام أحمد بسنده إلى أبي علي حنبل قال: حضرت أبا عبد الله - أي أحمد بن حنبل -، وأتاه رجل في مسجدنا، وكان الرجل حسن الهيئة كأنه كان مع السلطان، فجلس حتى انصرف من كان عند أبي عبد الله، ثم دنا منه فرفعه أبو عبد الله لما رأى من هيئته، فقال الرجل: يا أبا عبد الله! اجعلني في حل، قال أحمد: من ماذا؟! قال: كنت حاضراً يوم ضربت، وما أعنت ولا تكلمت، إلا أني حضرت ذلك.

فأطرق أبو عبد الله ثم رفع رأسه إليه فقال: أحدث لله توبةً ولا تعد إلى مثل ذلك الموقف، فقال له: يا أبا عبد الله! أنا تائب إلى الله تعالى من السلطان، قال له أبو عبد الله: فأنت في حل وكل من ذكرني إلا مبتدع، قال أبو عبد الله: وقد جعلت أبا إسحاق - المعتصم - في حل، ورأيت الله عز وجل يقول:{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور: ٢٢]، وأمر النبي صلي الله عليه وسلم أبا بكر بالعفو في قضية مسطح.

(١) المرزباني، نور القبس، ٨٨/١.

ثم قال أبو عبد الله: العفو أفضل، وما ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك، لكن لتعف وتصفح عنه فيغفر الله لك كما وعدك.

فالحق يسعهم ويخرجهم:

قال المدائني أتى الأحنف بن قيس مصعب بن الزبير فكلمه في قوم حبسهم فقال أصلح الله الأمير إن كان حبسوا في باطل فالحق يسعهم ويخرجهم وإن كانوا حبسوا بحق فالعفو يسعهم[1].

كثر بكاؤك الليلة فما السبب؟:

ساق المقدسي رحمه الله بسنده إلى أبي علي الحسن بن عبد الله الخرقي قال: بت مع أحمد بن حنبل ليلةً، فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح، فقلت: يا أبا عبد الله كثر بكاؤك الليلة فما السبب؟ قال أحمد: ذكرت ضرب المعتصم إياي ومر بي في الدرس قوله تعالى:{ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ} [الشورى: ٤٠]، فسجدت وأحللته من ضربي في السجود.

رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟!:

ذكر ابن رجب في طبقات الحنابلة عن أبي محمد فوزان قال: جاء رجل إلى الإمام أحمد فقال له: نكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟! فقال: إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمن يكون ذلك؟! قالها مراراً، فقال الرجل: إنه يتكلم فيك، فقال أحمد رحمه الله تعالى: رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟!.

لا يزيد على قوله اللهم أغفر للمعتصم:

وما أعجب! مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، اقرؤوا هذا الكتاب محنة الإمام أحمد بن حنبل، انظروا مواقفه مع من عاداه ومع من ضربه ومع من سبه وشتمه، فرحم الله الإمام أحمد.

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي بتستر يقول كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء وكان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم فقال لي دخلت يوما على أحمد بن حنبل فإذا هو مغموم مكروب فقلت ما لك يا أبا عبد الله قال خير قلت وما الخير قال امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرأت إلا أنه بقى في صلبي موضع يوجعني هو أشد علي من ذلك الضرب قال قلت اكشف لي عن صلبك قال فكشف لي فلم أر فيه إلا

---

(١) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ١٧٨/١.

أثر الضرب فقط فقلت ليس لي بذي معرفة ولكن سأستخبر عن هذا قال فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس وكان بيني وبينه فضل معرفة فقلت له أدخل الحبس في حاجة قال أدخل فدخلت وجمعت فتيانهم وكان معي دريهمات فرقتها عليهم وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي ثم قلت من منكم ضرب أكثر قال فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضربا وأشدهم صبرا قال فقلت له أسألك عن شيء فقال هات فقلت شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سياطا يسيرة إلا أنه لم يمت وعالجوه وبرأ إلا أن موضعا في صلبه يوجعه وجعا ليس له عليه صبر قال فضحك فقلت مالك قال الذي عالجه كان حائكا قلت إيش الخبر قال ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها قلت فما الحيلة قال يبط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته قال فخرجت من الحبس فدخلت على أحمد بن حنبل فوجدته على حالته فقصصت عليه القصة قال ومن يبطه قلت أنا قال: أو تفعل قلت: نعم قال: فقام فدخل البيت ثم خرج وبيده مخدتان وعلى كتفه فوطة فوضع إحداهما لي والأخرى له ثم قعد عليها وقال: استخر الله فكشفت الفوطة عن صلبه وقلت: أرني موضع الوجع فقال ضع إصبعك عليه فإني أخبرك به فوضعت إصبعي وقلت ها هنا موضع الوجع قال ههنا أحمد الله على العافية فقلت ها هنا قال هاهنا أحمد الله على العافية فقلت: هاهنا قال: هاهنا أسأل الله العافيه قال: فعلمت أنه موضع الوجع قال: فوضعت المبضع عليه فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه وجعل يقول اللهم اغفر للمعتصم حتى بططته فأخذت القطعه الميتة ورميت بها وشددت العصابة عليه وهو لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعتصم قال ثم هدأ وسكن ثم قال كأني كنت معلقا فأصدرت قلت يا أبا عبد الله إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ورأيتك تدعو للمعتصم قال إني أفكرت فيما تقول وهو ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم فكرهت أن آتي يوم القيامة وبيني وبين أحد من قرابته خصومة هو مني في حل[1].

---

(١) محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧، ص ١٦٦.

كيف تمشين؟:

ويقول عبد الله بن محمد الصارفي: كنت عند أبي عبد الله البخاري في منزله فجاءته جارية وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه فقال لها: كيف تمشين؟ قالت إذا لم يكن طريق كيف أمشي. فبسط يديه وقال لها اذهبي فقد أعتقتك. قال فقيل له فيما بعد يا أبا عبد الله أغضبتك الجارية قال إن كانت أغضبتني فإني أرضيت نفسي بما فعلت.

فما كنا عند الحسن إلا مثل الفراريج:

عن سعيد بن عبد الرحمن عن مالك بن دينار قال: حبس الحكم بن أيوب الثقفي علي بن زيد بن جدعان، والحسن يومئذ مستخف، ونحن معه مستخفون، فأتاه الحسن ليلاً وأتيناه فأذن له وأجلسه معه على السرير فما كنا عند الحسن إلا مثل الفراريج، فذكر يوسف النبي عليه الصلاة والسلام وإخوته فقال: باعوا أخاهم وحزنوا أباهم ومكانه من الله مكانه، ثم لقي يوسف ما لقي من الحبس وكيد النساء، ثم أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كعبه، وجعله أميناً على خزائن الأرض فلما أكمل له أمره، وجمع أهله، وأتاه بأبويه، وأقر عينه قالوا: " تالله لقد آثرك علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ". قال الحكم: وأنا أقول لا تثريب عليكم، لو لم أجد الا ثوبي هذا لواريتكم به، وأطلق علياً[1].

جاء ليسرقنا فسرقناه:

وتأمل في قصه مالك بن دينار والتي ذكرها ابن الجوزي، وهو يبين لنا عظيم الفطنة والحركة، في مسالة اصطياده الناس، يذكر أنه جاءه رجل لص إلي بيته ليسرق، فإذا بالبيت ليس فيه ما يستدعي السرقة وبصر به مالك فقال: يا هذا فاتك حظك من الدنيا؟ قال: نعم قال: فهل لك في شيء من الآخرة، قال فماذا قال: توضأ فصل ركعتين، ثم ما لبث أن أخذه صلاة الفجر، فقال له بعض الناس من هذا؟ قال: جاء ليسرقنا فسرقناه.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤ / ٣١٨.

إن مع خطئك صواباً كثيراً:

قال الأصمعي: استأذن الشعبي على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل فأذن له، فلما مثل بين يديه قال: أنا الشعبي يا أمير المؤمنين، قال عن علم بك أذن لك، قال الشعبي: فعقدت أولة إلى أن قال: من أشعر الناس؟ فقال الأخطل: أنا ولم أعرفه فقلت: كذبت يا شيخ، امرؤ القيس أشعر منك، قال: صدقت، ولكن أمير المؤمنين سألني عن أهل زمانه فخبرته، فإذا كذبت امرءاً فاعرف ما خطب قولك، فعقدت في يدي ثانية أخطأت فيها، فنهض الشيخ فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين، فوجم، وعلمت أني قد أخطأت ثالثة، إذ صيرت أمير المؤمنين ولي مسألتي، فالتفت إلي عبد الملك فقال لي: هذا الأخطل؛ يا شعبي، لا يهولنك ما كان منك، فإن مع خطئك صواباً كثيراً [١].

إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب:

قال ابن شهاب الزهري: دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة فرآني أحدثهم سنا فقال لي: من أنت فانتسبت له فقال: لقد كان أبوك وعمك نعاقين في فتنة ابن الأشعث فقلت: يا أمير المؤمنين إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب.

فأعجبه ذلك وقال: أين نشأت قلت: بالمدينة قال: عند من طلبت قلت: سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب قال: فأين أنت من عروة بن الزبير فإنه بحر لا تكدره الدلاء.

فلما انصرفت من عنده لم أبارح عروة بن الزبير حتى مات [٢].

ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام:

كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله عليك فيما أصح من بدنك وأطال من عمرك وعلمت حجج الله تعالى مما علمك من كتابه وفقهك فيه من دينه وفهمك من سنة نبيه فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك وكل حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى ـ ابتلي في ذلك شكرك وأبدىفيه فضله عليك وقد قال عز وجل:{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: ٧]؛ فانظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها وعن حججه

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٨٤/٣.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١ / ٣١٠.

عليك كيف قضيتها فلا تحسبن الله عز وجل راضياً منك بالتعذير ولا قابلاً منك التقصير، هيهات ليس ذاك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال:{لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ} [آل عمران: ١٨٧]؛ إنك تقول إنك جدل ماهر عالم قد جادلت الناس فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم إدلالا منك بفهمك واقتداراً منك برأيك فأين تذهب عن قول الله عز وجل :{ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ } [النساء: ١٠٩]؛ اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أن آنست الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت وإجابتك حين دعيت، فما أخلقك أن ينوه غداً باسمك مع الجرمة وأن تسأل عما أردت باغضائك عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطباً تدور عليه رحى باطلهم وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم وسلماً إلى ضلالتهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك! فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول، وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس مبجلاً وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستتراً، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً، ما لك لا تتنبه من نعستك وتستقيل من عثرتك؟! فتقول: والله ما قمت لله عز وجل مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً ولا أميت له فيه باطلاً، أين شكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه؟! ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله عز وجل فيهم: { فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ } [الأعراف: ١٦٩] الآية؛ إنك لست في دار مقام، قد أوذنت بالرحيل، فما بقاء المرء بعد أقرانه؟! طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، ما يؤمن من أن يموت وتبقى ذنوبه من بعده؟ إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلاً أن ترد له على ظهرك، ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره! احذر فقد أتيت، وتخلّص فقد وهلت، إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك وتعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك وترد عليك ما عزب عنك من حلمك وذكرت قوله تعالى:{ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ } [الذاريات: ٥٥]، أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به أو دخلوا في مثل ما

دخلت فيه؟ وهل تراه دخر لك خيراً منعوه أو علمك شيئاً جهلوه؛ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحدث في سنه الجاهل في علمه المأفون في رأيه المدخول في عقله؟!

ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام عليك ورحمة الله وبركاته [١].

ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب:

وقال مالك بن دينار ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب ولا غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشجع الناس إذا لقى الناس وأرحم الناس إذا استحكم البأس ويقال أرق الناس قلوباً أقلهم ذنوباً وقال عمر بن العزيز استدعوا العفو عن الناس والرحمة من الله بالرحمة لهم وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى: إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا عبادي:

ابغ للناس من الخير ::: ر كما تبغي لنفسك [٢]

* * *

(١) صفة الصفوة، ٢/١٦٠ - ١٦٤.

(٢) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ١ / ١٥٥.

مواقف الخائفين من الله

مواقف عربية

مواقف الخائفين من الله

الخوف من الله تعالى:

الخوف يعني: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

يقول ابن رجب: القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات كان ذلك فضلا محمودا.

ويقول الحافظ ابن حجر: الخوف من المقامات العلية، هو من لوازم الإيمان، قال تعالى:{وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [آل عمران: ١٧٥].

وقد قال المولى عز وجل:{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾} [المائدة: ٢٧ - ٢٨].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾} [المائدة: ٩٤].

{ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾} [النحل: ٤٩ - ٥١].

{قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾} [الزمر: ١٣].

{وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [يونس: ١٥].

{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾} [هود: ١ - ٣].

{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾} [الإسراء: ٥٧ - ٥٨].

{وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: ٤٦ - ٤٧].

{إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾} [الإنسان: ٥ - ٨].

{إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾} [الإنسان: ٩ - ١٠].

{وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ} [النازعات: ٤٠ - ٤١].

وعن عائشة ♥ زوج النّبيّ صلي الله عليه وسلم قالت: سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن هذه الآية:{وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: ٦٠]. قالت عائشة: أهم الّذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: **لا يا بنت الصّدّيق. ولكنّهم الّذين يصومون، ويصلّون، ويتصدّقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم، أولئك الّذين يسارعون في الخيرات**ـــ (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صلي الله عليه وسلم قال: **سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه: إمام عدل. وشابّ نشأ في عبادة الله. ورجل قلبه معلّق في المساجد. ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال. فقال: إنّي أخاف الله. ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه**ـــ (٢).

(١) الترمذي (٣١٧٥) واللفظ له، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٧). وابن ماجه (٤١٩٨.).

(٢) البخاري - الفتح ٣ (١٤٢٣) واللفظ له. ومسلم (١٠٣١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم: **من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنّ سلعة الله غالية، ألا إنّ سلعة الله الجنّة**(١).

وعن ابن عبّاس ☻ أنّ رسول الله صلي الله عليه وسلم قرأ هذه الآية:{**ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**} [آل عمران: ١٠٢]. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لو أنّ قطرة من الزّقّوم قطرت في دار الـدّنيـا لأفسـدت على أهل الدّنيا معايشـهم، فكيف بمن يكون طعامه**(٢).

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لمّا طعن: لو أنّ لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه.

و قال عبد الله بن عامر بن ربيعة: رأيت عمر بن الخطّاب أخذ تبنة من الأرض، فقال: يا ليتني هذه التّبنة، ليتني لم أكن شيئا ليت أمّي لم تلدني، ليتني كنت نسيا منسيّا.

وقال ابن عمر ☻ كان رأس عمر على فخذي في مرضـه الّذي مات فيه فقال لي: ضـع رأسي. قال: فوضعته على الأرض. فقال: ويلي وويل أمّي إن لم يرحمني ربّي.

وعن ابن عبّاس ☻ قال: وعد الله المؤمنين الّذين خافوا مقامه وأدّوا فرائضه الجنّة.

وبكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضـه فقيل له: ما يبكيك؟. فقال: أما إنّي لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري وقلّة زادي، وإنّي أمسيت في صعود على جنّة أو نار، لا أدري إلى أيّتهما يؤخذ بي.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنّه جالس في أصل جبل يخشى أن ينقلب عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا.

وعن عائشة ♥ أنّها قالت: لمّا قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال. قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبت، كيف تجدك؟، ويا بلال كيف تجدك؟. قالت: فكان أبوبكر إذا أخذته الحمّى يقول:

كـلّ امـرئ مصـبّح في أهلـه ::: والمـوت أدنى من شـراك نعلـه

(١) الترمذي (٢٤٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب. وصححه الحاكم ٤ (٣٠٧، ٣٠٨) ووافقه الذهبي.

(٢) سنن الترمذي (٢٥٨٥) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٣٢٥)، وأحمد (١/ ٣٠٠).

وكان عليّ بن الحسين إذا توضّأ اصفرّ وتغيّر، فيقال: مالك؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟.

وقال ذو النّون: النّاس على الطّريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلّوا عن الطّريق▬.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله -: إنّ المؤمنين قوم ذلّت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتّى حسبهم الجاهل مرضى، وهم والله أصحاب القلوب، ألا تراه يقول:{وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ} [فاطر: ٣٤]، والله لقد كابدوا في الدّنيا حزنا شديدا وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم▬.

وعن الحسن - رحمه الله - قال: لقد مضى بين يديكم أقوام لو أنّ أحدهم أنفق عدد هذا الحصى لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم▬.

وعن الحسن - رحمه الله - في قوله تعالى:{وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠]، قال: الخوف الدّائم في القلب▬.

وعن الحسن - رحمه الله - قال: أبصر أبو بكر طائرا على شجرة. فقال: طوبى لك يا طائر تأكل الثّمر، وتقع على الشّجر، لوددت أنّي ثمرة ينقرها الطّير▬.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله -: إنّ الرّجل يذنب الذّنب فما ينساه، وما يزال متخوّفا منه حتّى يدخل الجنّة▬.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله -: والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلاّ وهو يخاف النّفاق، وما أمنه إلاّ منافق.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله -: الرّجاء والخوف مطيّتا المؤمن▬.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله - في قوله تعالى:{وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠} [المؤمنون: ٦٠] . قال: كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البرّ وهم يخافون ألاّ ينجّيهم ذلك من عذاب الله.

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله خاف من كلّ شيء.

وقـالـت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز للمغيرة بن حكيم: يا مغيرة، إنّه قد يكون في النّاس من هو أكثر صـلاة وصـياما من عمر، وما رأيت أحدا قطّ كان أشـدّ خوفا من ربّه من عمر. كان إذا صـلّى العشـاء قعد في مسـجده ثمّ رفع يديه، فلم يزل يبكي حتّى تغلبه عيناه. ثمّ ينتبه فلا يزال يبكي حتّى تغلبه عيناه.

وقـال إبراهيم التّيميّ: ينبغي لمن لم يحزن أن يخـاف أن يكون من أهـل النّار؛ لأنّ أهل الجنّة قالوا:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ} [فاطر: ٣٤]، وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف ألاَّ يكون من أهل الجنّة؛ لأنّهم قالوا:{إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ} [الطور: ٢٦].

وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسـن، فقيل: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني غدا في النّار ولا يبالي.

و قـال هرم بن حيّـان: وددت والله أنّي شـجرة أكلتني نـاقة، ثمّ قذفتني بعرا، ولم أكابد الحساب يوم القيامة. إنّي أخاف الدّاهية الكبرى.

و قال أبو سـليمان الدّارانيّ: أصل كلّ خير في الدّنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل وكلّ قلب ليس فيه خوف فهو قلب خرب.

وعنه قال: من حسن ظنّه بالله عز وجل ثمّ لا يخاف الله فهو مخدوع.

وقـال الغزاليّ - رحمـه الله -: إنّ الرّجـاء والخوف جنـاحـان بهما يطير المقرّبون إلى كـلّ مقام محمود. ومطيّتان بهما يقطع من طرق الآخرة كلّ عقبة كؤود.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة - رحمه الله -: الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله.

و الخوف المحمود يقترن بالرجاء كما في قوله تعالى:{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾} [الإسراء: ٥٧]، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت، فقال: كيف تجدك؟. قال والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف**[1]. وقد وعد الله الخائفين بالجنة فقال:{وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾} [النازعات: ٤٠ - ٤١].

من فوائد الخوف:

- الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار.
- الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.
- دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- يثمر محبّة الله وطاعته.
- سبب لسعادة العبد في الدّارين.
- دليل على صفاء القلب وطهارة النّفس.
- سبب لهداية القلب.
- يبعد الإنسان عن الوقوع في المعاصي والسّيّئات.
- يجعل الإنسان يخلص عمله لله تعالى. وألاَّ يضيّعه بالتّرك أو المعصية.
- يورث المسلم الشّفقة علي الخلق.
- يحمل الإنسان المسلم على التّخلّق بالأخلاق الحسنة وتجنّب الكبر والعجب.

(١) الترمذي (٩٨٣) واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٤٢٦١) وقال النووي: إسناده حسن. وحسنه الألباني، صحيح ابن ماجه (٣٤٣٦) وهو في الصحيحة (١٠٥١).

ومن المواقف:

أجر النعمان عبدك من النار:

كان أبو حنيفة شـديد الخوف من الله تعالى، فقرأ بنا علي بن الحسـين المؤذن ليلة في العشـاء الآخرة سـورة{إِذَا زُلْزِلَتِ } [الزلزلة: ١]، وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصـلاة، وخرج الناس، نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت: أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل، ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر، وهو قائم، وقد أخذ بلحية نفسـه، وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيرا، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شرا، أجر النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السـوء وأدخله في سـعة رحمتك، قال: فأذنت، وإذا بالقنديل يزهر، وهو قائم فلما دخلت قال لي: تريد أن تأخذ القنديل؟ قلت: قد أذنت لصـلاة الغداة " - فقال: اكتم ما رأيت، وركع ركعتين، وجلس حتى أقمت الصلاة، وصلى معنا.

فأنت في الأمنية فاعملي:

وفي هذا يروي ابن أبي الدنيا أن إبراهيم التيمي قال: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صـديدها، وأعالج سـلاسـلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أىْ نفس، أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أُردَّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي.

إن لي ربا كثير المعروف:

وقال ثابت البناني: كان شـاب به رهق فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهي تقول: يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا قال: يا أماه إن لي ربا كثير المعروف وإني لأرجو اليوم ألاَّ يعدمني بعض معروفه فقال ثابت: فهذا يحسن ظنه بالله في حاله تلك.

القصص بعدك حرام:

وقال عمر بن ذر يوما في كلامه ـ وعنده ابن أبي داود وأبو حنيفة ـ أتعذبنا وفي أجوافنا التوحيد؟ لا أراك تفعل اللهم اغفر لمن لم يزل على مثل حال السحرة في الساعات التي غفرت لهم فإنهم قالوا:{ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ } [الأعراف: ١٢١]، فقال أبو حنيفة: رحمك الله القصـص بعدك حرام.

إن أحبكما إلي أحسنكما ظنا بي:

و كان يحيى بن زكريا إذا لقي عيسى- ابن مريم عليهما السلام: عبس وإذا لقيه عيسى- تبسم فقال له عيسى-: تلقاني عابسا كأنك آيس؟ فقال له يحيى: تلقائي ضاحكا كأنك آمن؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما: إن أحبكما إلي أحسنكما ظنا بي.

الباب الذي بينك وبين الله تعالى:

حدث إبراهيم بن الجنيد، حدثنا شيخ من عبد القيس، قال: سمعتهم يقولون: أن رجلا أراد امرأة عن نفسها، فقالت له: أنت قد سمعت الحديث وقرأت القرآن فأنت أعلم. فقال لها: فأغلقي أبواب القصر- فأغلقتها. فدنا منها، فقالت: هنا باب لم أغلقه. قال: أي باب؟ قالت: الباب الذي بينك وبين الله تعالى. قال: فلم يعرض لها.:

لخفت أن أكون أنا هو:

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لو نادى مناد من السّماء: أيّها النّاس إنّكم داخلون الجنّة كلّكم إلاّ رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا هو.

من خاف الموت خشي الفوت:

(خرج عمر رضي الله عنه يوما إلى السّوق ومعه الجارود، فإذا امرأة عجوز فسلّم عليها عمر، فردّت عليه، وقالت هيه يا عمير: عهدتك وأنت تسمّى عميرا في سوق عكاظ، تصارع الصّبيان فلم تذهب الأيّام حتّى سمعت عمر، ثمّ قليل سمعت أمير المؤمنين: فاتّق الله في الرّعيّة. واعلم أنّه من خاف الموت خشي- الفوت. فبكى عمر. فقال الجارود: لقد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته. فأشار إليه عمر: أن دعها.

فلمّا فرغ قال: أما تعرف هذه؟ قال: لا. قال: هذه خولة ابنة حكيم الّتي سمع الله قولها، فعمر أحرى أن يسمع كلامها. أشار إلى قوله تعالى: {**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا**} [المجادلة: ١]. وهي خولة هذه.

يا كعب، خوّفنا:

و عن كعب قال: قال لي عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يوما وأنا عنده: يا كعب، خوّفنا. قال فقلت: يا أمير المؤمنين أو ليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: **بلى. ولكن يا كعب، خوّفنا**. قال قلت: يا أمير المؤمنين، اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدرأت عملك ممّا ترى.

كلّما اشتهيت اشتريت:

وعن جابر بن عبد الله ☻ قال: رأى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في يدي لحما معلّقا، قال: ما هذا يا جابر؟ــــ. قلت: اشتهيت لحما، فاشتريته. فقال عمر: كلّما اشتهيت اشتريت، أما تخاف هذه الآية:{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا } [الأحقاف: ٢٠].

أدفن كما يصنع بالعبد الآبق:

قال عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال لولا أنى أكره أن أصنع شيئا لم يصنعه أحد كان قبلى لأوصيت أهلى إذا أنا مت أن يقيدونى وأن يجمعوا يدى إلى عنقي فينطلقوا بى على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق. وقال غير أحمد بن محمد فإذا سألنى ربى تعالى أى رب لم أرض لك نفسى طرفة عين قط[1].

ولم لا أبكي؟:

قال قيس بن الربيع: بلغني أن إبراهيم النخعي بكى عند الموت فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ولم لا أبكي؟ وإنما أنتظر مبشراً يبشرني بالجنة أو بالنار. والله لوددت أنها تجلجل في صدري إلى يوم البعث[2].

لكني سمعت قوله:{يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ }:

كان الفضيل يعظ ابنه كثيراً على الزّهد ويقول: يا بنيّ، ارفق بنفسك؛ وكان يوماً خلف الإمام يصلّي فسمع سورة الرحمن، فظلّ يتلوّى وأبوه ينادي: أما سمعت قوله:{حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾} [الرحمن: ٧٢]، فقال: يا أبت، لكني سمعت قوله:{يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ } [الرحمن: ٤١] [3].

فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسي حاجته:

خرج مالك بن دينار بعد صلاة العشاء لحاجة فرأى الثلج نازلا من السماء يمينا وشمالا فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسي حاجته[4].

---

(١) صفة الصفوة، ٢٨٨/٣.

(٢) المبرد، التعازي والمراثي، ٥٨/١.

(٣) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣٠/٨.

(٤) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ٢٨٠/٢.

يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار:

قال المغيرة بن حبيب أبو صالح ختن مالك بن دينار: قلت لنفسي: يموت مالك وأنا معه في الدار ولا أعلم ما عمله! قال: فصليت معه عشاء الآخرة ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون من الليل؛ وجاء مالك فدخل فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار؛ قال: فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني؛ قال: ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً ويقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار؛ قال: فما زال كذلك حتى طلع الفجر! قال: فقلت لنفسي: والله لئن خرج مالك فرآني لا تبلني عنده بالة أبداً؛ قال: فجئت إلى المنزل وتركته.

مالك غداً هكذا يصير:

قال عبد الله بن مرزوق: بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم فإذا رجل يدفن فجاء حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فجعل يقول: مالك غداً هكذا يصير، وليس له شيء يتوسده في قبره، فلم يزل يقول: غداً مالك هكذا يصير، حتى خر مغشياً عليه في جوف القبر، فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشياً عليه [١].

سبب موت مالك بن دينار:

حصين بن القاسم قال قلت لعبد الواحد بن زيد ما كان سبب موت مالك بن دينار قال أنا كنت سببه سألته عن رؤيا رأى فيها مسلم بن يسار فقصها على فانتفضت فجعل يشهق ويضطرب حتى ظننت أن كبده قد تقطعت في جوفه ثم هدأ فحملناه إلى بيته فلم يزل مريضا يعوده إخوانه حتى مات منها فهذا كان سبب موته، وتوفي قبل الطاعون بيسير وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثون ومائه [٢].

(١) صفة الصفوة ٢٧٩/٣.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣ /٢٨٨.

فإني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته:

كتب إبراهيم بن أدهم إلى أخ له: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته، ولا يرجى غيره، ولا يدرك الغنى إلا به، فإنه من استغنى عز وشبع وروى، وانتقل - عندما أبصر قلبه عما أبصرت عينيه - من زهرة الدنيا فتركها وجانب شبهها، فأضر بالحلال الصافي فيها، إلا ما لا بد له منه، من كسرة شربها صلبه، وثوب يواري به عورته، أغلظ ما يجد وأخشنه [(١)].

الزم التقوى قلبك:

حدث علي بن المديني قال: قال لي أحمد بن حنبل:

- إني لأحب أن أصحبك إلى مكة، وما يمنعني من ذاك إلى أني أخاف أن أملك أو تملني.قال: فلما ودعته قلت له: - يا أبا عبد الله توصيني بشيء؟

قال: ألزمِ التقوى قلبك وانصب الآخرة أمامك[(٢)].

فاحتشمت أن أذْكره سبحانه وتعالى:

وحكى عميَ البسطامي عن أبيه أنه قال: ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط، ليذكر الله، سبحانه، على سور الرباط، فبقي إلى الصباح لم يذكر، فقلت له في ذلك، فقال: تذكَّرتُ كلمة جرت على لساني في حال صباي، فاحتشمت أن أذْكره سبحانه وتعالى [(٣)].

ليس هناك منزل ثالث:

قال مالك بن دينار: دخلت مع الحسن السوق فمر بالعطارين فوجد تلك الرائحة، فبكى ثم بكى حتى خفت أن يغشى عليه، ثم قال: يا مالك والله ما هو إلا حلول القرار من الدارين جميعاً: الجنة أو النار؛ ليس هناك منزل ثالث؛ من أخطأته والله الرحمةُ صار إلى عذاب الله [(٤)].

---

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ / ٩٨.

(٢) أبو الحسين ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، المحقق محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ٢٢٥/١.

(٣) الرسالة القشيرية، ص ١٣.

(٤) تهذيب الكمال، ١٢٥/٦.

ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزى:

عن جعفر بن سليمان قال جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال يا أبا يحيى إن كنت من أهل الجنة فطوبى لك فقال ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزى [١].

إذا زلزلت الأرض زلزالها:

قال الحارث بن سعيد كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ إذا زلزلت الأرض زلزالها فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال فجعل مالك والله يبكى ويشهق حتى غشى عليه فحمل بين القوم صريعا [٢].

أخرج حلاوة ذكرى من قلبه:

قال مسمع بن عاصم قال مالك بن دينار ورأى إنسانا يضحك فقال ما أحب أن قلبي فرغ لمثل هذا وأن لي ما حوت البصرة من الأموال والعقد

عبد الله العبدي قال حدثنا جعفر عن مالك قال إن في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه[٣].

فأي الدارين دار مالك؟:

قال جعفر: رأيت مالك بن دينار يتقنع بعباء، أو قال: بكساء، ثم يقول: إله مالك قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الدارين دار مالك؟ وأى الرجلين مالك؟ ثم يبكي[٤].

هذا رجل مشغول بنفسه:

قال عبد العزيز بن سلمان العابد: انطلقت أنا وعبد الواحد بن زيد إلى مالك بن دينار فوجدناه قد قام من مجلسه فدخل منزله وأغلق عليه باب الحجرة فجلسنا ننتظره ليخرج أو لنسمع له حركة فنستأذن عليه فجعل يترنم بشيء لم نفهمه ثم بكى حتى جعلنا نأوى له من شدة بكائه ثم جعل يشهق ويتنفس حتى غشى عليه؛ قال: فقال لي عبد الواحد: انطلق ليس لنا مع هذا اليوم عمل، هذا رجل مشغول بنفسه [٥].

---

(١) صفة الصفوة، ٢٧٩/٣.

(٢) صفة الصفوة، ٢٨٠/٣.

(٣) صفة الصفوة، ٢٨٠/٣.

(٤) صفة الصفوة ٢٨٦/٣.

(٥) صفة الصفوة، ٢٧٩/٣.

هذا والله الكرم هذا والله الكرم:

قال محمد بن عبد العزيز: قال أبي: قال مالك بن دينار: المؤمن كريم في كل حالة لا يحب أن يؤذي جاره ولا يحتقر أحدًا من أقربائه، قال: ثم يبكي مالك ويقول: وهو والله مع ذلك غني القلب لا يملك من الدنيا شـيئاً إن أزلته عن دينه لم يزل وإن خدعته عن ماله انخدع لا يرى الدنيا من الآخرة عوضـاً، ولا يرى البخل من الجود حظاً منكسرـ القلب ذو هموم قد تفرد بها مكتئب محزون ليس له في فرح الدنيا نصـيب، إن أتاه منها شيء فرقه وإن زوي عنه كل شيء فيها لم يطلبه، قال: ثم يبكي ويقول: هذا والله الكرم هذا والله الكرم.

كم تحدث الناس بالرخص؟!:

لقي مالك بن دينار أبان بن أبي عياش فقال مالك: إلى كم تحدث الناس بالرخص؟! فقال: يا أبا يحيى، إني أرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كسـاءك هذا من الفرح[1].

هذا عذر الخطائين الأشرار:

قال جعفر بن سـليمان: لقي مالك بن دينار ثابت البناني فقال له ثابت: يا أبا يحيى كيف بك؟ قال: كيف بمن هو ظاهر العيوب كثير الذنوب مسـتور على غير اسـتحقاق؟! فكيف بك يا أبا محمد؟ قال: فكتف ثابت يده ومد عنقه وخفض رأسـه وقال: هذا عذر الخطائين الأشرار، قال: وأقبلا يبكيان حتى سقطا.

أتدري ما مثل ابن عمك؟!:

دخل مالك بن دينار دار الخراج يوماً ينظر فإذا هو برجل من هؤلاء الكبار قد وضـع الكبل في رجليه فبينا هو ينظر إذ أتي بطعامه فوضـع بين يديه فجعل مالك ينظره ويتعجب من أكله ومما هو فيه، فقال له الرجل: تعال كل يا أبا يحيى، قال: أخاف إن أكلت مثل هذا أن يوضع في رجلي مثل هذا، فتقدم إليه ابن عم الرجل فقال: يا أبا يحيى إن هذا ابن عم لي وهو ينفق علي وعلى عيالي فادع الله أن ينجيه، فقال مالك: أتدري ما مثل ابن عمك؟! مثل شاة أكلت عجينَ قومٍ فانتفخ بطنها فماتت وصاحب العجين يدعو الله على

(١) محمد بن علي بن عطية الحارثي المشـهور بأبي طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصـف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ٣٧١/١.

من أكل عجينه وصــاحب الشــاة يدعو الله على من قتل شــاته، فلأيهم ترى الله أسرع إجابة؟![1].

يا مالك إن الركوة قد سُرقت!:

قال الحارث بن نبهان: قدمت من مكة فأهديت إلى مالك بن دينار ركوة، قال: فكانت عنده فجئت يوماً فجلسـت في مجلسـه فلما قضـاه قال لى: يا حارث تعال خذ تلك الركوة فقد شـغلتْ عليّ قلبي! فقلت: يا أبا يحيى إنما اشـتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب، فقال: يا حارث إني إذا دخلت المسـجد جاءني الشـيطان فقال لي: يا مالك إن الركوة قد سُرقت! فقد شـغلت علي قلبي[2].

هكذا أمر الآخرة:

قال مالك بن دينار: قدمت من سـفر لي فلما صرت بالجسر قام العشـار (الذي يحصل الضرائب) قال: لا يخرجن من السـفينة ولا يقوم أحد من مكانه فأخذت ثوبي فوضعته على عنقي ثم وثبت فإذا أنا على الأرض فقال لي: ما أخرجك؟ قلت: ليس معي شيء، قال: اذهب، فقلت في نفسي: هكذا أمر الآخرة[3].

إني كنت في وسط الدار:

خرج مالك بن دينار رحمه الله بالليل إلى قاعة الدار وترك أصـحابه في البيت وأقام إلى الفجر قائماً في وسـط الدار فقال لهم: إني كنت في وسط الدار خطر ببالي أهل النار فلم يزالوا يعرضون علي بسلاسلهم وأغلالهم حتى الصباح.

لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن:

قال سعد بن زنبور: كنا على باب الفضيل ابن عياض، فاستأذنا عليه، فلم يؤذن لنا، قال: فقيل لنا: إنه لا يخرج إليكم إلا أن يســمع القرآن، قال: وكان معنا رجل مؤذن، وكان صــيتاً فقلنا له: اقرأ فقرأ: " ألهاكم التكاثر "، ورفع بها صـوته، قال: فأشرف علينا الفضيل، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع، ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه، وأنشأ يقول:

---

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٧٤/٢.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٦٤/٢.

(٣) صفة الصفوة، ٢٧٧/٣.

بـلـغـت الثمـانين أو جزهـا ::: فـمـاذا أؤمـل أو أنـتـظـر؟
أتـاني ثمـانـون مـن مولـدي ::: وبـعـد الـثمـانين مـا ينتظر؟

علتني السنون فأبلينني.

قال: ثم خنقته العبرة، قال: وكان معنا علي بن خشرم فأتمه له، فقال: فدقت عظامي وكل البصر(١).

لو كانت الدنيا ذهب يفنى:

وقال الفضيل رحمه الله تعالى: لو كانت الدنيا ذهب يفنى، وكانت الآخرة خزفاً يبقى، لوجب أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى؟ تأمل بعقلك هل آتاك الله تعالى من الدنيا ما آتى سليمان بن داود عليهما السلام، حيث آتاه ملك جميع الدنيا والإنس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ثم زاده الله تعالى ما هو خير منها فقال له تعالى:{هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾} [ص: ٣٩]. فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل قال عند ذلك: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. وهذا فصل الخطاب لمن تدبره أن يقول له ربه في معرض المنة: " هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ". ثم خاف سليمان ♠ أن يكون استدراجاً من حيث لا يعلم. هذا وقد قال لك ولسائر أهل الدنيا: {فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ } [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، وقال:{وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧] (٢).

لقد حالت النار بيننا وبينك:

عن مالك بن دينار قال: استعمل هرم بن حيان، قال: فظن أن قومه سيأتونه فأمر بنار فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم، فجاء قومه فسلموا عليه من بعيد فقال: مرحبا بقومي، ادنوا، فقالوا: والله ما نستطيع أن ندنو منك، لقد حالت النار بيننا وبينك، قال: فأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها في جهنم، قال: فرجعوا(٣).

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٦١/١.

(٢) الطرطوشي، سراج الملوك، ٣/١.

(٣) محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، المحقق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: ١ - ١٩٦٨ م، ٧ / ١٣٣.

فما زال يقول ذلك حتى أبكاني:

قال مالك بن دينار: سـمعت الحجاج يخطب فيقول: امرؤ زود نفسـه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرؤ نظر إلى ميزانه، امرؤ عقل عن الله أمره، امرؤ أفاق واستفاق، وأبغض المعاصي والنفاق، وكان إلى ما عند الله بالأشواق. فما زال يقول ذلك حتى أبكاني [١].

أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك فأنلني معروفا من معروفك:

قال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة جهيرة في الحجر وهي تقول أتيتك من شـقة بعيدة مؤملة لمعروفك، فأنلني معروفا من معروفك تغنيني به عن معروف من سواك يامعروفا بالمعروف، فعرفت أيوب السختياني فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب: قولي خيرا يرحمك الله: قالت وما أقول أشـكو إلى الله قلبي وهواي فقد أضرا بي وشغلاني عن عبادة ربي قوما فإني أبادر طي صحيفتي.

قال أيوب فما حدثت نفسي بامرأة قبلها فقلت لها لو تزوجت رجلا كان يعينك على ما أنت عليه قالت لو كان مالك بن دينار أو أيوب السـختياني ما أردته فقلت أنا مالك بن دينار وهذا أيوب السختياني فقالت: أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا هذه مليكة بنت المنكدر [٢].

تذهب عيناك:

عن مالك بن دينار: قال رأيت امرأة بمكة من أحسـن الناس عينين قال: فكان النسـاء يجئن فينظرن إليها فأخذت في البكاء فقيل لها: تذهب عيناك فقالت إن كنت من أهل الجنة فيبدلني الله عينين أحسـن من هاتين، وإن كنت من أهل النار فسـيصـيبهما أشـد من هذا، فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها رحمها الله [٣].

(١) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢ / ١٤٠.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢ / ٢٠١.

(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢ / ٢٧٨.

إن ذكر جهنم لا يدعنى أن أنام:

عن مالك بن دينار قال قالت: المرأة التي نزل عليها عامر بن عبد الله مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال: إن ذكر جهنم لا يدعنى أن أنام[١].

لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا:

مالك بن دينار، قال: رأيت أبا عبد الله مسـلم بن يسـار في منامي بعد موته بسـنة، فسـلمت عليه فلم يرد السـلام، فقلت: ما يمنعك أن ترد على السـلام، فقال: أنا ميت، فكيف أرد عليك السـلام قال: قلت له: فماذا لقيت بعد الموت؟ قال: فدمعت عينا مالك عند ذلك وقال: لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شـدادا قال: فقلت: فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم قبل منا الحسنات وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات.

قال ثم شـهق مالك شـهقة خر مغشـيا عليه قال: فلبث بعد ذلك أياما مريضـا من غشيته ثم مات فيرون أنه انصدع قلبه فمات رحمه الله [٢].

يا أيها الناس الرحيل الرحيل:

عن عبدالواحد بن زيد قال شـهدت حوشـبا جاء إلى مالك بن دينار، فقال: يا أبا يحيى رأيت البارحة كأن مناديا يقول يا أيها الناس الرحيل الرحيل فما رايت أحدا يرتحل إلا محمد بن واسـع، قال: فصـاح مالك صـيحة وخر مغشـيا عليه. قال مضر كان الحسن يسمى محمد بن واسع زين القرآن[٣].

اليوم أنتقم لها منك!:

وقال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى: من أحمق من السـلطان ومن أجهل ممن عصـاني ومن أغر ممن اغتر بي؟ يا راعي السـوء دفعت لك غنماً سـماناً صـحاحاً، فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسـمن ولبسـت الصـوف، وتركتها عظاماً تقعقع ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير، اليوم أنتقم لها منك! [٤].

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣ / ٢٠٧.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣ /٢٤١.

(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣ /٢٦٧.

(٤) الطرطوشي، سراج الملوك، ١ / ٣٧.

وليس لي شيء أن أتقرب به سوى نفسي فتقبلها منى:

وحكى عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت إلى مكة حاجا فبينما أنا سائر إذ رأيت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء، وقال: يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لى ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك، ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس إحرامه والناس يلبون وهو لا يلبي، فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتي قال لبيك قلت له لم لا تلبي، فقال: يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات، والله أني لأخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك، ولا أنظر إليك، فقلت له: لا تقول ذلك فإنه حليم، إذا غضب رضي، وإذا رضي لم يغضب، وإذا وعد وفي ومتى توعد عفا فقال يا شيخ أتشير على بالتلبية قلت نعم فبادر إلى الأرض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك فأقام كذلك ساعة ثم مضي فما رأيته إلا بمني وهو يقول اللهم إن الناس ذبحوا ونحروا وتقربوا إليك وليس لي شيء أن أتقرب به سوى نفسي فتقبلها منى ثم شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه [1].

ولكن قل علي رقيب:

قال أحمد بن يحيى ثعلب: دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت رجلاً تهمه نفسه لا يحب أن يكثر عليه كأن النيران قد سعرت بين يديه، فما زلت أرفق به، وتوسلت بالشيبانية إليه فقلت: أنا من مواليك يا أبا عبد الله، وذكرت له عبد الله بن الفرج، قال أبو العباس: وعبد الله بن الفرج هذا من صالحي أهل البلد فقرم إلى حديثي وانبسط إلي وقال: في أي شيء نظرت؟ فقلت: في علم اللغة والشعر، فقال: مررت بالبصرة وجماعة يكتبون الشعر عن رجل، فقيل لي هذا أبو نواس، فتخللت الناس ورآني، فلما جلست أمل علينا:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ::: خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ::: ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا لعمر الله حتى تتابعت ::: ذنوب على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ::: ويأذن في توباتنا فنتوب

(١) الإبشيهي، المستطرف، ١ / ٣٣٤.

ثم أطرق، فعلمت أنه قد مل، فسلمت وانصرفت.

قال محمد بن العباس: فحدث أبي بهذا عبد الله بن المعتز وأنا حاضر أسمع فأنشده الأبيات، فقال لنا عبد الله: هذه الأبيات لأبي نواس من زهدياته [١].

* * *

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٣٥٩/١.

مواقف المتآخين في الله

مواقف عربية

مواقف المتآخين في الله

قال تعالى:{إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠} [الحجرات: ١٠].

والصِّنْو أشبه بالصنو منه بالشجرة التي يخرجان من أصلها، أو الثمرة التي تخرج منهما، والأخوان صِنْوَان متساويان في الأصل والمنشأ، وفي النبات والنمو، ويتعاهدان بتربية واحدة في الغالب، فأجدر بالأخ أن يأنس بأخيه، ما لا يأنس بأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لما ذكرنا من كمال المناسبة والمشاكلة التي هي علة الأنس والحب، ولأن للوالدين من الرفعة وحقوق الاحترام والاحتشام ما يقف بالأنس بهما دون كماله، كما أن القيام على البنين بالتأديب والسيطرة منافٍ للاسترسال في الأنس بهم والانبساط إليهم في جميع الشؤون والأطوار، فكم من كلام وعمل مما يرتاح إليه

يعرض عنهما الإنسان إذا كان على مرأى ومسمع من أصوله وفروعه، ويقبل إليه مع إخوانه وصنوانه، أما الصاحبة (الزوجة) فلا يظهر هذا الوجه بالإضافة إليها؛ لأن الأنس بها لا يكاد يساويه أنس، ولكن الأخ يفوقها في مناسبة الاتفاق في المنبت والتربية، فإن لاختلاف التربية أقوى تأثير في الألفة والمحبة والنفور والوحشة، وهو العلة في التنازع بين الأزواج، واختلال نظام العائلات المؤدي إلى سقوط الأمة في عواثير الشقاء ومهاوي الهلكات. ومزية أخرى يفضل بها الأخُ الزوجَ، وهي:

أن الاستعاضة عنه إذا فقد ليست مما يناله الكسب، ويتوصل إليه بسعي أخيه الذي فقده.

يحكى أن امرأة كان لها ابن وأخ وزوج وقعوا في غضب الحجاج، فأراد الإيقاع بهم، وعهد إلى المرأة أن تختار أحدهم كفيلاً لها ليقتل من عداه، فاختارت الأخ قائلة: إن الابن والزوج يمكن الاعتياض عنهما، وأما الأخ فلا عوض عنه،فأعجب الحجاج بقولها؛ لأنها غلَّبت العقل والحكمة على الحنان والشهوة، وعفا عن الجميع وقال: لو اختارت غير الأخ لقتلت الكل ولم أدع لها أحداً.

وبالجملة إن لكل قريب ونسيب مكانة تفضله من وجه على الآخر، فللوالدين: التعظيم والاحترام، وللولد: الرأفة والحنان وللأخ والزوج (يطلق على الذكر والأنثى كما لا يخفى) ارتياح المساواة، وأنس الكفؤ والنديد، ولذلك يسمى الأخ شقيقًا، كأن الأخوين شيء واحد شُق نصفين، ويسمى صنواً، والصنوان هما فسيلتا النخل تخرجان من أصل واحد، ويسمى كل من الرجل والمرأة المقترنين زوجًا للآخر بملاحظة أنهما شيء واحد في المعنى، ظهر بصورتين ثَنَّت إحداهما الأخرى، وقد علمت أن مكانة الأخ لا يحلها سواه، وأن الميل إليه ميل إلى كفيح ونديد، ترى له عليك مثل ما لك عليه، بخلاف سائر الأقربين، ولهذا سمي الصديق أخًا، وجاء القرآن يعلم الناس ويرشدهم لأن يكونوا كلهم أصدقاء وإخوة،

ويجعلوا أباهم في هذه الأخوة الإيمان بالله تعالى بما نزل من الحق فقال:{**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**} [الحجرات: ١٠]، ورتب على ذلك قوله:{**فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**} [الحجرات: ١٠]، وفي الحصر بـ (إنما) والعطف بالفاء ووضع الظاهر في (أخويكم) موضع الضمير - ما لا يخفى من تأكيد هذه الأخوة وتقريرها، ثم قال:{**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ**} [الحجرات: ١٠]، بأن تقوموا بحقوق هذه الأخوة، وما ترتب عليها من الإصلاح بالمساواة إذ لا وجه لمحاباة أحد والكل إخوة:{**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [الحجرات: ١٠]، في الدنيا والآخرة، وما أجدر من يقوم على هذا الصراط السوي بأن يرحم.

وقال الإمام الغزالي: اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين، وكما يقتضي النكاح حقوقًا يجب الوفاء بها قيامًا بحق النكاح، فهكذا عقد الأخوة؛ فلأخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء والإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف، وذلك يجمعه ثمانية حقوق.

(الحق الأول): قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى**[1] وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل؛ لأنهما يتعاونان على غرض واحد، فهكذا الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا توافقا في مقصد واحد، فهما من وجه كالشخص الواحد، وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء، والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار.

---

(١) رواه السلمي في آداب الصحبة، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب، وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات.

والمواساة بالمال مع الإخوة على ثلاث مراتب: (أدناها) أن تُنزله منزلة

عبدك أو خادمك، فتقوم بحاجته من فضل مالك، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء، ولم تُحوجِه إلى السؤال، فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

(الثانية): أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك، ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال، قال الحسن: (كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه).

(الثالثة) وهي العليا: أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين.

ومن تمام هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضًا، كما رُوي أنه سُعي بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء، فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري. فبادر إلى السياف ليكون هو أول مقتول، فقيل له في ذلك فقال: أحببت أن أوثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة، فكان ذلك سبب نجاة جميعهم - من حكاية طويلة - فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك، فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد في الباطن، وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية، لا وقع لها في العقل والدين، فقد قال ميمون بن مهران: (مَن رضي من الإخوان بترك الأفضال فليؤاخِ أهل القبور.

وأما الدرجة الدنيا فليست مَرضية عند ذوي الدين؛ روي أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه، فقال: أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف، فقال: خذ ألفين، فأعرض عنه، وقال: آثرتَ الدنيا على الله، أما استحيت أن تدَّعي الأخوة في الله وتقول هذا.

ومَن كان في هذه الدرجة من الأخوة فينبغي ألاَّ تعامله في الدنيا، قال أبو حازم: إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنياك. وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة.

وأما الرتبة العليا: فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله:{وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [الشورى: ٣٨]، أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض، وكان منهم من لا يصحب من قال: مالي أو نعلي؛ لأنه أضافه إلى نفسه. وجاء فتح الموصلي إلى منزل أخ له وكان غائبًا، فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته، وأخبرت الجارية مولاها فقال: (إن صدقتِ فأنت حرة لوجه الله) سرورًا بما فعل. وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقال: إني أريد أن أواخيك في الله، فقال: أتدري ما حق الإخاء؟ قال:

عرفني، قال: ألاَّ تكون أحق بدينارك ودرهمك مني. قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد، قال: فاذهب عني. وقال علي بن الحسين ☻ لرجل: (هل يُدخِل أحدكم يده في كُم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال: لا، قال: فلستم بإخوان.

ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا: يا أبا سعيد، أصليت؟ قال: نعم، قالوا: فإن أهل السوق لم يصلوا بعد، قال: ومن يأخذ دينه من أهل السوق، بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم. قاله كالمتعجب منه، وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال: إني أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: على شرط أن كون أملك لشيئك منك، قال: لا، قال: أعجبني صدقك.

قال: فكان إبراهيم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه، وكان لا يصحب إلا من يوافقه، وصحبه رجل شرّاك (هو الذي يعمل الشَّرَك للنعال) فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شُرَك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية، فلما جاء رفيقه قال: أين الشَّرَك؟ قال: ذلك الثريد الذي أكلته إيش كان؟ قال: كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة، قال: اسمح يُسمح لك. وأعطى مرة حمارًا كان لرفيقه بغير إذنه رجلاً رآه راجلاً، فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك. قال ابن عمر ☻ : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم رأس شاة فقال: أخي فلان أحوج مني إليه، فبعث به إليه، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة. وروي أن مسروقًا ادَّان دينًا ثقيلاً وكان على أخيه خيثمة دين، قال: فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم، ولما آخى رسول الله صلي الله عليه وسلم بين عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والأهل، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فيهما، فآثره بما آثره به، وكأنه قَبِله، ثم آثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة. وقال أبو سليمان الداراني: (لو أن الدنيا كُلَّها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له). وقال أيضا: (إني لألقم اللقمة أخًا من إخواني فأجد طعمها في حلقي).ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه : لَعشرون درهمًا أعطيها أخي في الله أحب إليّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين. وقال أيضًا: (لأن أضع صاعًا من طعام وأجمع إخواني في الله أحبّ إليّ من إعتاق رقبة).واقتداء الكل في الإيثار برسول الله صلي الله عليه وسلم؛ فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين: أحدهما معوج، والآخر مستقيم، فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال: يا رسول الله،

كنت والله أحق بالمستقيم مني، فقال: (ما من صاحب يصحب صاحبًا ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته، هل أقام فيها حق الله أم أضاعه). فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة.

وخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى بئر يغتسل عندها، فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى اغتسل، ثم جلس حذيفة ليغتسل، فتناول رسول الله صلي الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس، فأبى وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا تفعل، وأبى ﷺ إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل، وقال صلي الله عليه وسلم: **ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه**. وروي أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبًا، فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن، فجعل يأكل، فقال له مالك: كُفَّ يدك، حتى يجيء صاحب البيت، فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل، وكان محمد أبسط منه وأحسن خلقًا، فدخل الحسن وقال: يا مُوَيْلِك، هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض، حتى ظهرت أنت وأصحابك، وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة، كيف وقد قال الله تعالى:{أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ} [النور: ٦١]، كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض إليه التصرف كما يريد، وكان أخوه يتحرج من الأكل بحكم التقوى، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية، وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء.

ومن حقوق الأخوة الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال، وتقديمها على الحاجات الخاصة. وهذه أيضًا لها درجات كما للمواساة بالمال، فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة. وقال بعضهم: إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضِها فكبِّرْ عليه واقرأ هذه الآية:{وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ} [الأنعام: ٣٦]، وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاءه بهدية فقال: ما هذا؟! قال: لما أسديتَه إليّ. قال: خذ مالك - عافاك الله - إذا سألت أخاك حاجة فلم يُجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبّر عليه أربع تكبيرات وعُدّه في الموتى! قال جعفر بن محمد: إني لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم فيستغنوا عني. هذا في الأعداء،فكيف في الأصدقاء؟!

وكان في السلف مَن يتفقَّد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم، ويتردد كل يوم إليهم ويمونَهم من ماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يَرَوْا من أبيهم في حياته. وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت، هل لكم ملح، هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه، وبهذا تظهر الشفقة والأخوة، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها. قال ميمون بن مهران: (مَن لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته) وقال صلي الله عليه وسلم: **ألا وإن لله أواني في أرضه وهي القلوب، فأحبّ الأواني إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها وأرقها**ــ أصفاها من الذنوب، وأصلبها في الدين، وأرقها على الإخوان.

وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك وأهم من حاجتك، وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة، غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة، بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها ولا ترى لنفسك حقًّا بسبب قيامك بها، تتقلد منه بقبول سعيك في حقه وقيامك بأمره، ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة، بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد.

كان الحسن يقول: إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا.

وقال عطاء: تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث؛ فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكِّروهم. روي أن ابن عمر كان يلتفت يمينًا وشمالاً بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم؛ فسأله عن ذلك فقال: أحببت رجلاً فأنا أطلبه ولا أراه. فقال: (إذا أحببت أحدًا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله؛ فإن كان مريضًا عدته وإن كان مشغولاً أعنته) وفي رواية: (وعن اسم جده وعشيرته).

وقيل لابن عباس: مَن أحب الناس إليك؟ قال: جليسي. وقال: ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثًا من غير حاجة له إليّ فعلمت ما مكافأته من الدنيا.

وقال سعيد بن العاص: لجليسي عليّ ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا حدث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له. وقد قال تعالى{رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ} [الفتح: ٢٩]، إشارة إلى تمام الشفقة والإكرام. ومن تمام الشفقة ألاَّ ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور في مسرة دونه، بل يتنغَّص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه. اهـ من (الإحياء).

فهكـذا تكون الأخوة، وهكذا تكون آداب الأمم في طور الحياة، وكأنِّي بالذين في قلوبهم مرض تنفر نفوسهم من هذه الآثار، ولو نقل مثلها عن الإفرنج لأعجبوا بها وتنافسوا فيها.

ومن حقوق الأخوة حفظ اللسـان بالسكوت مرة، وبالنطق أخرى، أما السكوت فهو أن يســكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرــته، بل يتجاهل عنه ويســكت عن الرد عليه فيما يتكلم به، وأن لا يماريه ولا يناقشـه، وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله، وإذا رآه في طريق أو حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضــه من مصــدره ومورده لا يســأله عنه، فربما يثقل عليه ذكره، أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسراره التي بثها إليه، ولا يبثها إلى غيره ألبتة، ولا إلى أخص أصـدقائه، ولا يكشـف شـيئًا منها، ولو بعد القطيعة والوحشـة؛ فإن ذلـك من لؤم الطبع وخبـث البـاطن، وأن يســكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده، وأن يسـكت عن حكاية قدح غيره فيه، فإن الذي سَبّك مَن بَلَّغَك، وقال أنس: كان صلي الله عليه وسـلم لا يواجه أحدًا بما يكرهه، والتأذي يحصـل أولاً من المُبَلِّغ ثم من القائل، نعم لا ينبغي أن يخفي ما يســمع من الثناء عليه، فإن السرــور يحصــل من المُبَلِّغ ثم من القائل، وإخفاء ذلك من الحسد.

وبالجملة: فليسـكت عن كل كلام يكرهه - جملة وتفصيلاً - إلا إذا وجب عليه النطق بأمر بمعروف أو نهي عن منكر، ولم يجد رخصـة في السكوت، فإذ ذاك لا يبالي بكراهته، فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق، وإن كان يظن أنه إساءة في الظاهر، وأما ذكر مساويه وعيوبه ومســاوي أهلـه فهو من الغيبـة المحرمـة، ويزجرك عنـه أمران (أحدهما) أن تطالع أحوال نفسـك، فإن وجدت فيها شـيئًا مذمومًا فهوِّن على نفسك ما تراه من أخيك، وقَدِّر أنه عاجز عن قهر نفســه في تلك الخصــلة، كما أنك عاجز عما أنت مُبتلى به، ولا تســتثقله بخصــلة واحدة مذمومة، فأي الرجال المهذب، وكل ما لا تصـادفه من نفســك في حق الله، فلا تنتظره من أخيـك في حق نفســك، فليس حقـك عليـه بأكثر من حق الله عليك، و(الأمر الثاني) إنك تعلم أنـك لو طلبـت مُنَزّهًا عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة، ولن تجد من تصــاحبه أصـلاً، فما من أحد من الناس إلا وله محاسـن ومساوٍ، فإذا غلبت المحاسن على المساوي فهو الغاية والمنتهى، فالمؤمن الكريم أبدًا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام، وأمـا المنـافق اللئيم، فإنه أبدًا يلاحظ المســاوي والعيوب، قال ابن المبارك: المؤمن يطلـب المعـاذير والمنـافق يطلـب العثرات، وقـال الفضــيـل: الفتوة العفو عن زلات الإخوان، ولذلك قال عليه الصـلاة والسـلام: استـعيذوا بالله من جار السـوء الذي إن رأى خيراً ستره، وإن رأى شرّا أظهره، وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه، ويمكن

تقبيحه أيضًا، روي أن رجلاً أثنى على رجل عند رسول الله صلي الله عليه وسلم، فلما كان من الغد ذَمّه، فقال ﷺ: أنت بالأمس تثني عليه واليوم تذمه؟ فقال: والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم، أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه، وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه، فقال ﷺ: إن من البيان لسحراً[١].

وكأنه كره ذلك، فشبهه بالسحر، ولذلك قال في خبر آخر: البذاء والبيان شعبتان من النفاق، وفي حيث آخر: (إن الله يكره لكم البيان كل البيان)[٢]، ولذلك قال الشافعي - رحمه الله -: ما أجد من المسلمين مَن يطيع الله عز وجل فلا يعصيه، ولا أحد يعصي الله عز وجل فلا يطيعه، فمن كان طاعاته أغلب من معاصيه فهو عدل، وإذا جعل مثل هذا عدلاً في حق الله، فلئن تراه عدلاً في حق نفسك، ومقتضى أخوتك أولى، وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك، وذلك بترك إساءة الظن، فسوء الظن غيبة بالقلب، وهو منهي عنه أيضًا، وحَدّه أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن، فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة، فلا يمكنك أن لا تعلمه، وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفَرّسًا،وهو الذي يستند إلى علامة، فإن ذلك يحرك الظن تحريكًا ضروريّا لا يقدر على دفعه، وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه، حتى إذا صدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه أن تنزله على الوجه الأردأ من غير علامة تخصه بها، وذلك جناية عليه بالباطن، وذلك حرام في حق كل مؤمن، إذ قال صلي الله عليه وسلم: **إن الله حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه، وأن يظن به ظن السوء**ـــ (هو في مسلم بلفظ آخر) وقال صلي الله عليه وسلم: **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**ـــ، أي حديث النفس. وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس، وقال صلي الله عليه وسلم

---

(١) الحديث عند أحمد والبخاري وأبي داود والترمذي، وسببه أنه لما جاء وفد تميم كان فيهم الزبرقان وعمرو بن الأهتم، فخطبا ببلاغة وفصاحة، ثم قال الزبرقان: يا رسول الله، أنا سيد بني تميم، والمطاع فيهم، والمجاب لديهم، أمنعهم من الظلم، وآخذ بحقوقهم، وهذا يعلم ذاك، فقال عمرو: إنه شديد المعارضة، مانع لجانبه، مطاع في أذينه، فقال الزبرقان: والله لقد علم مني أكثر مما قال، وما منعه أن يتكلم إلا الحسد، فقال عمرو: أنا أحسدك؟ فوالله إنه للئيم الحال، حديث المال، ضعيف الطعن، أحمق الولد، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولاً، وما كذبت فيما قلت أخراً، ولكني رجل إن أُرضيت قلت أحسن ما علمت، وإن أغضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى، فقال ﷺ: **إن من البيان لسحرًا**ـــ.

(٢) هذا الحديث رواه ابن السني وهو ضعيف، والذي قبله رواه الترمذي وحسنه، والمراد بالبيان المذموم: بيان الخلابة الذي يُري الحق باطلاً والباطل حقًّا، فينخدع به الناس.

في تتمة الحديث الذي ذُكر آنفًا: ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك. رواه مالك وأحمد والشيخان والترمذي، والتجسس يكون في تطلع الأخبار، وتعرف الأسرار بالواسطة، والتحسس يكون بالمراقبة بالعين، واستراق السمع بالنفس لا بالواسطة، والتناجش هو أن تستام السلعة بأكثر من ثمنها ليراك الآخر فيقع فيها، فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين، وقد وُصف الله تعالى بالستر والتجاوز والمَرضيّ عنده التخلق بأخلاقه، فإذا كنت تحب أن يرضى فيتجاوز عنك فتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك، وما هو بكل حال عبدك ولا مملوكك.

وقد روي أن عيسى ♠، قال للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا، وقد كشفت الريح ثوبه عنه، قالوا: نستره ونغطيه، قال: بل تكشفون عورته، قالوا: سبحان الله! من يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع الكلمة في أخيه فيزيد عليها، ويشيعها بأعظم منها.

واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، كما ورد في الصحيحين وغيرهما، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه، فما أبعده عن الإنصاف إذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له، ولا يعزم عليه لأجله، وويل له بنص كتاب الله تعالى حيث قال:{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾} [المطففين: ١ - ٣]، وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه، فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية، ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن، وهو الحقد والحسد؛ فإن الحقود الحسود يملأ بطنه بالخبث، ولكن يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالاً، وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء، ويترشح الباطن بخبثه الدفين، ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى، قال بعض الحكماء: ظَاهِرُ العِتَابِ خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الحِقْدِ، ولا يزيد لُطف الحقود إلا وحشة منه، ومَنْ في قلبه سخيمةَ على أخيه فإيمانه ضعيف، وأمره مخطر، وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله تعالى) اهـ.

ومن حق الأخ على أخيه وصديقه في اللسان أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه إياه، وله أن ينكره وإن كان كاذبًا، فليس الصدق واجبًا في كل مقام، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب، فله أن يفعل ذلك في حق أخيه[1] فإن أخاه نازل منزلته، وهما شخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن، هذه حقيقة الأخوة، وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيًا وخارجًا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية، فإن معرفة أخيه لعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق، وقد قال ﷺ: **من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة**[2] وفي خبر آخر: **فكأنما أحيا موؤودة**. رواه أبو داود والنسائي وغيرهما، وقال ﷺ: **إذا حدّث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة**[3]. وقال: **المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس يسفك فيه دم حرام، ومجلس يستحل فيه فرج حرام، ومجلس يستحل فيه مال من غير حله**[4] وقال صلى الله عليه وسلم: **المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على الآخر ما يكره** (هو مرفوع ضعيف، مرسلاً جيد) وقيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟ قال: أنا قبره، وقد قيل: (صدورالأحرار قبور الأسرار)، وقيل: إن قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه، أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري، فمن ههنا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم، بل عن مشاهدتهم.

وقد قيل لآخر: كيف تحفظ السر؟ قال: أجحد المخبر وأحلف للمستخبر، وقال آخر: أستره، وأستر أني أستره، وعَبّر عنه ابن المعتز فقال:

ومستودعي سرًّا تبوأت كتمه ::: فأودعته صدري فكان له قبرًا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه:

وما السر في قلبي كثاوٍ بقبره ::: فإني أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكنني أنساه حتى كأنني ::: بما كان منه لم أُحط ساعة خُبرا
ولو جاز كتم السر بيني وبينه ::: عن السر والأحشاء لم أعلم السرا

---

(١) الكذب مفسدة من أضر المفاسد، والقاعدة الشرعية العقلية هي: (ارتكاب أخف الضررين عند تعارضهما) ومهما وجد إلى كتمان السر سبيلاً لا كذب فيه، وجب عليه سلوكه وحرم عليه الكذب.

(٢) الحديث في الصحيحين بلفظ (من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة) ورواه غيرهما بألفاظ أخرى.

(٣) أي التفاته بمنزلة استكتامه قولاً، والحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي، واختلف في تصحيحه.

(٤) رواه أبو داود وسكت عليه؛ فدل ذلك على حسنه عنده، وقال غيره: في سنده مجهول ومتكلم فيه.

وأفشى بعضهم سرًا له إلى أخيه ثم قال له: حفظت؟ فقال: بل نسيت، وكان أبو سعيد الثوري يقول: إذا أردت أن تواخي رجلاً فأغضبه، ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيرًا أو كتم سرك فاصحبه، وقيل لأبي يزيد: مَن أصحبُ من الناس؟ قال: مَن يعلم منك كما يعلم الله، ثم يستر عليك كما يستر الله. وقال ذو النون: لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصومًا، ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها، وقال بعض الحكماء: لا تصحب مَن يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه، بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتًا على اختلاف هذه الأحوال، ولذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرم وصله ::: يُخفي القبيح ويُظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله ::: يُخفي الجميل ويُظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله: إني أرى هذا الرجل (يعني عمر) يقدمك على الأشياخ، فاحفظ عني خمسًا: لا تفشين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا يجربن عليك كذبًا، ولا تعصين له أمرًا، ولا يطلعن منك على خيانة، فقال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف.

ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك، قال ابن عباس: لا تُمارِ سفيهًا فيؤذيك، ولا حليمًا فيقليك، وقال صلي الله عليه وسلم: **من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتًا في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتًا في أعلى الجنة**ـــ (حسنه الترمذي) هذا مع أن تركه مبطلاً واجب، وقد جعل ثواب النفل أعظم؛ لأن السكوت على الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل، وإنما الأجر على قدر النصب، وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمناقشة؛ فإنها عين التدابر والتقاطع، فإن التناطع يقع أولاً بالآراء، ثم بالأقوال، ثم بالأبدان، وقد قال صلي الله عليه وسلم: **لا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يحرمه، ولا يخذله، بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**ـــ [1]. وأشد الاحتقار المماراة، فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبه إلى الجهل والحمق، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه، وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش، وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال: خرج علينا رسول

(١) تقدم بعض هذا الحديث في نبذة الجزء الماضي بلفظ آخر، وكل رواياته في الصحاح.

الله صلي الله عليه وسلم ونحن نتمارى، فغضب وقال: **ذروا المراء لقلة خيره، وذروا المراء فإن نفعه قليل، وإنه يهيج العداوة بين الإخوان** [١].

وقال بعض السلف: مَن لاحى (خاصم) الإخوان وماراهم، قلَّت مروءته وذهبت كرامته. وقال عبد الله بن الحسن: إياك ومماراة الرجال، فإنك لن تعدم مكر حليم، أو مفاجأة لئيم، وقال بعض السلف: أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم، وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة، وقد قال الحسن: لا تَشْتَرِ عداوة رجل بمودة ألف رجل.

وعلى الجملة: فلا باعث على المماراة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله، وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار، والإيذاء والشتم بالحمق والجهل [٢] ولا معنى للمعاداة إلا هذا، فكيف تضامّه الأخوة والمصافاة، فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لا تمارِ أخاك ولا تمازحه، ولا تعده موعدًا فتخلفه** (رواه الترمذي بسند ضعيف) وقال ﷺ: **إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بَسطُ وَجهٍ وحُسْنُ خُلُقٍ** (حسنه أبو يعلى، وصححه الحاكم، وضعفه ابن عدي) وقد انتهى السلف في الحذر من المماراة، والحض على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أيضًا، وقالوا: إذا قلت لأخيك: قم، فقال: إلى أين؟ فلا تصحبه، وقالوا: بل ينبغي أن يقوم ولا يسأل، وقال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب، فأقول: أعطني من مالك، فكان يلقي إليّ كيسه فآخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم، فقلت: أحتاج إلى شيء، فقال: كم تريد؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي، وقال آخر: إذا طلبت من أخيك مالاً، فقال: ماذا تصنع به؟ فقد ترك حق الإخاء، واعلم أن قِوام الأخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة، قال أبو عثمان الحيري:

---

(١) رواه الطبراني والديلمي وإسناده ضعيف.

(٢) وهذا هو الفرق بين المماراة وبين المذاكرة بالحسنى ومراجعة القول لإظهار الحقيقة والاعتقاد بالإنصاف، وكل هذا من الفضائل التي لا يعرف قيمتها ويقدرها قدرها إلا الفضلاء، وقد قلت في أحد أخوافي أوحدهم من قصيدة طويلة:

يرنو بعين الانتقاد إن رأى ::: صفا وإلا فبعيني الرضى
متى رأى فضلاً أذاع وروى ::: وإن رأى ميلاً أجنّ وطوى
إن الذي يرضيه كل خلق ::: منك خليق أن يعد في العدا
والخل من ينتقد الخلال كي ::: يثني على الحسنى وينكر الفغا
بل هو مرآة يريك نورها ::: منكسًا عنك الذي لست ترى

موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم، وهو كما قال. اهـ بتصرف

وقد قالت العرب:

أخوك من صدقك لا من صدّقك.

من اتخذ إخواناً كانوا له أعواناً.

عمرو بن العاص رضي الله عنه: من كثر إخوانه كثر غرماؤه.

المغيرة: التارك للإخوان متروك.

أسماء بن خارجه: إذا قدم الإخاء سمج الثناء.

مسلم بن قتيبة: إن في لقاء الإخوان غنماً وإن قلّ.

ابن المقفع: إكرامك صديق صديقك أوقع لديه من إكرامك إياه.

العتبي: لقاء الإخوان نزهة القلوب.

خالد بن صفوان: إنما نفقت على الإخوان، لأني لم أستعمل معهم النفاق، ولا قصرت بهم عن الارتقاق.

الكندي: الصديق إنسان هو أنت إلا أنه غيرك.

عمرو بن مسعدة: العبودية عبودية الاخاء، لا عبودية الرق.

إسماعيل بن صبيح: الود أعطف من الرحم.

سعيد بن العاص: إن الكريم ليرعى من المعرفة ما يرعى الواصل من القرابة.

شبيب بن شعيب: عليك بالإخوان فإنهم في الرخاء زينة وفي البلاء عدة.

إبراهيم بن العباس: مثل الإخوان كالنار قليلها متاع، وكثيرها بوار.

سليمان بن وهب النفس بالصديق أنس منها بالعشيق، وغزل المودة أرق من غزل الصبابة.

الحسن بن وهب: من حقوق المودة أخذ عفو الإخوان، والإغضاء عن التقصير إن كان، وذكر محمد بن عبد الملك الزيات رجلاً فقال: ويحسبك أنه خلق كما يشتهي إخوانه.

غيره: المودة قرابة مستفادة. خير الأشياء جديدها، وخير الإخوان قديمهم، ما تواصل اثنان فطال تواصلهما إلا لفضائلهما أو لفضل أحدهما.

أسرع الأشياء انقطاعاً مودة الأسرار.

المحروم من حرم صالح الإخوان.

لقاء الإخوان مسلاة للهموم.

لقاء الخليل شفاء الغليل. قلة الزيادة أمان من الملالة.

عــليــك بإقلال الزيــادة إنهــا ::: إذا كثرت كانت الى الهجر مســلكاً
فــإني رأيــت القطر يســأم دائما ::: ويســأل بالأيدي إذا هو أمســكا

آخر:

إن اخاك الصــديق من لم يخدعك ::: وإن رأك طــالبــاً ســعى معــك
ومن إذا ريــب الزمان صــدّعك ::: شــتــت فيــك شملــه ليجمعك

ابن المعتز: إنما سمي الصديق صديقاً لصدقه لك؛والعدو عدواً لعدوانه عليك، لو ظفر بك. إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضاً. علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب، ولا يبتدئ بالكتاب. لا يفسدنك الظن على صديقٍ قد أصلحك اليقين له. إذا كثرت ذنوب الصديق تمحق السرور به، وتسلطت التهم عليه. من لم يقدم الامتحان قبل الثقة، والثقة قبل الأنس، أثمرت مودته ندماً. غيره: إذا قدمت الحرمة تشبهت بالقرابة. خير الإخوان من نسي ذنبك فلم يقرعك به، ومعروفه عندك فلم يمنّ به عليك.

ومن المواقف:

محاسن كرم الصحبة:

قال ابن طاهر: حدثوني عن عبد الله بن مالك قال: كنت أتولى الشرطة للمهدي وكان يبعث إليّ في ندماء الهادي ومغنّيه أني أضربهم وأحبسهم صيانة له عنهم، فبعث الهادي يسألني الرفق بهم والترفيه عنهم، فلا ألتفتُ إلى ذلك وأمضي إلى ما يأمر به المهدي، فلما ولي الهادي الخلا فة أيقنت بالتلف فبعث إليّ يوماً فدخلت عليه متكفّناً متحنّطاً، فإذا هو على كرسي والنطع والسيف بين يديه، فسلّمت فقال: لا سلم الله عليك! تذكر يوم بعثت إليك في أمر الحرّاني لما أمر أمير المؤمنين، رضي الله عنه، بضربه فلم تجبني في فلان وفي فلان، وجعل يعدّ ندماءه، ولم يلتفت إلى قولي؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في استيفاء الحجة؟ قال: نعم، قلت: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أيسرك أن ولّيتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر فبعث إليّ بعض بنيك بأمر يخالف أمرك فاتبعت أمره وعصيت أمرك؟ قال: لا، قلت: فكذلك أنا لك وكذا لأبيك وأخيك. فاستدناني فقبّلت يده وأمر بخُلع فصبّت

عليّ وقال: قد وليتك ما كنت تتولاه فامض راشداً. فخرجت من عنده وصرت إلى منزلي مفكراً في أمره وأمري وقلت حدثٌ والقوم الذين عصيته في أمرهم ندماؤه ووزراؤه وكتّابه فكأني بهم حين يغلب عليه الشراب وقد أزالوه عن رأيه فيّ وحملوه في أمري ما كنت أتخوّفه، قال: فإني لجالس وبين يديّ بنيّة لي والكانون بين يدي ورقاق أشطره بكامخ وأسخنه وأطعمه الصبية حتى توهّمت أن الدنيا قد اقتلعت بي وزلزلت لوقع حوافر الدواب وكثرة الضوضاء فقلت: هاه كان والله ما ظننت! فإذا الباب قد فتح وإذا الخدم قد دخلوا وإذا أمير المؤمنين الهادي على حمار في وسطهم، فلما رأيتهم وثبت عن مجلسي مبادراً وقبّلت يده ورجله وحافر حماره، فقال: يا أبا عبد الله إني فكرت في أمرك فقلت يسبق إلى قلبك أني إذا شربت وجاءني أعداؤك أزالوا ما حسن من رأيي فيك فأقلقك وأوحشك فصرت إلى منزلك لأؤنسك وأعلمك أن السخيمة قد زالت عن قلبي فهات اطعمني ما كنت تأكل وافعل فيه ما كنت تفعل لتعلم أني قد تحرمت بطعامك وأنست بمنزلك فيزول خوفك ووحشتك. فأدنيت إليه ذلك الرقاق والسّكُرّجة التي فيها الكامخ فأكل منها ثم قال: هاتوا الزلة التي زللتها لأبي عبد الله من مجلسي، فأدخل إليّ أربعمائة بغل موقرة دراهم، فقال: هذه زلّتك فاستعن بها على أمرك واحفظ هذه البغال عندك فلعلي أحتاج إليها لبعض أسفاري، وانصرف راجعاً. فأخبرني موسى بن عبد الله أن أباه أعطاه بستانه الذي كان وسط داره فبنى حوله معالف لتلك البغال وكان هو يتولى القيام عليها مدّة حياة الهادي.

أغثني أغاثك الله!:

وحدّث من حضر مجلس المأمون وقد أمر بإحضار العباس صاحب الشرطة ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد، فلما حضر قال: يا عباس خذ هذا إليك واستوثق منه ولا يفوتنك وبكّر به واحذر كل الحذر. قال العباس: فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يُحَبّ أن يكون معي إلا في بيتي، ثم سألته عن قصته وحاله من أين هو، فقال: من دمشق، فقال: جزى الله دمشق وأهلها خيراً، فمن أنت من أهلها؟ قال: لا تزيد أن تسألني، فقلت له: أتعرف فلاناً؟ فقال: ومن أين عرفت ذلك الرجل؟ فقلت: كانت لي قصة معه، فقال: ما أنا بمعرّفك خبره أو تعرّفني قصتك، فقلت: ويحك! كنت مع بعض الولاة بها فخرج علينا أهلها حتى أراد الوالي أن يُدلي في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وجميع أصحابه وهربت فيمن هرب، فإني لفي بعض الطريق إذا جماعة يعدون خلفي، فما زلت أحاضرهم حتى

مررت على هـذا الرجـل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت: أغثني أغاثك الله! فقـال: لا بـأس عليك ادخل الدار، فدخلت، فقالت لي امرأته: ادخل الحجلة، فدخلتها، وأتت الرجـال خلفي فما شـعرت إلا بـه وهم معـه يقولون: هو والله عندك! فقال: دونكم الدار، ففتشـوها حتى لم يبق إلا البيت الذي كنت فيه، فقالوا: هاهنا، فصـاحت المرأة وانتهرتهم، فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم في الحجلة خائفاً، فقالت المرأة: اجلس لا بأس عليك، فجلست، فلم ألبث أن دخل الرجل وقال: لا تخف فقد صرت إلى الأمن والدعة إن شـاء الله تعالى، فقلت له: جزاك الله عني خيراً! ثم ما زال يعاشرني أحسن المعاشرة وأجملها ولا يفتر من القصـف والأكل والشرب والفرح أربعة أشـهر إلى أن سـكنت الفتنة وهـدأت، فقلت له: أتأذن لي في الخروج لأتعرف خبر غلماني ومنزلي فلعلي أن أقف لهم على أثر أو خبر، فـأخـذ عليّ المواثيق بـالرجوع إليـه، فخرجـت وطلبـت غلماني فلم أر لهم أثراً فرجعـت إليـه وأعلمته الخبر وهو مع هذا لا يعرفني ولا يعرف اسـمي ولا مخاطبتي بغير الكنية، ثم قال لي: ما تعزم؟ فقلت: قد عزمت على الشخوص إلى بغداد فإن قافلة تخرج بعد ثلاثة أيام وقد تفضـلت عليّ هذه المدة فأسـألك أن تعطيني ما أنفقه في طريقي وما ألبسـه، فقال: بصنع الله عز وجل، ثم قال لغلام له أسود: انعل الفرس الفلاني، وتقدم إلى من في منزله بإعداد السـفر، فقلت في نفسي: ما أشـك إلا أنه يخرج إلى ضـيعة له أو ناحية من النواحي، فوقعوا يومهم ذلك في تعبٍ وكدّ، فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السـحَر وقال: يا أبا فلان قم فإن القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها، فقلت في نفسي: ما أعطاني شيئاً مما سـألته، ثم قمت فإذا هو وامرأته يحملان إليّ خفاتين مقطوعة جداً ورانات وآلة السـفر ثم جاءني بسـيف ومنطقة فشـدهما في وسـطي ثم قدّم البغل فحمل عليه الصـناديق وفوقها مفرشـان ودفع إليّ نسـخةً بما في الصـناديق وفيها خمسـة آلاف درهم وقدّم إلي الفرس الذي كان أنعله بسرجه ولجامه وقال لي: اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس دوابك، وأقبل هو وامرأته يعتذران من تقصـيرهما في أمري، وركب معي فشيعني، وانصرفت إلى بغداد وأنا على مكافأته ومجازاته فعاقنا عن ذلك ما نحن فيه من الشـغل بالأسـفار واتصـالها والتنقل من مكان إلى مكان. فلما سـمع الرجل الحديث قال: قد أتاك الله عز وجل بمن تريد مكافأته بلا مؤونة عليك، فقلت: وكيف ذلك؟ قال: أنا والله ذلك الرجل! ثم قال لي: ما أثبتك! فتعرّف إليّ وأقبل يذكرني بأشـياء يتعرف بها إليّ حتى أثبته وعرفته فما تمالكت أن قمت إليه فقبّلت رأسـه وقلت له: ما الذي أصارك إلى هذا؟ فقال: هاجت فتنة بدمشق مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت إليّ وبعث أمير المؤمنين

بجيوش فأصـــلحوا البلد وحُملت إليـه وأمري عنـده غليظ جداً وهو قاتلي لا محالة، وقد خرجت من عند أهلي بلا وصـية وقد تبعني من عبيدي من ينصرـف إلى منزلي بخبري وهو نازل عند فلان، فإن رأيت أن تنعم وتبعث إليه حتى يحضرـ فأتقدّم إليه بما أريد، فإذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة لي. قال فقال العباس: بصنع الله، ثم قال: علي بحدّادين، فأتوا بهم، فحلّ قيوده وما كان عليه من أنواع الأنكال، ودعا بالحجام فأحضرـ وأخذ من شـــعره ثم قال: عليّ بمولاه، فأنفذ في طلبه من يحضرـــه. قال الرجل: فلما أن أخذ شـــعري أدخلني الحمام فطرح عليّ من ثيابه ما اكتفيت به ثم حضرـ مولاي وقعد يبكي، فقال العباس: عليّ بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني، حتى عد عشرـاً، ثم قال: عليّ من الصناديق والكسوة بكذا ومن صناديق الطعام بكذا، ثم أمر لي ببدرةٍ فيها عشرة آلاف درهم وكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لصاحب شرطته: خذه واعبر به إلى جسر الأنبار، فقلت له: إن أمري غليظ وإن أنت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأُردّ وأُقتل، فقال: انج بنفســك ودعني أدبر أمري، فقلت: والله لا أبرح من بغداد أو أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتجت إلى حضوري حضرت، فقال لصاحب الشرطة: إن كان الأمر على هذا فليكن في موضع كذا وكذا فإن سلمت في غداة غد فسبيل المحبة وإن قتلت كنت قد وقيته بنفسي- كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن تذهب من ماله شيئاً قيمته درهم وتخلّصه حتى تخرجه من بغداد.دخلني الحمام فطرح عليّ من ثيابه ما اكتفيت به ثم حضر مولاي وقعد يبكي، فقال العباس: عليّ بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني، حتى عد عشراً، ثم قال: عليّ من الصناديق والكسوة بكذا ومن صناديق الطعام بكذا، ثم أمر لي ببدرةٍ فيها عشرة آلاف درهم وكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لصاحب شرطته: خذه واعبر به إلى جسر الأنبار، فقلت له: إن أمري غليظ وإن أنت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأُردّ و أُقتل، فقال: انج بنفســك ودعني أدبر أمري، فقلت: والله لا أبرح من بغداد أو أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتجت إلى حضوري حضرت، فقال لصاحب الشرطة: إن كان الأمر على هذا فليكن في موضع كذا وكذا فإن سلمت في غداة غد فسبيل المحبة وإن قتلت كنت قد وقيته بنفسي- كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن تذهب من ماله شيئاً قيمته درهم وتخلّصه حتى تخرجه من بغداد.

قال الرجل: فأخذني صاحب الشرطة فصيرني في مكان يثق به وتفرّغ العباس لنفسه واغتسل وتحنّط وتكفن. قال العباس: فلم أفرغ من ذلك حتى وافتني رسل المأمون في السحر وقالوا: أمير المؤمنين يقول هات الرجل، فسكتّ وأتيت الدار وإذا أمير المؤمنين جالس عليه ثيابه أمام فراشه، فقال: الرجل! فسكتّ، فقال: ويحك الرجل! فقلت: يا أمير المؤمنين اسمع مني، فقال: أعطي الله عهداً لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك! فقلت: لا والله ما هرب، فاسمع مني حديثي وحديثه ثم أنت أعلم بما تفعله في أمرنا، قال: قل، فقلت: يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا، وقصصت عليه القصة وعرّفته أني كنت أريد مكافأته فشغلت عن ذلك حتى إذا كان البارحة عرفته وعبرت به جسر الأنبار وقلت: أنا من سيدي أمير المؤمنين بين أمرين، إما تصفح عني وإما قتلني وأكون قد كافيته ووقيته بنفسي كما وقاني بنفسه. فلما سمع المأمون الحديث قال: ويحك! لا جزاك الله خيراً عن نفسك وعنا وعن هذا الفتى الحرّ، إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافيه بعد المعرفة بهذا! لم لا عرّفتني خبره فكنت أكافيه عنك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنه والله هاهنا قد حلف أنه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فإن احتيج إلى حضوره حضر، قال: وهذه والله منه أعظم من الأولى، فاذهب إليه الآن وطيّب نفسه وسكن روعه وتعبر به إليّ حتى أتولى مكافأته عنك. فصرت إليه وقلت: ليسكن روعك إن أمير المؤمنين قال كيت وكيت، فقال: الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء غيره، ثم تهيأ للصلاة فصلى ركعتين ثم جئنا فلما مثل بين يدي المأمون أدناه حتى أجلسه إلى جانبه وآنسه وحدّثه حتى حضر الغداء، ثم قال: الطعام، فأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفاه، ثم قال المأمون: علي بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بجميع آلتها وبعشر بدر وبعشر تخوت وعشرة مماليك بذواتهم وجميع آلتهم، فدُفع ذلك إليه، وكتب إلى عامله بالوصاية عليه وأوغر خراجه وكتب إلى صاحب البريد أن تنفذ كتبه وصرفه إلى بلده. قال العباس: فكان إذا ورد له كتاب في خريطة يقول لي المأمون: يا عباس هذا كتاب صديقك.

فكيف لا أصبر على أذى الشمس ساعة؟:

وحدّث رجل عن جعفر العطار قال: بينما يحيى بن أكثم يماشي المأمون في بستان موسى والشمس عن يمينه والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدثان إذ رأى المأمون أن يرجع في الطريق الذي جاء منه، فلما انتهى إلى الموضع الذي قصده قال يحيى: إنك جئت وعن يسارك الشمس وقد أخذت منك فكن أنت الآن في منصرفك حيث كنت وأكون أنا حيث كنت أنت، فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أقيك بنفسي من هول المطلع لفعلت فكيف لا أصبر على أذى الشمس ساعة؟ فقال: والله لا بدّ من أن آخذ منها كما أخذت منك وتأخذ من الظل كما أخذت منه! فصار المأمون في موضعه وصار يحيى في موضع المأمون وتماشيا وأخذ بيده فوضعها على عاتقه حتى صار إلى المجلس.

وما أعلم لها سبباً إلا تلك الكلمة:

وحدّث رجل من آل اسوار بن ميمون عن عمه عبد الله بن أسوار قال: دخلت على يحيى بن خالد البرمكي يوماً فقال: اجلس، وكنت أحد كتّابه فقلت: ليست معي دواة، فقال: ويحك! في الأرض صاحب صناعة تفارقه آلته؟ وأغلظ لي في حرف علمت أنه أراد به خطّي وأراني بعض التثاقل في الكتاب ظهر لي به أنه أراد خطي على الأدب لا غير، ثم دعا بدواة فـكتبت بين يديه كتاباً منه إلى الفضل ابنه، ورأى مني بعض الضجر في ما كتبت فتوهّم أن ذلك من أجل الكلمة التي كلمني بها، فأراد أن يمحو عن قلبي ما توهّمه عليّ فقال: عليك دين؟ قلت: نعم، قال: من دينك؟ قلت: ثلاثمائة ألف درهم، فوقع بخطه إلى الفضل في الكتاب:

وكلّكم قد نال شبعاً لبطنه ::: وشبع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه

ثم قال: إن عبد الله ذكر أن عليه ديناً يخرجه منه ثلاثمائة ألف درهم فإذا نظرت في كتابي هذا وقبل أن تضعه من يدك فأقسمت عليك لمّا حملت ذلك إلى منزله من أخصّ مال قِبلك. قال: فحملها الفضل إليّ وما أعلم لها سبباً إلا تلك الكلمة.

فما حالي من بين ولدك؟:

وحدّث إبراهيم بن ميمون قال: حدثني جبريل بن بختيشوع قال: اشتريت ضيعة فنقدت بعض الثمن وتعذر عليّ بعضه فدخلت على يحيى وعنده ولده وأنا أفكّر فقال لي: ما لي أراك مفكراً؟ فقلت: أنا في خدمتك وقد اشتريت ضيعة بسبعمئة ألف درهم ونقدت بعض الثمن وتعذر عليّ بعضه.

فدعا بالدواة وكتب: يعطى جبريل سبع مائة ألف درهم. ثم دفع الكتاب إلى ولده فوقّع فيه كل واحد منهم بثلاثمائة ألف درهم، فقلت: جعلت فداك! قد أدّيت عامة الثمن وإنما بقي عليّ أقلّه، فقال: اصرف ذلك في بعض ما ينوبك. ثم صرت إلى الرشيد فقال: ما أبطأ بك؟ قلت: يا أمير المؤمنين كنت عند أبيك وإخوتك ففعلوا بي كذا وكذا، قال: فما حالي أنا؟ ثم دعا بدابته فركب إلى يحيى فقال له: يا أبت خبّرني جبريل بما كان فما حالي من بين ولدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين مُر له بما شئت يحمل إليه، فأمر بحمل مال إلى جبريل.

وكان إبراهيم بن جبريل على شرطة الفضل فوجّهه إلى كابل فافتتحها وغنم غنائم كثيرة ثم ولاه سجستان، فلما انصرف منها كان عنده من مال الخراج أربعة آلاف ألف درهم، فلما قدم بغداد وبنى داره في البغويين استزار الفضل بن يحيى ليريه نعمته عليه وأعد الهدايا والطُّرف وآنية الذهب والفضة والوصفاء والوصائف والدواب والقباب والثياب وما تهيأ لمثله ووضع الأربعة الآلاف الألف الدرهم في ناحية من الدار، فلما تغدّى الفضل قدّم إليه تلك الهدايا، فأبى أن يقبل منها شيئاً وقال: لم آتك لأسلبك! فقال: أيها الأمير إنها نعمتك علي! قال: ولك عندنا مزيد. قال: فلم يزل يطلب إليه فأخذ من جميع ذلك سوطاً سجزياً، فقال: هذا من آلة الفرسان، فقال إبراهيم: أيها الأمير فهذا المال من مال الخراج تأمر بقبضه؟ قال: هو لك، فأعاد عليه القول مراراً، فقال: ما لك بيتٌ يسعه، فوهب له المال بعد أن كان قد صار إليه ألف ألف درهم.

ما أحسن ما فعلت!:

قال: ودخل قوم من حاشية المنصور وخدمه عليه فرأى منهم رجلاً عليه سوادٌ خلقٌ فقال له: يا فلان ما لي أرى سوادك منقطعاً، أما تقبض رزقك؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين ولكن أبي توفي وترك ديناً فبعت تركته في قضاء دينه وصرفت أكثر رزقي إلى حرمته وولده من بعده، فقال: أعد عليّ ما قلت، فأعاده، فقال: ما أحسن ما فعلت! اغد عليّ في غد، فغدا عليه فوجد الربيع جالساً على الكرسي، فقال: قد سأل عنك أمير المؤمنين فادخل، فدخل فوجده قائماً يصلي، فقضى صلاته وقال: ألم آمرك أن تغدو؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما قصرت في الغدوّ عند نفسي قال: خذ ما تحت تلك المُضَرّبة، وإذا السراج يزهر وسرير صغير في ناحية المجلس ينام عليه، فرفعت المضربة فإذا دنانير، فجعلت أحثوها في كمي ثم دعوت له هو وخرجت، فبصر بصفرة دينار في ضوء السراج، فدعا لي فقال لي: انظر ما على السرير، فإذا دينار فأخذته، فقال: ادن مني، فدنوت منه فعرك أذني تعريكاً شديداً فقال: تترك ديناراً وفيه نفقة يومك؟ قال: فأخذت الدينار، ووزنت الدنانير وإذا هي ألف دينار

عددها تسعمائة وتسعة وتسعون ديناراً في عافية وأخذت واحداً بعرك الأذن.

قيل: وقال علقمة بن لبيد لابنه: يا بني إن نازعتك نفسك يوماً إلى صحبة الرجال لحاجتك إليهم فاصحب من إن صحبته زانك، وإن تخففت له صانك، وإذا نزلت بك نازلة مانك، وإن قلت صدّق قولك، وإن صلت به شدد صولك. اصحب من إذا مددت يدك لفضلٍ مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن بدت منك ثلمة سدها. اصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق.

وقال بعض الحكماء: إذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه بالحجارة فإنه تاركك كما ترك صاحبه.

وقال آخر: اصحب من خوّلك نفسه وملّكك خدمته وتخيّرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه، وكان يقال من قبل: صلتك، فقد باعك مروءته وأذلّ لقدرك عزّه.

وقال بعضهم: أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل.

وقال بعضهم: أنا أطوع لك من الرداء وأذل من الحذاء.

قيل: وقال ابن أبي دؤاد لرجل انقطع إلى محمد بن عبد الملك الزيات: ما خبرك مع صاحبك؟ قال: لا يقصر في الإحسان إليّ، قال: يا هذا إن لسان حالك يكذّب لسان مقالك.

تشهوا ما أحببتم:

وقال أبو سعد كان الشافعي من أجود الناس وأسخاهم كفا كان يشتري الجارية الصناع التي تطبخ وتعمل الحلواء ويقول لنا تشهوا ما أحببتم فقد اشتريت جارية تحسن أن تعمل ما تريدون فيقول بعض أصحابنا اعملي اليوم كذا وكذا وكنا نحن نأمرها.

وقال الربيع كان الشافعي إذا سأله إنسان شيئا يحمر وجهه حياء من السائل ويبادر بإعطائه رحمه الله ورضي عنه.

إنك ضيق الخلق:

عن مجاهد بن جبر قال كنت أصحب ابن عمر ☻ في السفر فإن أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي وإذا ركبت سوى ثيابي قال مجاهد فجاءني مرة فكأني كرهت ذلك فقال: يا مجاهد إنك ضيق الخلق [١].

---

(١) حلية الأولياء، ٣ / ٢٨٤.

فباع حماره واشترى شهوتي:

عن سهل بن إبراهيم قال: صحبت إبراهيم بن أدهم في سفر، فأنفق عليّ نفقته، ثم مرضت، فاشتهيت شهوة، فباع حماره واشترى شهوتي، فقلت: فعلى أيّ شيء نركب قال على عنقي، قال: فحمله ثلاثة منازل(١).

قد أبررت يمينك:

قال أحمد بن أبي الحواريّ: سمعت أبا الوليد يقول: ربّما جلس إبراهيم ابن أدهم من أول الليل إلى آخره يكسّر الصنوبر فيطعمنا.

وغزوت معه ولي فرسان وهو على رجليه، فأردته أن يركب فأبى، فحلفت، فركب حتى جلس على السّرج، فقال: قد أبررت يمينك، ثم نزل(٢).

أعز الأشياء في آخر الزمان:

قال إبراهيم بن أدهم: أعز الاشياء في آخر الزمان ثلاثة.: أخ في الله يؤنس به، وكسب درهم من حلال، وكلمة حق عند سلطان (٣).

فلم تنفتل إليه!:

قال سفيان بن عيينة: زار قيس بن مسلم محمد بن جحادة ذات ليلة، فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء ومحمد قائم يصلي، فقام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصلي، فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر، وكان قيس بن مسلم إمام مسجده، فرجع إلى الحي فأمهم ولم يلتقيا ولم يعلم محمد بمكانه؛ فقال له أهل المسجد: زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفتل إليه! قال: ما علمت بمكانه، فغدا عليه فلما رآه قيس بن مسلم مقبلاً قام إليه فاعتنقه ثم خلوا جميعاً فجعلا يبكيان(٤).

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٥/١٠.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٦/١٠.

(٣) يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي " ٦٥٤ - ٧٤٢ "، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ٢ / ٣٥.

(٤) كان محمد بن جحادة من العابدين وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أيسره، فرأت امرأة من جيرانه كأن عليه " لعل هذه اللفظة زائدة " حللاً فرقت على أهل مسجدهم فلما انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعى بسفط مختوم فأخرج حلة خضراء قالت: لم يقم لها بصري؛ قالت: فكساه إياها وقال: هذه لك بطول السهر، قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأتخايلها عليه تعني الحلة. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١٢٨/٣.

أحمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك:

ـ وفي السير: أن ابن المبارك.. كان كثيراً ما يسافر إلى الرقة.. وينزل في خان فيها..

فكان شاب يأتي إليه.. ويقوم بحوائجه.. ويسمع منه الحديث..

فقدم عبد الله الرقة مرة.. فلم ير ذلك الشاب..

فسأل عنه.. فقالوا: إنه محبوس.. لدين ركبه..

فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم..

فلم يزل عبد الله يستقصي.. حتى دُلَّ على صاحب المال.. فدعا به ليلاً وأعطاه عشرة آلاف درهم.. وحلفه ألاَّ يخبر أحداً..ما دام عبد الله حياً.. وقال له: إذا أصبحت.. فاخرج الرجل منفلما خرج الفتى من الحبس.. قيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا.. وكان يسأل عنك.. فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة.. فلما قابله.. قال له عبد الله: يا فتى.. أين كنت؟ لم أرك في الخان! قال: كنت محبوساً بدين..

قال: فكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل فقضى ديني.. ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس..

فقال له عبد الله: أحمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك.. ثم فارقه ومضى [(١)]..

إلا رأيت أنه خيرٌ منك:

ـــ وروى الخطابي أن الإمام الفذ عبد الله بن المبارك قدم خراسان فقصد رجلاً مشهوراً بالزهد والورع فلما دخل عليه لم يلتفت إليه الرجل ولم يأبه به ولم يهتم به، فخرج من عنده عبد الله بن المبارك فقال له بعض من عنده: أتدري من هذا؟ قال " لا، قالوا: هذا أمير المؤمنين في الحديث... هذا عبد الله بن المبارك فبهت الرجل وخرج إلي ابن المبارك مسرعاً يعتذر إليه ويتنصل مما حدث وقال يا أبا عبد الرحمن: أعذرني وعظني، قال إ بن المبارك: نعم إذا خرجت من منزلك فلا يقعن بصرك علي أحد إلا رأيت أنه خيرٌ منك ".

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١٤٢/٤.

ما جاء بك؟:

كان الفضيل جالسا وحده في المسجد فجاء إليه أخ له فقال ما جاء بك؟ قال المؤانسة قال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك [١].

والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا!:

وورد في بعض المجاميع أن سفيان خرج يوماً إلى من جاءه يسمع منه وهو ضجر، فقال: أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدري، وجالست عمرو بن دينار وجالس هو ابن عمر ☻، وجالست الزهري وجالس هو أنس بن مالك، حتى عد جماعة، ثم أنا أجالسكم فقال له حدث في المجلس: أتنصف يا أبا محمد قال: إن شاء الله تعالى، فقال: والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا؛ فأطرق وأنشد قول أبي نواس:

خل جنبيك لرام ::: وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير ::: لك من داء الكلام
إنما السالم من أل ::: جم فاه بلجام

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاحة الحدث، وكان ذلك الحدث يحيى بن أكثم التميمي، فقال سفيان: هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء، يعني السلطان[٢].

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:

وقال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال: أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه.

وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد بن عبد الله القسري، فلما عزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهرب أبو عمران المذكور منه إلى مكة فنزلها، وهو من أهل الكوفة.

---

(١) ابن هبة الله، شرح نهج البلاغة،، ٢٧٩٥/١.

(٢) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٣٩٢/٢.

وقال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألونني عن عمر بن دينار، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة، فذاكرته فقال لي: يا بني، ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث، يضطر في حفظ تلك الأحاديث[١].

إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا:

قال عبد الله بن داود: كتب رجل كتاباً على لسان أبي حنيفة إلى والي جرجان فوصله بأربعة آلاف درهم، فقيل لأبي حنيفة فقال: إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا. كان أبو حنيفة يقول: ما صليت صلاة إلا وأنا أستغفر الله من تركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان أبو حنيفة يقول: ابن أبي ليلى استحل مني ما لا أستحل من سنور.

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا:

خرج أصحاب الحديث إلى سفيان بن عيينة فازدحموا فقال لقد هممت ألا أحدثكم شهراً فقام إليه شاب من أهل العراق فقال له يا أبا محمد ألن جانبك وحسن قولك وتأس بصالحي سلفك وأجمل مجالسة جلسائك فقد أصبحت بقية الناس وأميناً لله ورسوله على العلم والله إن الرجل ليريد الحج فتتعاظمه مشقته حتى يكاد أن يقيم فيكون لقاؤه إياك وطعمه فيك أكثر ما يحركه عليه قال فخضع سفيان وتواضع ورق وبكى ثم تمثل بقول حارثة

خَلَتِ الديارُ فسُدت غير مُسوّد ::: ومن الشقاء تَفَرُّدِي بالسُّودَدِ

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا [٢].

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٣٩٣/٢.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ٤١٨/٨.

المعرفة تنفع عند الكلب العقور:

قال سفيان بن عيينة: عرض المغيرة بن شعبة بالكوفة فوجدهم أربعة آلاف، فمر به شاب من الجند فقال: يا غلام زد هذا في عطائه كذا وكذا، قال: فقام شاب كان إلى جانبه فقال: أصلحك الله هذا ابن عمي لحا ليس له علي فضيلة في نسبٍ ولا نجدةٍ فألحقني به، قال: لا، قال فمر من يحط من عطائي ليظن من حضر أن بك علي موجدة، قال: لا، إن أبا هذا كانت بيني وبينه مودة وكان صديقاً لي وإن المعرفة تنفع عند الجمل الصؤول والكلب العقور فكيف بالرجل ذي المروءة والحسب؟ (1).

يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك:

بكى سفيان بن عيينة يوماً، فقال له يحيى بن أكثم: ما يبكيك يا أبا محمد؟ قال: بعد مجالستي أصحاب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بليت بمجالستكم. فقال له يحيى، وكان حدثاً، فمصيبة أصحاب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بمجالستك بعد أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم أعظم من مصيبتك. فقال: يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك (2).

أنا لكم مثل جبل أبي قبيس:

كان يجتمع في مجلس سفيان بن عيينة مائة ألف نفس، وكان يقول: أنا لكم مثل جبل أبي قبيس، أصعدوا علي وأطلعوا على التابعين(3).

أما والله لو كنت غنياً لجالسني:

ذكر أبو حازم عند الزهري فقال: أما والله إنه لجاري، وما جالسته قط، قال أبو حازم: ذاك لأني مسكين، أما والله لو كنت غنياً لجالسني، قال الزهري: قد سببتني، قال: أجل (4).

أنت منهم ومعهم والمرء مع من أحب:

عن مالك بن دينار أنه رأى رجلين يكتبان في اليقظة فسألهما فقال نكتب أسماء المحبين فقال بالله هل أنا منهم فقالا لا فوقع مغشياً عليه ثم رأى في منامه قائلا يقول أنت منهم ومعهم المرء مع من أحب(5).

---

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٣٣٩/١.

(٢) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ١١٩/١.

(٣) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١٢٨/١.

(٤) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٩/٣.

(٥) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ٦٩/١.

أعجبني صدقك:

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم، وهو يريد بيت المقدس، فقال له: إني أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: علي أن أكون أملك لشيئك منك. قال لا، فقال إبراهيم: أعجبني صدقك[١].

إذا كتبتهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين:

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رأيت في الماء كان ملكا نزل من السماء فسألته عن حاله فقال نزلت أكتب المحبين مثل ثابت البناني ومالك بن دينار وذكر جماعة فقلت هل أنا منهم قال لا فقلت إذا كتبتهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين فقال الملك قد أمرني ربي في هذه الساعة أن أكتبك في أولهم [٢].

لا تقل ذلك:

وقال الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا وتبسم كل واحد منهما لصاحبه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر فقلت: إن هذا ليسير، فقال: لا تقل ذلك فإن الله يقول:{لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ } [الأنفال: ٦٣]، فعلمت أنه أفقه مني [٣].

أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك:

وكان سفيان بمكة فمرض ومعه الأوزاعي، فدخل عليه عبد الصمد بن علي فحول وجهه إلى الحائط، فقال الأوزاعي لعبد الصمد: إن أبا عبد الله سهر البارحة فلعله أن يكون نائماً، فقال سفيان: لست بنائم، لست بنائم، فقام عبد الصمد، فقال الأوزاعي لسفيان: أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك.

هذا الحديث يكفيني:

حكي أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سمع شخصا من وراء النهر يروي أحاديث مثلثة فسار إليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الإمام أحمد: فأخذت في نفسي وأضمرت أن أرجع إذا لم يلتفت الرجل إلي ثم قال حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: **من قطع رجاء من ارتجاه**

(١) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، ١٦٢/٢.
(٢) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ٦٩/١.
(٣) أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، ٤٥/١.

قطع الله رجاءه يوم القيامه فلم يلج الجنة وإن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخشيت أن أقطع رجاءه قال فقال الإمام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفيني ثم رجع قافلا إلى أهله.

أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب:

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال: جاء رجل إلى الشافعي فقال له: - أصلحك الله - صديقك فلان عليل، فقال الشافعي: والله لقد أحسنت إلي وأيقظني لمكرمة، ودفعت عني اعتذار يشوبه الكذب ثم قال: يا غلام، هات السبتية ثم قال: للمشي على الحفاء، على علة الوجاء في حر الرمضاء من ذي طوى أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب. ثم أنشأ يقول:

أرى راحة للحق عند قضائه ::: ويثقل يوماً إن تركت على عمد
وحسبك حظاً أن ترى غير كاذب ::: وقولك لم أعلم وذاك من الجهد
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه ::: وصاحبه الأدنى على القرب والعبد
يعش سيداً يستعذب الناس ذكره ::: وإن نابه حق أتوه على قصد

حتى أنتفع به كما انتفعت:

قال أبو عبد الله بن الجراّح: قصدني أحمد بن حنبل فسألني أن أخرج إليه شيئاً من العلم، فأخرجت إليه كتاب العقل لداود بن المحبّر، فانتخب منه أحاديث وردّ الكتاب، فسألته عن ذلك فقال: لم أر فيه أحاديث صحاحاً، قال ابن الجرّاح: كلّه صحيح، قال أحمد: ومن أين عرفت؟ قال لأني استعملته فوجدته كلّه صحيحاً، فقال ردّ الكتاب إليّ حتى أنتفع به كما انتفعت [1].

* * *

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٥٨/٦.

مواقف المخلصين لله

مواقــف عربيــة

مواقف المخلصين لله

الإخلاص لغـة: مصـــدر أخلص يخلص وهو مـأخوذ من مـادّة (خ ل ص) الّتي تدلّ على تنقية الشّيء وتهذيبه والخالص كالصّـافي إلاّ أنّ الخالص ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه والصّافي قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلّصته فخلص.

قال ابن منظور: خلص الشّيء بالفتح، يخلص خلوصا وخلاصا إذا كان قد نشب ثمّ نجا وسـلم، وأخلصـه وخلّصـه، وأخلص لله دينه: أمحضـه، وأخلص الشّيء: اختاره، وقريء:{ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾} [ص: ٨٣]، والمخلصـــين - قـال ثعلب: يعني بالمخلصـــين الّذين أخلصـــوا العبادة لله تعالى. وبالمخلصـــين الّذين أخلصـــهم الله عز وجل، فالمخلصـــون المختارون، والمخلصـون: الموحّدون. ولذلك قيل لسـورة:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾} [الإخلاص: ١]، سـورة الإخلاص. قال ابن الأثير: لأنّها خالصة في صفة الله تعالى وتقدّس. أو لأنّ اللاّفظ بها قـد أخلص التّوحيـد لله عز وجـل، وكلمـة الإخلاص: كلمة التّوحيد. والإخلاص في الطّاعة: ترك الرّياء.

واصـطلاحا: الإخلاص هو القصـد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصـفية السّرّ والقول.

و قال المناويّ الإخلاص: تخليص القلب من كلّ شـوب يكدّر صـفاءه، فكلّ ما يتصـوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصا.

وقيـل: الإخلاص عمـل يعين على الإخلاص. وقيـل الخلاص عن رؤيـة الأشـــخاص، وقيل تصفية العمل من التّهمة والخلل.

وحقيقة الإخلاص: التبرّي عن كلّ ما دون الله تعالى.

وأجمعوا على أنّ الإخلاص في الطّاعة ترك الرّياء.

وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل النّاس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: الخلاص من هذين. وفي رواية عنه: والإخلاص: أن يعافيك الله منهما.

حقيقة الإخلاص:

فحقيقة الإخلاص، باعتباره التزاما في مواقف الحياة، لا مجرّد تصوّر نظريّ، وهو التّبرّي عن كلّ ما دون الله " يجعلنا ننظر إليه من زاويتين:

الأولى: من جهة تعلّقه بالعمل، أو من حيث كونه واقعا يتعلّق بحياة النّاس ومواقفها، أو من حيث كونه يتعلّق بسلوك الإنسان، من هذا القبيل نجد أن العمل الصّادر عن الإنسان - أيّا كان - إذا قصد به وجه الله، وظهرت الشّواهد على ذلك، فإنّه يعدّ عملا مخلصا، لأنّه خالص من الشّرك، والرّياء، والمراءاة، والشّهرة. لأنّ العمل الإنسانيّ قد يشوبه شيء ما من ذلك، فإذا صفا عن شوبه، وخلص منه سمّي خالصا، فالإخلاص ينافي الإشراك، والرّياء، والغشّ، والخداع، والاحتيال، والكذب، ولذا قد نجد بينه وبين الصّدق قرابة معنى، وكذلك يمتدّ إلى معنى الصّراحة، ويلتقي بمفهوم الوضوح، والأمانة والصّفاء.

وإذا كانت كلّ المعاني السّابقة من رياء وغشّ وخداع، واحتيال، وكذب، تمتدّ إلى الشّرك بمعنى ما، فإنّ من الشّرك ما هو خفيّ وما هو جليّ، وكذا الإخلاص، وكلاهما يرد على قلب المسلم ويكون ذلك في المقصود والنّيّة، ولذا يأتي الفعل على قدر النّيّة، إمّا مخلصا أو غير مخلص، فمن كان قصده من عمله الرّياء، فهو غير مخلص، ومن كان غرضه التّقرّب إلى الله تعالى فهو مخلص، إلاّ أنّ العادة جرت بتخصيص الإخلاص على قصد التّقرّب إلى الله تعالى وتخليصه من جميع ما يشوبه.

وكلّ عمل باعثه التّقرّب إلى الله تعالى، وانضاف إليه خطرة بشريّة حتّى صار العمل موسوما بها، وأخفّ من جهتها من حيث الإتيان، فقد خرج العمل عن الإخلاص، وخرج عن أن يكون خالصا لوجه الله تعالى، وبالتّالي خرج من أن يكون محقّقا لإنسانيّة الإنسان، وكما يقول الإمام الغزاليّ: كلّ حظّ من حظوظ الدّنيا تستريح إليه النّفس، ويميل إليه القلب، قلّ أم كثر، إذا تطرّق إلى العمل تكدّر به صفوه، وزال به إخلاصه، والإنسان مرتبط في حظوظه، منغمس في شهواته، قلّما ينفكّ فعل من أفعاله، وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس.

فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله نجا، وذلك لعزّة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشّوائب، بل الخالص هو الّذي لا باعث له إلاّ طلب القرب من الله تعالى.

وقد ذكر ابن تيميّة أنّ إخلاص الدّين هو الّذي لا يقبل الله تعالى سواه، وهو الذي بعث الله بـه الأوّلين والآخرين من الرّسـل، وأنزل بـه جميع الكتـب، واتّفق عليه أئمّة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدّعوة النّبويّة، وهو قطب القرآن الّذي تدور عليه رحاه.

بناء على ما سبق فإنّ الإخلاص هو تصـفية السّرّ والقلب والعمل، والخالص هو الّذي لا بـاعث لـه إلاّ طلـب الحقّ، والإخلاص لا يكون إلاّ بعـد الـدّخول في العمـل، والإخلاص لله؛ هو أن لا يفعل المخلص فعلا إلاّ لله تعالى.

الثّانية: من جهة معناه وشروطه كموقف يلتزم به الإنسان في حياته.

الإخلاص ينقسـم بحسـب ما يظهر من العبد، يمكن أن يشـمل كلّ فعل الإنسـان، ولذا يقال: إنّ الإخلاص أربعة أقسـام: إخلاص في الأقوال، وإخلاص في الأفعال، وإخلاص في الأعمال أي العبـادات، وإخلاص في الأحوال أي إلهامات القلب وواردات الغيب. والدّين شـامل لكلّ هـذا، وبـاعتبـار أنّ الإخلاص التزام حيويّ أكثر ممّا هو تصـوّر نظريّ، فـإنّ موقف الإخلاص يستلزم عدّة أمور، وهي:

- **الاستمراريّة:** حيث إنّ حياة الإنسان عبارة عن تواصل واستمرار، ومواقف الحياة مسـتمرّة ومتكـاملـة، ولـذا لا ينبغي أن يتفكّـك الإخلاص أو يتبعثر، لأنّه لا يتعلّق بالموقف المعاصر فقط، ولا بالماضي فقط، ولا بالمستقبل فقط، وإنّما هو موقف مستمرّ، ومن ثمّ كانت الاستمراريّة صفة أساسيّة في الإخلاص.

- **التّكامل:** بمعنى انضـواء الشّخص بجميع مكوّناته في أهداف وجوده المستمدّة من الإطار الإسلاميّ للحياة، حتّى يتمكّن من بلوغ أكمل درجة ممكنة من صياغة الذّات بطريقة متكـاملـة، وذلك عبر محبّة قويّة لله وللحقّ والحقيقة، وللآخرين المخلصـين، هذا إلى جانب التّكامل بين النّيّة والفعل.

- **العلم:** حيث إنّ الإخلاص يستلزم وعي الإنسان بوجوده في إطار التّعاليم الإسلاميّة، وهذا الوعي لا يمكن أن يتمّ بغير معرفة، لأنّه لا يمكن أن يتأتّى عن جهل، وجهل الإنسـان لا يمكن أن يؤدّي إلى إخلاص حقيقيّ، ومن ثمّ كـان العلم شرطا ضروريّا لتحقيق الإخلاص، هذا إلى جانب ضرورة العلم بما يحقّق الإخلاص.

– **التدرّج:** باعتبار أنّ الإخلاص جهد بشريّ من أجل الوصول إلى كمال الإنسان بوصوله إلى حقيقة العبوديّة والتّحقّق بها، ولذا فإنّ الإنسان يتعثّر وينهض مرارا وتكرارا، بهدف بلوغ المرتبة العالية، إنّ التّجربة صعبة في مواقف حياة الإنسان، ولذا فهو يحتاج إلى التّدرّج، وهذا شرط لكمال الإخلاص.

– **الأمانة:** باعتبارها رعاية لحقّ الله تعالى، وأداء للفرائض والواجبات، وهذا يتطلّب عدم الخيانة وحفظ الحقوق، وهي خير شاهد خارجيّ على الإخلاص، وخاصّة أنّ المنزلقات الّتي يمكن أن تطيح بالأمانة اللاّزمة للإخلاص وفيرة، وهذه توفّر حظوظا للنّفس تفسد الإخلاص، ولذا كان لأبدّ من توافر الأمانة لتوافر الإخلاص والتمسّك به.

وخلاصة الأمر: أنّ الإخلاص تصفية للعمل والقول والعبادة ممّا يشوبها من رياء ومراءاة أو خداع أو كذب، ويأتي في مراتب عديدة، وهي: طرح العمل وعدم رؤيته، فضلا عن طرح طلب العوض عنه، والخجل من العمل مع بذل الوسع والغاية فيه، مع رؤية التّوفيق في العمل المخلص على أنّه جود من الله تعالى، ثمّ إخلاصه بالخلاص منه، أي جعله خالصا لوجه الله تعالى.

الفرق بين الإخلاص والصدق:

قال الجرجانيّ: الفرق بين الإخلاص والصّدق: أنّ الصّدق أصل وهو الأوّل: والإخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر أنّ الإخلاص لا يكون إلاّ بعد الدّخول في العمل، أمّا الصّدق فيكون بالنّيّة قبل الدّخول فيه.

وقد قال المولي عز وجل:{ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾} [البقرة: ١٣٩].

وقال تعالى:{ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾} [الأعراف: ٢٩].

وقال تعالى:{ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾} [الزمر: ٢ - ٣].

وقال تعالى:{قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾} [الزمر: ١١ - ١٢].

وقال تعالى:{قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾} [الزمر: ١٤ - ١٥].

وقال تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ } [غافر: ١٣ - ١٤].

وقال تعالى:{ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾} [غافر: ٦٥].

وقال تعالى:{وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾} [البينة: ٤ - ٥].

وقال تعالى:{ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

وقال تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾} [يونس: ٢٢].

وقال تعالى:{ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } [العنكبوت: ٦٥ - ٦٦].

وقال تعالى:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾} [لقمان: ٣١ - ٣٢].

وقال تعالى:{وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾} [الصافات: ١٦٧ - ١٧٠].

وقال تعالى:{ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾} [يوسف: ٢٤].

وقال تعالى:{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾} [مريم: ٥١]،{ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾} [ص: ٤٥ - ٤٦].

وقال تعالى:{ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ } [الحجر: ٣٦ - ٤٠].

وقال تعالى:{إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾} [الصافات: ٣٨ - ٤٣].

وعن أبي أمامة الباهليّ رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النّبيّ صلي الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذّكر، ما له؟. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لا شيء له**. فأعاد ثلاث مرّات.

يقول له رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لا شيء له**. ثمّ قال: إنّ الله لا يقبل من العمل إلاّ ما كان له خالصا وابتغي به وجهه[1].

وعن زيد بن ثابت ☻ ، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **نضّر الله امرأ سمع مقالتي فبلّغها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**. زاد فيه عليّ بن محمّد: **ثلاث لا يغلّ** [2] **عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنّصح لأئمّة المسلمين ولزوم جماعتهم** [3].

(١) النسائي (٦/ ٢٥) واللفظ له وقال الشيخ ناصر الألباني (٥٢) من سلسلة الأحاديث الصحيحة: إسناده حسن كما قاله الحافظ العراقي في تخريج الإحياء، ونحوه عند أحمد (٤/ ١٢٦). من حديث شداد بن أوس. وذكر بطرق مختلفة عن ابن عباس وأبي هريرة، السنن الكبرى البيهقي (٩/ ٢٨٢) وما بعدها. وقال محقق جامع الأصول (٣/ ٥٨٤): وسنده حسن.

(٢) لا يغلّ: لا يغلّ عليه قلب مؤمن أي لا يكون معها في قلبه غش وزغل ونفاق ولكن يكون معها الإخلاص في ذات الله ♣ وهو في الإغلال بمعنى الخيانة ويروى يغلّ من الغلّ وهو الحقد.

(٣) ابن ماجه (٢٣٠) واللفظ له، قال محقق جامع الأصول (١/ ٢٦٥، ٢٦٦): الحديث رواه البزار بإسناد حسن. وأخرجه الشافعي في مسنده (١/ ١٤) من حديث ابن مسعود وإسناده صحيح والدرامي (١/ ٨٦، ٨٧).

وعن أبي كبشة الأنماريّ رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: **ثلاثة أقسم عليهنّ وأحدّثكم حديثا فاحفظوه**، قال: **ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلاّ زاده الله عزّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلاّ فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها -**، وأحدّثكم حديثا فاحفظوه. قال: **إنّما الدّنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتّقي فيه ربّه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النّيّة. يقول: لو أنّ لي مالا لعملت بعمل فلان فهو نيّته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتّقي فيه ربّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أنّ لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيّته، فوزرهما سواء**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: **انطلق ثلاثة نفر ممّن كان قبلكم حتّى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار. فقالوا: إنّه لا ينجيكم من هذه الصّخرة إلاّ أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم: اللّهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق [3]قبلهما أهلا ولا مالا. فنأى بي في طلب شيء قوما [4] فلم أرح [5] عليهما حتّى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يديّ - أنتظر استيقاظهما حتّى**

وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٨٣) وغيره من حديث زيد بن ثابت. وإسناده صحيح وورد في مجمع الزوائد بطرق مختلفة ببعض الزيادات (١/ ١٣٧ - ١٣٩).

(١) الترمذي (٢٣٢٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) مسلم (٢٩٨).

(٣) لا أغبق: لا أقدّم في الشرب قبلهما أهلا ولا مالا، والغبوق شرب العشي.

(٤) قوما: هكذا في فتح الباري وفي صحيح البخاري يوما وهو الصواب، وعبارة مسلم نأى بي ذات يوم الشجر.

(٥) أرح: بضم الهمزة وكسر الراء: أي أرجع.

برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللّهم؛ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنّا ما نحن فيه من هذه الصّخرة. فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج—.
قال النّبيّ صـــلي الله عليه وســـلم: **قال الآخر: اللّهم كانت لي بنت عمّ كانت أحبّ النّاس إليّ، فأردتها عن نفسـها فامتنعت منّي، حتّى ألّمت بها سـنة [(١)] من السّـنين، فجاءتني فأعطيتها عشرـين ومائة دينار، على أن تخلّي بيني وبين نفسـها ففعلت، حتّى إذا قـدرت عليها، قالت: لا أحلّ لك أن تفضّ الخاتم إلاّ بحقّه، فتحرّجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهي أحبّ النّاس إليّ، وتركت الذّهب الّذي أعطيتهـا، اللّهم؛ إن كنـت فعلـت ذلـك ابتغـاء وجهك فافرج عنّا ما نحن فيه، فانفرجت الصّـخرة غير أنّهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثّالث: اللّهمّ إنّي اسـتـأجرت أجراء فـأعطيتهم أجرهم غير رجـل واحـد، ترك الّذي له وذهب، فثمّرت أجره حتّى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله؛ أدّ إليّ أجري، فقلت له: كلّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرّقيق، فقال: يا عبد الله لا تسـتهزئ بي، فقلت: إنّي لا أسـتهزئ بك. فأخذه كلّه فاسـتاقه فلم يترك منـه شـيئا. اللهمّ؛ فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا ما نحن فيه، فانفرجت الصّخرة فخرجوا يمشون—** [(٢)].

وعن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: قال رســول الله صــلي الله عليه وســلم: **إنّما الأعمال بـالنّيّـة، وإنّما لكـلّ امرئ مـا نوى، فمن كـانت هجرته إلى الله ورســوله فهجرته إلى الله ورســوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصــيبها، أو امرأة يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه—** [(٣)].

و قـال مكحول: مـا أخلص عبـد قطّ أربعين يومـا إلاّ ظهرت ينـابيع الحكمـة من قلبـه ولسانه.

وقال أبو سليمان الدّارانيّ: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرّياء.

- قال يوسف بن الحسين: أعزّ شيء في الدّنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرّياء عن قلبي فكأنّه ينبت على لون آخر.

---

(١) ألّمت بها سنة من السنين أي أصابها ما يصيب الناس في القحط والجدب، والسنة معناها هنا الجدب.

(٢) البخاري - الفتح ٤ (٢٢٧٢) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٣).

(٣) البخاري - الفتح ١ (١)، مسلم (١٩٠٧) واللفظ له.

- قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى:{ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: ٢]، هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا عليّ ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنّ العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتّى يكون خالصا صوابا. الخالص أن يكون لله والصّواب أن يكون على السّنّة. ثم قرأ قوله تعالى:{فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠].

- و قال شهر بن حوشب: جاء رجل إلى عبادة بن الصّامت، فقال: أنبئني عمّا أسأل عنه، أرأيت رجلا يصلّي يبتغي وجه الله ويحبّ أن يحمد؟

فقال عبادة: ليس له شيء، إنّ الله تعالى يقول: أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كلّه لا حاجة لي فيه.

- قال الجنيد - رحمه الله -: الإخلاص سرّ بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله.

- قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:{فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠]، وهذان ركنا العمل المتقبّل لا بدّ أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله صلي الله عليه وسلم.

- قال ابن القيّم - رحمه الله تعالى -: عمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا ينقله ولا ينفعه.

من صور الإخلاص ومظاهره:

ممّا سبق يتّضح لنا أنّ للإخلاص صورا متعدّدة تتمثّل فيما يلي:

- الإخلاص في التّوحيد.

- الإخلاص في النّيّة والقصد.

- الإخلاص في العبادات: الصّلاة، السّجود، الصّيام، قيام رمضان، قيام ليلة القدر، حبّ المساجد، الزّكاة، الصّدقة، الحجّ، الجهاد، التّوبة، والذّكر، والاستغفار، والدّعاء، وقراءة القرآن، وسائر القربات.

- الإخلاص في الأقوال كلّها.

- الإخلاص في الالتزام بمكارم الأخلاق، (كالصّدق، الصّبر، الزّهد، والتّواضع... الخ).

- الإخلاص في التّوكّل على الله.

- الإخلاص في كافّة الأعمال.

من فوائد (الإخلاص):

- الإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال والأقوال.
- الإخلاص هو الأساس في قبول الدّعاء.
- الإخلاص يرفع منزلة الإنسان في الدّنيا والآخرة.
- يبعد عن الإنسان الوساوس والأوهام.
- يحرّر العبد من عبوديّة غير الله.
- يقوّي العلاقات الاجتماعيّة وينصر الله به الأمّة.
- يفرّج شدائد الإنسان في الدّنيا.
- يحقّق الطّمأنينة لقلب الإنسان ويجعله يشعر بالسّعادة.
- يقوّي إيمان الإنسان ويكرّه إليه الفسوق والعصيان.
- يقوّي عزيمة الإنسان وإرادته في مواجهه الشّدائد.
- حصول كمال الأمن والاهتداء في الدّنيا والآخرة.

ومن المواقف:

الذي فعلت له لا يخفى عليه:

- ويقول الحسن بن الربيع عن جهاد الإمام الجليل عبد الله بن المبارك: خرج فارس من المسلمين ملثم فقتل فارسا من العدو كان فعل بالمسلمين فكبر له المسلمون، فدخل في غمار الناس ولم يعرفه أحد، فتتبعته حتى سألته بالله أن يرفع لثامه، فعرفته فقلت: أخفيت نفسك مع هذا الفتح العظيم الذي يسره الله على يدك؟ فقال الذي فعلت له لا يخفى عليه.

وقوم طلبوا الدنيا:

ـ وحدث أبو حنيفة بإسناد له والمازني قالا: ولي إسماعيل بن علية الصدقاتِ بالبصرة، فكتب إلى عبد الله بن المبارك يصف له ما وقع فيه، ويقول له: أحب أن تبعث إلى إخوننا من القُراء لنشغلهم، فكتب إليه عبد الله بن المبارك: القراء ضربانِ: قوم طلبوا هذا الأمر لله، فأولئك لا حاجةَ لهم في لقائك، وقوم طلبوا الدنيا، فأولئك أضر على الناس من الشرط، وكتب إليه:

يا جاعلَ الدين له بازيا	:::	يصيدُ أموالَ المساكينِ
احتلتَ للدنيا ولذاتها	:::	بحيلةٍ تذهبُ بالدينِ
وصرتَ مجنوناً بها بعدما	:::	كُنتَ دواءً للمجانين
أينَ رواياتك فيما مضى	:::	عنِ ابن عونٍ وابن سيرينِ
أينَ أحاديثك والقولُ في	:::	لزومِ أبواب السلاطين
تقولُ أُكرِهتُ وماذا كذا	:::	زَلّ حِمارُ العلْم في الطِّين[١]

أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك:

ولما حج الرشيد دخل على الفضيل فوعظه بما وعظه، وأراد الخروج فقال: يا فضيل هل عليك دين؟ فقال: نعم دين ربي لو يحاسبني عليه، فالويل لي إن حاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني. فقال الرشيد: إني أسألك عن دين العباد. فقال: عندنا بحمد الله خير كثير لا نحتاج معه إلى ما في أيدي الناس. قال: هذه ألف دينار فاستعن بها. فقال: يا حسن الوجه أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك، أسأل الله التوفيق! فلما خرج عاتبته بنيته فقالت: لو أخذتها فاستعنا بها. فقال: إن مثلي ومثلكم مثل قوم كان لهم بعير يكدونه ويأكلون من كسبه، فلما كبر وسقط عن العمل نحروه فأكلوه[٢].

أراك مرائية منذ ثلاثين:

قال الجنيد سمعت السرى يقول خفيت على علة ثلاثين سنة وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة ولنا أماكن قد عرفت بنا لا نكاد أن نخلو عنها فمات رجل من جيراننا يوم جمعة فأحببت أن أشيع جنازته فشيعتها وأضحيت عن وقتي ثم جئت أريد الجمعة فلما أن قربت من المسجد قالت لي نفسي- الآن يرونك وقد أضحيت وتخلفت عن وقتك فشق ذلك علي فقلت لنفسي- أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري فتركت ذلك المكان الذي كنت آتيه فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه [٣].

---

(١) ابن الجراح، الورقة، ٤/١.

(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢٤٤/١.

(٣) حلية الأولياء، ١٠ /١٢٥.

ما هم بمجاورين:

وقال الفضيل رحمه الله: وضعت مكة للعبادة والتوبة والحج والعمرة والزهادة وأعمال الآخرة، ولم توضع للتجارة ولا يغرنك أقوام اتخذوا فيها حوانيت ويقولون: نحن مجاورون وقد أعياهم الكسب في بلادهم فصاروا فيها تجاراً، كذبوا ما هم بمجاورين إنما المجاور من هو مقيم بها للعبادة وعمل الآخرة، فينفق من فضل الله ما آتاه الله ولا يكسب فيها ولا يشغل نفسه بالكسب فيها، ولأن ترجع إلى بلدك فتشتري به وتبيع وتحج في كل عشرين سنة أحب إلي من أن تكون مقيماً بمكة وتحج وتعتمر كل سنة وتبيع وتشتري فيها[١].

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا!:

ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض الصحاري فأكلا كسرة يابسة واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران وقام الفضيل فحط رجليه في الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التي هو فيها فقال لرفيقه لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا [٢].

ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!:

قال سفيان بن عيينة: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم ابن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة؛ فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة! فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا؛ فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟! [٣].

نشكو إليك ما يفعل بنا:

عن المعان بن عمران قال: شكا الثوريّ إلى إبراهيم بن أدهم فقال: نشكو إليك ما يفعل بنا، وكان سفيان مختفياً فقال: أنت شهرت نفسك بحدّثنا وحدّثنا[٤].

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢٩/٢.

(٢) ابن هبة الله، شرح نهج البلاغة،، ٤٢٩١/١.

(٣) مختصر صفة الصفوة، ١٣/١.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٨/١٠.

والله إني أخاف أن أكون بها شقياً:

كان أيوب السختياني يخفي زهده، وما رئي أحد أشد تبسماً في وجوه الرجال منه، ودخلوا عليه فإذا على فراشه مجلس أحمر، فرفعوه فإذا خصفه محشوة بليف، وكان يقوم الليل، فإذا كان من آخر اليل يرفع صوته، يوهم أنه قام تلك الساعة. وكان يقول أهلكت المعرفة، والله إني أخاف أن أكون بها شقياً[١].

الشهرة اليوم في القصر:

قال معمر: رأيت قميص أيوب السختياني يكاد يمس الأرض فقلت: ما هذا؟ فقال: إنما كانت الشهرة فيما مضى في تذييلها واليوم الشهرة في تقصيرها؛ وكان يقول للخياط: أقطع وأطل فإن الشهرة اليوم في القصر[٢].

اللهم أنسِهِ ذكري:

كان أيوب السختياني صديقاً ليزيد بن الوليد؛ فلما ولي الخلافة قال: اللهم أنسِهِ ذكري[٣].

رأيته يماشي صاحب بدعة:

ودُعي أيوب السختياني إلى غسل ميّت، فخرج مع القوم حتى إذا كشف عن وجهه عرَفه، فقال: (أقبِلوا قبَل صاحبكم، فلست أغسله، رأيته يماشي صاحب بدعة).

فاعلم أنَّه ضالٌ مضل:

قال أيوب السختياني: إذا حدَّثت الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا، وحدِّثنا من القرآن، فاعلم أنَّه ضالٌ مضل[٤].

إن كان كل العباد يخنقون خنقك فلا خير في العبادة:

وقال مالك بن دينار: مثل قراء هذا الزمان كرجل نصب فخاً، فوقع عصفور قريباً منه، فقال للفخ: ما غيبك في التراب؟ قال: التواضع، قال: فلم اختفيت؟ قال لطول العبادة، قال: فما هذا الحب المصبوب؟ قال: أعددته للصائمين. قال: نعم الجار أنت. فلما غابت الشمس أخذ العصفور الحبة فخنقه الفخ فقال: إن كان كل العباد يخنقون خنقك فلا خير في العبادة[٥].

---

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٣٠٩.

(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٣٠٩.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠/١١.

(٤)الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٧/٨.

(٥) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /٣١٣.

هذا اسم ما عرفني به أحد إلا أنت:

قالت: امرأة مالك بن دينار له في أثناء مجادلة: يا مرائي فقال لها: لبيك هذا اسـم ما عرفني به أحد إلا أنت [١].

تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم:

قال إبراهيم بن بشـار ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم فبينا نحن نسـير بريح طيبة وكانت مراكب كثيرة فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطعت وإبراهيم ملتف في عباءة مستلق فجاء أهل المركب إليه فقالوا يا هذا ما ترى ما نحن فيه وأنت مستلق غير مكترث فجلس وهو يقول لا أفلح من لم يكن استعد لمثل هذا اليوم ثم حرك شـفتيه وإذا هاتف ينادي من اللجة تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم أيها الريح والبحر الهائج اسكنا بإذن الله فسكن البحر وذهبت الريح حتى صار البحر كأنه دف يعني لوح خشب [٢].

عسى أن يعلموا أي عمل وقع لوجه الله تعالى:

ومن كلامـه لا ينبغي للعـالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيقه فإنه ذل وإهانة للعلم ولما صـنف كتاب الموطأ في الحديث عمل علماء المدينة الموطآت على منواله فقيل لمالك قد شاركك الناس في مثل هذا التصنيف فلم تكلف هذا القدر نفسك قال إئتوني بها أنظرها فلما نظر فيهـا قـال عسى أن يعلموا أي عمل وقع لوجه الله تعالى فكان كذلك ولم يبق لموطآت الآخرين اسـم ولا رسـم إلا مـا يـذكر من موطأ ابن أبي ذئب وأما موطأ مالك فهو مخدوم طوائف الأنام وبضاعة الاجتهاد لعلماء الإسلام والقبول بقدر النية.

يا حاتم، ما خاب سعيك:

قال حاتم: اختلفت إلى شـقيق ثلاثين سـنة فقال لي يوماً: أيش تعلمت في ترددك إلينا؟ فقلت له: أربعة أشـياء، استغنيت بها عن الأشـياء كلها. فقال لي: ما هي؟ فقلت: رأيت أن رزقي من عند ربي فلم أشـتغل إلا بربي، ورأيت أن ربي قد وكل بي ملكين يكتبان علي كل ما تكلمت بـه، فلم أتكلم إلا بمـا يرضي ربي، ولم أتكلم إلا بحق، ورأيـت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والله ينظر إلى باطني، فرأيت مراقبته أولى وأوجب فسقط عني رؤية الخلق، ورأيت أن الله داعياً يدعوا الخلق إليه، فاستعددت له متى جاءني لا أحتاج أن يقتلني

---

(١) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٢ / ٢٥٠.

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، كتاب التوابين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، ١ / ١٦٠.

يعني ملك الموت، فقال له: يا حاتم، ما خاب سعيك [1].

إذا كان في موضع الأدب:

وقال ابن أبي الحوارى، قلت لأبي سـليمان: أيجوز للرجل أن يخبر عن نفسـه بالشيـء يكون منه؟، فقال: إذا كان في موضع الأدب ليقتدي به،جاز له ذلك.

ولم لا أبكى؟!:

وقال أيضـا: دخلت عليه يوما وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟!، فقال: يا أحمد!، ولم لا أبكى؟!، إذا جن الليـل، ونـامـت العيون، وخلا كل حبيب بحبيبه،افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خـدودهم، وقطرت على محاريبهم، أشرف الجليل سـبحانه فنادى: يا جبريل! بعيني من تلذذ بكلامي، واسـتراح إلى ذكرى،وأنى لمطلع عليهم في خلواتهم،اسـمع أنينهم وأرى بكـاءهم، فلم لا تنادي فيهم، يا جبريل: ما هذا البكاء؟!،هل رأيتم حبيبا يعذب أحباءه؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قوما إذا جنهم الليل تعلقوا بي؟! فبي حلفت!، إذا وردوا علي القيامة لا كشفن عن وجهي الكريم، حتى ينظروا إلى، وانظر اليهم!.

يا نفس كم تبكين؟:

قيل: أتى رجل بعشرـة دنانير إلى معروف، فمر سائل، فناوله إياها، وكان يبكي، ثم يقول: يا نفس كم تبكين؟ أخلصي تخلصي.

فمن دعاني أكلت:

وسـئل: كيف تصـوم؟ فغالط السـائل، وقال: صـوم نبينا صـلي الله عليه وسـلم كان كذا وكذا، وصـوم داود كذا وكذا، فألح عليه، فقال: أصـبح دهري صـائما، فمن دعاني، أكلت، ولم أقل: إني صائم.

سل عما يعنيك عافاك الله:

أبو العباس بن مسرـوق: حدثنا محمد بن منصـور الطوسي قال: كنت عند معروف، ثم جئت، وفي وجهه أثر، فسـئل عنه، فقال للسـائل: سـل عما يعنيك عافاك الله، فأقسم عليه، فتغير وجهه، ثم قال: صـليت البارحة، ومضـيت، فطفت بالبيت، وجئت لأشرب من زمزم، فزلقت، فأصـاب وجهي هذا.

(١) مختصر تاريخ دمشق، ٣ /٤٦٣.

رأس الزهد:

وروى أن رجلاً جاء إليه، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أي شيء رأس الزهد، ووسـط الزهد، وآخر الزهد؟ فقال: رأس الزهد الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص.

فأشكو ربي:

عن المدائني قال دخل محمد بن واسـع على قتيبة بن مسـلم في مدرعة صـوف فقال ما يدعوك إلى لبس هذه فسـكت فقال له بعض جلسـائه يكلمك الأمير ولا تجيبه فقال أكره أن أقول زاهدا فأزكي نفسي أو أقول فقيرا فأشكو ربي[1].

* * *

(١) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ١/٣٥٠.

مواقف المتصدقين

مواقــف عربيــة

مواقف المتصدقين

الصدقة لغة: اسم لما يتصدّق به وهو مأخوذ من مادّة (ص د ق) الّتي تدلّ على قوّة في الشّيء قولا أو غيره، ومن ذلك أخذ الصّدق لقوّته في نفسه، ومن الصّدق أخذت الصّدقة، لأنّها تدلّ على صدق العبوديّة لله - تعالى - والصّدقة ما تصدّقت به على الفقراء (أو المساكين)، والمتصدّق هو الّذي يعطي الصّدقة، ولا يقال ذلك للّذي يسأل الصدقة ليأخذها، والعامّة تغلط في ذلك، وقال بعض أهل اللّغة: إنّ المتصدّق يقال للاثنين جميعا أي الّذي يعطي الصّدقة والّذي يسألها، والمصدّق يقال به على معنيين: الّذي يصدّقك في حديثك، والّذي يأخذ صدقات الغنم (ونحوها)، وقول الله تعالى:{إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ} [الحديد: ١٨]، بتشديد الصّاد أصله المتصدّقين فقلبت التّاء صادا وأدغمت في الصّاد، والصّدقة ما أعطيته في ذات الله للفقراء، يقال

تصدّق عليه (أعطاه الصّدقة)، وفي الحديث لمّا قرأ القارئ قوله تعالى: {وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [الحشر: ١٨].

قال صلي الله عليه وسلم: **تصدّق رجل من ديناره، ومن درهمه، ومن ثوبه**ـــ، أي ليتصدّق، لفظه الخبر، ومعناه الأمر كقولهم:

أنجز حرّ ما وعد، أي لينجز. ويقال صدّق عليه في معنى تصدّق كما في قوله عز وجل:{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾} [القيامة: ٣١] ، وفي حديث الزّكاة لا تؤخذ في الصّدقة هرمة ولا تيس إلاّ أن يشاء المصدّق.

واصطلاحا: هي العطيّة يبتغى بها المثوبة من الله - تعالى - وقال الرّاغب: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة، لكنّ الصّدقة في الأصل تقال للمتطوّع به، والزّكاة للواجب.

وقال التّهانويّ: الصّدقة: عطيّة يراد بها المثوبة لا التّكرمة؛ لأنّ بها يظهر الصّدق في العبوديّة، وهي أعمّ من الزّكاة، وقد تطلق عليها أيضا.

وقال المولي عز وجل:{إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾} [البقرة: ٢٧١].

وقال تعالى:{ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: ٢٧٦].

وقال تعالى:{لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)} [النساء: ١١٤].

وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)} [المجادلة: ١٢ - ١٣].

وقال تعالى:{ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٩) ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)} [التوبة: ٥٨ - ٦٠].

وقال تعالى:{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ }

[يوسف: ٨٨].

وعن أبي مسعود البدريّ رضي الله عنه عن النّبيّ صلي الله عليه وسلم قال: **إنّ المسلم إذا أنفق على أهله نفقة، وهو يحتسبها كانت له صدقة**ـــ (١).

وعن أبي كبشة الأنماريّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: **ثلاثة أقسم عليهنّ وأحدّثكم حديثا فاحفظوه**ـــ، قال: **ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلاّ زاده الله** عز وجل **بها عزّا ولا فتح عبد باب مسألة إلاّ فتح الله عليه باب فقر. وأحدّثكم حديثا فاحفظوه**ـــ، قال: **إنّما الدّنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله** عز وجل – **مالا وعلما فهو يتّقي فيه ربّه، ويصل فيه رحمه ويعلم لله** عز وجل **فيه حقّا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله** عز وجل **علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النّيّة، يقول: لو أنّ لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو نيّته. فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير**

(١) مسلم (١٠٠٢).

علم، لا يتّقي فيـه ربّـه عز وجـل **ولا يصــل فيـه رحمه ولا يعلم لله فيه حقّا، فهذا بـأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أنّ لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيّته فوزرهما فيه سواء▬**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صلي الله عليه وسلم قال: **سبعة يظلّهم الله في ظلّه**[2] **يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه: الإمام العادل**[3]. **وشـابّ نشأ بعبادة الله**[4]**ورجل قلبه معلّق في المساجد**[5] **ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه**[6]. **ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال**[7]. **فقال: إنّي أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه▬**[8].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: **من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنّة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصّلاة دعي من باب الصّــلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصّــيام دعي من باب الرّيّان، ومن كان من أهل الصّــدقة دعي من باب الصّـدقة▬**. فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ما على من دعي من تلـك الأبواب من ضرورة، فهـل يدعى أحد من تلك الأبواب كلّها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم[9]

(١) الترمذي (٢٣٢٥). وقال: هذا حديث حسن صحيح وبعضه عند مسلم (٢٥٨٨). ورواه أحمد (٤/ ٢٣١).

(٢) يظلهم الله في ظله: المراد هنا ظل العرش. والمراد يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين. ودنت منهم الشمس، وأخذهم العرق. ولا ظل هناك لشيء إلا للعرش.

(٣) الإمام العادل: هو كل من إليه نظر في شيء من مصالح المسلمين من الولاة والحكام.

(٤) شاب نشأ بعبادة الله: أي نشأ متلبسا للعبادة، أو مصاحبا لها أو ملتصقا بها.

(٥) ورجـل قلبـه معلق في المســاجد: أي شــديد الحب لها، والملازمة للجماعة فيها، وليس معناه دوام القعود في المسجد.

(٦) ورجلان تحابا في الله..: أي اجتمعا وتفرقا على الله، وكانا صـادقين في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما.

(٧) ورجل دعته امرأة ذات منصـب وجمال: أي ذات الحسـب، والنسب، والجمال، ومعنى دعته أي دعته إلى الزنا بها.

(٨) البخاري - الفتح ٣ (١٤٢٣). ومسلم (١٠٣١) واللفظ له.

(٩) البخاري - الفتح ٤ (١٨٩٧).

وعن عمر رضي الله عنه أنّ الأعمال تباهت فقالت الصّدقة: أنا أفضلكم).

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: لمّا أمرنا بالصّدقة كنّا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إنّ الله لغنيّ عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلاّ رئاء، فنزلت:{ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ} [التوبة: ٧٩].

قال عبد العزيز بن عمير: الصّلاة تبلّغك نصف الطّريق، والصّوم يبلّغك باب الملك، والصّدقة تدخلك عليه.

قال ابن أبي الجعد: إنّ الصّدقة لتدفع سبعين بابا من السّوء.

عن الرّبيع بن خثيم أنّه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خزّ فرأى سائلا فأعطاه إيّاه، وتلا قوله تعالى:{لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢].

قال يحيى بن معاذ: ما أعرف حبّة تزن جبال الدّنيا إلاّ من الصّدقة.

قال الشّعبيّ: من لم ير نفسه إلى ثواب الصّدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه.

من فوائد (الصدقة):

- طهرة للنّفس، وقربة إلى الله عز وجل.
- طريق موصل إلى محبّة الله ورضوانه.
- تثمر سعادة الدّين والدّنيا.
- دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- حفظ الإنسان في ماله وبدنه.
- دليل على الزّهد.
- طاعة لله ورسوله صلي الله عليه وسلم.
- باب من أبواب التّكافل الاجتماعيّ.
- تثمر محبّة النّاس.

ومن المواقف:

لقمة بلقمة:

عن مالك بن دينار وقال: أخذ السبع صبياً لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة [١].

ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل:

عن الفضيل بن عياض، قال: حدثني رجل: أن رجلاً خرج بغزل، فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً، فمر على رجلين، كل واحد منهما آخذ برأس صاحبه.

فقال: ما هذا؟ فقيل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم، وليس له شيء غيره.

فأتى إلى امرأته، فأخبرها بما جرى له، فجمعت له أشياء من البيت، فذهب ليبيعها، فكسدت عليه، فمر على رجل ومعه سمكة قد أروحت.

فقال له: إن معك شيئاً قد كسد، ومعي شيء قد كسد، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه.

وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت، وقال لزوجته: قومي فأصلحي أمر هذه السمكة، فقد هلكنا من الجوع.

فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكة، فإذا هي بلؤلؤة، قد خرجت من جوفها.

فقالت المرأة: يا سيدي، قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج، وهو يقارب بيض الحمام.

فقال: أريني، فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله، فطار عقله، وحارلبه.

فقال لزوجته: هذه أظنها لؤلؤة.

فقالت: أتعرف قدر اللؤلؤة.

قال: لا، ولكني أعرف من يعرف ذلك، ثم أخذها، وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ، إلى صديق له جوهري، فسلم عليه، فرد ♠، وجلس إلى جانبه يتحدث، وأخرج تلك البيضة.

(١) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٥٠٣/١.

وقال: أنظر كم قيمة هذه؟ قال: فنظر زماناً طويلاً، ثم قال: لك بها علي أربعون ألفاً، فإن شئت أقبضتك المال الساعة، وإن طلبت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإنه أثمن بها لك مني.

فذهب بها إليه، فنظر إليها واستحسنها، وقال: لك بها علي ثمانون ألفاً، وإن شئت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإني أراه أثمن بها لك مني.

فذهب بها إليه، فقال: لك بها علي مائة وعشرون ألفاً، ولا أرى أحداً يزيدك فوق ذلك شيئاً.

فقال: نعم، فوزن له المال، فحمل الرجل في ذلك اليوم اثنتي عشرة بدرة، في كل بدرة عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى منزله، ليضعها فيه، فإذا فقير واقف بالباب، يسأل.

فقال: هذه قصتي التي كنت عليها، أدخل، فدخل الرجل.

فقال: خذ نصف هذا المال، فأخذ الرجل الفقير، ست بدر، فحملها، ثم تباعد غير بعيد، ورجع إليه.

وقال: ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل، الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً، فهذا الذي أعطاك، قيراط منه، وذخر لك تسعة عشر قيراطاً[1].

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:

وقال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال: أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه [2].

يؤدي زكاة ماله في السنة مرتين:

قال عثمان رضي الله عنه: تاجروا الله بالصدقة تربحوا. كان أيوب السختياني يؤدي زكاة ماله في السنة مرتين، ويقول: احتلفوا علينا. فيدفعها مرة إلى المساكين، ومرة إلى الإمام [3].

(١) القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، ١/٢٢١.

(٢) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٢/٣٩٣.

(٣) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١/ ١٦٠.

أيكم إبراهيم بن أدهم؟:

قال علي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم جالسا معنا عند المسجد إذ أقبل رجل أحمر مربوع عليه أثر سفر، حتى وقف علينا، فقال: أيكم إبراهيم ابن أدهم؟ قال إبراهيم: أنا فقام إليه إبراهيم فأخذ بيده فنحاه، قال: أي شيء أردت؟ قال: أنا غلامك، بعثني إخوتك إليك، ومعي عشرة آلاف وفرس وبغلة. فقال له إبراهيم: إن كنت صادقا فأنت حر، وما معك لك، اذهب لا تخبر أحدا(١).

كيف رأيت صنع الله؟!:

الأوزاعي: جاءه جار له، فقال: هذا عيد وما عندنا شيء، فقال لامرأته: أعطيه ما معك؛ فقالت: معي نيف وعشرون درهما فأشاطره؛ فقال أعطيه كلها عسى الله أن يبعث بخير منها. فإذا رجل يدق الباب، فأذن له، فقال: أني كنت عبداً لأبيك أبتعت فأكتسبت هذه الدنانير وهي نيف وعشرون ديناراً؛ فقال: أنت حر. ثم قال لامرأته: كيف رأيت صنع الله، أعطى بكل درهم ديناراً وأعتق نسمة(٢).

لأبشرنك يا علي، بها تبشر أمتي من بعدي:

عن الأوزاعي قال: دخلت المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فقلت من هاهنا من الفقهاء؟ فقالوا: محمد بن المنكدر، ومحمد بن المبشر، ومحمد بن علي - يعني ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ♠، فقلت في نفسي: ليس من هؤلاء أحق أن يبدأ به من ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيته وقلت يا بن رسول الله: أخبرني عن قول الله عز وجل :{يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ} [الرعد: ٣٩]، فقال أخبرني أبي عن جدي عن علي ♠، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **لأبشرنك يا علي، بها تبشر أمتي من بعدي، وهي: الصدقة على وجهها، وبر الوالدين، واصطناع المعروف، وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء** ـــ(٣).

(١) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، ٢ / ٣٥.
(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٩٤.
(٣) ابن الشجري، الأمالي الشجرية، ١ / ٣٥٠.

ما عند الله خير وأبقى:

قال وسمعته يقول كنت أستغل كل شهر خمسمئة درهم فأنفقت كل ذلك في طلب العلم فقلت كم بين من ينفق على هذا الوجه وبين من كان خلوا من المال فجمع وكسب بالعلم حتى اجتمع له فقال أبو عبد الله:{وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } [الشورى: ٣٦].

وكان يتصدق بالكثير يأخذ بيده صاحب الحاجة من أهل الحديث فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين وأقل وأكثر من غير أن يشعر بذلك أحد وكان لا يفارقه كيسه.

إذا قدمتَّ إلي فقير شيئاً فقدِّم إليه مثل هذا:

ويحكى عن الجنيد أنه قال: مرّ بي يوماً الحارث المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتتناول شيئاً؟ فقال: نعم.

فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدِّمه إليه، فكان في البيت شيء من طعام حمل إليّ من عرس قوم، فقدَّمته إليه، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرات، ثم إنه قام وألقاها في الدهليز، ومرّ.

فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك، فقال: إني كنت جائعاً، وأردت أن أسرَّك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله، سبحانه، علامة: أن لا يسوغني طعاماً فيه شبهة، فلم يمكنّي ابتلاعه، فمن أين كان لك ذلك الطعام؟.

فقلت: إنه حُمل إليّ من دار قريب لي من العرس، ثم قلت: تدخل اليوم؟ فقال: نعم. فقدمت إليه كِسراً يابسة كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمتَّ إلي فقير شيئاً فقدِّم إليه مثل هذا[(١)].

وأما من جهة الإخلاص فالكل:

- وسئل الشبلي عما يجب في مائتي درهم فقال: أما من جهة الشرع فخمسة دراهم، وأما من جهة الإخلاص فالكل.

(١) الرسالة القشيرية، ص ١١.

فلم لا تطلب منه؟:

- قال ابن شـادان: دخلت مع جماعة من الصـوفية على الشـبلي رحمه الله فبعث إلى بعض المياسـير يسأله ما ينفقه عليهم، فقال للرسول: قل له يا أبا بكر أنت تعرف الحق، فلم لا تطلب منه؟ فقال الشـبلي: عد إليه وقل له: الدنيا سـفلة أطلبها من سـفلة مثلك، وأطلب من الحق الحق، فوجه إليه بمائة دينار. وفي المثل: خذ من جذع ما أعطاك.

خمسا في خمس:

وقال شـقيق البلخي طلبنا خمسـا فوجدناها في خمس طلبنا النور في القبر فوجدناه في قيـام الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا الجواز على الصرـاط فوجدناه في الصدقة وطلبنا الري يوم القيامة فوجدناه في صيام النهار وطلبنا البركة في الرزق فوجدناه في صلاة الضحى..

بلا دراهم:

قـال عيسىـ أخو معروف الكرخي يقول قلـت لمعروف الكرخي أخي لو قعـدت على الدقيق لأمضي في حاجة فقال لي بشرط أن لا أمنع سائلا قلت نعم وأنا أظن أنه يعطي الكف والأكثر والأقـل قـال فرجعـت فاذا هو قد تصـدق بشيـء كثير ما بين المكوك والزيادة قال فاحمرت وجنتاي فلما نظر الي قال لسـت عائدا الى هذا الموضـع فلما تقدمت إلى الصـندوق فإذا المجرى بلا دراهم.

من خليلك؟:

وعن الأحنف بن قيس قال: جلسـتُ إلى ملأ من قريش، فجاء رجلٌ خَشِـنُ الشـعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم فَسّـلم، ثم قال: " بشِّرـ الكانزين برضف [١] يُحمى عليه في نار جهنم، ثم يوضـع على حَلَمة ثَدي أحدهم حتى يخرج من نُغض [٢] كتفه، ويوضـع على نُغض كتفه حتى يخرج من حَلَمة ثديه يتزلزل ".

ثم ولَّى فجلس إلى سـارية، وتَبعْتُه، وجلسـتُ إليه، وأنا لا أدري من هو؟ فقلت: لا أرى القومَ إلا قد كرهوا الذي قلت. قال: إنهم لا يعقلون شـيئاً، قال لي خليلي.. قلت: من خليلك؟ قال: النبي صلي الله عليه وسلم: **يا أبا ذر! أتبصر أحُداً؟**ـــ.

(١) الرّضف: بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة: هو الحجارة المحماة.

(٢) النغض: بضم النون وسكون الغين المعجمة بعدها ضاد معجمة، وهو غضون الكتف.

قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار؟ وأنا أرى رسول الله صلي الله عليه وسلم يرسلني في حاجة له - قلت: نعم. قال: **ما أُحِبُ أن لي مثل أحدٍ ذهباً أنفقه كلَّه إلا ثلاثة دنانير**.

وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون الدنيا، لا والله لا أسألهم دُنيا ولا أستفتيهم عن دينٍ، حتى ألقى الله عز وجل (١).

وفي رواية لمسلم أنه قال:

" بشر الكانزين بكيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكيٍّ من قبل أقفائهم يخرج من جباههم ".

قال: ثم تَنحّى فقعد. قال: قلتُ: من هذا؟ قالوا: أبو ذر.

قال: فقمت إليه فقلت: ما شيءَ سمعتُك تقول قُبّيلُ؟

قال: ما قلت إلا شيئاً قد سمعته من نبيهم صلي الله عليه وسلم قال: قلت: ما تقول في هذا العطاء؟

قال: خُذه، فإن فيه اليوم معونةً، فإذا كان ثمناً لدينك فَدَعه (٢).

أنفق هذه الصرة في الأمر الذي ذكرت:

قال أبو الحجاج المقري ولد لي مولود وليس عندي شيء قال أخي ادع الله قال فجعل يدعو وأؤمن وأدعو ويؤمن فلما طال علي قمت فانسللت فاذا راكب ينادي من خلفي يا هذا فالتفت فاذا معه صرة فقال لي قال لك أبو محفوظ أنفق هذه الصرة في الأمر الذي ذكرت له وإذا هي مائة دينار أو نحوه.

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة برقم (١٤٠٧ و١٤٠٨)، ومسلم في كتاب الزكاة برقم (٩٩٢).

(٢) ماجد إسلام البنكاني أبي أنس العراقي، تحذير الأنام بما في الأقوال والأفعال من الآثام، ص ٨٥

أنا عبد مدبر آكل ما يطعمني وأنزل حيث ينزلني:

قال عبد الجبار بن عبد الله دعا معروفا الكرخي أخ من إخوانه إلى وليمة وكان قدامه بعض الزهاد فأخذ معروف بيده فلما رأى الزاهد تلك الألوان أنكرها وقال يا أبا محفوظ أما ترى ما ها هنا قال ما أمرتهم بشراه فلما رأى الحلواء قال سبحان الله يا أبا محفوظ أما ترى ما ها هنا قال ما أمرتهم بصنعته فلما رأى القصور والملاحات من الحلواء قال أما ترى ما ها هنا قال معروف قد أكثرت علي أنا عبد مدبر آكل ما يطعمني وأنزل حيث ينزلني [1].

خالك ضيف:

وقال ابن أخت معروف قلت له يا خال أراك تجيب كل من دعاك فقال يا بني خالك ضيف ينزل حيث ينزل.

تربح فيه ثلاث خصال:

قال محمد بن منصور الطوسي رآني معروف الكرخي ومعي ثوب فقال لي يا محمد ما تصنع بهذا قلت أقطعه قميصا فقال اقطعه قصيرا تربح فيه ثلاث خصال أولها اللحوق بالسنة والثاني يكون ثوبك نظيفا والثالث تربح خرقة.

قصة معروف الكرخي مع مجوسي:

روي عن سعد بن سعيد أنه قال كان في جوار معروف الكرخي رجل مجوسي من أبناء الأغنياء وجد الخليفة عليه فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة أنه قد بقي له مال جسيم فلا تظن أنه عديم فأمر بمصادرته ثانياً فلما علم المجوسي ذلك دخل بيت النار وقصد ما كان يعبد من دون الجبار وقال إن لم تخلصيني آمنت برب معروف فلم يجبه أحد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جنَّ عليه الليل اغتسل وأتى مسجد معروف الكرخي فلم يجده في المسجد فرفع رأسه وقال يا إله إبراهيم وعيسى ومحمد وإله معروف ويا من لا إله إلا هو تحققت أن ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولاينفع وإني جئتك تائباً مما فعلت متبرئاً مما عبدت منفصلا عما اعتقدت موقنا بك شاهداً بأن لا إله إلا أنت إله الأولين والآخرين وأنت المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون إلاما تريد إنك على كل شيء قدير فأغفر لي ما تقدم من ذنبي وجهلي وإسرافي ولا تنظر إلى سوء عملي ومعصيتي واصرف شر الخليفة وأعوانه عني فقد وجهت وجهي إليك ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

---

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٣.

ثم ســجـد وأطال ســجوده وهو يناجي ربه ويبكي فأتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقي متفكراً في أمره لا يتحقق من هو وإذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسي بإسـمه ونسـبه فقال معروف بيته في موضـع كذا وكذا فقال من هناك جئت وقيل لي إنه في مسجد معروف فوالله لا بأس عليه فإن الخليفة قد بعثني إليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره على أن يؤمنـه ويرد عليـه ما أخذه منه وكفى بالله شـهيداً فقال معروف لسـت أرى في المسجد أحداً يشبه من تذكره إلا هذا الساجد لله المناجي لربع فاصبر له حتى يرفع رأسـه فوقف صاحب الخليفة على رأسـه سـاعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني برسالة لطيفة لتسير إليه حتى يرد عليك ما أخذه منك فرفع رأسـه وإذا معروف واقف فقال يا معروف ما أكرم هذا الباب وما أحلم صـاحبه وما أقربه إلى من دعاه ثم قال يا معروف أمدد يدك إني أشـهد أن لا إله إلا الله وأشـهد أن محمدا عبده ورسـوله وإني رضـيت بالله رباً وبالإسـلام دينا وبمحمد صلي الله عليه وسلم نبيا ورسـولاً وأن القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذاك كله ثم تبع الرسـول وذهـب معروف الكرخي معـه فلما وصـلوا إلى دار الخليفـة وإذا بـه واقف على البـاب فاسـتقبلهما وسـلم عليهما وصـافح كلا منهما ومشى معهما إلى مجلسه وأقعدهما إلى جانبه واقبل يعتذر إليهما مما وقع منه وأمر بالأموال التي أخذت من المجوسي فأحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل هذه الأموال أليسـت هي التي أخذت منك قال نعم قال فخذها بارك الله فيها واجعلني في حل ما وقع مني واستغفر الله لي فقال يغفر الله لك ثم قال يا أمير المؤمنين أما الأموال فهي لك حلال بعد أن هداني الله إلى دين الإسـلام ولكن أعلمني ما الذي دعاك إلى طلبي في هذا الوقت قال نعم كنت نائماً وإذا أنا برسـول الله صـلي الله عليه وسـلم قد دخل عليّ ومعه صـف من الملائكة وصـف من الصـحابة فسـلم علي وقال إن الله تبارك وتعالى يقرئك السـلام ويقول لك إن عبدنا فلاناً المجوسي كنا قد دعوناه في الذرا فأجابنا وكان في المجوسـية مسـتتراً ولنا معه عناية وقد جاء الآن إلّي تائباً وهو في مسـجد معروف الكرخي مستجيراً بجانبنا منك فإبعث في طلبه ورد عليه ما أخذ منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوباً فأرسـلت في طلبك وها هو مالك قد رددناه عليك ودفعناه إليك فخر الرجل سـاجداً لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه وأسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشـتغلت بعبادة النيران وضـيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشيء أمرني ربي بإخراجه فقال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في

المال أشـهد أني قد جعلته صـدقة في فقراء المسـلمين لا حظ لي فيه ولا لأحد من أهلي فقال الخليفـة لمعروف بقي الأمر إليـك فإحمل المال وتصـدَّق به على الفقراء والمسـاكين وأبناء السـبيـل والأيتـام والأرامـل فـدعـا لـه معروف وأخـذ بيـد الرجـل وحمل المال على البغال وصافحهما أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يعفو عما وقع منه ولازم الرجل معروفاً الكرخي إلى أن مات تغمده الله برحمته [١].

اللهم أدم حاله هذه فإنه صلاح الفقراء:

وعـاد حـاتم الأصـم بعض الأغنيـاء، فلما خرج بعـث إليـه بمـال فقـال: أهـذا كان فعله في الصحة؟فقيل: لا، فقال: اللهم أدم حاله هذه فإنه صلاح الفقراء.

* * *

(١) تقي الـدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحمو ي المعروف بابن حجة، طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق أبي عمار السخاوي، دار النشر: دار الفتح - الشارقة - ١٩٩٧م، ص ٣٧٤.

مواقف الشاكرين

مواقف عربيـــة

مواقف الشاكرين

إن الله - تعالى - قرن الشكر بالذكر في كتابه فقال تعالى:{فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾} [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: {مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ} [النساء: ١٤٧]، وقال تعالى:{وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٥]، وقطع - تعالى - بالمزيد مع الشكر فقال سبحانه:{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧]، ومن الأحاديث قوله صلي الله عليه وسلم: **الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**ـــ[1].

وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول في دعائه: أسألك تمام النّعمة في الأشياء كلّها، والشّكر لك عليها حتّى ترضى وبعد الرّضا، والخيرة في جميع ما تكون فيه الخيرة بجميع ميسور الأمور كلّها لا معسورها يا كريمـــ.

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: ما ابتليت ببلاء إلاّ كان لله تعالى عليّ فيه أربع نعم: إذا لم يكن في ديني، وإذا لم يكن أعظم، وإذا لم أحرم الرّضا به، وإذا أرجو الثّواب عليهـــ.

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إنّ النّعمة موصولة بالشّكر، والشّكر يتعلّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتّى ينقطع الشّكر من العبدـــ.

وقال محمّد بن كعب القرظيّ - رحمه الله تعالى -: الشّكر تقوى الله تعالى، والعمل الصّالح، وهذا يقال لمن هو متلبّس بالفعلـــ.

وقال أبو عبد الرّحمن السّلميّ - رحمه الله تعالى -: الصّلاة شكر، والصّيام شكر، وكلّ خير تعمله لله عز وجل شكر، وأفضل الشّكر الحمدـــ.

وقال أبو حازم - رحمه الله تعالى - لرجل سأله: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيرا أعلنته، وإن رأيت بهما شرّا سترته، قال فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرا وعيته وإن سمعت بهما شرّا دفعتهـــ، قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقّا لله هو فيهما.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤٣/٤، رقم ١٩٠٣٦)، والدارمى (١٣٠/٢، رقم ٢٠٢٤)، وابن ماجه (٥٦١/١، رقم ١٧٦٥) قال البوصيرى (٨٣/٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والطبرانى (١٠٠/٧، رقم ٦٤٩٢). وأخرجه أيضًا: القضاعى (١٨٠/١، رقم ٢٦٤). قال الشيخ الألباني: صحيح.

قال: فما شكر البطن؟ قال: قال الله تعالى:{ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧} [المؤمنون: ٥ - ٧].

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله تعالى -: الخير الّذي لا شرّ فيه: العافية مع الشّكر، فكم من منعم عليه غير شاكر.

وقال أيضا: إنّ الله ليمتّع بالنّعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابا، ولهذا كانوا يسمّون الشّكر: الحافظ، لأنّه يحفظ النّعم الموجودة: والجالب، لأنّه يجلب النّعم المفقودة.

قال بكر بن عبد الله المزنيّ - رحمه الله تعالى -: قلت لأخ لي أوصني. فقال: ما أدري ما أقول غير أنّه ينبغي لهذا العبد ألاّ يفتر من الحمد والاستغفار، فإنّ ابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النّعمة إلاّ بالحمد والشّكر، ولا يصلح الذّنب إلاّ بالتّوبة والاستغفار.

قال كعب الأحبار - رحمه الله تعالى -: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدّنيا فشكرها لله، وتواضع بها لله إلاّ أعطاه الله نفعها في الدّنيا ورفع له بها درجة في الآخرة. وما أنعم الله على عبد نعمة في الدّنيا، فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها إلاّ منعه الله نفعها في الدّنيا، وفتح له طبقات من النّار يعذّبه إن شاء أو يتجاوز عنه.

وقال يونس بن عبيد - رحمه الله تعالى - لرجل يشكو ضيق حاله: أيسرّك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرّجل: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا.فذكّره نعم الله عليه. فقال يونس: أرى عندك مئين الألوف وأنت تشكو الحاجة.

وقال مطرّف - رحمه الله تعالى -: لأن أعافى فأشكر، أحبّ إليّ من أن أبتلى فأصبر.

قال الشّعبيّ - رحمه الله تعالى -: الشّكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كلّه.

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى -: عليكم بملازمة الشّكر على النّعم، فقلّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم.

وقال - رحمه الله تعالى -: من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتمّ ذلك حتّى يرى الزّيادة لقول الله تعالى:{لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ } [إبراهيم: ٧]، وإنّ من شكر النّعمة أن يحدّث بها.

و قال أبو حاتم بن حبّان البستيّ رحمه الله تعالى -: الواجب على العاقل أن يشكر النّعمة، ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته إن قدر بالضّعف وإلاّ فبالمثل، وإلاّ فبالمعرفة بوقوع النّعمة عنده، مع بذل الجزاء له بالشّكر.

و أنشدني عليّ بن محمّد:

علامة شكر المرء إعلان حمده ::: فمن كتم المعروف منهم فما شكر
إذا ما صديقي نال خيرا فخانني ::: فما الذّنب عندي للّذي خان أو فجر

و أنشد عبد العزيز بن سليمان:

لأشكرنّك معروفا هممت به ::: إنّ اهتمامك بالمعروف معروف
ولا ألومك إن لم يمضه قدر ::: فالشّيء بالقدر المجلوب مصروف

وأنشد المنتصر بن بلال:

ومن يسد معروفا إليك فكن له ::: شكورا يكن معروفه غير ضائع
ولا تبخلن بالشّكر والقرض فاجزه ::: تكن خير مصنوع إليه وصانع

وقال الكريزيّ:

أحقّ النّاس منك بحسن عون ::: لمن سلفت لكم نعم عليه
وأشكرهم أحقّهم جميعا ::: بحسن صنيعة منكم إليه

وقال بعضهم:

فكن شاكرا للمنعمين لفضلهم ::: وأفضل عليهم إن قدرت وأنعم
ومن كان ذا شكر فأهل زيادة ::: وأهل لبذل العرف من كان ينعم

وقال آخر: الحرّ لا يكفر النّعمة، ولا يتسخّط المعصية، بل عند النّعم يشكر، وعند المصائب يصبر، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أوشك ألاّ يشكر الكثير منه، والنّعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلاّ بالشّكر).

وقال ابن قدامة - رحمه الله تعالى -: الشّكر يكون بالقلب واللّسان والجوارح. أمّا بالقلب فهو أن يقصد الخير ويضمره للخلق كافة. وأمّا باللّسان: فهو إظهار الشّكر لله بالتّحميد، وإظهار الرّضا عن الله تعالى. وأمّا الجوارح: فهو استعمال نعم الله في طاعته، والتّوقّي من الاستعانة بها على معصيته، فمن شكر العينين أن تستر كلّ عيب تراه للمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كلّ عيب تسمعه.

قال بعض السّلف رحمهم الله تعالى: النّعم وحشيّة فقيّدوها بالشّكر.

ومن فوائد الشكر عامة:

- من كمال الإيمان وحسن الإسلام إذ إنّه نصف والنّصف الآخر الصبر.
- اعتراف بالمنعم والنعمة.
- سبب من أسباب حفظ النعمة بل المزيد.
- لا يكون باللّسان فقط بل اللّسان يعبّر عمّا في الجنان وكذلك يكون بعمل الجوارح والأركان.
- كثرة النّعم من المنعم لا يمكن أن يؤدّي الإنسان حقّها إلاّ بالشّكر عليها.
- يكسب رضا الرّبّ ومحبّته.
- الإنسان الشّكور قريب من النّاس حبيب إليهم.
- فيه دليل على سموّ النّفس ووفور العقل.
- الشّكور قرير العين، يحبّ الخير للآخرين ولا يحسد من كان في نعمة.

ومن المواقف:

أخشى أن يكون حظك من الله لسانك:

قال الجنيد: كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين، فتكلموا في الشكر، فقال: يا غلام، ما الشكر؟ قلت: أن لا يعصى الله بنعمه، فقال: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك. قال الجنيد: فلا أزال أبكي على قوله.

شكراً لله:

عن سفيان بن عيينة قال: عمل رجل من أهل الكوفة بخلق دنيء فأعتق جارية له إذ عافاه الله من ذلك الخلق؛ قال: وأمطر أهل مكة مطراً فهدمت منه البيوت فأعتق ابن أبي رواد جارية له شكراً لله إذ عافاه الله من ذلك.

فردّه الله عليك وزادك خمسين دينارا:

قال مكّيّ بن إبراهيم - رحمه الله تعالى -: كنّا عند ابن جريج المكّيّ، فجاء سائل فسأله؟ فقال ابن جريج لخازنه: أعطه دينارا، فقال: ما عندي إلاّ دينار إن أعطيته لجعت وعيالك. قال: فغضب وقال: أعطه. قال مكّيّ: فنحن عند ابن جريج، إذ جاءه رجل بصرّة وكتاب وقد بعث إليه بعض إخوانه، وفي الكتاب: إنّي قد بعثت إليك خمسين دينارا قال: فحلّ ابن جريج الصّرّة فعدّها فإذا هي أحد وخمسون دينارا قال: فقال ابن جريج لخازنه: قد أعطيت واحدا فردّه الله عليك وزادك خمسين دينارا [1].

* * *

(١) الترمذي (٤/ ٣٣١).

مواقف المتوكلين على الله

مواقف عربية

مواقف المتوكلين على الله

التوكل لغة: مصـــدر توكّل يتوكّل وهو مأخوذ من مادّة (وك ل) الّتي تدلّ على اعتماد على الغير في أمر ما، ومن ذلك التّوكّل وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك، وواكل فلان إذا ضـيّع أمره متّكلا على غيره والوكال في الدّابة: أن يسـير بسـير الآخر. وقال الرّاغب: التّوكيـل أن تعتمـد على غيرك وتجعلـه نـائبـا عنـك، وتواكـل القوم إذا اتّكـل كلّ على الآخر، والاسـم من التّوكيل الوكالة (بالفتح والكسر). والاسـم: التّكلان، وتقول: اتّكلت على فلان في أمري إذا اعتمـدتـه، ويقال: فلان وكلة أو تكلة، أي عاجز يكل أمره إلى غيره، كما يقال: فرس واكل يعني يتّكل على صاحبه في العدو، ويحتاج إلى الضّرب.

والمتوكّـل على الله: الّذي علم أنّ الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده، ولا يتوكّل على غيره.

قال ابن سـيده: يقال وكل بالله وتوكّل عليه واتّكل بمعنى اسـتسـلم إليه، ويقال توكّل بالأمر إذا ضـمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزا عن القيام بأمر نفسـه، ووكل إليه الأمر سـلّمه، ووكله إلى رأيه وكلا ووكولا: تركه.

والوكيل من أسماء الله الحسنى:

قـال ابن الأثير: في أسـماء الله تعـالى: " الوكيـل " وهو القيّم الكفيـل بـأرزاق العبـاد، وحقيقته أنّه يستقلّ بأمر الموكول إليه.

وقـال الغزاليّ: الوكيـل هو الموكول إليه الأمور ولكنّ الموكول إليه ينقسـم إلى من يوكل إليه بعض الأمور، وذلك ناقص، وإلى من يوكل إليه الكلّ، وليس ذلك إلاّ الله، سـبحانه وتعالى. والموكول إليـه ينقسـم إلى من يسـتحقّ أن يكون موكولا إليـه، لا بـذاتـه ولكن بالتّفويض والتّوكيـل، وهـذا نـاقص، لأنّه فقير إلى التّفويض والتّولية؛ وإلى من يسـتحقّ بذاته أن تكون الأمور موكولة إليه والقلوب متوكّلة عليه، لا بتولية وتفويض من جهة غيره، وذلك هو الوكيل المطلق، والوكيل أيضـا ينقسـم إلى من يفي بما وكّل إليه وفاء تامّا من غير قصور، وإلى من لا يفي بـالجميع. والوكيـل المطلق هو الّـذي الأمور موكولـة إليـه، وهو مليّ بـالقيـام بهـا، وفيّ بإتمامها، وذلك هو الله تعالى فقط.

وقد ورد لفظ: " الوكيل " في القرآن الكريم مرّات عديدة ٤ــــ وذكر فيه المفسّـرون أقوالا منها: حفيظا لكم، كفيلا بأموركم.

قال الشّنقيطيّ في أضوائه: المعاني كلّها متقاربة، ومرجعها إلى شيء واحد هو أنّ الوكيل: من يتوكّل عليه، فتفوّض الأمور إليه، ليأتي بالخير ويدفع الشّرّ.

وهذا لا يصحّ إلاّ لله وحده جلّ وعلا. ولهذا حذّر من اتّخاذ وكيل دونه لأنّه لا نافع ولا ضارّ ولا كافي إلاّ هو وحده جلّ وعلا، عليه توكّلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

من أسماء رسول الله صلي الله عليه وسلم: المتوكّل. كما في الحديث: ... **وسمّيتك المتوكّل**ـــ وإنّما قيل له ذلك صلي الله عليه وسلم لقناعته باليسير والصّبر على ما كان يكره.

واصطلاحا: صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضارّ من أمور الدّنيا والآخرة، وكلة الأمور كلّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضرّ ولا ينفع سواه.

وقال الجرجاني: التّوكّل هو الثّقة بما عند الله واليأس عمّا في أيدي النّاس.

والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل:

قال ابن قيّم الجوزيّة: التّوكّل من أعظم الأسباب الّتي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه. فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التّوكّل.

ولكن من تمام التّوكّل: عدم الرّكون إلى الأسباب.

وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها.

فالأسباب محلّ حكمة الله وأمره ونهيه.

والتّوكّل متعلّق بربوبيّته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبوديّة الأسباب إلاّ على ساق التّوكّل ولا يقوم ساق التّوكّل إلاّ على قدم العبوديّة.

بين التوكل والاتّكال:

إنّ الأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النّجاح لله تعالى والثّقة بأنّه عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملا، هو من التّوكّل المأمور به، أمّا القعود عن الأسباب وعدم السّعي فليس من التّوكّل في شيء وإنّما هو اتّكال أو تواكل حذّرنا منه رسول الله صلي الله عليه وسلم، ونهى عن الأسباب المؤدّية إليه، مصداق ذلك ما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **يا معاذ، تدري ما حقّ الله على العباد وما حقّ العباد على الله؟**ـــ قال (معاذ): قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنّ حقّ الله على**

العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحقّ العباد على الله عز وجل **ألاّ يعذّب من لا يشرك به شيئا**ـــ قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أبشّر النّاس؟ قال: **لا تبشّرهم فيتّكلوا**ـــ، وهنا يضع الرّسول صلي الله عليه وسلم قاعدة جليلة، هي أنّ كلّ ما يؤدّي إلى ترك العمل أو ما يكون مظنّة للاتّكال أو التّواكل ليس من التّوكّل في شيء، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يؤكّد هذه الحقيقة، ففي الحوار الّذي رواه أبو هريرة عن المصطفى صلي الله عليه وسلم وعمر بن الخطّاب رضي الله عنه هذا الحوار - كما جاء في رواية مسلم: قال عمر: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد ألاّ إله إلاّ الله مستيقنا بها قلبه، بشّره بالجنّة؟ قال: **نعم**ـــ، قال (عمر): فلا تفعل، فإنّي أخشى أن يتّكل النّاس عليها، فخلّهم يعملون. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **فخلّهم يعملون**ـــ. ويفهم من الحديث والّذي قبله أنّ الاتّكال يعني ترك العمل وعدم الأخذ بالأسباب وأنّ ذلك ليس من التّوكّل في شيء.

بين التوكل والتفويض:

بين التّوكّل على الله وتفويض الأمر إليه علاقة العموم والخصوص إذ التّفويض أوسع من معنى التّوكّل، والتّوكّل أخصّ من التّفويض، قال صاحب المنازل: والتّفويض ألطف إشارة، وأوسع معنى من التّوكّل، والتّوكّل يكون بعد وقوع السّبب، أمّا التّفويض فإنّه يكون قبل وقوع السّبب وبعده، والتّفويض هو عين الاستسلام، أمّا التّوكّل فهو شعبة منه.

وقال ابن القيّم: يعني بذلك من يفوّض أمره إلى الله يتبرّأ من الحول والقوّة، ويفوّض الأمر لصاحب الأمر من غير أن يقيم المفوّض إليه مقام نفسه في مصالحه، بخلاف التّوكّل، فإنّ الوكالة تقتضي أن يقوم الوكيل مقام الموكّل.

وقال - رحمه الله تعالى -: لو قال قائل: التّوكّل فوق التّفويض، وأجلّ منه وأرفع لكان مصيبا، ولهذا كان القرآن الكريم مملوءا به (أي بالتّوكّل) أمرا وإخبارا عن خاصّة الله وأوليائه، وصفوة المؤمنين، وأمر الله به رسوله في مواضع عديدة من كتابه، وسمّاه المتوكّل.

أمّا التّفويض فلم يجئ في القرآن الكريم إلاّ فيما حكاه المولى عز وجل عن مؤمن آل فرعون، وذلك قوله عز وجل:{وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ} [غافر: ٤٤]، ثمّ خلص إلى القول: إنّ اتّخاذ المولى عز وجل وكيلا هو محض العبوديّة، وخالص التّوحيد، إذا قام به صاحبه حقيقة، وهو بذلك أوسع من التّفويض، وأعلى وأرفع.

بين التوكل والثقة بالله عز وجل:

نقل ابن القيّم عن صاحب المنازل قوله: الثّقة: سواد عين التّوكّل، ونقطة دائرة التّفويض. وذكر من أمثلة ذلك ما جاء في القرآن الكريم عن أمّ موسى:{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي} [القصص: ٧]، قال: فإنّ فعلها هذا هو عين ثقتها بالله تعالى، إذ لولا كمال ثقتها بربّها لما ألقت بولدها في تيّار الماء، قال ابن القيّم: والمراد أنّ الثّقة خلاصة التّوكّل ولبّه، كما أنّ سواد العين أشرف ما فيها، أمّا العلاقة بين الثّقة والتّفويض فتتلخّص في أنّ الثّقة هي التي يدور عليها التّفويض، قال: وكثير من النّاس يفسّر التّوكّل بالثّقة— . ومنهم من يفسّره بالتّفويض، ومنهم من يفسّره بالتّسليم ومقام التّوكّل يشمل ذلك كلّه.

قلت: وممّا يدلّ على صحّة ما قال ابن القيّم من شمول معنى التّوكّل لكلّ من التّفويض والثّقة ما ذكره الإمام الغزاليّ في تعريف التّوكّل حيث قال: التّوكّل مشتقّ من الوكالة، يقال: وكل أمره إلى فلان: أي فوّضه إليه واعتمد عليه فيه، ويسمّى المفوّض إليه: متّكلا عليه ومتوكّلا عليه متى اطمأنّت إليه نفسه ووثق به، ولم يتّهمه فيه بتقصير، ولم يعتقد فيه عجزا أو قصورا، وهو (التّوكّل) عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده.

مواطن التوكل: إنّ التّوكّل على الله عز وجل مطلوب في كلّ شئون الحياة، بيد أنّ هناك مواطن كثيرة ورد فيها الحضّ على التّوكّل والأمر به للمصطفى صلي الله عليه وسلم والمؤمنين، وقد ذكر الفيروز آباديّ من ذلك:

- إن طلبتم النّصر والفرج فتوكّلوا عليه:{إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠].

- إذا أعرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التّوكّل:{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ٨١].

- إذا أعرض عنك الخلق فاعتمد على التّوكّل:{فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} [التوبة: ١٢٩].

- إذا تلي القرآن عليك أو تلوته فاستند على التّوكّل:{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢].

- إذا طلبت الصّلح والإصلاح بين قوم لا تتوسّل إلى ذلك إلاّ بالتّوكّل:{وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ} [الأنفال: ٦١].

- إذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتّوكّل:{ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١].

- إذا نصبت الأعداء حبالات المكر فادخل أنت في أرض التّوكّل: {وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ} [يونس: ٧١].

- إذا عرفت أنّ مرجع الكلّ إلى الله وتقدير الكلّ فيها لله فوطّن نفسك على فرش التّوكّل:{فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣].

- إذا علمت أنّ الله هو الواحد على الحقيقة، فلا يكن اتّكالك إلاّ عليه:{قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد: ٣٠].

- إذا كانت الهداية من الله، فاستقبلها بالشّكر والتّوكّل:{ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾} [إبراهيم: ١٢].

- إذا خشيت بأس أعداء الله والشّيطان والغدّار فلا تلتجئ إلاّ إلى باب الله:{ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [النحل: ٩٩].

- إذا أردت أن يكون الله وكيلك في كلّ حال، فتمسّك بالتّوكّل في كلّ حال:{وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ٨١].

- إذا أردت أن يكون الفردوس الأعلى منزلك فانزل في مقام التّوكّل:{ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾} [النحل: ٤٢].

- - إن شئت أن تنال محبّة الله فانزل أوّلا في مقام التّوكّل:{فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: ١٥٩].

- إذا أردت أن يكون الله لك، وتكون لله خالصا فعليك بالتّوكّل: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ} [الطلاق: ٣].{ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾} [النمل: ٧٩].

وقد قال الله عز وجل:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾} [آل عمران: ١٥٩].

وقال الله عز وجل:{ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾} [النساء: ٨١ - ٨٣].

وقال الله عز وجل:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾} [المائدة: ١١].

وقال الله عز وجل:{وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾} [الأنفال: ٦١].

وقال الله عز وجل:{ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾} [التوبة: ٥١].

وقال الله عز وجل:{ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾} [هود: ١٢٣].

وقال الله عز وجل:{وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾} [الفرقان: ٥٦ - ٥٩].

وقال الله عز وجل:{ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾} [الشعراء: ٢١٤ - ٢٢٠].

وقـال الله عز وجل:{إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ } [النمل: ٧٦ - ٧٩].

وقـال الله عز وجل:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾} [الأحزاب: ١ - ٣].

نعم الوكيل (الله - عز وجل) -:

وقـال الله عز وجل:{يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾}

[آل عمران: ١٧١ - ١٧٣].

وقـال الله عـز وجـل:{وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾}

[النساء: ١٣٢].

وقال الله عز وجل:{يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾} [النساء: ١٧١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

قال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم: **إذا خرج الرّجل من بيته فقال: بســم الله، توكّلـت على الله، لا حول ولا قوّة إلاّ بـالله. قـال: يقـال حينئـذ: هديت وكفيت ووقيت فتتنحّى[١] له الشّـياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟ــــ**[٢].

(١) تتنحى: تتأخر.

(٢) أبو داود (٥٠٩٥) واللفظ له. الترمذي (٢٤٢٦) وقال: هذا حديث حسـن صـحيح غريب. وقال محقق♂جامع الأصول " (٤/ ٢٧٤): وهو حديث صحيح.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكّل، أو أطلقها وأتوكّل؟ قال: **اعقلها وتوكّل**[(١)].

وعن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لو أنّكم توكّلتم على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطّير تغدو**[(٢)] **خماصا وتروح**[(٣)] **بطانا**[(٤)].

وعن ابن عبّاس ☻ قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **عرضت عليّ الأمم، فرأيت النّبيّ ومعه الرّهيط**[(٥)]**، والنّبيّ ومعه الرّجل والرّجلان، والنّبيّ ليس معه أحد. إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنّهم أمّتي، فقيل لي: هذا موسى** صلي الله عليه وسلم **وقومه ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمّتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عذاب**. ثمّ نهض فدخل منزله فخاض النّاس في أولئك الّذين يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عذاب. فقال بعضهم: فلعلّهم الّذين صحبوا رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقال بعضهم فلعلّهم الّذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكر أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: **ما الّذي تخوضون فيه؟** فأخبروه. فقال: **هم الّذين لا يرقون ولا يسترقون**[(٦)]**، ولا يتطيّرون**[(٧)] **وعلى ربّهم يتوكّلون**. فقام عكّاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: **أنت منهم**، ثمّ قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني

---

(١) الترمذي (٢٥١٧) وهذا لفظه، وقال: هذا حديث غريب من حديث أنس. الحاكم (٣/ ٦٢٣) وقال الذهبي في التلخيص: إسناده جيد، البيهقي في الشعب (٣/ ١٤١٤) من حديث عمرو بن أمية الضمري، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء بعد أن عزاه للترمذي: رواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري، وقال: إسناده جيد. وذكره الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٨٠٩) وقال: حسن.

(٢) تغدو: تذهب أول النهار.

(٣) تروح: ترجع آخر النهار.

(٤) الترمذي (٢٣٢٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، ابن ماجه (٤١٦٤) وهذا لفظه، أحمد (١/ ٣٠) وقال أحمد شاكر (١/ ٣٤٣): إسناده صحيح، البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٧٨).

(٥) الرهيط: مصغر رهط وهم الجماعة دون العشرة.

(٦) لا يسترقون: لا يطلبون من أحد أن يرقيهم.

(٧) لا يتطيرون: لا يتشاءمون.

منهم. فقال: **سبقك بها عكّاشة**(١).

وعن عبد الله بن عبّاس ☻ أنّه قال: كنت خلف رسـول الله صلي الله عليه وسلم يوما، فقـال: **يا غلام إنّي أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سـألت فاسـأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قـد كتبـه الله لـك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصّحف**(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسـول الله صلي الله عليه وسلم إذا غزا قال: **اللّهمّ أنـت عضـدي ونصـيري، بك أحول، وبك أجول، وبك أصـول، وبك أقاتل**(٣).

وعن ابن عبّاس ☻ قال: إنّ رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم كان يقول: **اللّهمّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكّلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللّهمّ إنّي أعوذ بعزّتك لا إله إلاّ أنت أن تضلّني، أنت الحيّ الّذي لا يموت والجنّ والإنس يموتون**(٤).

وكان موسى ♠ يقول: **اللّهمّ لك الحمد وإليك المشـتكى، وأنت المسـتعان، وبك المستغاث وعليك التّكلان، ولا حول ولا قوّة إلاّ بك**.

عن ابن عبّـاس ☻ قـال: كـان أهـل اليمن يحجّون ولا يتزوّدون ويقولون: نحن المتوكّلون، فإذا قدموا مكّة سـألوا النّاس، فأنزل الله تعالى: {وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ} [البقرة: ١٩٧].

(١) البخاري - الفتح (٦٥٤١، ٥٧٠٥)، مسلم (٢٢٠) واللفظ له.

(٢) الترمذي (٢٥١٦) واللفظ له وقال: هذا حديث حسـن صـحيح، أحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣) وقال الشيخ أحمد شاكر: صحيح (٤/ ٢٩٣) برقم (٢٧٦٣).

(٣) الترمذي (٣٥٨٤) وقال: حسـن غريب وقال: عضـدي يعني عوني. أبو داود (٢٦٣٢) وهذا لفظه. وعزاه المزي في التحفة (١/ ٣٤٢) إلى سنن النسائي الكبرى وعمل اليوم والليلة أيضا.

(٤) مسلم (٢٧١٧).

قال الزّبير بن العوّام رضي الله عنه: كان أوّل من جهر بالقرآن بعد رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم بمكّة عبد الله بن مسـعود. قال: اجتمع يوما أصـحاب رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم ، فقالوا: والله ما سـمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قطّ فمن رجل يسـمعهموه؟ قال عبد الله بن مسـعود: أنا. قالوا: إنّا نخشـاهم عليك. إنّما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإنّ الله عز وجل سـيمنعني، قال: فغدا ابن مسـعود حتّى أتى المقام في الضّـحى، وقريش في أنديتها، حتّى قام عند المقام ثمّ قرأ: بسـم الله الرّحمن الرّحيم رافعا بها صـوته:{ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢} [الرحمن: ١ - ٢]، قال: ثمّ اسـتقبلها يقرؤهـا. قال: فتأمّلوه فجعلوا يقولون ما يقول ابن أمّ عبد؟ قال: ثمّ قالوا: إنّه ليتلو بعض ما جاء به محمّد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتّى بلغ منها ما شـاء الله أن يبلغ، ثمّ انصرف إلى أصـحابه وقد أثّروا في وجهه، فقالوا هذا الّذي خشينا عليك. قال: ما كـان أعـداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شـئتم لأغـادينّهم بمثلهـا، قـالوا: حسـبـك فقد أسمعتهم ما يكرهون.

عن عون بن عبد الله قال: بينا رجل في بسـتان بمصر في فتنة ابن الزّبير [١] مكتئبا معه شيء ينكت به في الأرض، إذ رفع رأسـه فسـنح له [٢] صـاحب مسـحاة، فقال له: يا هذا مالي أراك مكتئبا حزينا؟ قال: فكأنّه ازدراه [٣]. فقال: لا شيء. قال صاحب المسحاة [٤]: أللدّنيا فإنّ الدّنيا عرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر، والآخرة أجل صادق يحكم فيها ملك قادر، يفصل بين الحقّ والباطل. فلمّا سـمع ذلك منه كأنّه أعجبه، قال: فقال: لما فيه المسـلمون. قال: فإنّ الله سـينجّيك بشـفقتك على المسـلمين، وسـل، فمن ذا الّذي سـأل الله عز وجل فلم يعطه، ودعاه فلم يجبه وتوكّل عليه فلم يكفه، أو وثق به فلم ينجه؟ قال: فعلقت لدعاء [٥]: اللّهمّ سلّمني وسلّم منّي فتمحّلت [٦] ولم تصب منهم أحدا[٧]

(١) فتنة ابن الزبير: قتاله مع الحجاج.

(٢) فسنح له: عرض له.

(٣) ازدراه: استصغر شأنه.

(٤) مسحاة: مجراف من الحديد.

(٥) فعلقت لدعاء: فاغتنمته.

(٦) فتمحلت: فانكشفت الفتنة.

(٧) التوكل لابن أبي الدنيا (٥٢) وقال مخرجه: إسناده صحيح.

قال سعيد بن جبير - رحمه الله -: التّوكّل على الله عز وجل جماع الإيمان.

قال عياض الأشعريّ - رحمه الله تعالى: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجرّاح ويزيد بن أبي سفيان وابن حسنة وخالد بن الوليد وعياض. وقال عمر رضي الله عنه: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة. قال فكتبنا إليه: أنّه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه فكتب إلينا أنّه قد جاءني كتابكم تستمدّوني وإنّي أدلّكم على من هو أعزّ نصرا وأحضر جندا، الله عز وجل فاستنصروه فإنّ محمّدا صلي الله عليه وسلم قد نصر يوم بدر في أقلّ من عدّتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني. فقاتلناهم فهزمناهم وقتلناهم أربع فراسخ، وأصبنا أموالا.

قال شقيق بن سلمة أبو وائل؛ قال: خرجنا في ليلة مخوفة، فمررنا بأجمة[1] فيها رجل نائم، وقيّد فرسه فهي ترعى عند رأسه فأيقظناه، فقلنا له:

تنام في مثل هذا المكان؟ قال: فرفع رأسه فقال: إنّي أستحي من ذي العرش أن يعلم أنّي أخاف شيئا دونه ـــ ثمّ وضع رأسه فنام.

قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -: ينبغي للنّاس كلّهم (يتوكّلون) على الله عز وجل ولكن يعوّدون أنفسهم بالكسب فمن قال بخلاف هذا القول فهذا قول إنسان أحمق.

وقال أيضا: الاستغناء عن النّاس بطلب العمل أعجب إلينا من الجلوس وانتظار ما في أيدي النّاس.

وقال أيضا: صدق المتوكّل على الله عز وجل - أن يتوكّل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميّين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكّلا.

قال ابن القيّم - رحمه الله تعالى: التّوكّل من أقوى الأسباب الّتي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم.

قال ابن القيّم والفيروز آباديّ - رحمهما الله تعالى -: التّوكّل نصف الدّين، والنّصف الثّاني الإنابة، فإنّ الدّين استعانة وعبادة، فالتّوكّل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة.

وقال صالح بن جناح:

- فليس لنا غيرَ التوكلِ عصمةٌ ::: على رَبِّنا إِن التوكلَ نافعُ

(١) الأجمة: الشّجر الكثير الملتفّ.

وقال يحيى بن زياد:

– لا تجزعَنَّ متى اتكلْتَ على الذي ::: مـا زالَ مبتـد ئـاً يجودُ ويفضـلُ

– ولقـد يريحُ أخو التوكل نفسـهُ ::: إِن المـريـحَ لـعـمرُك المتوكـلُ

وقال مسعود سماحة:

– ألا انظرْ في أمورك لا تكلـهـا ::: لهـذا من صـحـابـك أو لذاكا

– وخـَلِّ أمورَ غيرِكَ في يـديـه ::: فعنـدَكَ من أمورِكَ مـا كفـاكـا

وقال مالك بن عيمر التغلبي:

– تـوكـلنـا على الرحمنِ إنـا ::: وجـدْنـا الخـيرَ لـلـمتوكلينـا

– ومـن لبس التوكـلَ لم تجـِدْهُ ::: يخـافُ جـرائـرَ المـتـجبرينـا

وقال منصور بن محمد الكريزي:

– توكـلْ على الرحمنِ في كلِّ حاجةٍ ::: أردتَ فـإِن الله يقضـي ويقـدرُ

– متى ما يردْ ذو العرشِ أمراً بعبدهِ ::: يصـيبـهُ ومـا للعبـد مـا يتخيرُ

– وقد يهلكُ الإنسانُ من وجهِ أمنهِ ::: وينجو بـإِذن الله من حيـثُ يحـذرُ

من فوائد (التوكل):

- أنّه من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

- يجلب محبّة الله تعالى ومعونته ونصره وتأييده.

- دوام طلب المعونة من الله الملك ليقين المتوكّل بالعجز التّامّ عن تحصيل ما يريده وتمام قدرة الله على إنجاز كلّ ما يريد وفوق ما يريد.

- الحفظ والمنعة من الشّيطان الرّجيم ومن البشر اللّئيم.

- الوقوف على الحدود الشّرعيّة وعدم الخوض في الحرام.

- ترك المزاحمة مع النّاس؛ لأنّ المتوكّل لا يخاف فوت شيء قدّر له.

- قطع الطمع فيما في أيدي النّاس توكّلا على ما عند الله.

- راحة البال واستقرار الحال.

- لا يمنع الأخذ بالأسباب المشروعة المباحة مع الخروج من أسرها.

- يحقّق طاعة الله ورسوله صلي الله عليه وسلم.

- يحقّق رضا الله، فيجعل للعبد مخرجا ويكفّر عنه سيّئاته.

- يهيّأ صاحبه للفوز بصحبة النّبيّين في جنّات النّعيم.

- من أسباب سعة الرّزق.

- به تمام المعونة من الله عز وجل ممّا يدفع عن المتوكّل شرّ الأشرار من الشّيطان ومن كلّ من يكيده.

ومن المواقف:

ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح:

قال إبراهيم بن أدهم لشقيق البلخي بمكة: ما بدء أمرك الذي بلغك إلى هذا؟ فذكر أنه رأى في بعض الفلوات طائراً مكسور الجناحين، أتاه طائر صحيح الجناح، في منقاره جرادة، فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة، فقال له إبراهيم: ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذي أطعم الطائر المكسور حتى تكون أفضل منه؟ أما سمعت عن النبي صلي الله عليه وسلم: **اليد العليا خير من اليد السفلى**. ومن علامة المؤمن: أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها، حتى يبلغ منازل الأبرار، فأخذ شقيق يد إبراهيم فقبلها وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق.

لم أعنك رحمك الله:

وعن عبد الله الهروي قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبي قيس فقال لو أن رجلا صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن [١].

أيش قلت؟:

قال حاتم: قدم شقيق بن إبراهيم من الكوفة يريد مكة، فلقيه سفيان الثوري فقال له: أنت الذي يدعو إلى التوكيل ويمنع المكاسب؟ فقال: شقيق ما قلت كذا. قال: أيش قلت؟ قال: قلت: حلال بيّن وحرام بيّن ومتشابه فيما بين ذلك ولكن دخلت الآفة من الخاصة على العامة. وهم خمس طبقات: فأولهم العلماء، والثاني الزهاد، والثالث الغزاة، والرابع التجار، والخامس السلطان. فأما العلماء فهم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم. وإذا كان العالم طامعاً جامعاً فالجاهل بمن يقتدي؟ وأما

(١) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ٥٤٩/٢.

الزهـاد فهم ملوك الأرض. فـإذا كان الزاهد يرغب فيما في أيدي الناس فالراغب بمن يقتدي؟ وأما الغزاة فهم أضـياف الله في أرضـه. فإذا كان الغازي يحب الخيلاء والتصـدر في المجالس فمن يغزو؟ وأما التجار فهم أمناء الله عز وجل في أرضه، فإذا كان التاجر الأمين خائناً فالخائن بمن يقتدي؟ وأما السـلطان فهم الرعاة، فإذا كان الراعي هو الذئب فالذئب ما يجد ما يأكل. يا سفيان، لا تجمعن منها إلا قدر مقامك فيها، فقام سفيان ولم يردّ عليه شيئاً.

هكذا كلاب بلخ:

قدم شـــقيق البلخي مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة فاجتمع الناس فقالوا نجمع بينهما فجمعوا بينهما في المسـجد الحرام فقال إبراهيم بن أدهم لشـقيق يا شـقيق على ما أصـلتم أصـولكم فقال شـقيق إنا أصـلنا أصـولنا على أنا إذا رزقنا أكلنا وإذا منعا صبرنا فقال إبراهيم بن أدهم هكذا كلاب بلخ إذا رزقت أكلت وإذا منعت صـبرت فقال شـقيق على ما أصـلتم أصـولكم يا أبا إسـحاق فقال أصـلنا أصـولنا على أنا إذا رزقنا آثرنا وإذا منعنا حمدنا وشـكرنا قال فقام شقيق وجلس بين يديه وقال يا أبا إسحاق أنت أستاذنا.

التجربة شك:

ودخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق قال إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه قالوا فنســـال الله ذلك قال إن علمتم انه ينســـاكم فذكروه قالوا لندخل البيت فنتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة.

فانتبهت وأنا أسمع الصراخ:

قال أبو سـعيد الخراز: رأيت شـقيقاً البلخي في النوم، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، غير أننا لا نلحقكم، قلت: ولم ذاك؟ قال: لأنا توكلنا على الله بوجود الكفاية وتوكلتم بعدم الكفاية، قال: فسمعت الصراخ: صدق صدق، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ [1].

* * *

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، القصاص والمذكرين، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ، نشر المكتب الإسلامي، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م، مكان النشر بيروت، ص ٢٧٥.

أحوال الراضين والقانعين

مواقــف عربيــة

أحوال الراضين والقانعين

الرضا لغة: مصدر رضي يرضى وهو مأخوذ من مادّة (ر ض و) الّتي تدلّ على خلاف السّخط. وفي حديث الدّعاء: **اللّهمّ إنّي أعوذ برضاك من سخطك**.

وتثنية الرّضا رضوان ورضيان، والاسم الرّضاء (بالمد) والرّضا (بالقصر)، قال القحيف العقيليّ:

إذا رضيت عليّ بنو قشير ::: لعمر الله أعجبني رضاها
ولا تنبو سيوف بني قشير ::: ولا تمضي الأسنّة في صفاها

عدّاه بعلى لأنّه إذا رضيت عنه أحبّته وأقبلت عليه. فلذلك استعمل على بمعنى عن.

وقوله عز وجل:{رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ} [البينة: ٨]، معناه أنّ الله تعالى رضي عنهم أفعالهم ورضوا عنه ما جازاهم به.

وقال الرّاغب: رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا بأمره ومنتهيا عن نهيه. وأرضاه: أعطاه ما يرضى به. وترضّاه طلب رضاه، قال:

إذا العجوز غضبت فطلّق ::: ولا ترضّاها ولا تملّق

وفي الصّحاح: الرّضوان: الرّضا، وكذلك الرّضوان، بالضّمّ، والمرضاة مثله. والمرضاة والرّضوان مصدران، وقيل في عيشة راضية أي مرضيّة أي ذات رضى. والرّضوان: الرّضا الكثير، ولمّا كان أعظم الرّضا رضا الله - سبحانه - خصّ لفظ الرّضوان في القرآن بما كان من الله عز وجل قال سبحانه: {يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا} [الفتح: ٢٩]، وقال عزّ من قائل:{يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ} [التوبة: ٢١].

ويقال: رضيت به صاحبا، وأرضيته عنّي ورضّيته، بالتشديد أيضا، فرضي، وتراضى القوم: أظهر كلّ واحد منهم الرّضا بصاحبه ورضيه.

والرضا اصطلاحا: هو سرور القلب بمرّ القضاء. وقيل: الرّضا ارتفاع الجزع في أيّ حكم كان، وقيل الرّضا هو صحّة العلم الواصل إلى القلب. فإذا باشر القلب حقيقة العلم أدّاه إلى الرّضا.

وقيل استقبال الأحكام بالفرح. وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام. وقيل: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنّه اختار له الأفضل. وهو ترك السّخط.

وقال المناويّ: الرّضا طيب نفسيَ للإنسان بما يصيبه أو يفوته مع عدم التّغيّر، وقول الفقهاء يشهد على رضاها أي إذنها جعلوا الإذن رضا لدلالته عليه.

أنواع الرضا:

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة - رحمه الله -:

من لزم ما يرضي الله من امتثال أوامره واجتناب نواهيه لا سيّما إذا قام بواجبها ومستحبّها فإنّ الله يرضى عنه، كما أنّ من لزم محبوبات الحقّ أحبّه الله. كما قال في الحديث الصّحيح الّذي في البخاريّ: من عادى لي وليّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته... " الحديث. وذلك أنّ الرّضا نوعان:

أحدهما: الرّضا بفعل ما أمر به وترك ما نهي عنه. ويتناول ما أباحه الله من غير تعدّ محظور.

{وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ } [التوبة: ٥٩]. وهذا الرّضا واجب.

ولهذا ذمّ من تركه بقوله:{ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ} [التوبة: ٥٨ - ٥٩].

والنّوع الثّاني: الرضا بالمصائب: كالفقر والمرض والذّلّ. فهذا رضا مستحبّ في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد قيل: إنّه واجب، والصّحيح أنّ الواجب هو الصّبر. كما قال الحسن:

الرّضا غريزة، ولكنّ الصّبر معوّل المؤمن. وقد روي في حديث ابن عبّاس أنّ النّبيّ صلي الله عليه وسلم قال: **إن استطعت أن تعمّ بالرّضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإنّ في الصّبر على ما تكره خيرا كثيرا**. وأمّا الرّضا بالكفر والفسوق والعصيان: فالّذي عليه أئمّة الدين أنّه لا يرضى بذلك، فإنّ الله لا يرضاه كما قال:{وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ} [الزمر: ٧]، وقال:{وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى:{فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ} [التوبة: ٩٦].

قال ابن القيّم - رحمه الله - بعد أن ساق حديثين: الأوّل: قوله صلي الله عليه وسلم: **ذاق طعم الإيمان من رضي باللّه ربّا وبالإسلام دينا وبمحمّد رسولا**.

والثّاني: قوله: **من قال حين يسمع النّداء رضيت باللّه ربّا وبالإسلام دينا وبمحمّد رسولا غفرت له ذنوبه**. قال - رحمه الله -: هذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدّين، وإليهما ينتهي. وقد تضمّنا الرّضا بربوبيّته سبحانه وألوهيّته. والرّضا برسوله، والانقياد له، والرّضا بدينه والتّسليم له.

ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصّدّيق حقّا.

وهي سهلة بالدّعوى واللّسان، وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الامتحان. ولا سيّما إذا جاء ما يخالف هوى النّفس ومرادها، من ذلك تبيّن أنّ الرّضا كان لسانه به ناطقا. فهو على لسانه لا على حاله.

فالرّضا بإلهيّته يتضمّن الرّضا بمحبّته وحده، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه، والتّبتّل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحبّ كلّها إليه، فعل الرّاضي بمحبوبه كلّ الرّضا. وذلك يتضمّن عبادته والإخلاص له، والرّضا بربوبيّته يتضمّن الرّضا بتدبيره لعبده. ويتضمّن إفراده بالتّوكّل عليه، وبالاستعانة به والثّقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضيا بكلّ ما يفعل به. فالأوّل: يتضمّن رضا ه بما يؤمر به. والثّاني: يتضمّن رضاه بما يقدّره عليه.

وأمّا الرّضا بنبيّه رسولا فيتضمّن كمال الانقياد له، والتّسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقّى الهدى إلاّ من مواقع كلماته ولا يحاكم إلاّ إليه، ولا يحكّم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره ا لبتّة. لا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره ولا يرضى إلاّ بحكمه.

فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطرّ إذا لم يجد ما يقيته إلاّ من الميتة والدّم. وأحسن أحواله:

أن يكون من باب التّراب الّذي إنّما يتيمّم به عند العجز عن استعمال الماء الطّهور.

وأمّا الرّضا بدينه: فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى، رضي كلّ الرّضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلّم له تسليما، ولو كان مخالفا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلّده وشيخه وطائفته[1].

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٧٩، ١٨٠)، بصائر ذوى التمييز (٣/ ٧٩ - ٨١).

وجوب ابتغاء مرضاة الله عز وجل في كل عمل:

وقال المولي عز وجل:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾} [البقرة: ٢٠٧].

وقال تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾} [البقرة: ٢٦٤ - ٢٦٥].

وقال تعالى:{لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾} [النساء: ١١٤].

وقال تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾} [المائدة: ٢ - ٣].

وقال تعالى:{ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة: ١٥ - ١٦].

وقال تعالى:{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢)} [التوبة: ٦٢].

وقال تعالى:{ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩)} [التوبة: ١٠٩].

وقال تعالى:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)} [الحديد: ٢٦ - ٢٧].

وقال تعالى:{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)} [الحشر: ٨].

وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)} [الممتحنة: ١].

إرضاء الله عز وجل رسوله صلي الله عليه وسلم والمؤمنين في الدنيا والآخرة:

وقال تعالى:{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)} [البقرة: ١٤٤].

وقال تعالى:{قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)} [آل عمران: ١٥].

وقال تعالى:{ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢)} [آل عمران: ١٦٢].

وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾} [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤].

وقال تعالى:{ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾} [المائدة: ١١٩].

وقال تعالى:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾} [التوبة: ٢٠ - ٢٢].

وقال تعالى:{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾} [التوبة: ٧٢].

وقال تعالى:{وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾} [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى:{ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾} [طه: ١٣٠].

وقال تعالى:{لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾} [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى:{وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾} [الضحى: ١ - ٥].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨} [البينة: ٧ - ٨].

وقال تعالى:{تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ۝٥١} [الأحزاب: ٥١].

وقد قال الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم: **إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة**[١] **فيحمده عليها، أو يشرب الشّربة فيحمده عليها**[٢].

وعن أبي سلاّم رضي الله عنه خادم النّبي صلي الله عليه وسلم - عن النّبي صلي الله عليه وسلم، قال: **ما من مسلم، أو إنسان، أو عبد، يقول، حين يمسي، وحين يصبح: رضيت بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمّد نبيّا إلاّ كان حقّا على الله أن يرضيه يوم القيامة**[٣].

وعن عائشة ♥ قالت: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: **من التمس رضا الله بسخط النّاس كفاه الله مؤنة النّاس. ومن التمس رضا النّاس بسخط الله وكله الله إلى النّاس**[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **من يأخذ عنّي هؤلاء الكلمات فيعمل بهنّ أو يعلّم من يعمل بهنّ**. فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعدّ خمسا، وقال: **اتّق المحارم تكن أعبد النّاس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى النّاس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحبّ للنّاس ما تحبّ لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضّحك فإنّ كثرة الضّحك تميت القلب**[٥].

---

(١) الأكلة: بفتح الهمزة، وهي المرة الواحدة من الأكل، كالغداء والعشاء.

(٢) مسلم (٢٧٣٤).

(٣) ابن ماجه (٢/ ٣٨٧٠) وفي الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٩٦٧) وهو في الصحيحة (٢٣١١).

(٥) أحمد في المسند (٢/ ٣١٠)، والترمذي (٢٣٠٥) واللفظ له وحسنه الألباني، وابن ماجه (٤٢١٧) وقال محقق جامع الأصول (١١/ ٦٨٧): حديث حسن.

وعن أمّ سلمة ♥ أنّها قالت: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: **ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللّهمّ أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها. إلاّ أخلف الله له خيرا منها**ـــ[(١)].

وعن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه أنّ رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: **إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنّة وسمّوه بيت الحمد**ـــ[(٢)].

وعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **عجبت من قضاء الله** عز وجل – **للمؤمن إن أصابه خير حمد ربّه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربّه وصبر. المؤمن يؤجر في كلّ شيء حتّى في اللّقمة يرفعها إلى فيّ امرأته**ـــ[(٣)].

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خير، وليس ذاك لأحد إلاّ للمؤمن. إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له**ـــ[(٤)].

وقد قال لقمان لابنه: أوصيك بخصال تقرّبك من الله وتباعدك من سخطه: أن تعبد الله لا تشرك به شيئا، وأن ترضى بقدر الله فيما أحببت وكرهت.

- وكتب عمر بن الخطّاب إلى أبي موسى ☻ -: أمّا بعد، فإنّ الخير كلّه في الرّضى، فإن استطعت أن ترضى وإلاّ فاصبر.

---

(١) مسلم (٩١٨).

(٢) الترمذي (١٠٢١) وحسّن إسناده الألباني.

(٣) أحمد (١/ ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨) وشرح السنة (١٥٤٠) وقال مخرجه: إسناده حسن والبيهقي في السنن (٣/ ٣٧٥، ٣٧٦) والهيثمي في المجمع (٧/ ٢٠٩) وقال: رواه أحمد بأسانيد ورجالها كلها رجال الصحيح.

(٤) مسلم (٢٩٩٩).

وعن ابن عبّاس ☻ قال: لمّا كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإســماعيل وأمّ إسـماعيل، ومعهم شـنّة [١] فيها ماء، فجعلت أمّ إسـماعيل تشرب من الشّـنّة فيدرّ لبنها على صــبيّها حتّى قدم مكّة فوضــعها تحت دوحة [٢]، ثمّ رجع إبراهيم إلى أهله فاتّبعته أمّ إســماعيل حتّى لمّا بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيت بالله[٣].

وقال عبد الله بن عمرو ☻ إذا توفّي العبد المؤمن، أرســل الله إليه ملكين، وأرســل إليه بتحفة من الجنّة. فيقال: اخرجي أيّتها النّفس المطمئنّة، اخرجي إلى روح وريحان وربّ عنك راض.

وعن عـائشـــة ♥ في قولـه تعـالى:{وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا } [النســاء: ١٢٨] ، قالت: هو الرّجل يرى من امرأته ما لا يعجبه كبرا أو غيره فيريد فراقها، فتقول: أمسكني، أو اقسم لي ما شئت. قالت: ولا بأس إذا تراضيا.

قال ميمون بن مهران: من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء.

و قـال الرّبيع بن أنس: علامـة حـبّ الله، كثرة ذكره، فإنّك لا تحبّ شــيئا إلاّ أكثرت من ذكره، وعلامة الدّين: الإخلاص لله في السّرّ والعلانية، وعلامة الشّكر: الرّضى بقدر الله والتّسليم لقضائه.

وعن مـالـك بن أنس - رحمـه الله - قال بلغني أنّ رجلا من بعض الفقهاء كتب إلى ابن الزّبير ☻ - يقول: ألا إنّ لأهـل التّقوى علامـات يعرفون بها، ويعرفونها من أنفســهم، من رضي بالقضـاء، وصـبر على البلاء، وشـكر على النّعماء، وصـدق باللّسان، ووفّى بالوعد والعهد، وتلا لأحكام القرآن، وإنّما الإمام سـوق من الأسـواق، فإن كان من أهل الحقّ حمل إليه أهل الحقّ حقّهم، وإن كان من أهل الباطل حمل إليه أهل الباطل باطلهم.

وقال عبد الله بن المبارك: قال داود لابنه سليمان عليهما السّلام: يا بنيّ، إنّما تستدلّ على تقوى الرّجل بثلاثة أشـياء: لحسـن توكّله على الله فيما نابه، ولحسن رضاه فيما آتاه، ولحسن زهده فيما فاته.

---

(١) الشّنّة: هي القربة الصّغيرة.

(٢) الدوحة: الشجرة الكبيرة.

(٣) البخاري - الفتح ٦ (٣٣٦٥).

وقال ابن القيّم - رحمه الله -: ثمرة الرّضا: الفرح والسّرور بالرّبّ تبارك وتعالى.

وقال الفيروز اباديّ: رضا العبد عن الله على ألاّ يكره ما يجري به قضاؤه، والرّضوان الرّضا الكبير. ولمّا كان أعظم الرّضا رضا الله خصّ لفظ الرّضوان في القرآن بما كان من الله تعالى.

وقال محمود الورّاق:

أعييت كلّ النّاس من نفسي الرّضا ::: إلاّ الحسود فإنّه أعياني

ما إنّ لي ذنبا إليه عملته ::: إلاّ تظاهر نعمة الرّحمن

وأبى فما يرضيه إلاّ ذلّتي ::: وذهاب أموالي وقطع لساني

وقال المتنبّي:

وعين الرّضا عن كلّ عيب كليلة ::: كما أنّ عين السّخط تبدي المساويا

وقال كشاجم:

لم أرض عن نفسي مخافة سخطها ::: ورضا الفتى عن نفسه إغضابها

ولو انّني عنها رضيت لقصّرت ::: عمّا تزيد بمثله آدابها

وتبيّنت آثار ذاك فأكثرت ::: عذلي عليه فطال فيه عتابها

من فوائد الرضا:

- يثمر محبّة الله ورضاه وتجنّب سخطه.
- دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار.
- مظهر من مظاهر صلاح العبد وتقواه.
- الوعد بالبشرى في الآخرة.
- دليل حسن ظنّ العبد بربّه.
- طريق إلى الفوز برضوان الله تعالى.
- يضفي على الإنسان المسلم راحة نفسيّة وروحيّة.
- يجنّب المسلم الأزمات النّفسيّة من قلق زائد وتوتّر.
- طريق واضح إلى تحقيق السّلام الاجتماعي.

ومن المواقف

فما عوضك؟:

كان لبعض الملوك نديم فسكر ففاتته الصلاة فجاءت جارية له بجمرة نار فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت إنك لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فترك الدنيا وانقطع إلى العبادة وقعد يبيع البقل فدخل عليه الفضيل وابن عيينة فإذا تحت رأسه لبنة وليس تحت جنبه حصير فقالا له إنا روينا أنه لم يدع أحد شيئا لله إلا عوضه خيرا منه فما عوضك؟ قال القناعة والرضا بما أنا فيه[1].

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا!:

ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض الصحاري فأكلا كسرة يابسة واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران وقام الفضيل فحط رجليه في الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التي هو فيها فقال لرفيقه لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا [2].

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف:

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملأها، ثم قال: (بسم الله) وشرب الماء، ثم قال: (الحمد لله)، ثم ملأ كفيه من الماء وقال: (بسم الله) وشرب، ثم قال: (الحمد لله)، ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطؤوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟![3].

---

(١) أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٧٩٢/١.

(٢) ابن هبة الله، شرح نهج البلاغة،، ٤٢٩١/١.

(٣) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ / ١٣٤.

وهو عن الله راض والله عنه راض:

عن بن شـوذب قال اجتمع مالك بن دينار ومحمد بن واسـع فتذاكروا العيش فقال مالك ما شيء أفضـل من أن يكون للرجل غلة يعيش فيها فقال محمد طوبى لمن وجد غداء ولم يجد عشاء ووجد عشاء ولم يجد غداء وهو عن الله راض والله عنه راض[1].

* * *

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤ / ١٢٤٤.

حقيقة الدنيا

مواقــف عربيــة

حقيقة الدنيا

وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور:

جاء في مختصر منهاج القاصدين▬ ما مختصره:

الآيات الواردة في القرآن العزيز بعيب الدنيا، والتزهيد فيها، وضرب الأمثال لها كثيرة، كقوله تعالى:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ } [آل عمران: ١٤ - ١٥]، وقوله:{وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ } [آل عمران: ١٨٥]، وقوله:{إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ } [يونس: ٢٤]، وقوله:{ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ } [الحديد: ٢٠]، وقوله:{وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾} [الزخرف: ٣٥]، وقوله:{ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ } [النجم: ٢٩ - ٣٠].

وأما الأحاديث، ففي الصحيحين▬ من رواية المسور بن شداد، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع▬**؟.

وفي حديث آخر: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر▬ رواه مسلم.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز في ذم الدنيا كتاباً طويلاً فيه: أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام، فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها، تذل من أعزها، وتفقر من جمعها، كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فاحذر هذه الدار ا لغِرارة الخيالة الخداعة، وكن أسرّ ما تكون فيها، احذر ما تكون لها، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خيراً، ولم يضرب لها مثلاً لكانت قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عند الله سبحانه قدر ولا وزن.

ولقد عرضت على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه عند الله جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، زواها الله عن الصالحين اختياراً، وبسطها لأعدائه اغتراراً، أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرمَ بها؟ ونسي ما صنع الله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حين شد على بطنه الحجر، والله ما أحد من الناس بسط له في الدنيا، فلم يخف أن يكون قد مكر به، إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه، وما أمسك عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها، إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه.

وقال مالك بن دينار: اتقوا السحارة، فإنها تسحر قلوب العلماء - يعني الدنيا.

ومن أمثلة الدنيا: قال يونس بن عبيد: شبهت الدنيا كرجل نائم، فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك انتبه.

ومثل هذا قولهم: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.

والمعنى أنهم ينتبهون بالموت وليس في أيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به.

قيل: إن عيسى ♠ رأى الدنيا في صورة عجوز هتماء[1] عليها من كل زينة. فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم. قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلتُ، فقال عيسى ♠: بؤساً لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد، ولا يكونون منك على حذر.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء[2] زرقاء أنيابها بادية، مشوه خلقها، فتشرف على الخلق، فيقال: هل تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه. فيقال: هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها، وبها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تقذف في جهنم؛ فتنادي: يا رب، أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها.

وعن أبي العلاء، قال: رأيت في النوم عجوزاً كبيرة عليها من كل زينة، والناس عكوف عليها متعجبون، ينظرون إليها، فقلت: من أنت ويلك؟ قالت: أما تعرفني؟ قلت: لا، قالت: أنا الدنيا. فقلت: أعوذ بالله من شرك. قالت: إن أحببت أن تعاذ من شري فأبغض الدرهم.

---

(١) ليس لها أسنان، وفي نسخة: صماء، وهى الداهية.

(٢) الشمط في الشعر: اختلاطه بلونين من سواد وبياض، أو بياض شعر الرأس يخالط سواده.

وقال بعضهم: رأيت الدنيا في النوم عجوزًا مشوهة الخلقة حدباء.

مثال آخر: واعلم أن أحوالك ثلاث: حال لم تكن فيها شيئًا، وهي قبل أن توجد [١].

وحال أخرى، وهي من ساعة موتك إلى ما لا نهاية له في البقاء السرمدي، فإن لنفسك وجودًا بعد خروجها من بدنك، إما في الجنة أو النار، وهو الخلود الدائم.

وبين هاتين الحالتين حالة متوسطة، وهي أيام حياتك في الدنيا، فانظر إلى مقدار ذلك، وانسبه إلى الحالتين، تعلم أنه أقل من طرفة عين في مقدار عمر الدنيا.

ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها، ولم يبال كيف انقضت أيامه بها في ضرر وضيق، أو سعة ورفاهية، ولهذا لم يضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة. وقال: ما لي وللدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب، قال تحت شجرة، ثم راح وتركها[٢].

وقال عيسى ♠: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها.

هذا مثل واضح، فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة، واللحد هو الركن الثاني على آخر القنطرة.

ومن الناس من قطع نصف القنطرة، ومن الناس من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها، وكيفما كان فلابد من العبور، فمن وقف يبني على القنطرة ويزينها وهو يستحث للعبور عليها، فهو في غاية الجهل والحمق.

وقيل: مثل طالب الدنيا، مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شربًا، ازداد عطشًا حتى يقتله.

وكان بعض السلف يقول لأصحابه: انطلقوا حتى أريكم الدنيا، فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم.

وقد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقًا، فاعتقدوا أن الإشارة إلى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع، فأعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمشارب.

---

(١) ففروا إلى الله، ص ٤١.

(٢) أخرجه أحمد (٣٠١/١، رقم ٢٧٤٤)، والطبرانى (٣٢٧/١١، رقم ١١٨٩٨)، وابن حبان (٢٦٥/١٤، رقم ٦٣٥٢)، والحاكم (٣٤٤/٤، رقم ٧٨٥٨) وقال: صحيح على شرط البخارى. والبيهقى في شعب الإيمان (٣١٢/٧ رقم ١٠٤١٧).

وقد وضع الله في الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها، فكلما تاقت منعوها، ظنًا منهم أن هذا هو الزهد المراد، وجهلاً بحقوق النفس، وعلى هذا أكثر المتزهدين، وإنما فعلوا ذلك لقلة العلم، ونحن نصدع بالحق من غير محاباة فنقول:

اعلم: أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان، فيها حظ، وهي الأرض وما عليها، فإن الأرض مسكن الآدمي، وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح، وكل ذلك علف لراحلة بدنه السائر إلى الله عز وجل، فإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح، كما لا تبقى الناقة في طريق الحج إلا بما يصلحها، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به مدح، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنف الشره وقع في الذم، فإنه ليس للشره في تناول الدنيا وجه؛ لأنه يخرج عن النفع إلى الأذى، ويشغل عن طلب الآخرة فيفوت المقصود، ويصير بمثابة من أقبل يعلف الناقة، ويرد لها الماء، ويغير عليها ألوان الثياب، وينسى أن الرفقة قد سارت، فإنه يبقى في البادية فريسة للسباع هو وناقته.

ولا وجه أيضًا للتقصير في تناول الحاجة، لأن الناقة لا تقوى على السير إلا بتناول ما يصلحها، فالطريق السليم هي الوسطى، وهي أن يأخذ من الدنيا قدر ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك، وإن كان مشتهى، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها.

وقد كان سفيان الثوري يأكل في أوقات من طيب الطعام، ويحمل معه في السفر الفالوذج.

وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات، ويقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال.

ولينظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا، ولا تفريط في حقوق النفس.

وينبغي أن يتلمح حظ النفس في المشتهى، فإن كان في حظها حفظها وما يقيمها ويصلحها وينشطها للخير، فلا يمنعها منه، وإن كان حظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصالحها المذكورة فذلك حظ مذموم، والزهد فيه يكون. اهـ من مختصر منهاج القاصدين ـ.

فائدة:

قال ابن السماك الواعظ: هب الدنيا في يديك، ومثلها ضُم إليك، والمشرق والمغرب جاءا إليك، فجاءك الموت ماذا في يديك؟!

ومن المواقف:

انطلقوا حتى أريكم الدنيا:

وكان الفضيل بن عياض يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجي ء بهم إلى المزبلة فيقول انظروا إلى عنبهم وسمنهم ودجاجهم وبطهم صار إلى ما ترون[1].

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:

وقال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال: أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه [2].

ماذا تفعل الدنيا بأهلها!؟:

قال حدثني سفيان بن عيينة قال بينا أنا ومسعر بن كدام مع إسماعيل بن أمية بفناء الكعبة إذا بعجوز قد طلعت علينا عوراء متكئة على عصا يصفق أحد لَحْيَيْها على الآخر فوقفت على إسماعيل فسلمت عليه فرد عليها السلام وسألها فأحفى المسألة ثم انصرفت فقال إسماعيل لا إله إلا الله ماذا تفعل الدنيا بأهلها ثم أقبل علينا فقال أتعرفان هذه قلنا لا والله ومن هي قال هذه بَغُومُ بن أبي ربيعة التي يقول فيها

(حَبَّذا أنتِ يا بَغُومُ وأسماءُ ::: وعِيصٌ يَكُنُّنا وخَلاَءُ)

انظرا كيف صارت وما كان بمكة امرأة أجمل منها قال فقال له مسعر لا ورب هذه البنية ما أرى أنه كان عند هذه خير قط [3].

من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فاخدميه:

قال سفيان بن عيينة: سمعت أبا حازم يقول: أوحى الله عز وجل إلى الدنيا من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فاخدميه.

---

(١) ابن هبة الله، شرح نهج البلاغة،، ١٦٤٥/١.

(٢) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٣٩٣/٢.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٧٤/١.

ما حملك على الخروج من الدنيا؟:

إبراهيم بن أدهم قال لقيت رجلا بالإسكندرية يقال له أسلم بن زيد الجهني فقال من أنت يا غلام فقلت شاب من أهل خراسان قال ما حملك على الخروج من الدنيا فقلت زهدا فيها ورجاء ثواب الله تعالى فقال إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر فقال له رجل ممن كان معه وأي شيء الصبر فقال إن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس قال قلت ثم مه قال إذا كان محتملا للمكاره أورث الله عزوجل قلبه نورا قلت فماذا النور قال سراج يكون في قلبه يفرق بين الحق والباطل والمتشابه ثم قال يا غلام إياك إذا صحبت الأخيار وجاريت الأبرار أن تغضبهم عليك لأن الله تعالى يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم وذلك أن الحكماء هم العلماء هم الراضون عن الله إذا سخط الناس يا غلام احفظ عني واعقل واحتمل ولا تعجل ولاتعجل إياك والبخل قلت وما البخل قال أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل ضنينا بماله وأما عند أهل الآخرة فهو الذي يضن بنفسه عن الله ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث الله قلبه الهدى والتقى وأعطي السكينة والوقار والحلم الراجح والعقل الكامل [1].

ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!:

قال سفيان بن عيينة: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة؛ فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة! فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا؛ فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟![2].

ذهبوا وبقيت أعمالهم:

عن مجاهد قال مررت مع ابن عمر على خربة فقال يا مجاهد ناد يا خربة ما فعل أهلك أين أهلك قال فناديت فقال ابن عمر ذهبوا وبقيت أعمالهم.

(١) ابن الجوزي، صفة الصفة، ٤ / ٣٣٤.

(٢) مختصر صفة الصفوة، ١٣/١.

إني لا أحب الظلم:

- عن مجاهد قال مر نوح ♠ بالأسد فضربه برجله فخمشه فبات ساهرا فشكى نوح ذلك الى الله عز وجل فأوحى الله تعالى إليه إني لا أحب الظلم.

وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا:

- قال مجاهد ما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه أتاه ملك الموت فقال أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا.

الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها:

- عن مجاهد قال ما من يوم ينقضي من الدنيا إلا قال ذلك اليوم الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها ثم يطوي عليه فيختم الى يوم القيامة حتى يكون الله هو الذي يفض خاتمه رواه المعافى بن عمران عن طلحة بن عمرو فقال عن قيس بن سعد عن مجاهد وهو الصواب.

والله دخلها الحزن، وذهب بأهلها الزمان:

قال مالك بن دينار: مررت على قصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن:

ألا يا دار لا يدخلك حزن ::: ولا يذهب بساكنك الزمان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب، وثم عجوز فقالت: يا عبد الله قد والله دخلها الحزن، وذهب بأهلها الزمان.

أبو العتاهية:

لئن كنت بالدنيا بصيراً فإنما ::: بلاغك منها مثل زاد المسافر

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ::: فما فاته منها فليس بضائر [1]

ثم رفعناها بعد، فما لقينا منها؟:

قال مالك بن دينار: لما بعث الله عيسى بن مريم كب الدنيا على وجهها، ثم رفعها الناس حتى بعث الله تعالى محمداً فكب الدنيا على وجهها، ثم رفعناها بعد، فما لقينا منها؟[2].

---

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /٤٤.

(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /٨٨.

أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً؟!:

كان رجل من الأغنياء بالبصرة وكانت له ابنة نفيسة فائقة الجمال، فقال لها أبوها: قد خطبك بنو هاشم والعرب والموالي فأبيتِ! أراكِ تريدين مالك ابن دينار وأصحابه! فقالت: هو والله غايتي! فقال الأب لأخ له: إئتِ مالك ابن دينار فأخبره بمكان ابنتي وهواها له؛ فأتاه فقال له: فلان يقرئك السلام ويقول لك: إنك تعلم أني أكثر أهل هذه المدينة مالاً وأفشاهم ضيعة، ولي ابنة نفيسة وقد هويتك فشأنك وهي؛ فقال مالك للرجل: عجباً لك يا فلان، أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً[1].

ولم تؤْوِ الضالة ولم تجبر الكسير؟؟ ولم ترعها حق رعايتها!:

قال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب: يجاء براعي السوء يوم القيامة فيقال: يا راعي شربت اللبن وأكلت اللحم ولم تؤْوِ الضالة ولم تجبر الكسير؟؟ ولم ترعها حق رعايتها! اليوم أنتقم لهم منك[2].

لأنَّ مادحَهم مفَرِّطٌ وذامَّهم مفْرِطٌ:

قال مالكٌ بن دينار: منذُ عرفتُ الناسَ لم أفرحْ بمِدْحتِهم ولا أكرهُ مَذَمّتَهم، قيلَ: ولِمَ ذلك؟ قالَ: لأنَّ مادحَهم مفَرَطٌ وذامّهم مفْرِطٌ.

يا قارئ أنت قارئ؟!![3].

قال مالك بن دينار: من تباعد من زهرة الحياة الدنيا فذلك الغالب لهواه؛ ومن فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من دخول قلبه؛ يا قارئ أنت قارئ؟!! ينبغي للقارئ أن يكون عليه دُرّاعة صوف وعصا راعٍ، يفر من الله إلى الله عز وجل، ويحوش العباد على الله تعالى[4].

فعلى الدنيا العفاء:

جعفر عن مالك بن دينار قال خرج سليمان بن داود ♠ في موكبه فمر ببلبل على غصن شوك يصفر ويضرب بذنبه فقال أتدرون ما يقول قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنه يقول قد أصبت اليوم نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء[5].

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٦٥/٢.
(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٧٥/٢.
(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٧٢/٢.
(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٦٤/٢.
(٥) صفة الصفوة، ٢٨٧/٣.

على القلب ثلاثة أغطية:

عن إبراهيم قال: على القلب ثلاثة أغطية: الفرح، والحزن، والسرور فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذّب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب يحبط العمل، قال الله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم[١].

أيحسن بالحرّ المريد أن يتذلّل للعبيد:

وعنه قال: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي: أيحسن بالحرّ المريد أن يتذلّل للعبيد وهو يجد عند مولاه كلّ ما يريد [٢].

فلم أعرف قبر الأسود من قبره:

قال مالك بن دينار: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة، فطعن في قدمه فمات فأخرجناه إلى القبر، فلما صرنا إلى الجبان إذا نحن بسودان يحملون صاحب لهم إلى القبر، فدفناه ودفنوا صاحبهم، فعدت قبل السبوع فلم أعرف قبر الأسود من قبره. وعلى هذا قول الشاعر:

ولقد مررت على القبور فما ::: ميزت بين العبد والمولى [٣]

أبشرْ بشرٍّ:

كان لمالك بن دينار جار كما شاء الله أن يكون، وكان إذا استقبله مالك يقول: يا أبا فلان إن كان المال الذي قد جمعته من حلال فقد آن لك أن تقتصر عليه، وإن كان من حرام فقد آن لك أن تردها على أربابها فكان من جوابه لمالك: يا مالك إنا ندق الدنيا دقاً دقاً، فقال مالك: إذاً والله يأتيك الموت فيدقك دقاً دقاً، فضرب الدهر ضرباته ما ضرب فمرض ذلك الرجل فدخل عليه مالك بن دينار فقال له: كيف تجدك؟ قال الرجل: بشر فقال مالك: وكيف ذاك؟ قال الرجل: أتاني آت من ربي فقال: أبشرّ بشرَ [٤].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٨/١٠.

(٢) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. لبنان/ بيروت. الطبعة: الأولى. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١٠ / ٤٩ - ٥٨.

(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢ / ٦٤.

(٤) الزهد الكبير، ص١٧٣.

لم حجبت القلوب عن الله عز وجل؟:

حدث إبراهيم بن بشار الصوفي الخراساني خادم إبراهيم بن أدهم، قال: وقف رجل مرة على إبراهيم بن أدهم، فقال: يا أبا إسحاق، لم حجبت القلوب عن الله عز وجل؟ قال: لأنها أحبت ما أبغض الله، أحبت الدنيا ومالت إلى دار الغرور واللهو واللعب، فتركت العمل لدار فيها حياة الأبد، في نعيم لا يزول ولا ينفذ، خالد مخلد، في ملك سرمد لا نهاية له ولا انقطاع [(١)].

ما لك حيلة؟:

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: أمر اليوم أعمل في الطين. فقال: يا بن بشار، إنك طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، كأنك بما قد غاب عنك قد كشف لك، وما كنت فيه قد نقلت عنه. يا بن بشار، كأنك لم تر حريصا محروما، ولا ذا فاقة مرزوقا. ثم قال لي: ما لك حيلة؟ قلت: نعم، لي عند البقال دانق، فقال: عز علي، تملك دانقا وتطلب العمل [(٢)].

أخرجوه فقد استقتل!:

وَقَال أبو صالح الفراء، عن شعيب بن حرب: دخل إبراهيم بن أدهم على بعض هؤلاء الولاة.فقال له: من أين معيشتك؟ قال إبراهيم:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا • فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

قال: فقال الوالي: أخرجوه فقد استقتل! [(٣)].

---

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، مكان النشر بيروت / لبنان، سنة النشر ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١ / ٥٥.

(٢) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ / ٦٢.

(٣) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، ٢ / ٣٦.

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا:

عن خلف بن تميم قال: سمعت إبراهيم بن أدهم ينشد:

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا • ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما • استغنى الملوك بدنياهم عن الدين[١]

فسارع إلى أمر الله:

وكنت ماراً مع إبراهيم، فأتينا على قبر مسنَّم، فترحّم عليه، وقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرق في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها. بلغني أنه سرّ ذات يوم بشيء ونام، فرأى رجلاً بيده كتاب، فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرنّ فإننا على باق، ولا تغترّنّ بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم، لولا أنه عديم، وهو ملك، لولا أنّ بعده هلك، وفرح وسرور، لولا أنه لهو وغرور وهو يوم لو كان يوثق له بغد، فسارع إلى أمر الله، فإن الله قال:{وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ } [آل عمران: ١٣٣]، فانتبه فزعاً وقال هذا تنبيه من الله وموعظة، فخرج من ملكه وقصد هذا الجبل، فعبد الله فيه حتى مات[٢].

لمَّا كُنتُ تضربني كنتُ أسألُ الله لك الجنة:

أتى جُنْديٌّ إلى بلده فوجد إبراهيم بن أدهم، فسأله: أين العُمران؟ فدّله على المقبرة، فظن أنه يستهزئ به، فضربهُ حتى أدماهُ، فقيل للجندي: هذا الأمير بن أدهم، فعاد يعتذر إليه، فقال إبراهيمُ: لمَّا كُنتُ تضربني كنتُ أسألُ الله لك الجنة، قال: ولِمَ، قال: لأنك ظلمتني فصبرت حين ضربتني، فخملتُ رجاء الجنة، فكان لك فضلٌ علي فسألتَ لك الجنة.

(١) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، ٢ / ٣٦.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٤٢/١٣.

يا أخي أما علمت أن الموت أمامك:

عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت ابراهيم بن أدهم يقول: مر عبد الله ابن عمر على قوم مجتمعين وعليه بردة حسناء فقال رجل من القوم: إن أنا سلبته بردته فما لي عندكم؟ فجلعوا له شيئاً، فأتاه فقال: يا أبا عبد الرحمن بردتك هذه لي، قال: فقال: إني اشتريتها أمس، قال: قد أعلمتك وأنت في حرج من لبسها، قال: فخلعها ليدفعها إليه، قال: فضحك القوم، فقال: ما لكم؟ فقالوا: هذا الرجل بطال، قال: فالتفت إليه فقال له: يا أخي أما علمت أن الموت أمامك لا تدري متى يأتيك صباحاً أو مساءَ ليلاً أو نهاراً ثم القبر وهول المطلع ومنكر ونكير وبعد ذلك القيامة، يوم يخسر فيه المبطلون؛ فأبكاهم ومضى [1].

* * *

(١) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، ١ / ٣١٩، ٣٧٤.

مواقف المتهادين

مواقــف عربيــة

مواقف المتهادين

الهـديـة كما عرفهـا أهل العلم هي عطية بلا اشـــتراط مقابل، وقد ورد ذكرها والحث عليها في القرآن والسـنة، وهي من أعظم الأسباب التي تعين على إزالة ما في النفوس وتحبب المؤمنين بعضـهم إلى بعض، وهي شـعيرةٌ إسـلامية جميلة جداً، فبها يتم سببٌ عظيمٌ للتآلف بين القلوب والاجتماع، وشـــيوع المودة بين المســـلمين، وهـذا من أعظم مـا جـاء في شريعة الإسلام.

أما الهدية: فإنها ما أتحفت به، والتهادي: أن يهدي بعضهم إلى بعض، يقال: أهديت له وإليـه، والجمع هـدايـا، وهـداوى، وهـداوي، وهـداوِ كما هي في بعض روايـات أهـل اللغة، والهـديـة: مفرد هـدايا، يقال: أهدى له وأهدى إليه، كلاهما صـــحيح، فيتعدى الفعل باللام وإلى، ويقال: أهدى الهدية إلى فلان، وأهدى له هدية، أي: بعث بها إكراماً له.

ويقال أيضاً: أهديت العروس إلى بعلها، أي: زفت إليه، وهادى فلانٌ فلاناً أي: أرسل كلٌّ منهما هدية إلى صاحبه.

وبالنســبة للتعريف الشرــعي للهدية، فإن العلماء قد ذكروا عدة تعريفات، ويمكن أن نقول عموماً: إن الهدية هي دفع عينٍ - سـواءَ كانت مالاً أو سلعة - إلى شخصِ معين - الذي يراد بالهدية هذا الشخص المعين - لأجل الألفة والثواب، من غير طلبٍ ولا شرط.

لأجل الألفة والثواب: وهو الأجر من الله سبحانه وتعالى.

من غير طلبٍ؛ لأنه لو قال: أهدني أو أعطني ربما صارت رشوة.

ولا شرط كما يشترط بعضهم في الإعانة، بشرط الإعانة.

فـإذاً الهدية: هي عطية بلا اشـــتراط مقابل، وهناك كلمات مرادفة لكلمة الهدية مثل: الهبة والعطية والصـــدقة، وقد جاء عن أهل العلم رواياتٌ في التفريق بينها، ولكن يمكن أن نقول: إن الهـديـة والهبة والصـــدقة والعطية بمعنىَ واحد من جهة أنها تمليكٌ في الحياة بلا عوض، فالهدية والهبة والعطية والصـدقة تشترك كلها في أنها تمليك في الحياة بلا عوض؛ لأنك تملكه هذا الشيء بلا مقابل، والعطية: اسمٌ شاملٌ للجميع.

والهـديـة يُتقرب بهـا محبـة لـك، والهبة والعطية معناهما متقارب حتى لا يكاد يوجد فرقٌ بينهما، والصدقة: التي تُدفع إلى الشخص لقصد ثواب الآخرة فقط.

فإذاً هناك فرقٌ بين الهدية والصـــدقة، من جهة أن الهدية يقصـــد بها التحبب وثواب الآخرة، والصدقة يقصد بها ثواب الآخرة فقط.

وتُمتلك الهدية بالقبض، فإذا قبلها وقبضها صارت في ملكه، ولا تنتقل إلى ملكه إلا بقبضها سواء قبضها هو أو وكيله، واحتج جمهور العلماء بحديث النبي صلي الله عليه وسلم: **ولو أهدي إلي كراعٌ لقبلت**.

فالهدية بناءً على ذلك لا تُملك بمجرد الإهداء، حتى تصل إلى الشخص المهدى إليه أو وكيله، فإذا استلمها صارت ملكاً له.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر الهدية، فقالت ملكة سبأ - بلقيس - لما خافت من سليمان ♠، قالت للملأ من حولها:{**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)**} [النمل: ٣٥ - ٣٦].

فأرادت استمالة قلب سليمان لدفع الضرر عنها، وأرادت مصانعته، وأن تثنيه عن دعوته لها ولقومها وتهديدهم لهم، وسليمان لم يقبل الهدية؛ لأنها لم تكن لوجه الله، ولا كان فيها معروف، وإنما أرادت إيقافه عن جهادها، عن الجهاد وقتال هذه البلدة وهي اليمن، فلما رأى سليمان ♠ أن هذه الهدية ليس فيها خير ولم يرد بها وجه الله ردها، وقال:{**بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا**} [النمل: ٣٦ - ٣٧]، ليعلموا أننا نريد الجهاد وإقامة الدين، وليست القضية مجاملات وهدايا، كما هي العادة بين الملوك:{ **ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)**} [النمل: ٣٧]، حتى لا ينخدعوا بحطام هذه الدنيا أو يظنوا أننا نغتر بالهدايا أو أننا سنترك الجهاد لأجل هديتهم:{ **ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا**} [النمل: ٣٧].

ومما يدخل - أيضاً - في الهدية مثل العطية والهبة، أو مما يقرب من معناها ما جاء في قوله تعالى:{ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا (٤)**} [النساء: ٤]، فالله عز وجل أمر بإيتاء النساء المهور.

{ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** } [النساء: ٤]، ومعنى نحلة: عطية عن طيب نفس.

وقال:{**فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ**} [النساء: ٤]، وهبنه لكم، وتنازلن عنه لكم:{**فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**} [النساء: ٤]، فإذا تنازلت عن جزء من الصداق لزوجها أو أعطته إياه بعدما استلمته منه دون ضغط منه ولا إكراه، وإنما عن طيب نفسٍ منها ورضا:{**فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**} [النساء: ٤].

فإذاً: من أعظم الحلال الذي يؤكل، المغانم:{ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا } [الأنفال: ٦٩]، وهو أعظم أنواع المال الحلال، بل هو أشد الأموال حلة، وقد فاتنا هذا النوع من المال بسبب ترك الجهاد.

وكذلك من الأموال الحلال الطيبة، ما تتنازل به المرأة من مهرها لزوجها، قال الله عز وجل:{فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا} [النساء: ٤]، ولذلك جاء عن بعضهم أنه قال: إذا أردت أن تستشفي فاستوهب درهماً من زوجتك عن طيب نفسٍ منها، ثم اشتر به عسلاً، وهاتِ إناءً واجمع فيه من ماء المطر، ثم اقرأ القرآن وأذب العسل فيه واشربه، قال: أما ماء المطر فإنه ماءٌ مبارك، والعسل فيه شفاءٌ للناس، والقرآن - أيضاً - فيه شفاء، ودرهم الزوجة هنيئاً مريئاً، فإنك تبرأ بإذن الله.

والهدية قد وردت في السنة النبوية، وجاء النص عليها لما لها من الأثر العظيم في النفوس، كما قال النبي صلي الله عليه وسلم: **تهادوا تحابوا**[1].

ولا شك أن الهدية سببٌ للمحبة وتآلف القلوب، وكان التابعون يرسلون بهداياهم، ويقول الواحد لأخيه الذي يهديه: نحن نعلم غناك عن مثل ذلك، وإنما لتعلم أنك منا على بال، يعني: نحن نعلم أنك مستغن عن هديتنا، ولكن لتعلم أننا نقدرك وأن لك في أنفسنا مكانة، وقال الشاعر:

هدايا الناس بعضهمُ لبعضٍ تولد في قلوبهم الوصالا

وتزرع في الضمير هوىً ووداً وتكسوهُ إذا حضروا جمالا

وقال آخر:

إن الهدايا لها حظٌ إذا وردت أحظى من الابن عند الوالد الحدبِ

يكون لها مكانة في النفس إذا جاءت.

وقال آخر:

إن الهدية حلوةٌ كالسحر تجتذب القلوبا

تدني البغيض من الهوى حتى تصيره قريبا

وتعيد مضطغن العداوة بعد نفرته حبيبا

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد وقال ابن حجر: إسناده حسن.

وقد جاء في الحديث الصــحيح أن النبي صـــلي الله عليه وســـلم : **كان يقبل الهدية ويثيب عليها—** وقال النبي صــلي الله عليه وســلم: **لو دعيت إلى كراعٍ لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع لقبلت—** [١].

وجـاء الأمر بقبول الهدية وعدم ردها إذا كانت لا شــبهة فيها ولا حرام، فأخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد وغيرهما عن ابن مسـعود رضي الله عنه عن النبي صــلي الله عليه وسلم أنه قال: **أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين—** فنهى النبي صلي الله عليه وسلم عن رد الهدية [٢].

وكان النبي صـلي الله عليه وسـلم يعطي عمر شيئاً من العطاء فكان يقول عمر: (أعطه من هو أفقر مني يا رسـول الله! فقال النبي عليه الصـلاة والسـلام: **إذا جاءك من هذا المال شيءٌ وأنــت غير مســتشرــف—** أي: غير متطلع **ولا ســائـلٍ—** مـا طلبته **فخذه فتموله—** أي: تملكه **فإن شئت كله وإن شئت تصدقت به، ومالا – إذا كان خالياً من هذه الشرــوط – فلا تتبعه نفســك—** فإذاً: قوله: **إذا جاءك من هذا المال شيء فخذه—** يدخل فيه الهدايا[٣].

وقال النبي صـلي الله عليه وسـلم: **من آتاه الله شـيئاً من هذا المال من غير مسـألة فليقبل، فإنما هو رزقٌ ساقه الله إليه—** [٤]مادام أن المال أتى من غير مسألة، وأنت لست مسـتشرفاً له، ولا متطلعاً له، ولا متعلقة نفسك به تهفو إليه وترجوه، فخذه ولا ترده، فهذا مال مبارك.

ومن الأدلة أيضـاً - أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يقبل الهدية - قصة بريرة ♥، وجاء في صـحيح البخاري عديدٌ من الروايات في هذه القصــة، فمنها ما رواه في كتاب الأطعمة، وربما تكون هذه الرواية هي أوضحها وأتمها، أن النبي صلي الله عليه وسلم دخل يوماً بيت عائشة وعلى النار برمةٌ تفور فدعا بالغداء، فأتي بخبزٍ وأدمٍ من أدم البيت فقال: (ألم أر لحماً؟ قالوا: بلى يا رسـول الله! ولكنه لحمٌ تُصدق به على بريرة، فأهدته، لنا وأنت لا تأكل الصدق، فقال النبي صلي الله عليه وسلم: هو صدقة عليها وهديةٌ لنا) [٥].

---

(١) وهو في صحيح البخاري.

(٢) البخاري في الأدب المفرد ج١/ص٦٧ ح١٥٧وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) أخرجه: البخاري ٨٤/٩ - ٨٥ (٧١٦٣)، ومسلم ٩٨/٣ (١٠٤٥) (١١٠).

(٤) رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح، أنظر صحيح الترغيب والترهيب، ٢٠٧/١.

(٥) رواه البخاري ٣ / ٢٨١ في الزكاة، باب الصـدقة على موالي أزواج النبي ◘، وفي المساجد، باب ذكر البيع والشراء

إذاً: المال لما انتقل من شخص اختلف حكمه.

من المتصدق إلى بريرة صدقة، ومن بريرة إلى بيت النبي عليه الصلاة والسلام هدية، إذاً: يجوز للنبي عليه الصلاة والسلام أن يأكل منه، وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم: إذا أتي بطعامٍ سأل عنه: **أهديته أم صدقة؟**ـــ فإن قيل: صدقة قال لأصحابه: **كلوا**ـــ، ولم يأكل؛ - لأنه لا يليق بمقام النبوة أن يأخذ من صدقات الناس وأوساخهم - وإن قيل: هدية، ضرب بيده صلي الله عليه وسلم فأكل معهم[1].

إذاً: النبي عليه الصلاة والسلام كان يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، والسبب في ذلك كما تقدم، وهذه آيته عليه الصلاة والسلام في الكتب المتقدمة، أنه كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، والكتب المتقدمة كانت فيها صفة النبي صلي الله عليه وسلم.

ولا شك أن هناك فرقاً بين الهدية والصدقة، فالهدية نوع من الكرامة، ومن باب حسن الخلق، وتتألف بها القلوب، وكان عليه الصلاة والسلام يأكلها؛ لأنها من باب الإكرام ولا يردها؛ لأجل ألا يغضب الذي أهدى، أو يصبح في نفسه عليه شيء، فلا شك أن في أخذ الهدية تألفاً للقلوب وإبلاغاً له بأن إكرامك مقبول.

أما الصدقة من اليد العليا إلى اليد السفلى فلا تليق بمقام النبوة، وكان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ولو كانت قليلة ويسيرة، ولذلك قال: (ولو أهدي إلي ذراعٌ أو كراعٌ لقبلته) والكراع: ما دون الكعب، وما عليه إلا اليسير من اللحم، لكن لو أهدي إليه لقبله ع ليه الصلاة والسلام ولم يحتقر شيئاً، وبذلك أوصى نساء المؤمنين فقال: **يا نساء المسلمات! لا تحقرن جارةٌ لجارتها ولو فرسن شاة**ـــ [2]. والفرسن: هو في الأصل اسمٌ لخف البعير، فاستعير للشاة فهو ظلفها، ولم تجر العادة بإهداء ظلف الشاة، لكن ذكره على سبيل المبالغة، أي: ا قبل الشيء اليسير من الهدية ولا ترده، فأحياناً قد يهدي إليك أخ شيئاً يصنعه بيده من الأوراق التي لا قيمة لها في الحقيقة، فاقبله تطييباً لخاطره وقلبه.

على المنبر في المسجد، وفي البيوع، باب البيع والشراء مع النساء، وباب إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل، وفي العتق، باب بيع الولاء وهبته، وباب ما يجوز من شروط المكاتب، وباب استعانة المكاتب وسؤاله الناس.

(١) رواه البخاري في كتاب الهبة.

(٢) أخرجه البخاري في: ٥١ كتاب الهبة: ١ باب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

وكان من كريم خلقه صـلي الله عليه وسـلم أنه إذا جاءته الهدية، أشرك فيها من معه، أو من حوله، كما جاء في كتاب الرقاق في صحيح البخاري، دخل عليه الصلاة والسلام فوجد لبناً في قدح فقال: **من أين هذا اللبن؟** فقالوا: أهداه لك فلانٌ أو فلانةٌ، فقال: **أبا هر!** قلت: لبيك يا رسـول الله! قال: **الحق إلى أهل الصـفة فادعهم لي**، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهلٍ ولا مال ولا على أحد.

كان عليه الصلاة والسلام إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها...) الحديث.

إذاً: كان هذا من كريم خُلقه عليه الصلاة والسلام، من كرمه أنه كان إذا جاءته الهدية لم ينس من حوله من الفقراء والمحتاجين، وكان من حضره يعطيه، وإذا أهديت إليه باكورة الثمر - أو الثمار - كان يعطيها لأصغر القوم سناً - الطفل -.

وكان صلي الله عليه وسلم يتألف بهداياه القوم، وربما كان رجلٌ حديث عهدٍ بالإسلام أو في قلبه شيء على الإسـلام وأهله، أو على النبي صـلي الله عليه وسـلم فلا يزال يعطيه حتى يرضيه.

ومن الأحاديث الجميلة التي وردت في صـحيح البخاري عن ابن أبي مليكة أن النبي صـلي الله عليه وسـلم : أهديت له أقبية من ديباجٍ مزررةٍ بالذهب فقسـمها في ناسٍ من أصحابه، ولا يلزم أن يلبسوها؛ لأن لبس الحرير للرجال حرام لكن يمكن أن يعطوها زوجاتهم أو بناتهم، أو كما فعل عمر حين أهداها لأخٍ له مشرك بـ مكة.

(أهديت له أقبية من ديباجٍ مزررةٍ بالذهب فقسـمها في ناسٍ من أصحابه، وعزل منها واحدة لمخرمة بن نوفل، فجاء ومعه المسـور بن مخرمة فقام على الباب فقال: ادعه لي - وكان صاحب جفاء وغلظة - فسمع النبي صلي الله عليه وسلم صوته فأخذ قباءً فتلقاه به واسـتقبله بأزراره فقال: **يا أبا المسـور! خبأت هذا لك، يا أبا المسـور! خبأت هذا لك**، وكان في خلقه شدة أي: أبو المسور.

وقد كان ابنه المسور بن مخرمة من كبار رواة الأحاديث.

وكان صلي الله عليه وسلم يرسل الهدايا في أقربائه، وكان عنده من الوفاء لذكرى زوجته خديجة ما يستخدم الهدية فيه لإحيائه، والتدليل على أنه باقٍ في نفسه ذكرى تلك المرأة الطيبة التي ساعدته بمالها ودافعت عنه بنفسها، وكان أولاده منها، وأن ذكراها الطيبة لا زالت موجودة وحية، فكان إذا ذبح الشاة يُهدي لصديقات خديجة.

ولذلك تقول عائشة ♥: (ما غرت على امرأةٍ للنبي صلي الله عليه وسلم ما غرت على خديجة) مع أنها ما رأتها، لكن غارت عليها من الذكر والسمعة، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يذكرها دائماً حتى قالت عائشة: (ما تريد من عجوزٍ حمراء الشدقين أبدلك الله خيراً منها؟! قال: **إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**).

قالت عائشة: (ما غرت على امرأة للنبي صلي الله عليه وسلم ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لكثرة ما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيتٍ من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن) أي: يُعطيهن ما يسعهن[1].

وكان صلي الله عليه وسلم يكافئ على الهدية، كما جاء في الحديث: (كان يقبل الهدية ويثيب عليها) ولا شك أن هذا من السنن الجميلة - المكافأة على الهدية - وذلك لعدة أسباب، منها: السبب الأول: ألا يبقى له منةٌ عليك، أو أن تبادله محبة بمحبة، أو أن تُظهر له أنك كافأته على جميله بجميل، وأنك لم تنس الجميل، وأنه صنع إليك معروفاً فصنعت إليه معروفاً مقابله، ولا شك كما قلنا أن الهدية الأصل فيها هو التبرع، وأن الذي يهدي لا يشترط المكافأة.

وقد تكلم العلماء في حكم المكافأة على الهدية، وقال بعض أهل العلم: إن المكافأة على الهدية لا تجب، إذا أهداك شخص هدية لا يجب أن تكافئه عليها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٤) و(٧٤٨٤)، ومسلم (٢٤٣٥) (٧٤) وأخرجه ابن راهويه (٧٢٠) و(٨٥٤)، والبخاري (٣٨١٦) و(٣٨١٧) و(٣٨١٨) و(٥٢٢٩)، ومسلم (٢٤٣٤) و(٢٤٣٥)، والترمذي (٢٠١٧) و(٣٨٧٥) و(٣٨٧٦)، والنسائي في " الكبرى " (٨٣٦١) و(٨٣٦٢) و(٨٣٦٣) و(٨٩١٣)، وابن ماجه (١٩٩٧)، وابن حبان (٧٠٠٦)، والطبراني في " الكبير " ٢٣/ (١٥) و(١٦) و(١٧) و(١٩)، والحاكم في " المستدرك " ١٨٦/٣، والبيهقي في " السنن " ٣٠٧/٧، وابن عبد البر في " الاستيعاب " (في ترجمة خديجة)، والبغوي في " شرح السنة " (٣٩٥٦).

وقال بعض المالكية: تجب المكافأة على الهدية؛ لأن النبي صـــلي الله عليه وســـلم كان يفعل ذلك، لكن مجرد فعله عليه الصلاة والسلام لا يدل على الوجوب [١].

وقـد جعـل بعض العلماء النـاس في الهـدايـا على ثلاث طبقات: هبة الرجل إلى من هو دونـه، فهي إ كرامٌ وإلطاف لا تقتضيـ الثواب والمكافأة بالمثل، فإذا اســتلمها هذا الأدون لا يستلزم ذلك أن يرد بهديةٍ مقابلها.

وثانياً: هبة النظير إلى نظيره.

وثـالثـاً: هبـة الأدنى إلى الأعلى، إذا أهـدى الأدنى للأعلى فـإنه يكون من المؤكد في حق الأعلى أن يثيبه، وذلك بما جرت به العُرف والعادة.

فإذاً: حكم الإثابة على الهدية مستحب؛ لأنه ورد في السنة.

إذا أهداك إنسـان هدية يُسن لك أن تهديه أخرى، وخصوصاً عندما يكون الذي أهداك أقل منك منزلة أو سناً - مثلاً - والنبي صلي الله عليه وسلم قد قال: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) [٢].

وقد أهدى أعرابي رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم ناقة فعوضـه صـلي الله عليه وسـلم سـتة، وقد قال النبي عليه الصـلاة والسـلام: **لا يشــكر الله من لا يشــكر الناس—** [٣] فالهدية على الهدية من شكر الناس.

إذاً: دخل في عموم قوله صـلي الله عليه وسلم: **من صنع إليكم معروفاً فكافئوه—** الهدية على الهدية، وجاء في قوله عليه الصــلاة والســلام: **من أُعطي عطاء فليجز به إن وجد، وإن لم يجد فليثن به، فإن من أثنى به فقد شـكر، ومن كتمه فقد كفره، ومن تشبع بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور—**.

(١) انظر سلسلة الآداب الإسلامية، ٨ - ١٢ /٧.

(٢) صـحيح. أخرجه أحمد (٢ / ٦٨، ٩٩، ١٢٧) وكذا البخاري في " الأدب المفرد " (٢١٦) وأبو داود (١٦٧٢، ٥١٠٩) والنسائي (١ / ٣٥٨) والحاكم (١ / ٤١٢، ٤١٢ - ٤١٣).

(٣) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢١٧/٥) قال الهيثمي: رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات.

وهذا الحديث حسـنه الترمذي وصـحه ابن حبان، وإذا لم يجد شـيئاً، فأقل شيء أن يدعو لمن أهدى له الهدية، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وحسنه: **من صُنع إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء، وأجزل له في العطاء** [1].

وينبغي كذلك على المدعو له أن يبادل الدعاء بدعاء، كأن يقول له: وجزاك، أو وإياك، ونحو ذلك، وقد قالت عائشة ♥: (أهديت لرسول الله صلي الله عليه وسلم شاة فقال: **اقسميها**، فكانت عائشة إذا رجع الخادم تقول: ما قالوا؟، تسأل الخادم إذا رجع، تقول له: ماذا قال أهل البيت لما أعطيتهم ما أرسلنا به إليهم؟ فيقول الخادم: (قالوا: بارك الله فيكم، فتقول عائشة: وفيهم بارك الله، نرد عليهم مثلما قالوا، ويبقى أجرنا لنا) [2].

أما بالنسبة لمن يُستحب أن يهدي إليهم الإنسان ويبدأ بهم، فقد جاء في صحيح البخاري في كتاب الهبة أن ميمونة زوج النبي صلي الله عليه وسلم أعتقت وليدةً لها - جارية - فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام: **لو وصلت بعض أخوالك كان أعظم لأجرك** يعني لو أعطيتها بعض أخوالك، كان أعظم لأجرك من العتق؛ لأنهم قد يكون بهم حاجة، فإعطاؤها إياهم أحسن وأكثر أجراً.

وكذلك من الضوابط في مسألة الإهداءات أن نبدأ بمن جاء في صحيح البخاري في كتاب الشفعة، عن عائشة ♥ قالت: (قلت: يا رسول الله! إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: **إلى أقربهما منك باباً** فالجار الأقرب يُبدأ به في الهدية؛ لأن الإنسان قد تكون مقدرته محدودة على الإهداء، ليس عنده هدايا كثيرة تسع الجميع، فيبدأ بالأقرب باباً بالنسبة لهدايا الجيران.

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٨٠/٤، رقم ٢٠٣٥) وقال: حسن جيد غريب. والنسائى فى الكبرى (٥٣/٦، رقم ١٠٠٠٨)، وابن حبان (٢٠٢/٨، رقم ٣٤١٣)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٥٢٢/٦، رقم ٩١٣٨)، والضياء (١١٠/٤، رقم ١٣٢٢). وأخرجه أيضًا: البزار (٥٤/٧، رقم ٢٦٠١).

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٣٠٣) أنظر: سلسلة الآداب الإسلامية، ١٢ /٨.

وكـذلـك من الأحوال التي يتـأكـد فيها الإهداء: إذا احتاج الناس، إذا كانت هناك حاجة كما جاء في صــحيح البخاري في كتاب المغازي: " أن رجلاً من الصــحابة رضي الله عنه صــنع طعاماً فلما أوشـك على النضـج جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله! طعيمٌ لي - طعيم: تصــغير طعام، أي: هو قليل - فقم أنت يا رســول الله! ورجلٌ أو رجلان " عندي طعيم لو تـأتي أنـت ورجـل أو رجلان قـال: **كم هو؟** فذكرت له كم هو مقدار الطعام، فقال: **كثيرٌ طيب**.

ثم قـال: **قـل لهـا – يعني لزوجتـك التي تطبخ الطعام – لا تنزعي البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي**، فقال النبي عليه الصــلاة والســلام: **قوموا** ومن حوله كان المهاجرون والأنصـــار، فقام المهاجرون والأنصـــار، والرجل يريد واحداً أو اثنين أو ثلاثة بالكثير، فالنبي عليه الصـلاة والسـلام نادى المهاجرين والأنصـار فلما دخل على امرأته قال: ويحك - مصــيبة - جاء النبي صــلي الله عليه وســلم بالمهاجرين والأنصــار، فقالت المرأة - وكانت فقيهة -: هل ســألك عن مقدار الطعام؟! قلت: نعم. فاطمأنت، لأنه ما دام يعلم أن الطعـام قليل ومع ذلك دعاهم، فلا بد أن يكون هناك ســبب، فلما دخلوا قال: (ادخلوا ولا تباغطوا - النبي صلي الله عليه وسلم - فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقيت بقية، فقال عليه الصلاة والسلام للمرأة: **كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة**.

فإذاً: تتأكد أن الهدية إن احتاج الناس إليها وصـــارت حاجة، فيكون إرســـالها فيه أجر عظيم.

وبالنســبة لبعض الهدايا التي يتأكد عدم ردها: ما كان غير ذي مئنة ولا فيه كلفة، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رســول الله صــلي الله عليه وســلم: **من عُرض عليه ريحانٌ فلا يرده؛ لأنه خفيف المحمل طيب الرائحة** [١].

فإذاً: الأشياء اليسيرة يتأكد عدم ردها [٢].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود، وصحح إسناده في صحيح الجامع الصغير.
(٢) سلسلة الآداب الإسلامية، ١٢ /٩.

الأحوال التي ترد فيها الهدية:

ما هي الأحوال التي ترد فيها الهدية؟ أولاً: هل ثبت أن النبي عليه الصلاة والسلام رد هدايا؟ نعم.

ثبت أن النبي صلي الله عليه وسلم رد هدايا بعض المشركين، وقال - أيضاً - في الحديث الصحيح: **وايم الله! لا أقبل بعد يومي هذا من أحدٍ هدية إلا أن يكون مهاجراً قرشياً أو أنصارياً أو دوسياً أو ثقفياً—** والسبب أن أعرابياً وهب النبي عليه الصلاة والسلام ناقة فأثابه النبي صلي الله عليه وسلم عليها، فقال: **أرضيت؟—** قال: لا. فزاده حتى عوضه ست بكرات، هذا الأعرابي كأنه يريد بالهدية أن يأخذ أكثر منها.

ولذلك النبي صلي الله عليه وسلم قال هذه العبارة الشديدة: أنه هم ألا يقبل هدية إلا من هؤلاء الأحياء من العرب، قال: **إن فلاناً أهدى إلي ناقةً فعوضته عنها ست بكرات، فظل ساخطاً، ولقد هممت ألا أقبل هديةً إلا من قرشي أو أنصاريٍ أو ثقفيٍ أو دوسي—** رواه أحمد والترمذي.

وكذلك قال صلي الله عليه وسلم: (إن رجالاً من العرب يهدي أحدهم الهدية فأعوضه منها بقدر ما عندي، ثم يتسخطه فيظل يتسخط فيه عليّ، وايم الله! لا أقبل بعد مقامي هذا من رجلٍ من العرب هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي) لأن هؤلاء لا يفعلون هذه الأفاعيل، هؤلاء الأربعة الأحياء من العرب معروفون بجودة الأخلاق، فالواحد منهم لا يلجأ إلى هذه الأساليب الملتوية، ثم يتسخط إذا أُعطي رداً عليها.

فالإنسان إذا أحس أن الشخص يُريد بالهدية إحراجه، فإن له أن يردها، وإذا كانت الهدية من حرام، فإنه يجب ردها.

وإن كانت فيها شبهة فإنه يستحب له أن يردها، وإذا كانت رشوة، فإنه يجب عليه أن يردها، كأن يكون موظفاً صاحب منصب ولولا وظيفته ما أعطي الهدية، أو يكون موظفاً في الجوازات، أو موظفاً في المصلحة الفلانية، فإذا جاءته هدية من معقب الشركة، قال: هذه الشركة تهدي لك هذه الهدية، فلا يأخذها، لأنه يجوز له ذلك، ولو كان في غير هذه الوظيفة ما أعطوه، لكن لو أن جاره أو قريبه أعطاه، فليقبلها؛ لأنها ما جاءت من أجل أنه موظف في هذه الدائرة التي يراجعها الناس، وإنما جاءت لأنه قريب أو جار.

فإذاً: إذا اشتم منها رائحة التهمة أو الرشوة أو الريبة فإنه يردها.

فإذاً هناك بعض الحالات التي يجب فيها رد الهدية، أو يستحب فيها رد الهدية.

كذلك لو أهداك إياها فاجر فاسـق، أو كافر يريد بالهدية أن يبقى له منةٌ عليك، حتى إذا قـابلـك انكسرـت عينك وذلت نفسـك له، ففي هذه الحالة لا تقبلها، لكن إذا جاءتك الهدية سـليمة نقية ما فيها شـائبة ولا ريبة ولا شبهة ولا حرمة فاقبلها ولا تردها، وربما قبل النبي صـلي الله عليه وسـلم هدايا وهو لا يحبها، لا يحبها من جهة نفسـه؛ لأن نفسـه لا تشـتهيها لكن يأخذها إكراماً لصحابها، كما جاء في كتاب الهبة في صحيح البخاري رحمه الله عن ابن عباس قال: " أهدت أم حفيدة خالة ابن عباس إلى النبي صـلي الله عليه وسلم أقطاً وسـمناً وأضـباً - جمع ضـب - فأكل النبي من الأقط والسـمن وترك الضـب تقذراً - نفسـه تعافه؛ لأنه لم يكن بأرض قومه، لم يكن من طعام قريش - وأكل على مائدة رسـول الله صـلي الله عليه وسلم، ولو كان حراماً لما أكل على مائدته ".

إذاً: يأخذ الإنسـان الطعام ولو كانت هذه الأكلة لا تعجبه، فيأخذها ويعطيها إلى أناس آخرين.

بعض الأحيـان قد يطبخ جيرانك طعاماً، ويهدونك منه، وأنت لا يعجبك هذا النوع من الطعـام مطلقـاً، فلا غضـاضـة عليك لو أخذته وطيبت خاطرهم بأخذه، ثم أعطيته بعض الفقراء أو العمال أو المساكين، أو الناس الآخرين فهم يأكلونه أو يستفيدون منه.

وإذا أراد الإنسـان أن يُهدي أخاه هدية، فإنه يتحرى أحسـن الأوقات والأماكن، ليهدي إليه حتى تصـبح أعظم، وحتى تصـبح أوقع في النفس، والدليل على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض.

وقالت عائشـة: كان الناس يتحرون بهداياهم اليوم الذي يكون فيه رسـول الله صلي الله عليه وسلم عندي يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلي الله عليه وسلم.

فإذاً: الهدية إذا كانت في يوم مُفضل أو ساعة أو مكان معين أو ظرف معين عند المهدى إليه تكون أوقع في النفس وأحسن، فهذا من آداب الهدية.

وقـد حـدثـت قصـة طويلة في هذا الباب رواها البخاري رحمه الله في كتاب الهبة وفي كتاب المناقب، وملخص هذه الهدية أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشـة فاجتمع صواحبي - تقول عائشة - إلى أم سلمة فقلن: (يا أم سلمة! والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشـة، وإنا نريد الخير كما تريد عائشـة، فمري رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان، أو حيث ما دار - لا يتقصدون عائشة -

قالت: فذكرت ذلك أم ســلمة للنبي صــلي الله عليه وســلم قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليّ ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: **يا أم ســلمة! لا تؤذيني في عائشــة، فإنه – والله – ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها—** وهذا من فضلها ♥.

وجاء في رواية أخرى: أنهن وسطن فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم تقول له: إن نســاءك ينشــدنك الله العدل في بنت أبي بكر، فكلمته فقال: **يا بنية! ألا تحبين ما أحب؟—** قالت: بلى.

فرجعت إليهن فاطمة، ثم أنه ليس من المناسب للنبي عليه الصلاة والسلام أن يقول: يا أيها الناس! أهدوني في بيت فلان وفلان.

فعلى أية حال: النبي عليه الصــلاة والســلام كان يُحب أن يهدى إليه وهو في بيت عائشة؛ لأنه يحب عائشة ♥، وأن تأتيه الهدية في هذا البيت يكون موقعها أجمل وأحسن، على أنه ينبغي على الإنســان المتزوج بأكثر من زوجة أن يراعي مسـألة الغيرة أشـد المراعاة حتى لا تتفاقم المشـكلات وتعظم، ويكون هذا من أسـباب القطيعة، أو من أسـباب تنغيص عيشـه في بيته مع زوجاته، وقد جاءت قصة حفصة مع النبي صلي الله عليه وسلم لما كان يحب العسـل والحلوى، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسـائه فيدنو من أحدهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، تقول عائشة: فغرت، لماذا أطال عند حفصـة أكثر من المعتاد؟ فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكةً من عسل فسقت النبي صلي الله عليه وسلم منه شربة فقلت: أما والله لنحتالن له، وجاءت قصة العرفط والمغافير التي حصلت من حيلة عائشـة ♥، فالإنسـان على أية حال يحتاج أن ينتبه إلى مسألة الغيرة بين الزوجات، ولا يكون هو سبب الشر، أو يكون هو مفتاح الشر.

قال الشاعر:

إنّ الهــدايــا لهــا حظّ إذا وردت ::: أحظى من الإبن عند الوالد الحدب

وقال آخر:

مــا من صــديقٍ وإن أبدى مودّته ::: يومــاً بأنجح في الحاجات من طبق
إذا تــلثّم بــالمنــديــل منطلقــاً ::: لم يخش صــولــة بواب ولا غلق
لا تكــذبنّ فــإنّ النّاس قد خلقوا ::: لــرغبــةٍ يكرمون النـّاسّ أو فرق
أمـّا الفعــال فعنــد النّجم مطلعه ::: والقول يوجد مطروحاً على الطّرق

وقال آخر:

أهـــدى إلـــيـــه حبيبـــه أترجـــّةً ::: فبكى وأشـــفق من عيـــافة زاجر
خـــوف الـــتّبـــدُّل والتَّلوُّن إنَّهـــا ::: لونـــان بـــاطنـــهـــا خلاف الظّاهر

بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل، وكتب معها:

نـــعـــلٌ بعثـــت بهـــا لتلبســـهـــا ::: تمشـــــي بهـــا قـــدمٌ إلى المجـــد
لو كـــان يحســـن أن أشـــرِّكهـــا ::: خـــدّي جعلـــت شـــراكها خدِّي

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً، وكتب إليه:

قـــد بعثنـــا إليـــك أكرمـــك الله ::: بشـــيءٍ فـــكـــن لـــه ذا قـــبول
لا تقســـه إلى نـــدى كفـــِّك الغم ::: ر ولا نـــيـــلـــك الكثير الجزيـــل
واغـــتـــفـــر قلـــَّة الهـــديـــَّة منِّي ::: إن جـــهـــد المـــقـــلِّ غير قليـــل

ومن المواقف:

كما أنت إذاً:

حدث يونس بن عبيد، قال: أتيت محمد بن سـيرين، فقلت: قولوا له: يونس بن عبيد بالباب، فقال: قولوا له: أنا نائم، فقلت: قولوا له: إن معي هدية، فقال: كما أنت إذاً.

فنيروز لنا إذاً كل يوم:

أصـبح عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة وتحف، فأنكر ذلك. فقالوا له: إنه يوم نيروز قال: فنيروز لنا إذاً كل يوم.

قال أبو عمر: كان هذا منه رضي الله عنه - إن صـحّ - قبل أن يدخل الكوفة، وأن يكون خليفة، لأن المحفوظ عنه من رواية الثقات أنه كان لا يقبل هدية نيروز ولا مهرجان، وأنه كان يأخذ ما أهدى إليه عماله فيضعه في بيت المال - مال المسلمين.

وما تصنع بعنائي؟!:

قال أبو عوانة: قلت للأعمش: ياأبا محمد! إن عندي بطة سـمينة، أفتكون عندي في الدار؟قال: وما تصنع بعنائي؟! ابعث بها إلى الدار.

هديَّتي تقصر عن همّتي.. وهمّتي تعلو على مالي:

أولم إســحاق بن إبراهيم الموصــلي وليمة، فأهدى إليه إخوانه هدايا، وأهدى إليه إبراهيم بن المهدي جراب ملح وجراب أشـنان مطيب، وكتب إليه رقعة: فداك أخوك عنده، لولا أن البضـاعة تقصر ـ لجزت السّـابقين إلى برِك، وكرهت أن تطوى صـحيفة البرّ ولاحظٌ لي فيها،فوّجهت إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته، والمختوم به لطيبه ونظافته، جراب ملح وجراب أشنان هدية من يحتشم إلى من لا يغتنم، وكتب أسفل الرقعة:

هــديــَّتي تــقصــر عــن همــّتي ::: وهمــّتي تــعــلــو عــلى مــالي
وخــالــص الــودِّ ومحــض الهوى ::: أحســـن مــا يــهــديــه أمثــالي

بعث رجل إلى دعبل بأضحية، فكتب إليه دعبل:

بــعــثــت إلينــا بــأضــحيــَّةٍ ::: وكــنــت حــريــًّاً بــأن تــفعلا
ولــكــنــَّهــا خــرجــت غثــَّةً ::: كــأنــك أرعــيــتــهــا حرملا
فــإن قــبــل الله قــربــانهــا ::: فســبحــان ربــِّك مــا أعــدلا

فمن أي هذين لا أجزع:

قال المدائني: أهدى رجل إلى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له فقال: لئن ابتدأني بها فإنه يدعوني إلى أن أتقلد منه منة، ولئن كافأني على معروف عنده إنه ليروم أخذ ذلك، فمن أي هذين لا أجزع.

لو قبلت هديتك ليلاً قبلتها نهاراً:

أهدى عبد الله بن السرـي إلى عبد الله بن طاهر لما ولاه مصرـ مائة وصـيفة، مع كل واحدة بدرة، وبعثها إليه ليلاً فردها وكتب إليه: لو قبلت هديتك ليلاً قبلتها نهاراً، وما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون.

من هذا؟:

مر زياد بأبي العريان بالبصرـة فقال: من هذا؟ فقالوا: زياد بن أبي سـفيان. فقال: ما أعرف في ولد أبي سـفيان زياداً فبلغه ذلك فوجه إليه دنانير ثم مر به فقال: من هذا؟ فقالوا: زياد بن أبي سفيان. فقال: لقد ذكرني شمائل أبي سفيان، فبلغ ذلك معاوية فكتب إليه:

مــا لبثتــك دنــانير رشــيت بها ::: أن لونتــك أبــا العريــان ألوانــا
لله در زيــاد مــنــذ قــدمــهــا ::: كــانت لو دون ما يخشــاه قربانا

فكتب له:

ابعث لنا صلة تحيا النفوس بها ::: قد كدت يا ابن سفيان تنسانا
من يسد خيراً يجده حيث يجعله ::: أو يسد شراً يجده حيثما كانا
أما زياد فلا أنسيت نسبته ::: ولم أرد بالذي حاولت بهتانا

ظالم ولي المظالم!:

ولما ولي الحسن بن عمارة المظالم قيل ذلك للأعمش فقال: ظالم ولي المظالم! فأهدى إلى الأعمش رزمة ثياب فجعل يقول من بعد: إن الحسن كريم وحر سخي.

والظرف يوجب أخذه مع ظرفه:

وقال إسحاق بن إبراهيم: كنت مع الرشيد بالكوفة في شهر رمضان فقال لموسى بن عيسى: يا أبا عيسى حلواؤنا عليك. وكان يوجه إليه كل ليلة عشر صحاف؛ فلما كان بعد عشر ليال قطعها فقال له الرشيد: اصغوت فقطعت الحلواء. فقال: ما قطعها غيرك إن أنصفت. قال: كيف؟ قال: إن من يأخذها منا لا يرد صحفة ولا منديلاً ولا طبقاً. قال: بئس ما عمل! إن الهدايا تستدام برد الظروف، فإذا صرت المتقاضي وأنت القاضي فلا تحتشم أحد في استرداد الظروف. وقد أهدى دنانير على طبق فضة فكتب أبيات فيها:

والظرف يوجب أخذه مع ظرفه

كل يهدي على قدر وسعه:

وروي أن سليمان عليه الصلاة والسلام مر بعش قنبرة، فأمر الريح أن تتجنب عشها الذي فيه فراخها، فجاءت القنبرة لما نزل سليمان فرفرفت على رأسه وألقت جرادة هدية له لما فعل، فقال سليمان: هي مقبولة فكل يهدي على قدر وسعه.

نفسك والله أحب إلي!:

اقتصد المتوكل فلم يبق أحد من جواريه وحشمه إلا أهدى إليه، فأخبرت قبيحة بذلك، وكانت معشوقته، فتزينت ودخلت عليه فأنشدته:

طلبت هدية لك باحتيال ::: على ما كان من حسي وبسي
فلما لم أجد شيئاً نفيساً ::: يكون هديتي أهديت نفسي

فقال المتوكل: نفسك والله أحب إلي!

حين احتفل أهدى بصل:

أهدى أبو رهم السدوسي إلى قينة كان يعشقها زنبيل بصل فقال فيه ابن المعدل:

قالت جبل ماذا العمل هذا الرجل حين احتفل أهدى بصل!

وإلا قئتها!:

أهـدى رجـل إلى الأعمش بطيخة، فلما أصـــبح قال: يا أبا محمد كيف كانت البطيخة؟ قال: طيبة! ثم أعاد عليه ثانياً وثالثاً فقال: إن خففت من قولك وإلا قئتها!

أرخ بديكه:

وأهدى أبو الهذيل إلى أسـتاذ له ديكاً فكان بعد ذلك إذا خاطبه أرخ بديكه فيقول: إنه كان يوم أهديت إليك الديك، وأنه كان قبل الديك بكذا وبعد الديك بكذا!

حسبك فداك أبوك ووريت زناده فيك!:

وقـدم زيـاد على معـاويـة وأهدى إليه هدايا كثيرة، فأعجب بها معاوية فلما رأى زياد سروره بـذلـك قـال: يـا أمير المؤمنين، إني دوخـت لك العراق وجبيت لك برها وبحرها وغثها وســـمينها، وحملت لك لبها وسروها. فقال له يزيد: أما إذا فعلت ذلك فقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى شرف قريش، ومن عبيـد إلى أبي ســـفيـان، وما أمكنك تدويخ العراق إلا بنا. فقال معاوية: حسبك فداك أبوك ووريت زناده فيك!.

إن جهد المقل غير قليل:

أهدى حبيب بن أوس الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً، وكتب معه إليه هذه الأبيات:

قـــد بعثنـــا إليـــك أكرمـــك الله ::: بشـــيء فـكـــن لـــه ذا قـــبول
لا تقســـه إلى نـــدى كفـــك الغم ::: ر ولا نـــيـــلـــك الكثير الجزيـــل
فـــاســـتجز قلـــة الهـــديـــة مني ::: إن جـــهـــد المقـــل غير قليـــل[1]

سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا،فلما جاءك المال والجائزة جلست!!:

وحج هارون الرشـيد، فأرسـل إلى سـفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه، فقال يا أمير المؤمنين قد ســألني الناس فامتنعت عليهم، ولكني أجلس لبنيك وللناس، فقال: نعم. فلما جلس صـــاح بـه النـاس: ســـألنـاك الجلوس لنـا فـأبيت علينا،فلما جاءك المال والجائزة جلست.فقال للمستملي: أنصتهم لي.فصاح المستملي: صه صه. فسكت الناس، فأخرج

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٢/٥٠٠.

سـفيان بن عيينة رأسـه إليهم،وقال: حدثني الزهري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **ما شيءٌ أحل وأطيب من ثلاثة: صداق الزوجة، والميراث، وما أتاك الله به من غير مسألة، فإنه رزق ساقه الله إليك**. والله ما جئت هذا الرجل ولا سـألته شـيئاً من ماله، ولو وجّه إليّ شـطر ماله لقبلته،ثم أدخل رأسـه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء [١].

إن لم تكن من الصالحين فإنا نحب الصالحين:

وقال بعضهم للفضيل: إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال: ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعاتبه بالرفق فقال: يا أبا علي إن لم تكن من الصــالحين فإنا نحب الصالحين[٢].

ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!:

قال سـفيان بن عيينة: دخل هشـام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسـالم ابن عبد الله، فقال له: يا سـالم سـلني حاجة؛ فقال له: إني لأسـتحيي من الله أن أسـأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسـلني حاجة! فقال له سـالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا؛ فقال له سـالم: ما سـألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟! [٣].

إن شئت رددت الجرة وكتبت لك:

أهدى رجل نصراني إلى الأوزاعي جرة عسـل وقال له: يا أبا عمرو، تكتب لي إلى والي بعلبك فقال: إن شـئت رددت الجرة وكتبت لك، وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك. قال: رد الجرة فردها وكتب له فوضع عنه ثلاثين ديناراً.

لحمله القثاء إليه أحيانا:

قال محمد بن أبي حاتم كانت له قطعة أرض يؤجرها كل سـنة بسـبعمائة درهم فكان ذلك المؤجر ربما حمل منها إلى أبي عبد الله قثاة أو قثاتين لأن أبا عبد الله كان معجبا بالقثاء النضـيج وكان يؤثره على البطيخ أحيانا فكان يهب للرجل مائة درهم كل سـنة لحمله القثاء إليه أحيانا[٤].* * *

(١) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ٣٢/١.

(٢) المشتولي، سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان، ٥٨/١.

(٣) مختصر صفة الصفوة، ١٣/١.

(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٤١/١ - ٤٢.

مواقف التائبين

مواقــف عربيــة

مواقف التائبين

التوبة لغة: مصـدر قولك: تاب يتوب وهو مأخوذ من مادّة (ت وب) الّتي تدلّ على الرّجوع، يقال: تاب من ذنبه، أي رجع عنه توبة ومتابا، والوصـف منه تائب، والتّوب: ترك الذّنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار؛ فإنّ الاعتذار على ثلاثة أوجه:

إمّا أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول فعلت لأجل كذا، أو يقول: فعلت وأسـأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك وهذا الأخير هو التّوبة، يقال: تاب إلى الله أي تذكّر ما يقتضي الإنابة، نحو قوله سـبحانه:{وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا } [النور: ٣١]، أي عودوا إلى طاعته وأنيبوا إليه.. ويقال: تاب الله عليه أي قبل منه التّوبة، والتّائب يقال لباذل التّوبة ولقابل التّوبة فالعبد تائب إلى الله. والله تائب على عبده، والتّوّاب العبد الكثير التّوبة، وذلك بتركه كلّ وقت بعض الذّنوب على التّرتيب حتّى يصير تاركا لجميعه، وقد يقال لله عز وجل ذلك (أي توّاب) وذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال، والمتاب في قوله تعالى:{ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا } [الفرقان: ٧١]، يقصد به التّوبة التّامّة وهي الجمع بين ترك القبيح وتحرّي الجميل.

والتوبة في الاصطلاح:

قال الرّاغب: التّوبة في الشّرع: ترك الذّنب لقبحه والنّدم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة.

وقال الجرجانيّ: التّوبة هي الرّجوع إلى الله بحلّ عقدة الإصرار عن القلب، ثمّ القيام بكلّ حقوق الربّ، وقيل: التوبة الاعتراف والنّدم والإقلاع.

وقيل: التوبة في الشّرع: النّدم على معصيته من حيث هي معصية، مع عزم ألاّ يعود إليها إذا قدر عليها.

فقولهم على معصية: لأنّ النّدم على المباح أو الطّاعة لا يسمّى توبة، وقولهم من حيث هي معصـية: لأنّ من ندم على شرب الخمر لما فيه من الصّـداع أو خفّة العقل أو الإخلال بالمال والعرض لم يكن تائبا شرعا، وقولهم: مع عزم ألاّ يعود، زيادة تقرير؛ لأنّ النّدم على الشّيء لا يكون إلاّ كذلك، ولذلك ورد في الحديث النّدم توبة▬. وقولهم: إذا قدر عليها، إشارة إلى أنّ من سلب القدرة على معصية مثل الزّنا وانقطع طمعه عن عود القدرة إليه لم يكن ذلك توبة منه▬.

التوبة النصوح:

قال الجرجانيّ: التّوبة النّصـوح هي توثيق العزم على ألاّ يعود بمثله. وقيل هي ألاّ يبقي (التّائب) على عمله أثرا من المعصية سرّا وجهرا، وهذه التّوبة هي الّتي تورث صاحبها الفلاح عاجلا وآجلا.

وقال التّهانويّ: التّوبة النّصـوح وهي من أعمال القلب تعني تنزيه القلب عن الذّنوب، وعلامتها أن يكره العبد المعصية ويستقبحها فلا تخطر له على بال ولا ترد في خاطره أصلا.

معاني التوبة وأنواعها:

قال صاحب التّعريفات: التّوبة على ثلاثة معان:

أوّلها: النّدم. **وثانيها:** العزم على ترك العود إلى ما نهى الله عنه.

وثالثها: السّعي في أداء المظالم.

أمّا أنواعها:

فقيل هي نوعان: توبة الإنابة وتوبة الاستجابة، فتوبة الإنابة أن تخاف من الله من أجل قدرته عليك، وتوبة الاسـتجابة أن تستحي من الله لقربه منك، قال تعالى:{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: ١٦]، وقيل: بل ثلاثة:

التّوبة الصّحيحة: وهي أنّه إذا اقترف العبد ذنبا تاب عنه بصدق في الحال.

والتّوبة الأصحّ: وهي التّوبة النّصوح (وقد سبق تعريفها).

والتّوبة الفاسدة: هي التّوبة باللّسان مع بقاء لذّة المعصية في الخاطر.

التوبة والإنابة والأوبة:

يقال لمن خاف العقاب هو صـاحب توبة، ولمن يتوب بطمع الثّواب هو صـاحب إنابة، ولمن يتوب لمحض مراعاة أمر الله فهو صاحب أوبة. وقيل:

التّوبـة صـــفة عامّة المؤمنين. قال تعالى:{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ} [النور: ٣١] . والإنابة صـــفة الأولياء والمقرّبين. قال تعالى: {وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} [ق: ٣٣]، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: ٣٠].

وردت كلمة التّوبة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

- بمعنى التّجاوز والعفو. وهذا مقيّد بعلى، كقوله تعالى:{فَتَابَ عَلَيْكُمْ} [البقرة: ٥٤].

- بمعنى الرّجوع والإنابة. وهذا مقيّد بإلى، كقوله تعالى:{وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ} [النور: ٣١].

- بمعنى النّدامة. وهذا غير مقيّد لا ب (إلى) ولا ب (على): كقوله تعالى: {فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} [التوبة: ٣].

شروط التوبة:

قال النّوويّ - رحمه الله تعالى -: التّوبة واجبة من كلّ ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلّق بحقّ آدميّ فلها شروط ثلاثة وهي:

- أن يقلع عن المعصية.

- أن يندم على فعلها.

- أن يعزم على ألاّ يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثّلاثة لم تصحّ توبته.

ويزاد شرط رابع إذا كان الذّنب يتعلّق بحقّ آدميّ: أن يبرأ من حقّ صاحبه؛ فإن كان مالا أو نحوه ردّه إليه، وإن كان حدّ قذف مكّنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحلّه منها، هذا إذا لم يترتّب على ذلك مفسدة أعظم. ويجب أن يتوب من جميع الذّنوب، فإن تاب من بعضها صحّت توبته من ذلك الذّنب.

التوبة من ترك المأمور أولى من التوبة من فعل المحظور:

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة - رحمه الله تعالى -: من تاب توبة عامّة كانت هذه التّوبة مقتضية لغفران الذّنوب، وإن لم يستحضر أعيان الذّنوب إلاّ أن يعارض هذا العامّ معارض يوجب التّخصيص مثل أن يكون بعض الذّنوب لو استحضره لم يتب منه، لقوّة حبّه إيّاه، أو لاعتقاده أنّه حسن ليس بقبيح، فما كان من ذنب لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التّوبة، وأمّا ما كان لو استحضره بعينه لكان ممّا يتوب منه؛ فإنّ التّوبة العامّة شاملة له. وأمّا التّوبة المطلقة:

وهي أن يتوب توبة مجملة، فإنّها لا تستلزم التّوبة من كلّ ذنب. فهذه لا توجب دخول كلّ فرد من أفراد الذّنوب فيها ولا تمنع دخوله كاللّفظ المطلق، لكن هذه تصلح أن تكون سببا لغفران المعيّن، كما تصلح سببا لغفران الجميع، بخلاف التّوبة العامّة فإنّها مقتضية للغفران العامّ.

وكثير من النّاس لا يستحضر عند التّوبة إلاّ بعض المعاصي المتّصفات بالفاحشة أو مقدّماتها أو بعض الظّلم باللّسان أو اليد، وقد يكون ما تركه من المأمور الّذي يجب عليه في باطنه وظاهره من شعب الإيمان وحقائقه أعظم ضررا عليه ممّا فعله من بعض الفواحش؛ فإنّ ما أمر الله به من حقائق الإيمان الّتي بها يصير العبد من المؤمنين حقّا أعظم نفعا من نفع ترك بعض الذّنوب الظّاهرة، كحبّ الله ورسوله، فإنّ هذا أعظم الحسنات الفعليّة. والنّاس في غالب أحوالهم لا يتوبون توبة عامّة مع حاجتهم إلى ذلك؛ فإنّ التّوبة واجبة على كلّ عبد في كلّ حال، لأنّه دائما يظهر له ما فرّط فيه من ترك مأمور أو ما اعتدى فيه من فعل محظور، فعليه أن يتوب دائما.

شمول التوبة لكل مراتب الدين (الإسلام، الإيمان، الإحسان).

قال ابن القيّم - رحمه الله تعالى -: التّوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدّين كلّه داخل في مسمّى التّوبة وبهذا استحقّ التائب أن يكون حبيب الله. فإنّ الله يحبّ التّوّابين ويحبّ المتطهّرين. وإنّما يحبّ الله من فعل ما أمر به. وترك ما نهي عنه. فإذا التّوبة هي الرّجوع عمّا يكرهه الله ظاهرا وباطنا إلى ما يحبّه ظاهرا وباطنا. ويدخل في مسمّاها الإسلام، والإيمان، والإحسان. وتتناول جميع المقامات. ولهذا كانت غاية كلّ مؤمن، وبداية الأمر وخاتمته وهي الغاية الّتي وجد لأجلها الخلق. والأمر والتّوحيد جزء منها، بل هو جزؤها الأعظم الّذي عليه بناؤها.

وأكثر النّاس لا يعرفون قدر التّوبة ولا حقيقتها، فضلا عن القيام بها علما وعملا وحالا. ولم يجعل الله تعالى محبته للتّوّابين إلاّ وهم خواصّ الخلق لديه، ولولا أنّ التّوبة اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الرّبّ تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم، فجميع ما يتكلّم فيه النّاس من المقامات والأحوال هو تفاصيلها وآثارها.

وقد قال الله تعالى:{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾} [البقرة: ٥٤].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾} [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

وقال تعالى:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾} [النساء: ٦٤].

وقال تعالى:{ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ } [التوبة: ١١٧- ١١٨].

وقال تعالى:{وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾} [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾}

[التوبة: ١١١ - ١١٢].

وقال تعالى:{الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾} [هود: ١ - ٤].

وقال تعالى:{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا } [مريم: ٥٨ - ٦٠].

وقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾} [الأحقاف: ١٥ - ١٦].

وقال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا} [التحريم: ٣ - ٥].

التوبة من الكفر أو النفاق لا تكون إلا بالإيمان الصادق:

وقال تعالى: {كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾} [آل عمران: ٨٦ - ٨٩].

وقال تعالى: {وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾} [النساء: ١٥ - ١٨].

وقال تعالى:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾} [البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾} [التحريم: ٨].

وقال تعالى:{ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾} [النساء: ٢٦ - ٢٨].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: إنّ رجلا جاء إلى النّبيّ صلي الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أحدنا يذنب. قال: **يكتب عليه**ــــ. قال: ثمّ يستغفر منه ويتوب. قال: **يغفر له ويتاب عليه**ــــ. قال: فيعود فيذنب. قال: **فيكتب عليه**ــــ. قال: ثمّ يستغفر منه ويتوب. قال: **يغفر له ويتاب عليه، ولا يملّ الله حتّى تملّوا**ــــ[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **إنّ العبد إذا أخطأ نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيه حتّى تعلو قلبه وهو الرّان** [(٢)] **الّذي ذكر الله:**{ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾} [المطففين: ١٤]ــــ[(٣)].

وعن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **إنّ الله** عز وجل **يبسط يده باللّيل ليتوب مسيء النّهار، ويبسط يده بالنّهار ليتوب مسيء اللّيل، حتّى تطلع الشّمس من مغربها**ــــ[(٤)].

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٠٠): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن.

(٢) الران: الطبع والختم.

(٣) الترمذي (٣٣٣٤) وقال: حديث حسن صحيح واللفظ له. وابن ماجه (٤٢٤٤). والحاكم (٢/ ٥١٧) من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي.

(٤) مسلم (٢٧٥٩).

وعن عبد الله بن عمر ☻ قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**[١].

وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا. فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على راهب فأتاه، فقال: إنّه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمّل به مائة، ثمّ سأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على رجل عالم، فقال: إنّه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم. ومن يحول بينه وبين التّوبة. انطلق إلى أرض كذا وكذا فإنّ بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنّها أرض سوء، فانطلق حتّى إذا نصف**[٢] **الطّريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرّحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرّحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنّه لم يعمل خيرا قطّ. فأتاهم ملك في صورة آدميّ فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيّتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض الّتي أراد. فقبضته ملائكة الرّحمة**[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **كلّ ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التّوابون**[٤].

---

(١) الترمذي (٣٥٣٧) وهذا لفظه وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه (٤٢٥٣) وأحمد برقم (٦١٦٠، ٦٤٠٠). والحاكم (٤/ ٢٥٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال الشيخ أحمد شاكر في المسند: إسناده صحيح (٩/ ١٧) حديث (٦١٦٠).

(٢) نصف الطريق: في منتصف الطريق.

(٣) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٧٠). ومسلم برقم (٢٧٦٦) واللفظ له.

(٤) الترمذي (٢٤٩٩) وهذا لفظه وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة. ابن ماجه (٤٢٥١) وقال الحافظ: سنده قوي (٤/ ٣٤٦) والدارمي (٢/ ٣٩٣) وأحمد (٣/ ١٩٨) والحاكم (٤/ ٢٤٤). وقال محقق جامع الأصول (٢/ ٥١٥): حسن.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتّى اشتدّ عليه الحرّ والعطش، أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة ثمّ رفع رأسه فإذا راحلته عنده** (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لو أخطأتم حتّى تبلغ خطايكم السّماء، ثمّ تبتم لتاب عليكم** (٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **للجنّة ثمانية أبواب، سبعة مغلقة وباب مفتوح للتّوبة حتّى تطلع الشّمس من مغربها** (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صلي الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربّه عز وجل قال: **أذنب عبد ذنبا، فقال: اللّهمّ اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أنّ له ربّا يغفر الذّنب ويأخذ بالذّنب. ثمّ عاد فأذنب، فقال: أي ربّ اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أنّ له ربّا يغفر الذّنب ويأخذ بالذّنب. ثمّ عاد فأذنب، فقال: أي ربّ اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أنّ له ربّا يغفر الذّنب ويأخذ بالذّنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك** (٤).

---

(١) البخاري - الفتح ١١ (٦٣٠٨) واللفظ له ومسلم (٣٧٤٤).

(٢) ابن ماجه (٤٢٤٨) وفي الزوائد: هذا إسناد حسن، وشيخ ابن ماجه مختلف فيه وباقي رجاله ثقات. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ١٣): إسناده حسن. وذكره في الترغيب والترهيب (٤/ ٩٠) وقال: رواه ابن ماجه بإسناد جيد.

(٣) ذكره في الترغيب والترهيب (٤/ ٨٩) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني بإسناد جيد.

(٤) البخاري - الفتح ١٣ (٧٥٠٧). مسلم (٢٧٥٨) واللفظ له.

وعن شدّاد بن أوس - رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **سيّد الاستغفار أن يقول: اللّهمّ أنت ربّي لا إله إلاّ أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي اغفر لي، فإنّه لا يغفر الذّنوب إلاّ أنت، قال: ومن قالها من النّهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنّة، ومن قالها من اللّيل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنّة**[(١)].

وعن ابن عمر ☻ قال: إن كنّا لنعدّ لرسول الله صلي الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرّة من قبل أن يقوم: **ربّ اغفر لي وتب عليّ إنّك أنت التّوّاب الرّحيم**[(٢)].

قال عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه: اجلسوا إلى التّوّابين فإنّهم أرقّ أفئدة.

وقال أيضا رضي الله عنه في معنى قوله تعالى:{**تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا**} [التحريم: ٨]. يذنب العبد ثمّ يتوب فلا يعود فيه.

وعن ابن عبّاس ☻ قال: قال الله عز وجل:{ **ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ**} [النجم: ٣٢]، قال: هو الرّجل يصيب الفاحشة يلمّ بها ثمّ يتوب منها. قال يقول:

إن تغفر اللّهمّ تغفر جمّا ::: وأيّ عبد لك لا ألمّا

قال الحسن البصريّ - رحمه الله -: يابن آدم ترك الخطيئة أيسر من طلب التّوبة.

وقال أيضا - رحمه الله - في معنى التّوبة النّصوح: أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه.

وقال فيها أيضا: ندم بالقلب، واستغفار باللّسان وترك بالجوارح، وإضمار ألاّ يعود.

وقال الكلبيّ: أن يستغفر باللّسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن.

وقال سعيد بن المسيّب: التّوبة النّصوح ما تنصحون بها أنفسكم.

وقال محمّد بن كعب القرظيّ: التّوبة يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللّسان، الإقلاع بالأبدان، إضمار ترك العود بالجنان، مهاجرة سيّئ الإخوان.

---

(١) البخاري - الفتح ١١ (٦٣٠٦).

(٢) أبو داود (١٥١٦) وهذا لفظه والترمذي (٣٤٣٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن ماجه (٣٨١٤)، وعزاه شاكر للنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٤٨).

وقال أبو حازم - رحمه الله - : عند تصحيح الضّمائر تغفر الكبائر، إذا عزم العبد على ترك الآثام أمّه الفتوح.

قال يحيى بن معاذ - رحمه الله تعالى: الّذي حجب النّاس عن التّوبة طول الأمل، وعلامة التّائب إسبال الدّمعة وحبّ الخلوة والمحاسبة للنّفس عند كلّ همّة.

قال ابن القيّم - رحمه الله تعالى -: التّوبة من أفضل مقامات السّالكين لأنّها أوّل المنازل، وأوسطها، وآخرها. فلا يفارقها العبد أبدا ولا يزال فيها إلى الممات. وإن ارتحل السّالك منها إلى منزل آخر ارتحل به، ونزل به. فهي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النّهاية ضروريّة، كما حاجته إليها في البداية كذلك.

قال محمود الورّاق - رحمه الله -:

قدّم لنفسك توبة مرجوّة ::: قبل الممات وقبل حبس الألسن
بادر بها غلق النّفوس فإنّها ::: ذخر وغنم للمنيب المحسن

قال بعض أهل العلم: من أعطي أربعا لم يمنع أربعا: من أعطي الشّكر، لم يمنع المزيد، ومن أعطي التّوبة، لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصّواب.

من فوائد التوبة:

- التّوبة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- سبب حبّ الله تعالى ورضاه؛ لأنّ الله يحبّ التّوّابين ويحبّ المتطهّرين.
- سعة رحمة الله تعالى للتّائب.
- ضعف الإنسان لكون الخطيئة جزءا منه.
- عموم وشمول مغفرة الله ورحمته لكلّ ذنب تاب العبد منه وإن كان شركا.
- حرمة المسلم (عرضه وماله) فلا تقبل التّوبة من حقوق العباد إلاّ بأن يأخذ حقّه أو يعفو.
- يتجلّى الله على التّائب برضوانه وإحسانه.
- يقبل الله على التّائب أضعاف إقبال عبده عليه بطاعته.
- تسبّب التّوبة ذهاب الضّيق وإزالة الهمّ.

- الرّجاء في العفو والتّوبة ما دامت الرّوح في الجســد إلى طلوع الشّــمس من مغربها، وقبل الغرغرة.

- وجوب التّوبة على العموم وعلى الخصوص والمبادرة بها.

- المعاصي سواد والتّوبة جلاؤها.

ومن المواقف:

قد آذاني هذا المتخلف من كثرة ما يتوب:

وحكى بعضـهم قال: كان لنا صـديق يكثر التوبة من الشرـب والعود إليه. ففارقنا يوماً على أنه قد تاب فجاءنا صبيحة غداة وقد أمحت من أحد عارضيه لحيته فقال: رأيت إبليس في منامي وهو يستعرض أصحابه، فأتى بي إليه بعض أعوانه وقال: قد آذاني هذا المتخلف من كثرة ما يتوب لم يرجع، حلفوه على أن لا يتوب فحلفت ثم قال: الحسـوا لحيته من جانب يكون ذلك تذكرة معه، فأصبحت على تلك الحالة.

توبة كعب بن مالك رضي الله عنه:

عن الزهري قال أخبرني ابن كعب بن مالك عن أبيه قال لم أتخلف عن رسـول الله صلي الله عليه وســلم في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدرا ولم يعاتب النبي صـــلي الله عليه وســلم أحدا تخلف عن غزوة بدر إنما خرج يريد العير فخرجت قريش مغوثين لعيرهم فالتقوا على غير موعد كما قال الله تعالى ولعمري إن أشرف مشـاهد رسول الله صلي الله عليه وسـلم في الناس لبدر وما أحب أني كنت شهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث تواثقنا على الإسـلام ثم لم أتخلف بعد عن رسـول الله صـلي الله عليه وسلم في غزاة غزاها حتى إذا كانت غزوة تبوك وهي آخر غزاة غزاها وآذن النبي صـلي الله عليه وسـلم الناس بالرحيل وأراد أن يتـأهبوا أهبـة غزوهم وذلك حين طابت الظلال وطابت الثمار وكان قلما أراد غزوة إلا ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة إلا غزوة تبوك فإنه جلى للناس أمرهم فأراد النبي صلي الله عليه وسلم في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أهبته وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال وطيب الثمار فلم أزل كذلك حتى قام رسـول الله صـلي الله عليه وسلم غاديا بالغداة وذلك يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم الخميس فأصبـح غاديا فقلت أنطلق غدا إلى السوق فأشتري جهازي ثم ألحق بهم فانطلقت إلى السـوق من الغد فعسرـ علي بعض شـأني فرجعت فقلت أرجع غدا إن شاء الله فألحق بهم فعسر علي بعض شأني

أيضا فقلت أرجع غدا إن شاء الله فلم أزل كذلك حتى ألبس بي الذنب وتخلفت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فجعلت أمشي في الأسواق وأطوف بالمدينة فيحزنني أني لا أرى أحدا تخلف إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق وكان ليس أحد تخلف إلا رأى أن ذلك سيخفى له وكان الناس كثيرا لا يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلف

عن النبي صلي الله عليه وسلم بضعة وثمانين رجلا ولم يذكرني النبي صلي الله عليه وسلم حتى بلغ تبوكا قال ما فعل كعب بن مالك قال رجل من قومي خلفه يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيرا قال فبينما هم كذلك إذا هم برجل يزول به السراب فقال النبي صلي الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فإذا هو أبو خيثمة فلما قضى النبي صلي الله عليه وسلم غزوة تبوك وقفل ودنا من المدينة جعلت أتذكر بماذا أخرج به من سخط النبي صلي الله عليه وسلم وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي حتى إذا قيل النبي صلي الله عليه وسلم هو مصبحكم غدا بالغداة زاح عني الباطل وعرفت أني لا أنجو إلا بالصدق فدخل النبي صلي الله عليه وسلم ضحى فصلى في المسجد وكان إذا جاء من سفر فعل ذلك دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فجعل يأتيه من تخلف فيحلفون له ويعتذرون إليه فيستغفر لهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله عز وجل فدخلت المسجد فإذا هو جالس فلما رآني تبسم تبسم المغضب فجئت فجلست بين يديه فقال ألم تكن ابتعت ظهرك فقلت بلى يا نبي الله قال فما خلفك فقلت والله لو بين يدي أحد من الناس غيرك جلست لخرجت من سخطه علي بعذر ولقد أوتيت جدلا ولكن قد علمت يا نبي الله أني إن أخبرتك اليوم بقول تجد علي فيه وهو حق فإني أرجو فيه عقبي الله وإن حدثتك اليوم حديثا ترضى عني فيه وهو كذب أوشك الله أن يطلعك علي والله يا نبي الله ما كنت قط أيسر ولا أخف حاذا مني حين تخلفت عنك قال أما هذا فقد صدقكم الحديث فقم حتى يقضي الله فيك فقمت فثار على إثري أناس من قومي يؤنبونني فقالوا والله ما نعلمك أذنبت ذنبا قط قبل هذا فهلا اعتذرت إلى نبي الله صلي الله عليه وسلم بعذر يرضى عنك فيه وكان استغفار رسول الله صلي الله عليه وسلم سيأتي من وراء ذنبك ولم تقف نفسك موقفا لا تدري ماذا يقضى لك فيه فلم يزالوا يؤنبونني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي فقلت هل قال هذا القول أحد غيري قالوا نعم قاله هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة فقلت والله لا أرجع إليه في هذا أبدا ولا أكذب نفسي قال ونهى النبي صلي الله عليه وسلم الناس عن كلامنا أيها الثلاثة قال فجعلت أخرج إلى

الســـوق فلا يكلمني أحـد وتنكر لنـا الناس حتى ما هم بالذين نعرف وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف وكنت أقوى أصحابي فكنت أخرج وأطوف في السوق وآتي المسجد فأدخل وآتي النبي صلي الله عليه وسلم فأسلم عليه فأقول هل حرك شفتيه بالسلام إذا قمت أصلي إلى السارية فأقبلت قبل صـــلاتي نظر إلي بمؤخر عينيه وإذا نظرت إليه أعرض عني قال واســتكان صـــاحباي فجعلا يبكيان الليل والنهار ولا يطلعان رؤوسهما فبينما أنا أطوف في السوق إذا رجل نصراني جاء بطعام لـه يبيعـه يقول من يـدل على كعـب بن مالك فطفق الناس يشـــيرون له إلي فأتاني بصحيفة من ملك غسان فإذا فيها أما بعد فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان فالحق بنا نواسك قال فقلت هذا أيضا من البلاء والشر فأسجرت لها التنور وأحرقتها فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي صلي الله عليه وسلم قد أتاني فقال اعتزل امرأتك فقلت أطلقها قال لا ولكن لا تقربها وأرســـل إلى صـــاحبي بمثل ذلك فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف فهل تأذن لي أن أخدمه قال نعم ولكن لا يقربنك قالت يا نبي الله والله ما به من حركة لشيء ما زال مكتئبا يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان قال كعب فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة حائطه وهو ابن عمي فسلمت عليه فلم يرد علي فقلت أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله فسكت ثم قلت أيضا يا أبا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله فسكت ثم قلت أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله قال الله ورسوله أعلم قال فلم أملك نفسي أن بكيت ثم اقتحمت الحائط خارجا حتى إذا مضت خمســون ليلة من حين نهى النبي صـلي الله عليه وســلم الناس عن كلامنا صـليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم جلست وأنا في المنزلة التي قال الله عز وجل قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت إذ سمعت نداء من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وعرفت أن الله تعالى قد جاء بالفرج ثم جاء رجل يركض على فرس يبشرـــني فكان الصـــوت أسرع من فرسه فلما جاءني الذي سمعت صوته أعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين قال وكانت توبتنا نزلت على النبي صلي الله عليه وسلم ثلث الليل فقالت أم سلمة يا نبي الله ألا نبشر كعب بن مالك قال إذا يحطمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة قال وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن بأمري فانطلقت إلى النبي صلي الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر وكان إذا سر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال أبشر يا كعب بن

مـالـك بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك قال بل من عند الله ثم تلا عليهم: { لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ } [التوبة: ١١٧]، حتى بلغ:{ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾} [التوبة: ١١٨]، قال: وفينا نزلت:{ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ } [التوبة: ١١٩]، قال: فقلت: يا نبي الله إن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا وأن أتخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال: **أمسك بعض مالك فهو خير لك—** فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر قال فما أنعم الله علي نعمة بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلي الله عليه وسلم حين صدقته أنا وصاحباي أن لا نكون كذبناه فهلكنا كما هلكوا وإني لأرجو أن لا يكون ابتلى الله أحدا في الصدق مثل الذي ابتلاني ما تعمدت لكذبة بعد وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي [1].

ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت:

قال إبراهيم بن بشّار، قلت لإبراهيم بن أدهم: كيف كان بدوّ أمرك قال: غير ذا أولى بك، قلت: أخبرني لعلّ الله أن ينفعنا به يوماً، فقال: كان أبي من أهل بلخ، وكان من ملوك خراسان المياسير، وحبّب إلينا الصيد، فخرجت راكباً فرسي ومعي كلبي، فينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب، فحرّكت فرسي، فسمعت نداء من ورائي: ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يمنةً ويسرةً، فلم أر أحداً فقلت، لعن الله إبليس، ثم حرّكت فرسي، فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت وقلت، انتهيت انتهيت، جاءني نذير من ربّ العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي إذا ما عصمني ربّي. فرجعت إلى أهلي، فخلّيت عن فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي، فأخذت منه جبّة وكساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً، فلم يصف لي منها الحلال، فقيل لي: عليك بالشام، فصرت إلى المصِيصة، فعملت بها، فلم يصف لي الحلال، فسألت بعض المشايخ فقال: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس، فإنّ فيها المباحات والعمل الكثير، فأتيتها، فعملت بها انظر في البساتين وأحصد، فبينما أنا على باب البحر جاءني رجل أنظر له، فكتبت في البستان مدّة، فإذا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقعد في مجلسه فصاح: يا ناظور، إذهب فآتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه، فذهبت فأتيته بأكبر رمّان، فكسر رمّانة فوجدها حامضة فقال: أنت عندنا كذا وكذا تأكل فاكهتنا ورمّاننا، لا تعرف الحلو من

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، التوابين، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، ص ٩٤ - ١٠١.

الحامض، قلت: والله ما ذقتها. فأشـار إلى أصحابه تسمعون كلام هذا، ثم قال لي: أتراك لو أنّك إبراهيم بن أدهم زاد على هذا فانصرف، فلمّا كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عتق من الناس، فلمّا رأيته قد أقبل اختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا هارب[1].

وأيّ دين لو كان له رجال:

قال إبراهيم بن بشّار الصوفي، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأيّ دين لو كان له رجال من طلبة العلم لله كان الخمول أحبّ إليه من التطاول، وقال: والله ما الحياة بثقة يرجى نومها، ولا المنيّة بعذر فيؤمن غدرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء، قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني[2].

كم شهوة قد ذهبت لذتها وبقيت تبعتها:

قال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية متعبدة فإذا هي تقول يا رب كم شهوة قد ذهبت لذتها وبقيت تبعتها يا رب ما كان لك عقوبة ولا أدب إلا النار قال فوالله ما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فوضعت يدي على راسي ثم صرخت وجعلت أقول ثكلت مالكا أمه وعدمته جويرية منذ الليلة قد بطلته [3].

فرجعت إلى بلدي فجعلت أسير سير الضعفاء:

قال إبراهيم بن زياد المقرىء قال إبراهيم بن أدهم بابتدائه كيف كان قال كنت يوما في مجلس لي له منظرة إلى الطريق فإذا أنا بشيخ عليه أطمار وكان يوما حارا فجلس في فيىء القصر ليستريح فقلت للخادم اخرج إلى هذا الشيخ فأقرئه مني السلام وسله أن يدخل إلينا فقد أخذ بمجامع قلبي فخرج إليه فقام معه فدخل إلي فسلم فرددت ♠ واستبشرت بدخوله وأجلسته إلى جنبي وعرضت عليه الطعام فأبى أن يأكل فقلت له من أين أقبلت فقال من وراء النهر فقلت أين تريد قال الحج إن شاء الله تعالى قال وكان ذلك في أول يوم من العشر أو الثاني فقلت في هذا الوقت فقال بل يفعل الله ما يشاء فقلت الصحبة فقال إن أحببت ذلك حتى إذا كان الليل قال لي قم فلبست ما يصلح للسفر وأخذ بيدي وخرجنا من بلخ فمررنا بقرية لنا فلقيني رجل من الفلاحين فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه فقدم إلينا خبزا وبيضا وسألنا أن نأكل فأكلنا وجاء بماء فشربنا وقال لي بسم الله قم

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٤/١٠.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٤٠/٨.

(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤ / ١٦.

فأخذ بيدي فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فمررنا بمدينة بعد مدينة فجعل يقول هذه مدينة كذا هذه مدينة كذا هذه الكوفة ثم قال الموعد هاهنا في مكانك هذا في الوقت من الليل حتى إذا كان الوقت إذا به قد أقبل فأخذ بيدي وقال بسم الله قال فجعل يقول هذا منزل كذا هذا منزل كذا وهذه فيد وهذه المدينة وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فصرنا إلى قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم فزرناه ثم فارقني وقال الموعد في الوقت من الليل في المصلى حتى إذا كان الوقت خرجت فإذا به في المصلى فأخذ بيدي ففعل كفعله في الأولى والثانية حتى أتينا مكة في الليل ففارقني فقبضت عليه وقلت الصحبة فقال إني أريد الشام فقلت أنا معك فقال لي إذا انقضى الحج فالموعد هاهنا عند زمزم حتى إذا انقضى الحج إذا به عند زمزم فأخذ بيدي فطفنا بالبيت ثم خرجنا من مكة ففعل كفعله الأول والثاني والثالث فإذا نحن ببيت المقدس فلما دخل المسجد قال لي عليك السلام أنا على المقام إن شاء الله هاهنا ثم فارقني فما رأيته بعد ذلك ولا عرفني اسمه قال إبراهيم فرجعت إلى بلدي فجعلت أسير سير الضعفاء منزلا بعد منزل حتى رجعت إلى بلخ فكان ذلك أول أمري[1].

أمجنون أنت؟:

قال مالك بن دينار: رأيت بالمصيصة شيخاً في عنقه غل وسلسلة والصبيان يرمونه وهو يقول:

إن من قد أرى على صور النا ::: س وإن فتشوا فليسوا بناس

قال فتقدمت إليه فقلت أمجنون أنت؟ قال أنا مجنون الجوارح لا مجنون القلب ثم مر وأنشأ يقول:

واريت أمري بالجنون عن الورى ::: كيما أكون بواحدي مشغول

يا من تعجب في الأنام لمنطقي ::: ماذا أقول ومنطقي مجهول [2]

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، التوابين، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، ١٦٠/١.

(٢) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ١ / ٩.

قلوب الملوك بيدي:

عن مالك بن دينار: وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى: أنا ملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة. لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، ولكن توبوا إلى الله أعطفهم عليكم(١).

قد عاهدناك مراراً فوجدناك كذوباً:

قال مالك بن دينار: دخلت على جار لي وهو مريض فقلت له: عاهد الله أن تتوب فلعله أن يشفيك. فقال: هيهات قد عاهدته فسمعت هاتفاً من جانب البيت: قد عاهدناك مراراً فوجدناك كذوباً (٢).

ما سبب توبتك؟:

قال يوسف بن الحسين الرازي: حضرت ذا النون، فقيل له: يا أبا الفيض، ما كان سبب توبتك؟ قال: نمت في الصحراء، ففتحت عيني فإذا قنبرة عمياء سقطت من وكر، فانشقت الأرض، فخرج منها سكرجتان ذهب وفضة، في إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء، فأكلت وشربت. فقلت: حسبي، فتبت ولزمت الباب إلى أن قبلني.

وكان يفتي ويعاشر الفتيان:

قال حاتم الأصم: كان شقيق بن إبراهيم موسراً، وكان يفتي ويعاشر الفتيان، وكان عليّ بن عيسى بن ماهان أميرَ بلخ، وكان يحب كلاب الصيد، ففقد كلباً من كلابه، فسعى برجل أنه عنده، وكان الرجل في جوار شقيق، فطلب الرجل، فهرب... فدخل دار شقيق مستجيراً، فمضى شقيق إلى الأمير، وقال: خلوا سبيله، فإن الكلب عنيد أرده إليكم إلى ثلاثة أيام.

فخلوا سبيله، وانصرف شقيق مهتما لما صنع. فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائباً من بلخ فرجع إليها، فوجد في الطريق كلباً عليه قلادة، فأخذه، وقال: أهديه إلى شقيق، فإنه يشتغل بالتفَّتى.

فحمله إليه، فنظر شقيق فإذا هو كل الأمر، فسرّ به وحمله إلى الأمير وتخلّص من الضمان فرزقه الله الانتباه، وتاب مما كان فيه. وسلك طريق الزهد.

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ /٤٣٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٤٩٥/١.

فما حقيقتها؟!:

قـال الجنيـد بن محمد دخلت يوما على سرى الســقطي فرأيت عليه هما فقلت أيها الشـيخ أرى عليك هما فقال السـاعة دق على داق الباب فقلت أدخل فدخل على شـاب في حدود الأرادة فسـألني عن معنى التوبة فأخبرته وسـألني عن شرط التوبة فأنبأته فقال هذا معنى التوبة وهذا شرطها فما حقيقتها فقلت حقيقة التوبة عندكم أن لا تنسى ما من أجله كـانـت التوبـة فقـال ليس هو كذلك عندنا فقلت له فما حقيقة التوبة عندكم فقال حقيقة التوبة ألا تذكر ما من أجله كانت التوبة وأنا أفكر في كلامه قال الجنيد فقلت ما أحســن ما قال قال فقال لي يا جنيد وما معنى هذا الكلام فقال يا أسـتاذ إذا كنت معك في حال الجفاء ونقلتني من حال الجفاء إلى حال الصـفاء فذكري للجفاء في حال الصـفاء غفلة قال ودخلت عليه يوما آخر فرأيت عليه هما فقلت أيها الشـيخ أراك مشـغول القلب فقال أمس كنت في الجامع فوقف على شاب وقال لي أيها الشيخ يعلم العبد ان الله تعالى قد قبله فقلت لا يعلم فقـال بلى يعلم وقـال لي ثـانيا بلى يعلم فقلت له فمن أين يعلم قال إذا رأيت الله عز وجل قد عصمني من كل معصية ووفقني لكل طاعة علمت أن الله تبارك وتعالى قد قبلني [١].

* * *

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٧٤.

مواقف حسن الخاتمة

مواقف عربية

مواقف حسن الخاتمة

إن نصيب الإنسان من الدنيا عمره، فإن أحسن استغلاله فيما ينفعه في دار القرار فقد ربحت تجارته، وإن أساء استغلاله في المعاصي والسيئات حتى لقي الله على تلك الخاتمة السيئة فهو من الخاسرين، وكم حسرة تحت التراب، والعاقل من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله وخاف من ذنوبه قبل أن تكون سبباً في هلاكه، قال ابن مسعود: المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه(١).

وكم شخص أصر على صغيرة فألفها وهانت عليه ولم يفكر يوماً في عظمة من عصاه فكانت سبباً في سوء خاتمته، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إنكم تعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم من الموبقات(٢).

وقد نبه الله في كتابه جميع المؤمنين إلى أهمية حسن الخاتمة، فقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى:{ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾} [الحجر: ٩٩].

فالأمر بالتقوى والعبادة مستمر حتى الموت لتحصل الخاتمة الحسنة وقد بين صلي الله عليه وسلم أن بعض الناس يجتهد في الطاعات ويبتعد عن المعاصي مدة طويلة من عمره ولكن قبيل وفاته يقترف السيئات والمعاصي مما يكون سبباً في أن يختم له بخاتمة السوء، قال صلي الله عليه وسلم: **وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**(٣).

وعَنْ عَائِشَةَ ♥: أَنَّ رَسُوْلَ الله صلي الله عليه وسلم قَالَ: **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**(٤).

(١) البخاري ٨٨/١١، ٨٩ ومسلم أيضاً ".

(٢) البخاري ٢٨٣/١١ ".

(٣) البخاري ٤١٧/١١ ومسلم برقم: ٢٦٤٣ ".

(٤) ابن حبان " ٣٤٧ "، تعليق الألباني صحيح.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُـوْلَ الله صـلي الله عليه وسـلم قَالَ: **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَـلُ الزَّمَنَ الطَّوِيـلَ بِعَمَـلِ أَهْلِ الْجُنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُـلَ لَيَعْمَـلُ الزَّمَنَ الطَّوِيـلَ بِعَمَـلِ أَهْـلِ النَّـارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَـهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجُنَّةِ—** [١].

وعَنْ عَائشَـةَ ♥: أَنَّ رَسُـولَ الله صـلي الله عليه وسـلم قَالَ: **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْـلِ الْجُنَّةِ وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَـلِ أَهْـلِ النَّـارِ فَمَاتَ فَـدَخَـلَ النَّـارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ الْجُنَّةِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَاتَ فَدَخَلَهَا—** [٢].

وورد في حديث سـهل بن سـعد الساعدي رضي الله عنه أن رجلاً من المسلمين في إحدى المعارك مع رسـول الله صلي الله عليه وسلم أبلى بلاءً شديداً فأعجب الصحابة ذلك وقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم: **أما إنه من أهل النار—** فقال بعض الصحابة: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار، فقال رجل من القوم: أنا صـاحبه سأنظر ماذا يفعل فتبعه، قال فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضـع سـيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فرجع الرجل إلى رسـول الله صـلي الله عليه وسلم فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: **وما ذاك؟—** قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شـديداً فاسـتعجل الموت فوضـع نصـل سـيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسـه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم عند ذلك: **إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة—** وفي بعض الروايات زيادة: **وإنما الأعمال بالخواتيم—** [٣].

(١) مسـلم " ٢٦٥١ " باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشـقاوته وسعادته، واللفظ له، أحمد " ١٠٢٩١ "، تعليق شعيب الأرنؤوط " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(٢) أحمد " ٢٤٨٠٦ "، تعليق شعيب الأرنؤوط " إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح ".

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وقد وصف الله - سبحانه - عباده المؤمنين بأنهم جمعوا بين شدة الخوف من الله مع الإحسان في العمل فقال:{إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾} [المؤمنون: ٥٧ - ٦١]. وقد كانت هذه حالة الصحابة ♦.

وقد روى أحمد عن أبي بكر الصديق أنه قال: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. وكان رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وكان علي بن أبي طالب يشتد خوفه من اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وكان يقول: ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة قد أسرعت مقبلة ولكل واحدة منها بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

وقد كان موت الفجأة مذموماً في الإسلام لأنه يباغت صاحبه ولا يمهله فربما كان على معصية فيختم له بالخاتمة السيئة.

وقد كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة خوفاً شديداً، قال سهل التستري: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله - تعالى - إذ قال:{وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: ٦٠]. وينبغي أن يكون الخوف من سوء الخاتمة ماثلاً أمام عين العبد في كل لحظة، لأن الخوف باعث على العمل وقد قال صلي الله عليه وسلم: **من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**ـــ [١].

لكن إذا قاربت وفاة الشخص وأشرف على الموت فينبغي له حينئذ أن يغلب جانب الرجاء وأن يشتاق إلى لقاء الله فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. قال صلي الله عليه وسلم: **يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله** عز وجلـــ [٢].

(١) الترمذي برقم ٢٤٥٢ ".

(٢) أبو داود ٣١١٦ والحاكم ٣٥١/١ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ".

بشائر تدل على حسن الخاتمة:

نبه النبي صلي الله عليه وسلم على بشائر تدل الخاتمة إذا كانت وفاة العبد مع واحدة منها كان ذلك فألا طيباً وبشارة حسنة منها:

نطقه بكلمة التوحيد عند الموت فقد روى الحاكم عن معاذ بن جبل قال: قال رسـول الله صلي الله عليه وسلم: **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** (١).

- أن يموت شهيداً من أجل إعلاء كلمة الله قال - تعالى -:{ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾** } [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

- أن يموت غازيا في سبيل الله، أو محرماً بحج، قال صلي الله عليه وسلم: **من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد** (٢).

وقال صلي الله عليه وسلم في المحرم الذي وقّعته ناقته: **اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً** (٣).

- أن يكون آخر عمله طاعة الله فقد روى حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلي الله عليه وسلم: **من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة** (٤).

- الموت في سبيل الدفاع عن الخمس التي حفظتها الشريعة وهي: الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل. عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد** (٥).

---

(١) مسلم برقم ٢٨٧٧ ".

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) مسلم برقم ١٢٠٦ ".

(٤) رواه أحمد ٣٩١/٥ ".

(٥) رواه أبو داود برقم ٤٧٧٢ والترمذي برقم ١٤١٨و ١٤٢١ ".

- أن يموت صابراً محتسباً بسبب أحد الأمراض الوبائية وقد نبه النبي صلي الله عليه وسلم إلى بعضها مثل الطاعون: روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **الطاعون شهادة لكل مسلم**ـــ [(١)].

و السل: روى راشد بن حبيش قال، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **قتل المسلم شهادة والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة والسل شهادة**[(٢)]، **وداء البطن**ـــ، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **ومن مات في البطن فهو شهيد**ـــ [(٣)].

الوسائل التي جعلها الله سبباً في حسن الخاتمة:

- تقوى الله في السر والعلن والتمسك بما جاء به النبي صلي الله عليه وسلم فهو سبيل النجاة، قال - تعالى -:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾} [آل عمران: ١٠٢]. وأن يحذر العبد من الذنوب أشد الحذر فإن الكبائر موبقات وإن الصغائر مع الإصرار تتحول إلى كبائر وكثرة الصغائر مع عدم التوبة والاستغفار ران على القلب. قال صلي الله عليه وسلم: **إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**ـــ [(٤)].

- المداومة على ذكر الله فمن داوم على ذكر الله وختم به جميع أعماله، وكان آخر ما يقول من الدنيا لا إله إلا الله نال بشارة النبي صلي الله عليه وسلم حيث قال: **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**ـــ [(٥)].

وروى سعيد بن منصور عن الحسن قال: سئل النبي صلي الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: **أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله**ـــ [(٦)].

---

(١) رواه أبو داود برقم ٤٧٧٢ والترمذي برقم ١٤١٨و ١٤٢١ ".

(٢) رواه أحمد ٢٨٩/٣ ".

(٣) رواه مسلم برقم ١٩١٥ ".

(٤) رواه أحمد ٣٣١/٥ ".

(٥) أبو داود ٣١١٦ والحاكم ٣٥١/١ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ".

(٦) المغني لابن قدامة ٤٥٠/٢ ".

ورحم الله الحسـن البصري حين قال: " المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشـفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن "؛ كيف يأمن المؤمن وما من قلب إلاّ وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء ثبته وإن شاء قلبه كما صح في الخبر؛ ولهذا كان صلي الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يكثر من قول: **اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؛ اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: " فالخواتيم ميراث السوابق، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق.

وقد قيل إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا؟

ويحكي أن بعض الصحابة خاف عند موته، فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: **إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين**، فقال: **هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، ولا أدري في أي القبضتين كنت**.

ولكن كيف نأمن سوء الخاتمة وقد ختم بها لبعض من بايع الرسول صلي الله عليه وسلم وجاهد في سبيل الله وأبلى في الجهاد؟

فذو الخويصرة التميمي وهو الحرقوص السعدي، قال عنه ابن الأثير في " أسْد الغابة في تمييز الصحابة ": (من الصحابة، ذكره الطبراني وقال: إن الهرمزان الفارسي، كفر ومنع ما قِبَله، واستعان بالأكراد، وكثر جمعه، فكتب عتبة بن غزوان إلى عمر رضي الله عنه بذلك، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمر المسلمين بحرقوص بن زهير وكانت له صحبة من رسول الله صلي الله عليه وسلم وأمره بالقتال، فاقتتل المسلمون والهرمزان، فانهزم الهرمزان، وفتح الحرقوص سوق الأهواز ونزل بها، وله أثر كبير في قتال الهرمزان؛ وبقي حرقوص إلى أيام علي رضي الله عنه، وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي، فقتل حرقوص يومئذ سنة سبع وثلاثين.

هذا الرجل خلط عملا صالحا وآخر سيئاً، ولذلك ختم له بسوء، لما سبق له في الكتاب الأول، فهو الذي:

... بال في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم.

... وهو الرادّ على الرسول صلي الله عليه وسلم قوله وهو يقسم: اعدل؛ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل؟**.

... وهو الذي خاصم الزبير في شراج الحرة، وقال: إن كان ابن عمتك؛ فأمر النبي صلي الله عليه وسلم الزبير باستيفاء حقه.

... وهو الذي خرج على عليّ فيمن خرج، وفجر، وقاتله قتالا شديداً.

... وهو من القوم الذين قال فيهم الرسول صلي الله عليه وسلم: **ينكر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية**، وفي رواية: **ثم لا يعودون**.

... وهو الذي قتله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واستبشر عندما وجده بين القتلى مع أهل النهروان.

هذه الفعال هي التي أوردت هذا الرجل موارد الهلاك، وجعلت ربنا سبحانه وتعالى يحكم عليه بما ختم له به، وما ربك بظلام للعبيد.

من قصص السلف في حسن الخاتمة:

فمجاهد بن جبر رضي الله عنه مات وهو ساجد.

ولما احتضر حذيفة رضي الله عنه قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح إلى النار، لا أفلح من ندم، مرحباً بالموت حبيب جاء على فاقة

وكذلك بلال رضي الله عنه ، لما احتضر كان يقول: غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه؛ فلما بكت زوجته وقالت: وابلالاه! واحزناه! قال لها: وفرحاه! وسروراه.

و خيثمة بن عبد الرحمن، دخلت عليه امرأته وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟! الموت لابد منه.

فقالت: الرجال بعدك عليّ حرام، فقال: ما كل هذا أريد منك - ما كنت أريد منك كل هذا الشيء - إنما كنت أخاف رجلاً واحداً، وهو أخي فلان - حيث كان له أخ، يقول: أخشى أن يتزوجك بعدي، وكان رجلاً فاسداً يتناول الخمر - فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب، بعد إذ كان يتلى فيه القرآن فهو يقول: بعد أن كنت أختم القرآن في كل ثلاثة أيام مرة، يشرب أخي الخمر في بيتي: هذا الذي كنت أخشاه.

ومالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أنني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد من قبلي من الأنبياء والصالحين؛ لأوصيت أهلي إذا مت أن يقيدوني ويجمعوا يديّ إلى عنقي، فينطلقوا بي على تلك الحال، فإني عبد آبق من مولاه يقول: لا أريد أن ابتدع في الدين وإلا أنا أتمنى أن تربط يدي إلى عنقي ويفعلون بي فعلهم بالأسير العبد الذي هرب من مواليه فأمسكوا به؛ لعل الله عز وجل أن يراني على تلك الحالة فيرحمني.

وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: اخرجوا فلا يبقى عندي أحد، فخرج من كان عنده وجلسوا عند الباب يستمعون، فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنس ولا جن، ثم قال:{تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾} [القصص: ٨٣]، ثم مات رحمه الله.

و آدم بن أبي إياس ختم القرآن وهو مسجى على سريره ثم قال: " يا رب، بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤملك لهذا اليوم، ثم قال: لا إله إلا الله ثم لفظ روحه ".

والإمام أحمد قال لولده عبد الله: " جئني بالحديث عن طاوس، أنه كان يكره الأنين - هات الحديث - فجاء ابنه وقرأ عليه الحديث عن طاوس: أنه كان يكره الأنين - يكره أن المريض يئن - فقرأه عليه فلم يئن الإمام أحمد إلا في الليلة التي توفي فيها.

يقول ابنه عبد الله: كان يغمى عليه ثم يفيق، فإذا أغمي عليه فتح عينيه، ثم قال بيديه هكذا: لا بعدُ بعدُ، قال: ففي المرة الثالثة قلت: يا أبه ما هذا، إنني أراك تحرك يدك وتقول: لا بعدُ بعدُ، قد لهجت بهذا الكلام ولا أدري له معنىً، فقال الإمام أحمد: إبليس - لعنه الله - قائم بحذائي عاض على أنامله، يقول: يا أحمد فتني يا أحمد، فتّني، فتَّ علي فأقول له: لا بعدُ بعدُ حتى أموت " يعني ما دام الروح في الجسد، فلا زال هناك خوف من كيد الشيطان.

ولما احتضر أبو الوقت السجزي رحمه الله، أسنده بعض تلاميذه إلى صدره، فقال:{قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾} [يس: ٢٦ - ٢٧].

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة قال: " يادنيا ما أطيبك، إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لحقير، وإن كنا منك لفي غرور " ثم أنشأ يقول: إن تناقش يكن نقاشك يا رب عذاباً لا طوق لي بالعذاب أو تجاوز فأنت رب صفوح عن مسيء ذنوبه كالتراب.

ومحمد بن واسع رحمه الله، كان عنده قوم جلوس وقوم قيام، فقال: ما يغني عني هؤلاء إذا أخذ بناصيتي وقدمي وألقيت في النار، ثم تلا قول الله عز وجل :{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١)} [الرحمن: ٤١].

أوتروا لي قوسي:

وقيل إنّ إبراهيم غزا في البحر مع أصحابه، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة، كلّ مرّة يجدّد الوضوء، فلما أحسّ بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وقبض على قوسه، فتوفّي وهو في يده، فدفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم[١].

لا حتى أموت:

عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: لما حضرت أبي الوفاة فجلست عنده والخرقة بيدي أشد بها لحييه، قال: فجعل يغرق ثم يفيق ويفتح عينيه ويقول: بيده هكذا لا بعد لا بعد لا بعد، ففعل هذا مرة وثانية فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبه إيش هذا الذي لهجت به في هذا الوقت؟! فقال: يا بني أما تدري؟! قلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم بحذائي عاض على أنامله يقول: يا أحمد فتّني! فأقول: لا حتى أموت.

كيف أصبحت؟:

وحدث المزني وهو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله جل ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة أو إلى النار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ::: جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ::: بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ::: تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يقدر بإبليس عابد ::: فكيف وقد أغوى صفيك آدما؟

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥١/١٠.

هذه نعم الله:

قال أبو بكر العطار يقول حضرت الجنيد أبا القاسم عند الموت في جماعة من أصحابنا قال وكان قاعدا يصــلي ويثني رجله إذا أراد أن يســجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقلت عليه حركتها فمد رجليه فرآه بعض أصـدقائه ممن حضرـ ذلك الوقت يقال له البســامي وكانت رجلا أبي القاسـم تورمتا فقال ما هذا يا أبا القاسم قال هذه نعم الله الله أكبر فلما فرغ من صـلاته قال له أبو محمد الجريري يا أبا القاســم لو اضــطجعت فقال يا أبا محمد هذا وقت منة الله أكبر فلم يزل ذلـك حاله حتى مات رحمه الله قال الشـــيخ كان الجنيد رحمه الله ممن أحكم علم الشرــيعة فكان عنده اقتباس آثار الزريعة وقبوله المدرجة البديعة وكان القيام بحقائق الآثار يدفعه عن الرواية والآثار [1].

ارفق بنفسك!:

وقال أبو محمد الجريري: " كنت واقفاً علي رأس الجنيد وقت وفاته - وكان يوم جمعة - وهو يقرأ، فقلت: " ارفق بنفسك! " فقال: " ما رأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت، هو ذا تطوي صحيفتي ".

اعذرني! فإني كنت في وردي:

وقـال ابن عطـاء: " دخلـت عليه، وهو في النزع، فســـلمت عليه، فلم يرد، ثم رد بعد ساعة، وقال: " اعذرني! فإني كنت في وردي "، ثم حول وجهه إلي القبلة ومات ".

* * *

(١) حلية الأولياء، ١٠ /٢٨١.

آثار المعاصي

مواقف عربية

آثار المعاصي والذنوب

المعصية لغة: الخروج عن الطاعة ومخالفة الأمر.

واصـــطلاحـــا: مـا يثـاب على تركـه ويعاقب على فعله، ويرادفها: المحظور والحرام والذنب، وإذا كانت المعصـية عبارة عن مخالفة أمر الله وطاعته مما يوجب سخط الله تعالى ويتوجب العقاب فاعلم أنها تنتج عن مجموعة صـفات في الإنسـان كل منها يتعلق به أنواع من المعاصى تختلف عن الأنواع الأخرى وهذه الصفات هى:

- **صــفات ربوبية:** ومنها يحدث الكبر والفخر، وحب المدح والثناء، والعز، وطلب الإستعلاء، ونحو ذلك، وهذه ذنوب مهلكات،وبعض الناس يغفل عنها فلا يعدها ذنوبا.

- **صـفات شـيطانية:** ومنها يتشـعب الحسـد، والبغى، والحيل، والخداع، والمكر والغش، والنفاق، والأمر بالفساد، ونحو ذلك.

- **صـفات بهيمية:** ومنها يتشعب الشر، والحرص على قضاء شهوتى البطن والفرج، فيتشعب من ذلك الزنا، واللواط، والسرقة، وأخذ الحطام لأجل الشهوات.

- **صـفات سـبعية:** ومنها يتشـعب الغضـب، والحقد، والتهجم على الناس بالقتل والضرب، وأخذ الأموال، وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة.

فالصـفة البهيمية هى التي تغلب أولا، ثم تتلوها الصـفة السـبعية ثانيا، فإذا اجتمعت هاتان اســتعملت العقل في الصــفات الشــيطانية من المكر والخداع، ثم تغلب الصــفات الربوبيــة، فهـذه أمهـات المعـاصى ومنـابعهـا، ثم تنفجر المعـاصى من هـذه المنـابع إلى الجوارح،فبعضــها في القلب كالكفر، والبدعة والنفاق وإضــمار الســوء، وبعضــها في العين، وبعضــها في الســمع، وبعضــها في اللســان، وبعضــها في البطن والفرج، وبعضــها في اليدين والرجلين، وبعضها في جميع البدن، وهذا كله واضح لا يحتاج إلى تفصيل.

وقد اختلف الفقهاء في تصنيف الذنوب والمعاصى على ثلاثة أوجه:

الأول: أنها تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهو المشهور بين الفقهاء، ويساعدهم إطلاقات الكتاب والسـنة، لقوله تعالى:{**وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ**} [الحجرات: ٧]، فجعل الفســوق وهو الكبائر تلى رتبة الكفر، وجعل الصــغائر تلى رتبة الكبائر وقد خصــص النبى صلي الله عليه وسلم بعض الذنوب باسم الكبائر.

الثانى: أن الذنوب كلها قســم واحد وهو الكبائر، وهو طريقة جمع عند الأصــوليين منهم الأستاذ أبو إسحاق، ونفى الصغائر، وجرى عليه إمام الحرمين في الإرشاد، وابن فورك في كتابه " مشـكل القرآن " فقال: المعاصى عندنا كبائر، وإنما يقال لبعضـها: صـغيرة بالنسبة إلى ما هو أكبر منها كما يقال: الزنا صغيرة بالنسبة إلى الكفر، والقبلة المحرمة صغيرة بالنسبة إلى الزنا، وكلها كبائر.

الثالث: أن المعاصى تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- **كبيرة**: كقتل النفس بغير حق.
- **فاحشة**: قتل ذا رحم.
- **صغيرة**: سائر الذنوب كالخدشة والضرب مرة أو مرتين.

ويظهر من هـذه الأقوال أن الخلاف لفظى، فـإن رتبـة الكبـائر تتفـاوت قطعا واختلف العلماء في تعريف الكبيرة اختلافـا كبيرا، كـذلـك اختلفوا في حصرـــهـا وعـدد أنواعهـا. لكن الصــحيح كما قـال الواحدى في البســيط: إنه ليس للكبائر حد يعرفه العباد،وتتميز به عن الصـغائر تمييز إشـارة، ولو عرف ذلك لكانت الصغائر مباحة، ولكن الله تعالى أخفى ذلك عن العبـاد ليجتهـد كـل واحـد في اجتنـاب مـا نهى عنـه، رجاء أن يكون مجتنبا للكبائر، ونظيره إخفاء الصـلاة الوسطى في الصلوات، وليلة القدر في رمضان. هل الإصرار على الصغائر يجعلها في منزلة الكبائر أم لا؟ نجد عند الأصوليين أن الإصرار له معنيان:

أحدهما: العزم على فعل المعصية بعد الفراغ منها.

والثانى: المداومة على فعل الصغائر.

وحكم الإصرار بـالمعنى الأول حكم من كررهـا فعلا فيتحمـل بذلك إثما، وحكم الإصرار بالمعنى الثانى أنه إن كان على نوع واحد من الصغائر غفرت بكثرة الطاعات،وإن كان الإصرار على أنواع متعددة لا تغفر بكثرة الطاعات بل لابد من التوبة عنها حتى تغفر.

أضرار المعاصي:

قـال ابن القيّم رحمـه الله: ممّا ينبغي أن يعلم: أنّ الذّنوب والمعاصي تضرّـــ ولا بدّ أنّ ضررها في القلب كضرــر السّــموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضّرــر. وهل في الدّنيا والآخرة شرّ وداء إلاّ بسبب الذّنوب والمعاصي؟

فما الّذي أخرج الأبوين من الجنّة، دار اللّذّة والنّعمة والبهجة والسّرـــور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الّذي أخرج إبليس من ملكوت السّماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدّل بالقرب بعدا، وبالرّحمة لعنة، وبالجمال قبحا، وبالجنّة نارا تلظّى، وبالإيمان كفرا؟

وما الّذي أغرق أهل الأرض كلّهم حتّى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟. وما الّذي سلّط الرّيح على قوم عاد حتّى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنّهم أعجاز نخل خاوية، ودمّرت ما مرّت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابّهم حتّى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الّذي أرسل على قوم ثمود الصّيحة حتّى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الّذي رفع اللّوطيّة حتّى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثمّ قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعا؟

وما الّذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظّلل، فلمّا صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارا تلظّى؟

وما الّذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثمّ نقلت أرواحهم إلى جهنّم، والأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟.

وما الّذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الّذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمّرها تدميرا؟

وما الّذي أهلك قوم صاحب يس بالصّيحة حتّى خمدوا عن آخرهم؟

وما الّذي بعث على بني إسرائيل قوما أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الدّيار وقتلوا الرّجال، وسبوا الذرّيّة والنّساء، وأحرقوا الدّيار، ونهبوا الأموال، ثمّ بعثهم عليهم مرّة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبّروا ما علوا تتبيرا؟.

وقال الله تعالى:{وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾} [البقرة: ٦١].

وقال الله تعالى:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾} [آل عمران: ١١٠ - ١١٢].

وقال الله تعالى:{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾} [آل عمران: ١٥٢])

وقال الله تعالى:{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ } [المائدة: ٧٨].

وقال الله تعالى:{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾} [يونس: ٩٠ - ٩٢].

وقال الله تعالى:{ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾} [هود: ٥٩ - ٦٠].

وقال الله تعالى:{ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾} [طه: ١١٧ - ١٢١].

وقال الله تعالى:{وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾} [الحاقة: ٩ - ١٠].

وقال الله تعالى:{إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾} [المزمل: ١٥ - ١٦].

وقال الله تعالى:{هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾} [النازعات: ١٥ - ٢٦].

وقال الله تعالى:{ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾} [النساء: ٤١ - ٤٢].

وقال الله تعالى:{وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾} [الأنعام: ١٣ - ١٥].

وقال الله تعالى:{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾} [يونس: ١٣ - ١٥].

وقال الله تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا } [الأحزاب: ٣٦].

وصــح عن النبي صــلي الله عليه وســلم أنه قال: **إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**[١].

ويقول النبي صـلي الله عليه وسـلم: **إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج**[٢].

وعن عائشــة ♥ قالت: قال لي رســول الله صــلي الله عليه وســلم: **يا عائشــة! إياك ومحقرات الأعمال فإن لها من الله طالبا**[٣].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: عن النبي صــلي الله عليه وســلم قال: **لو غفر لكم ما تأتون**[٤] **إلى البهائم لغفر لكم**[٥]**كثيرا**[٦].

وعن ســهل بن ســعد رضي الله عنه: أن رســول الله صــلي الله عليه وســلم قال: **إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجـاء ذا بعود، حتى حملوا مـا أنضــجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تهلكه**[٧].

عن أرطأة بن المنذر عن أبي عامر الألهاني عن ثوبان عن النبي صـلي الله عليه وسلم أنه قال: **لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسـنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا** قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قـال: **أمـا إنهم إخوانكم ومن جلـدتكم ويـأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**[٨].

---

(١) سنن ابن ماجه المقدمة (٩٠)، مسند أحمد بن حنبل (٢٨٢/٥).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (١٤٥/٤).

(٣) ابن ماجه (٤٢٤٣) باب ذكر الذنوب، تعليق الألباني " صـحيح "، ابن حبان (٥٥٤٢) تعليق شـعيب الأرنؤوط " إسناده صحيح على شرط البخاري ".

(٤) ما تأتون البهائم: أي: من نحو ضرب وإجهاد وتحميل فوق طاقة.

(٥) لغفر لكم كثير: أي: لغفر لكم شيء عظيم من الإثم.

(٦) أحـمـد (٢٧٥٢٦)، تـعـلـيـق الألـبـاني " حســن "، صــحـيـح الـجـامـع (٥٢٧٤)، الـترغيـب والترهيـب (٢٤٧٦)، الصحيحة (٥١٤).

(٧) المعجم الكبير (٥٨٧٢)، واللفظ له، أحمد (٣٨١٨)، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع (٢٦٨٦)، الصحيحة (٣٨٩)، (٣١٠٢).

(٨) أخرجه ابن ماجه (١٤١٨/٢، رقم ٤٢٤٥)، قال البوصيرى (٢٤٦/٤): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والروياني. (٤٢٥/١، رقم ٦٥١). وأخرجه أيضًـا: الطبراني في الأوســط (٤٦/٥، رقم ٤٦٣٢)، وفى الصــغير (٣٩٦/١، رقم ٦٦٢)،

و عَنْ أُمِّ سَـلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُـولُ الله صـلي الله عليه وسـلم: **إِذَا ظَهَرَ السُّـوءُ فِي الْأَرْضِ أَنْزَلَ الله تَعَالَى بَأْسَـهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ**، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُـولَ الله، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ صَالِحُونَ؟ قَالَ: **نَعَمْ، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ صَالِحُونَ، يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى رَحْمَةِ الله** [(١)].

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لا تصـحب الفجّار لتعلم من فجورهم، واعتزل عدوّك، واحذر صديقك إلاّ الأمين - ولا أمين إلاّ من خشي الله - وتخشّع عند القبور، وذلّ عند الطّاعة، واستعصم عند المعصية، واستشر الّذين يخشون الله.

وعن عمر رضي الله عنه قال: يا أهل مكّة اتّقوا الله في حرمكم هذا: أتدرون من كان ساكن حرمكم هذا من قبلكم؟ كانوا فيه بنو فلان.

فأحلّوا حرمته فهلكوا، وبنو فلان فأحلّوا حرمته فهلكوا، حتّى عدّ ما شـاء الله، ثمّ قال: والله لأن أعمل عشر خطايا بغيره أحبّ إليّ من أعمل واحدة بمكّة.

وقال عمر رضي الله عنه يوما لأصـحاب النّبيّ صـلي الله عليه وسـلم: **فيم ترون هذه الآيـة نزلـت: { أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ }** [البقرة: ٢٦٦]. قـالوا: الله أعلم. فغضـب عمر. فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عبّاس في نفسي_ منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا بن أخي قل ولا تحقّر نفسك.

قال ابن عبّاس: ضربت مثلا لعمل. قال عمر: أيّ عمل؟ قال ابن عبّاس: لعمل. قال عمر: لرجل غنيّ يعمل بطاعة الله عز وجل ثمّ بعث الله له الشّـياطين فعمل بالمعاصي حتّى أغرق أعماله.

عن عمر بن الخطّـاب رضي الله عنه قال: توشـك القرى أن تخرب وهي عامرة. قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجّارها أبرارها، وساد القبيلة منافقوها.

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لفضـيل بن زيد الرّقاشيّ قال: لا يلهينّك النّاس عن ذات نفسـك، فـإنّ الأمر يخلص إليـك دونهم، ولا تقطع النّهـار بكيت وكيت؛ فإنّه محفوظ عليك ما قلته، ولم تر شيئا أحسن طلبا، ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثه لذنب قديم.

والديلمى (١٣١/٥، رقم ٧٧١٥).

(١) أخرجـه أحمـد (٣٠٤/٦، رقم ٢٦٦٣٨)، والطبرانى (٣٢٥/٢٣، رقم ٧٤٧). قـال الهيثمى (٢٦٨/٧): رواه أحمـد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

عن عائشة ♥ قالت: أقلّوا الذّنوب فإنّكم لن تلقوا الله بشيء أفضل من قلّة الذّنوب.

قال رجل لابن عبّاس ☻ : أرأيت رجلا كثير الذنوب كثير العمل أو رجلا قليل الذّنوب قليل العمل؟ قال ما أعدل بالسّلامة شيئا.

قال أبو أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه إنّ الرجل ليعمل الحسنة حتّى يأتي الله وقد حظر به، وإنّ الرّجل ليعمل السّيّئة فيفرق منها حتّى يأتي الله آمنا.

كتب أبو الدّرداء إلى سلمة بن مخلد: أمّا بعد، فإنّ العبد إذا عمل بطاعة الله أحبّه الله، وإذا أحبّه الله حبّبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه بغّضه إلى خلقه.

عن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: ليحذر امرؤ أن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثمّ قال: تدري ممّ هذا؟ قلت: لا. قال: إنّ العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى:{ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ} [آل عمران: ١٠٢]، قال: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنّه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا.

عن أبي الشّعثاء رضي الله عنه قال: كنّا قعودا في المسجد مع أبي هريرة فأذّن المؤذّن، فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره حتّى خرج من المسجد. فقال أبو هريرة: أمّا هذا فقد عصى أبا القاسم صلي الله عليه وسلم.

عن سعيد بن المسيّب رضي الله عنه قال: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم : أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرّا وأنت تجد لها في الخير محملا، ومن عرّض نفسه للتّهم فلا يلومنّ إلاّ نفسه، ومن كتم سرّه كانت الخيرة في يده، وما كافيت من عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه.

قال كعب - رحمه الله -: إنّما تزلزل الأرض إذا عمل فيها بالمعاصي فترعد فرقا من الرّبّ جلّ جلاله أن يطّلع عليها.

قال الحسن البصريّ - رحمه الله -: إنّ الرّجل يذنب الذّنب فما ينساه وما يزال كئيبا حتّى يدخل الجنّة.

وقال أيضا: إنّ المؤمن لا يصبح إلاّ خائفا ولا يصلحه إلاّ ذاك، لأنّه بين ذنبين؛ ذنب مضى لا يدري كيف يصنع الله فيه وآجل أو قال آخر لا يدري ما كتب عليه فيه.

وقال أيضا: اعملوا لله بالطّاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن تردّ عليكم. إنّ المؤمن جمع إيمانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا.

سئل الحسن البصريّ - رحمه الله -:

مـا برّ الوالدين؟ قال: أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمراك به إلاّ أن يكون معصية.

قال الإمام عليّ زين العابدين:

ليس الغريب غريب الشـّام واليمن ::: إنّ الغريـب غريـب اللّحد والكفن

إنّ الـغريـب لـه حقّ لغربتـه ::: على المقيمين في الأوطان والسـّكن

لا تنـهرنّ غريبـا حـال غربتـه ::: الـدّهـر ينـهره بـالـذّلّ والمحن

سـفري بعيـد وزادي لن يبلّغني ::: وقـوّتي ضـعفـت والموت يطلبني

ولي بقـايـا ذنوب لسـت أعلمها ::: الله يـعـلمهـا في السـرّ والعلن

مـا أحلم الله عنّي حيـث أمهلني ::: وقـد تمـاديت في ذنبي ويسـترني

وقال أيضا:

يا نفس كفّي عن العصيان واكتسبي ::: فـعـلا جمـيلا لعـلّ الله يرحمني

يا نفس ويحك توبي واعملي حسـنا ::: عسـى تجازين بعد الموت بالحسـن

عن جبير بن نفير قال: لمّا فتحت قبرص فرّق بين أهلها، فبكى بعضـهم إلى بعض فرأيت أبـا الدّرداء جالسـا وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسـلام وأهله؟

فقـال: ويحك يا جبير. ما أهون الخلق على الله إذا أضـاعوا أمره. بينما هي أمّة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

قال سفيان: من أذنب ذنبا فعلم أنّ الله تعالى قدّره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه.

وذكر عن مالك بن دينار قال: قرأت في الحكمة: يقول الله عز وجل: أنا الله مالك الملوك. قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبّ الملوك، ولكن توبوا إليّ أعطّفهم عليكم.

قال عبد الله بن المبارك - رحمه الله -

أيضمن لي فتى ترك المعاصي ::: وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا ::: ولم يتجرّعوا غصص المعاصي

عن عبد الله بن المبارك، في ذكر شروط التّوبة، قال: النّدم، والعزم على عدم العود، وردّ المظلمة وأداء ما ضيّع من الفرائض، وأن يعمد إلى البدن الّذي ربّاه بالسّحت فيذيبه بالهمّ والحزن حتّى ينشأ له لحمًا طيبًا، وأن يذيق نفسه ألم الطّاعة، كما أذاقها لذّة المعصية.

عن عروة بن عامر - رحمه الله - قال:

المؤمن تعرض عليه ذنوبه يوم القيامة فيمرّ بالذّنب من ذنوبه يقول: أمّا إنّي كنت منك مشفقا فيغفر له.

قال طلق بن حبيب: التّقوى: العمل بطاعة الله رجاء رحمة الله، على نور من الله، والتّقوى ترك معاصي الله، مخافة عقاب الله، على نور من الله.

قال مالك - رحمه الله -: دخل عمر بن عبد العزيز على فاطمة امرأته فطرح عليها خلق ساج عليه، ثمّ ضرب على فخذها فقال: يا فاطمة لنحن ليالي دابق أنعم منّا اليوم، فذكّرها ما كانت نسيته من عيشها، فضربت يده ضربة فيها عنف فنحّتها عنها وقالت: لعمري لأنت اليوم أقدر منك يومئذ، فقام وهو يقول بصوت حزين: يا فاطمة إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم. فبكت فاطمة وقالت: اللّهمّ أعذه من النّار.

عن الفضيل بن عياض قال: أوحى الله إلى بعض الأنبياء: إذا عصاني من يعرفني سلّطت عليه من لا يعرفني.

قال ابن السمّاك الواعظ:

يا مدمن الذّنب أما تستحي ::: والله في الخلوة ثانيكا؟
أغرّك من ربّك إمهاله ::: وستره طول مساويكا؟

قال أبو عمران السّلميّ منشدا:

وإنّي لآتي الذّنب أعرف قدره ::: وأعلم أنّ الله يعفو ويغفر
لئن عظّم النّاس الذّنوب فإنّها ::: وإن عظمت في رحمة الله تصغر

عن العبّاس العمّيّ - رحمه الله - قال: بلغني أنّ داود ♠ قال: سبحانك تعاليت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على من في السّماوات والأرض، فأقرب خلقك إليك أشدّهم لك خشية، وما علم من لم يخشك، وما حكمة من لم يطع أمرك؟.

قال الشّافعيّ - رحمه الله -:

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه ::: هذا وربّي في القياس بديع
لو كان حبّك صادقا لأطعته ::: إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

قال محمود الورّاق:

هذا الدّليل لمن أرا وأراد ::: دغنى يدوم بغير مال
عزّا لم تـوطّ ::: ده العشائر بالقتال
ومهابة من غير سل ::: طان وجاها في الرّجال
فليعتصم بدخوله ::: في عزّ طاعة ذي الجلال

وخروجه من ذلّة العاصي له في كلّ حال

قال إبراهيم الألبيريّ:

ونفسك ذمّ لا تذمم سواها ::: لعيب فهي أجدر من ذممتا
فأنت أحقّ بالتّفنيد منّي ::: ولو كنت اللّبيب لما نطقتا
ولو بكت الدّما عيناك خوفا ::: لذنبك لم أقل لك قد أمنتا
ومن لك بالأمان وأنت عبد ::: أمرت فما ائتمرت ولا أطعتا
ثقلت من الذّنوب ولست تخشى ::: لجهلك أن تخفّ إذا وزنتا

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: لفظ المعصية والفسوق والكفر إذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق كقوله:{وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا} [الجن: ٢٣]، وقال تعالى:{ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾} [هود: ٥٩].

قال جمال الدّين الصّرصريّ:

أنـا العبـد الّذي كسـب الذنوبا ::: وصـدّتـه الأمـاني أن يتوبـا

أنـا العبـد الـّذي أضـحى حزينا ::: علـى زلاّتـه قـلقـا كئيبـا

أنـا العبـد الـّذي سـطرت عليه ::: صـحـائف لم يخف فيهـا الرّقيبـا

أنا العبد المسـيء عصـيت سـرّا ::: فـمـالي الآن لا أبـدي التّحيبـا

قال ابن القيّم - رحمه الله - من أعجب الأشياء أن تعرفه ثمّ لا تحبّه، وأن تسمع داعيه ثمّ تتأخّر عنه الإجابة. وأن تعرف قدر الرّبح في معاملته ثمّ تعامل غيره. وأن تعرف قدر غضبه ثمّ تتعرّض له. وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثمّ لا تطلب الأنس بطاعته. وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثمّ لا تشتاق إلى انشراح الصّدر بذكره ومناجاته. وأن تذوق العذاب عند تعلّق القلب بغيره، ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه.

وقال - رحمه الله - مثال تولّد الطّاعة ونموّها وتزايدها كمثل نواة غرستها فصارت شجرة ثمّ أثمرت فأكلت ثمرها وغرست نواها، فكلّما أثمر منها شيء جنيت ثمره وغرست نواه وكذلك تداعي المعاصي، فليتدبّر اللبيب هذا المثال.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله:

قد ذكر غير واحد أنّ عروة بن الزّبير لمّا خرج من المدينة متوجّها إلى دمشق ليجتمع بالوليد، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة كان مبدؤها هناك، فظنّ أنّها لا يكون منها ما كان، فذهب في وجهه ذلك، فما وصل إلى دمشق إلاّ وهي قد أكلت نصف ساقه، فدخل على الوليد فجمع له الأطبّاء العارفين بذلك، فاجتمعوا على أنّه إن لم يقطعها وإلاّ أكلت رجله كلّها إلى وركه، وربّما ترقّت إلى الجسد فأكلته، فطابت نفسه بنشرها، وقالوا: ألا نسقيك مرقّدا حتّى يذهب عقلك منه فلا تحسّ بألم النّشر؟ فقال: لا والله ما كنت أظنّ أحدا يشرب شرابا أو يأكل شيئا يذهب عقله، ولكن إن كنتم لا بدّ فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصّلاة، فإنّي لا أحسّ بذلك، ولا أشعر به. قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة من المكان الحيّ، احتياطا أنّه لا يبقى منها شيء، وهو قائم يصلّي، فما تضوّر ولا اختلج، فلمّا انصرف من الصّلاة عزّاه الوليد في رجله، فقال: اللّهمّ لك الحمد، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحدا فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت وإن كنت قد أبليت فلطا لما عافيت، فلك الحمد

على ما أخذت وعلى ما عافيت، فلمّا قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة، فبلغه أنّ بعض النّاس قال: إنّما أصابه ذلك بذنب عظيم أحدثه، فأنشد عروة في ذلك، والأبيات لمعن بن أوس:

لعمرك ما أهويت كفّي لريبة ::: ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ::: ولا دلّني رأيي عليها ولا عقلي
ولست بماش ما حييت لمنكر ::: من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي
ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة ::: وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي
وأعلم أنّي لم تصبني مصيبة ::: من الدّهر إلاّ قد أصابت فتى مثلي

قال الأمير الصّنعانيّ:

القلب أعلم يا عذول بدائه ::: ما غير داء الذّنب من أدوائه
والذّنب أولى ما بكاه أخو التّقى ::: وأحقّ منك بجفنه وبمائه
فومن أحبّ لأعصينّ عواذلي ::: قسما به في أرضه وسمائه
من ذا يلوم أخا الذّنوب إذا بكى ::: إنّ الملامة فيه من أعدائه

قال الشّاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها ::: فإنّ الذّنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة ربّ العباد ::: فربّ العباد سريع النّقم
وإيّاك والظّلم مهما استطعت ::: فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى ::: لتبصر آثار من قد ظلم

وقال شاعر آخر:

اعتبر يأيّها المغرور بالعمر المديد

أنا شدّاد بن عاد ::: صاحب الحصن المشيد
وأخو القوّة والبأ ::: ساء والملك الحشيد
دان أهل الأرض طرّا ::: لي من خوف وعيدي
وملكت الشّرق والغر ::: ب بسلطان شديد
فأتى هود وكنّا ::: في ظلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا ::: ه إلى الأمر الرّشيد
فعصيناه ونادى ::: ما لكم هل من محيد؟
فأتتنا صيحة ته ::: وي من الأفق البعيد
فمضينا كزروع ::: وسط بيداء حصيد

وقال آخر:

رأيت الذّنوب تميت القلوب ::: ويورثها الذّلّ إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ::: وخير لنفسك عصيانها

وقال آخر:

خلّ الذنوب صغيرها ::: وكبيرها فهو التّقى
واصنع كماش فوق أر ::: ض الشّوك يحذر ما يرى
لا تحقرنّ من الذنوب صغيرة ::: إنّ الجبال من الحصى

وقال آخر:

أذنبت كلّ ذنوب لست أنكرها ::: قد رجوتك يا ذا المنّ تغفرها
أرجوك تغفرها في الحشر يا سندي ::: إذ كنت يا أملي في الأرض تسترها

وقال آخر:

ذنوبك يا مغرور تحصى وتحسب ::: وتجمع في لوح حفيظ وتكتب
وقلبك في سهو ولهو وغفلة ::: وأنت على الدّنيا حريص معذّب
تباهي بجمع المال من غير حلّه ::: وتسعى حثيثا في المعاصي وتذنب
أما تذكر الموت المفاجيك في غد ::: أما أنت من بعد السّلامة تعطب

من مضار المعاصي:

- حرمان العلم، فإنّ العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفأ ذلك النّور.

- حرمان الرّزق، فكما أنّ التّقوى مجلبة للرّزق، فترك التّقوى مجلبة للفقر.

- حرمان الطّاعة، فلو لم يكن للذّنب عقوبة إلاّ أن يصدّ عن الطّاعة لكان في ذلك كفاية من الحرمان.

- أنّ المعاصي توهن القلب والبدن.

- أنّ المعاصي تقصّر العمر، وتمحق البركة.

- أنّ المعاصي تزرع أمثالها، ويولّد بعضها بعضا.

- أنّ الذّنوب تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التّوبة شيئا فشيئا إلى أن تنسلخ من القلب إرادة التّوبة بالكلّيّة.

- أنّ كلّ معصية من المعاصي فهي ميراث عن أمّة من الأمم الّتي أهلكها الله عز وجل.

- أنّ المعصية سبب لهوان العبد على ربّه.

- أنّ غير المذنب من النّاس والدوابّ يعود عليه شؤم ذنبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذّنوب والظّلم.

- أنّ العبد لا يزال يرتكب الذّنب حتّى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك، فإنّ الذّنب كلّما صغر في عين العبد عظم عند الله.

- أنّ المعصية تورث الذّلّ، والعزّ كلّ العزّ في طاعة الله.

- أنّ المعاصي تفسد العقل، فإنّ للعقل نورا، والمعصية تطفأ نور العقل، وإذا طفىء نوره ضعف ونقص.

- أنّ الذّنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين، قال الله تعالى:{ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)} [المطففين: ١٤].

- أنّ الذنوب تحدث في الأرض أنواعا من الفساد في المياه والهواء والزّروع والثمار والمساكن، قال تعالى:{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)} [الروم: ٤١].

- ذهاب الحياء الّذي هو مادّة حياة القلب، وهو أصـــل كلّ خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه، وقد صحّ عن النّبيّ صلي الله عليه وسلم أنّه قال: **الحياء خير كلّه** رواه البخاريّ ومسلم.

- أنّ الذنوب دليل ضــعف إيمان العبد، وجرأته على ارتكاب المعاصي دليل على ظلمة قلبه، وانعدام بصيرته، وحرمانه من توقير ربّه سبحانه وتعالى واستشعار عظمته.

- أنّها تسـتدعي نسـيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسـه وشـيطانه. وهناك الهلاك الّذي لا يرجى معه نجاة.

- أنّ الذّنوب تخرج العبد من دائرة الإحسـان وتمنعه ثواب المحسنين، فإنّ الإحسان إذا باشر القلب منعه من المعاصي.

- أنّها تزيل النّعم وتحلّ النّقم، فما زالت عن العبد نعمة إلاّ بذنب ولا حلّت به نقمة إلاّ بذنب، قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ما نزل بلاء إلاّ بذنب وما رفع إلاّ بتوبة.

قـال تـعـالى:{ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾} [الشورى: ٣٠].

وقـولـه تـعـالى:{ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ} [الأنفال: ٥٣].

ومن المواقف:

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا:

وذكر الإمام النووي رحمه الله في كتاب الأذكار عن يحيى القساني عن بعض أهل الكتاب قال: أصاب الناس قحط في عهد داؤود ♠ فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفوا عمن ظلمنا، اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا.

وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا، اللهم إنا أرقاؤك فأعتقنا. وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في توراتك ألاّ نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكين وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا، فسقوا.

وكان إذا قيل لعيسى ـ ♠: كيف أصبحت؟ يقول: أصبحت لا أملك تقديم ما أرجوا ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهنا بعملي والخير كله في يد غيري ولا فقير أفقر مني (أي إلى الله عز وجل صاحب الخير والغنى).

ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا:

قال شقيق بن إبراهيم: مر أبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا أبا إسحاق إنّ الله يقول في كتابه:{ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ} [غافر: ٦٠]، ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا، فقال إبراهيم: يا أهل البصرة، ماتت قلوبكم في عشرة أشياء، **أولها:** عرفتم الله ولم تؤدوا حقه: **والثاني:** قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به، **والثالث:** ادعيتم حب رسول الله ♠ وتركتم سنته، **والرابع:** ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، **والخامس:** قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، **والسادس:** قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، **والسابع:** قلتم إنّ الموت حق ولم تستعدوا له، **والثامن:** اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، **والتاسع:** أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، **والعاشر:** دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم [١].

اضرب رأساً طالما عصى الله:

قال ابن الجوزي: كان إبراهيم بن أدهم يحفظ البساتين، فجاءه يوماً جندي يطلب منه شيئاً من الفاكهة، فأبى فضربه على رأسه بسوط، فطأطأ إبراهيم له رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصى الله فعرفه الجندي وأخذ في الاعتذار إليه فقال إبراهيم: الرأس الذي يليق له الاعتذار تركته ببلخ [٢].

ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك:
لو أن للذنوب ريحاً ما جلس إلي منكم أحد:

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: ما أكثر الداعين لك! فتغرغرت عيناه وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً، وقال: قال محمد بن واسع: لو أن للذنوب ريحاً ما جلس إلي منكم أحد.

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٤٥.

(٢) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ١ / ٨، ١٢٣، ٢ / ١٦٢، ١٦٤.

ولعنتي تبلغ السابع من الولد:

قال ابن القيم: ذكر الإمام أحمد عن وهب: أن الرب تبارك وتعالى قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل: " إني إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد ".

فلا تطفئه بالمعصية:

قال مالك بن أنس للإمام الشافعي إن الله عز وجل قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية.

اتق الله واجتنب المعاصي:

وقال الشافعي لما رحلت الى مالك فسمع كلامي نظر الي ساعة وكانت لمالك فراسة فقال ما اسمك قلت محمد قال يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن فقلت نعم وكرامة فقال إذا كان غدا تجيء ويجيء من يقرأ لك الموطأ فقلت إني أقرأه ظاهرا فغدوت اليه وابتدأت فكلما تهيبت مالكا وأردت ان أقطع أعجبته قراءتي وأغراني بقول زد يا فتى حتى قرأته عليه في أيام يسيرة ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك رضي الله عنه ثم ذكر خروجه إلى اليمن.

عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: من ضبط بطنه ضبط دينه ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان، والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك [1].

فقطعه ومات:

قال: حدثنا الأوزاعي قال: كنا بالساحل فجيء بفحل لينزى على أمه، فأبى. فأدخلوها بيتاً، وألقوا على الباب ستراً، وجللوها بكساء. قال: فلما نزا عليها وفرغ شم ريح أمه. قال: فوضع أسنانه في أصل ذكره فقطعه ومات [2].

* * *

(١) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ٢ / ٩٠.

(٢) ابن الكلبي، أنساب الخيل، ١ / ١.

مواقف المتهجدين

مواقف عربية

مواقف المتهجدين

قيام الليل عبادة رغب فيها رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم، وامتدح الله تعالى أهلها ووعدهم الأجر العظيم، وهي أفضل الصلاة بعد صلاة الفريضة.

و قيام الليل سُـنة مؤكدة، وقربة معظمة في سـائر العام، فقد تواترت النصـوص من الكتاب والسنة بالحث عليه، والتوجيه إليه، والترغيب فيه، ببيان عظم شأنه وجزالة الثواب عليه، وأنه شأن أولياء الله، وخاصة من عباده الذين قال الله في مدحهم والثناء عليهم:{أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

فقد مدح الله أهل الإيمان والتقوى، بجميل الخصـال وجليل الأعمال، ومن أخص ذلك قيام الليل، قال تعالى:{ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ } [السجدة: ١٥ - ١٧]، ووصـفهم في موضـع آخر، بقوله:{ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} [الفرقان: ٦٤ - ٦٥]، إلى أن قال:{ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا } [الفرقان: ٧٥ - ٧٦].

وفي ذلك من التنبيه على فضـل قيام الليل، وكريم عائدته ما لا يخفى، وأنه من أسـباب صرف عـذاب جهنم، والفوز بـالجنـة، وما فيها من النعيم المقيم، وجوار الرب الكريم، جعلنا الله ممن فـاز بذلك. قال تعالى:{ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ } [القمر: ٥٤ - ٥٥].

وقد وصـف المتقين في سـورة الذاريات، بجملة صفات - منها قيام الليل -، فازوا بها بفسيح الجنات، فقال سـبحانه:{ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } [الذاريات: ١٥ - ١٧].

فصـــلاة الليـل لها شـــأن عظيم في تثبيت الإيمان، والإعانة على جليل الأعمال، وما فيه صـــــلاح الأحـــوال والمـآل قـــال تـــعـــالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦} [المزمل: ١ - ٦].

وقال الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم قال: **أفضل الصلاة بعد المكتوبة – يعني الفريضة – صلاة الليل**(١).

وفي حديث عمرو بن عبسة قال صـلي الله عليه وسـلم: **أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**(٢).

ولأبي داود عنـه رضي الله عنه قال: أي الليل أســمع - يعني أحرى بإجابة الدعاء - قال صلي الله عليه وسلم: **جوف الليل الآخر فصـل ما شئت، فإن الصلاة فيه مشهودة مكتوبة**(٣).

وفي الصـحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم قال: **ينزل ربنـا – تبـارك وتعـالى – كـل ليلة إلى السـماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر. فيقول: من يدعوني فأسـتجيب له؟! من يسـألني فأعطيه؟! من يستغفرني فأغفر له؟**(٤).

وفي صحيح مسـلم، عن جابر رضي الله عنه أن رسـول الله صلي الله عليه وسلم قال: من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم، يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه، وهي كل ليلة(٥)

---

(١) رواه مسـلم في الصـحيح عن زهير بن حرب عن جرير وخالفهم في إسـناده عبيد الله بن عمرو الرقي فرواه ١٨١٩٧\ والبيهقي في سننه الكبرى ج ٤/ ص ٢٩١ حديث رقم: ٨٢٠٦.

(٢) أخـرجـه الـترمـذى (٥٦٩/٥، رقـم ٣٥٧٩)، وقـال: حسـن صـحـيـح غـريـب. والـحـاكـم (٤٥٣/١، رقـم ١١٦٢) وقـال: صـحـيـح عـلى شرط مسـلـم. وأخـرجـه أيضـاً: ابـن خـزيمـة (١٨٢/٢، رقم ١١٤٧)، والبيهقى (٤/٣، رقم ٤٤٣٩). قال المناوى (٦٩/٢): قال الحاكم على شرط مسـلم، وأقره الذهبى، وصححه الترمذى والبغوى.

(٣)أخرجه أبو داود في سننه ج ٢/ ص ٢٥ حديث رقم: ١٢٧٧، قال الألباني: صحيح.

(٤) أخـرجـه مـالـك (٢١٤/١، رقـم ٤٩٨)، والـبـخـارى (٣٨٤/١، رقـم ١٠٩٤)، ومسـلـم (٥٢١/١، رقـم ٧٥٨). وأخـرجـه أيضًـا: أحـمـد (٤٨٧/٢، رقـم ١٠٣١٨)، وأبـو داود (٣٤/٢، رقم ١٣١٥).

(٥) أخرجه أحمد ٣٤٨/٣(١٤٨٠٥) و" مسلم " ١٧٥/٢.

وفي صـحيح البخاري عن عُبادة بن الصـامت رضي الله عنه عن النبي، صـلي الله عليه وسـلم قال: **من تعار من الليل - يعني اسـتيقظ يلهج بذكر الله - فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له. فإن توضأ وصلى قبلت صلاته**.

وأخرج الإمام أحمد، وغيره عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسـلم: **إن في الجنة غرفًا، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصـيام، وصـلى بالليل والناس نيام**.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم: **قال الله** عز وجل: **أعددتُ لعبادي الصـالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على قلب بشر**.

قال أبو هريرة اقرؤوا إن شـئتم:{ **فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾** } [السجدة: ١٧].

وجاء في السـنة الصحيحة، ما يفيد أن قيام الليل من أسباب النجاة من الفتن، والسلامة من دخول النار. ففي البخاري وغيره عن أم سـلمة ♥ أن النبي صلي الله عليه وسلم استيقظ ليلة فقال: **سـبحان الله، ماذا أُنزل الليلة من الفتنة؟! ماذا أنزل الليلة من الخزائن؟! من يوقظ صـواحب الحجرات؟!** وفي ذلك تنبيه على أثر الصـلاة بالليل في الوقاية من الفتن.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه: عَنْ رَسُوْلِ الله صلي الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: **عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأبُ**[١] **الصَّالِحِينَ قَبْلكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئاتِ وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ**[٢].

(١) دأب الصالحين: الدأب هو: العادة والشأن.

(٢) الترمذي " ٣٥٤٩ " باب في دعاء النبي ◘، تعليق الألباني " حسن صحيح.

وعَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيّ صلي الله عليه وسلم إِذَا أَجْتَهَدَ لأَحَد فِي الدُّعَاء قَالَ: **جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ صَلاَةَ قَوْمٍ أَبْرَار، يَقُومُونَ اللَّيْلَ وَيَصُومُونَ النَّهَارَ، لَيْسُوا بِأَثَمَةٍ وَلاَ فُجّارٍ**[1].

وقَالَ رَسُوْلُ الله صلي الله عليه وسلم: **شَرَفُ الْمُؤمِن صَلاَتُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغنَاؤهُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ**[2].

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: إن الرجل ليصلي بالليل، فيجعل الله في وجه نورا يحبه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره قط فيقول: إن لأحبُ هذا الرجل!!.

وقيل للحسن البصري رحمه الله: ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوها؟ فقال لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم من نوره.

و صلى سيد التابعين سعيد بن المسيب - رحمه الله - الفجر خمسين سنة بوضوء العشاء وكان يسرد الصوم.

وكان شريح بن هانئ رحمه الله يقول: ما فقد رجل شيئاً أهون عليه من نعسة تركها!!! (أي لأجل قيام الليل).

و قال ثابت البناني رحمه الله: لا يسمى عابد أبداً عابدا، وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان: الصوم والصلاة، لأنهما من لحمه ودمه!!

وقال طاووس بن كيسان رحمه الله: ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل، فيصبح وقد كتبت له مائة حسنة أو أكثر من ذلك.

و قال سليمان بن طرخان رحمه الله: إن العين إذا عودتها النوم اعتادت، وإذا عودتها السهر اعتادت.

قال يزيد بن أبان الرقاشي رحمه الله: إذا نمت فاستيقظت ثم عدت في النوم فلا أنام الله عيني.

---

(١) مسند عبد بن حميد " ١٣٦٠ "، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع " ٣٠٩٧ "، الصحيحة " ١٨١٠ ".

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر " ٢٣ / ٨١ "، الضعفاء الكبير للعقيلي " ٣ / ٣١ "، تعليق الألباني " حسن "، صحيح الجامع " ٣٧١٠ "، الصحيحة " ١٩٠٣ ".

أخذ الفضيل بن عياض رحمه الله بيد الحسين بن زياد رحم الله، فقال له: يا حسين: ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول الرب: كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني؟!! أليس كل حبيب يخلو بحبيبه؟!! ها أنا ذا مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل،....، غداً أقر عيون أحبائي في جناتي.

قال ابن الجوزي رحمه: لما امتلأت أسماع المتهجدين بمعاتبة " كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني " حلفت أجفانهم على جفاء النوم.

قال محمد بن المنكدر رحمه الله: كابدت نفسي ـ أربعين عاماً (أي جاهدتها وأكرهتها على الطاعات) حتى استقامت لي!!

كان ثابت البناني يقول كابدت نفسي ـ على القيام عشرين سنة!! وتلذذت به عشرين سنة.

كان أحد الصالحين يصلي حتى تتورم قدماه فيضربها ويقول يا أمّارة بالسوء ما خلقتِ إلا للعبادة.

كان العبد الصالح عبد العزيز بن أبي روّاد رحمه الله يُفرش له فراشه لينام عليه بالليل، فكان يضع يده على الفراش فيتحسسه ثم يقول: ما ألينك!! ولكن فراش الجنة ألين منك!! ثم يقوم إلى صلاته.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل، كبلتك خطيئتك.

قال معمر: صلى إلى جنبي سليمان التيمي رحمه الله بعد العشاء الآخرة فسمعته يقرأ في صلاته:{تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾} [الملك: ١]، حتى أتى على هذه الآية{فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} [الملك: ٢٧]، فجعل يرددها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا، ثم خرجت إلى بيتي، فما رجعت إلى المسجد لأؤذن الفجر فإذا سليمان التيمي في مكانه كما تركته البارحة!! وهو واقف يردد هذه الآية لم يجاوزها{فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} [الملك: ٢٧].

قالت امرأة مسروق بن الأجدع: والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام!!....، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالساً ولا يترك الصلاة، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف (أي إلى فراشه) كما يزحف البعير!!

قال مخلد بن الحسين: ما انتبه من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم رحمه الله يذكر الله ويصلي إلا أغتم لذلك، ثم أتعزى بهذه الآية{ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ } [الجمعة: ٤].

قال أبو حازم رحمه الله: لقد أدركنا أقواماً كانوا في العبادة على حد لا يقبل الزيادة!!

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة، أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها!! ولولا أن الله تعالى يمن علي بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمري، لأن لي في كل تدبر علماً جديدا، والقرآن لا تنقضي عجائبه!!

و كان السري السقطي رحمه الله إذا جن عليه الليل وقام يصلي دافع البكاء أول الليل، ثم دافع ثم دافع، فإذا غلبه الأمر أخذ في البكاء والنحيب.

و قال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء؟!! فقال: لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف.

و قال سفيان الثوري رحمه الله: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بسبب ذنب أذنبته.

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله: يا أبا سعيد: إني أبيت معافى وأحب قيام الليل، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم؟!! فقال الحسن: ذنوبك قيدتك!!

و وقال رجل للحسن البصري: أعياني قيام الليل؟!! فقال: قيدتك خطاياك.

و قال ابن عمر ☻ : أول ما ينقص من العبادة: التهجد بالليل، ورفع الصوت فيها بالقراءة.

و قال عطاء الخرساني رحمه الله: إن الرجل إذا قام من الليل متهجداً أبح فرحاً يجد لذلك فرحاً في قلبه، وإذا غلبته عينه فنام عن حزبه (أي عن قيام الليل) أصبح حزيناً منكسر القلب، كأنه قد فقد شيئاً، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا (أي قيام الليل).

و رأى معقل بن حبيب رحمه الله: قوماً يأكلون كثيراً فقال: ما نرى أصحابنا يريدون أن يصلوا الليلة.

و قال مسعر بن كدام رحمه الله حاثاً على عدم الإكثار من الأكل:

وجدت الجوع يطرده رغيف ::: وملء الكف من ماء الفرات
وقل الطعم عون للمصلي ::: وكثر الطعم عون للسبات

و كان العبد الصالح علي بن بكار رحمه الله تفرش له جاريته فراشه فيلمسه بيده ويقول: والله إنك لطيب!! والله إنك لبارد!! والله لا علوتك ليلتي (أي لا تمت عليك هذه الليلة) ثم يقوم يصلي إلى الفجر!!

و قال الفضيل بن عياض رحمه الله: أدركت أقواماً يستحيون من الله في سواد هذا الليل من طول الهجعة!! إنما هو على الجنب، فإذا تحرك (أي أفاق من نومه) قال: ليس هذا لك!! قومي خذي حظك من الآخرة!!.

وقال هشام الدستوائي رحمه الله: إن لله عبادا يدفعون النوم مخافة أن يموتوا في منامهم.

ومن المواقف:

أيها السبع اطلب رزقك في مكان آخر!!:

وعن جعفر بن زيد رحمه الله قال: خرجنا غزاة إلى " كأبول " وفي الجيش " صلة بين أيشم العدوي " رحمه، قال: فترك الناس بعد العتمة (أي بعد العشاء) ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، حتى إذا نام الجيش كله وثب صلة فدخل غيضة وهي الشجر الكثيف الملتف على بعضه، فدخلت في أثره، فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة، وبينما هو يصلي إذا جاء أسد عظيم فدنا منه وهو يصلي!! ففزعت من زئير الأسد فصعدت إلى شجرة قريبة، أما صلة فوالله ما التفت إلى الأسد!! ولا خاف من زئيره ولا بالى به!! ثم سجد صلة فاقترب الأسد منه فقلت: الآن يفترسه!! فأخذ الأسد يدور حوله ولم يصبه بأي سوء، ثم لما فرغ صلة من صلاته وسلم، التفت إلى الأسد وقال: أيها السبع اطلب رزقك في مكان آخر!! فولى الأسد وله زئير تتصدع منه الجبال!! فما زال صلة يصلي حتى إذا قرب الفجر!! جلس فحمد محامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله، ثم قال: الله إني أسألك أن تجيرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة!!! ثم رجع رحمه الله إلى فراشه (أي ليوهم الجيش أنه ظل طوال الليل نائماً) فأصبح وكأنه بات على الحشايا (وهي الفرش الوثيرة الناعمة والمراد هنا أنه كان في غاية النشاط والحيوية) ورجعت إلى فراشي فأصبحت وبي من الكسل والخمول شيء الله به عليم.

إن لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه!!:

وكان العبد الصالح عمرو بن عتبة بن فرقد رحمه الله يخرج للغزو في سبيل الله، فإذا جاء الليل صف قدميه يناجي ربه ويبكي بين يديه، كان أهل الجيش الذين خرج معهم عمرو لا يكلفون أحداً من الجيش بالحراسة؛ لأن عمرو قد كفاهم ذلك بصلاته طوال الليل، وذات ليلة وبينما عمرو بن عتبة رحمه الله يصلي من الليل والجيش نائم، إذ سمعوا زئير أسد مفزع،فهربوا وبقي عمرو في مكانه يصلي وما قطع صلاته!! ولا التفت فيها!! فلما انصرف الأسد ذاهبا عنهم رجعوا لعمرو فقالوا له: أما خفت الأسد وأنت تصلي؟!! فقال: إن لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه!!

و قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أفضل الأعمال ما أكرهت إليه النفوس.

فاتني حزبي البارحة!!:

قال أبو جعفر البقال: دخلت على أحمد بن يحيى رحمه الله، فرأيته يبكي بكاء كثيرا ما يكاد يتمالك نفسه!! فقلت له: أخبرني ما حالك؟!! فأراد أن يكتمني فلم أدعه، فقال لي: فاتني حزبي البارحة!! ولا أحسب ذلك إلا لأمر أحدثته، فعوقبت بمنع حزبي!!ثم أخذ يبكي!! فأشفقت عليه وأحببت أن أسهل عليه، فقلت له: ما أعجب أمرك!! لم ترض عن الله تعالى في نومة نومك إياها، حتى قعدت تبكي!! فقال لي: دع عنك هذا يا أبا جعفر!! فما احسب ذلك إلا من أمر أحدثته!! ثم غلب عليه البكاء!! فلما رأيته لا يقبل مني انصرفت وتركته.

ألا تقوم تصلي:

وعن أبي غالب قال: كان ابن عمر ☻ ينزل علينا بمكة، وكان يتهجد من الليل، فقال لي ذات ليلة قبل الصبح: يا أبا غالب: ألا تقوم تصلي ولو تقرأ بثلث القرآن، فقلت: يا أبا عبد الرحمن قد دنا الصبح فكيف اقرأ بثلث القرآن؟!! فقال إن سورة الإخلاص{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ } [الإخلاص: ١]، تعدل ثلث القرآن.

صلوا ما دمتم شبابا!!:

و قال محمد بن يوسف: كان سفيان الثوري رحمه الله يقيمنا في الليل ويقول: قوموا يا شباب!! صلوا ما دمتم شبابا!! إذا لم تصلوا اليوم فمتى؟!!

من أثر دموع الشيخ في سجوده:

ودخلت إحدى النساء على زوجة الإمام الأوزاعي رحمه الله فرأت تلك المرأه بللاً في موضع سجود الأوزاعي، فقالت لزوجة الأوزاعي: ثكلتك أمك!! أراك غفلت عن بعض الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ (أي مكان صلاته بالليل) فقالت لها زوجة الأوزاعي: ويحك هذا يُصبح كل ليلة!! من أثر دموع الشيخ في سجوده.

يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل!!:

قال أبو يزيد المعَّنى: كان سفيان الثوري رحمه الله إذا أصبح مدَّ رجليه إلى الحائط ورأسه إلى الأرض كي يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل!!

حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا!!:

كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يصلي من الليل فإذا أصابه فتور أو كسل قال لنفسه: أيظن أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم أن يسبقونا عليه، والله لأزاحمنهم عليه، حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا!! ثم يصلي إلى الفجر.

ثم يقوم يصلي إلى الفجر:

وكان شداد بن أوس رضي الله عنه إذا دخل على فراشه يتقلب عليه بمنزلة القمح في المقلاة على النار!! ويقول اللهم إن النار قد أذهبت عني النوم!! ثم يقوم يصلي إلى الفجر.

ما شبعت من القرآن والصلاة:

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: إني لأستقبل الليل من أوله فيهولني طوله فأفتتح القرآن فأُصبح وما قضيت نهمتي (أي ما شبعت من القرآن والصلاة).

ولما احتضر العبد الصالح أبو الشعثاء رحمه الله بكى فقيل له: ما يبكيك!! فقال: إني لم أشتفِ من قيام الليل!!

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: كان يقال: من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار الطاهرة قلوبهم، خلائق ثلاثة: الحلم والإنابة وحظ من قيام الليل.

وكان ثابت البناني رحمه الله يصلي قائما حتى يتعب، فإذا تعب صلى وهو جالس.

وقال السري السقطي رحمه الله: رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل.

و كان بعض الصالحين يقف على بعض الشباب العبّاد إذا وضع طعامهم، ويقول لهم: لا تأكلوا كثيرا، فتشربوا كثيرا، فتناموا كثيرا، فتخسروا كثيرا!!

وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار:

قال محمد بن إبراهيم رأيت الجنيد في النوم فقلت ما فعل الله بك قال طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار [(١)].

أتنام وأنا أُرَبى لك في الخدود منذ خمسمائة عام؟!:

وروى عن سليمان الداراني انه قال: " نمت ليلة عن وردي، فإذا حورية تقول لي: أتنام وأنا أُرَبى لك في الخدود منذ خمسمائة عام؟! ".

ولا أحب أن أفسد عليك نومك:

يقول محمد بن أبي حاتم: كان أبو عبد الله البخاري يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة وكان لا يوقظني في كل ما يقوم فقلت أراك تحمل على نفسك ولم توقظني قال أنت شاب ولا أحب أن أفسد عليك نومك.

ولم لا أبكى؟!:

وقيل: " دخل رجل علي سليمان الداراني يوما وهو يبكي، فقلت له: " ما يبكيك؟! "، فقال: " يا أحمد!، ولم لا أبكى؟!، إذا جن الليل، ونامت العيون، وخلا كل حبيب بحبيبه،افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وقطرت على محاريبهم، أشرف الجليل سبحانه فنادى: يا جبريل! بعيني من تلذذ بكلامي، واستراح إلى ذكرى، وأنى لمطلع عليهم في خلواتهم، أسمع أنينهم وأرى بكاءهم، فلم لا تنادي فيهم، يا جبريل: ما هذا البكاء؟!،هل رأيتم حبيبا يعذب أحباءه؟ام كيف يجمل بي أن أعذب قوما إذا جنهم الليل تعلقوا بي؟! فبي حلفت!، إذا وردوا علي القيامة لا كشفن عن وجهي الكريم، حتى ينظروا إلى، وانظر اليهم!

فإني أحب أن أرزق وقتاً من الليل:

وقال داود الطائي: ما حسدت أحداً على شيء إلا أن يكون رجلاً يقوم الليل؛ فإني أحب أن أرزق وقتاً من الليل. قال أبو خالد: وبلغني أنه كان لا ينام الليل، " إذا غلبته عيناه احتبى قاعداً "؛ ومكث عشرين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء.

---

(١) الرسالة القشيرية، ص ١٨، حلية الأولياء، ١٠ /٢٥٧.

يا رب أرني رفيقي في الجنة:

قال إبراهيم بن أدهم يا رب أرني رفيقي في الجنة فقيل له في منامه إنها امرأة سـوداء اسمها سلامة في مكان كذا ترعى الغنم فهي زوجتك في الجنة فلما سار إليها سلم عليها قالت وعليك السلام يا إبراهيم قال من أخبرك أني إبراهيم قالت: النبي صلي الله عليه وسلم أخبرك أني زوجتك في الجنة فقال يا سـلامة عظيني قال عليك بقيام الليل فإنه يوصـل العبد إلى ربه وإن كنت تدعي محبته فالنوم عليك حرام[1].

* * *

(١) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ١٣٢/١.

مواقف الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

مواقف عربية

مواقف الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

المعروف في اللغة، يدور معناه غالبَا على ما تعارف عليه الناس وعلموه ولم ينكروه، والمنكر في اللغة، يدور معناه غالبا على ما جهله الناس واستنكروه وجحدوه.

قال في القاموس: عرفه يعرفه معرفة وعرفانًا وعرفه بالكسر وعِرِفّانا بكسرتين مشدّدة الفاء، علمه، والمعروف ضد المنكر [١].

والنّكُر بالضم وبضمتين، المنكر كالنكراء، والأمر الشديد، والنكرة خلاف المعرفة، وتناكر تجاهل، والقوم تعادوا، ونكر فلان الأمر كفرح نكرَا - محركة -، ونُكُرَا ونُكُوراً بضمها، ونكيراً، وأنكره واستنكره وتناكره جهله، والمنكر ضد المعروف اهـ [٢].

وقال في لسان العرب : عرف العرفان العلم... والمعروف ضد المنكر، والعُرف ضد النكر، يقال: أولاه عرفًا أي معروفًا، والمعروف والعارفة خلاف النكر، والمعرف كالعرف، وقوله تعالى:{وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [القمان: ١٥].

أي مصاحبَا معروفًا [٣] والإنكار: الجحود، وقوله:{إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ} [القمان: ١٩]. أي أقبح الأصوات، والنّكْر، والنُكُر: الأمر الشديد، والمنكر من الأمر خلاف المعروف، وقد تكرر في الحديث الإنكار والمنكر وهو ضد المعروف، وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر، والنكْر والنّكْراء - ممدود -: المنكر، وفي التنزيل العزيز:{لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا } [الكهف: ٧٤].

ونكر الأمر نكيراً، وأنكره إنكارًا ونُكْرَا، جهله عن كراع، وفي التنزيل العزيز:{وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} [هود: ٧٠] [٤]..

وقال في المعجم الوسيط: العُرْفُ: المعروف، وهو خلاف النكر، وما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم [٥].

(١) انظر، ٣ / ١٧٨ - ١٧٩.
(٢) انظر، ٢ / ١٥٣ - ١٥٤.
(٣) انظر، ٩ / ٢٣٦ - ٢٣٩.
(٤) انظر، ٥ / ٢٣٣ - ٢٣٤.
(٥) انظر، ٢ / ٦٠١.

نَكر فلان نَكَرا ونُكرا ونكارة، فطن وجاد رأيه.. والشيء جهله، وفي التنزيل العزيز:{ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ } [هود: ٧٠]، ونَكُر الأمر نكارة، صعب واشتدّ وصار منكراً، وأنكر الشيء جهله، وفي التنزيل العزيز:{فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ} [يوسف: ٥٨]، وحقه جحده، وفي التنزيل العزيز:{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا } [النحل: ٨٣] [١].

بيان معنى المعروف والمنكر شرعًا:

المعروف في الشرع: كل ما يعرفه الشرع ويأمر به ويمدحه ويثني على أهله، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وفي مقدمتها توحيد الله عز وجل والإيمان به.

والمنكر في الشرع: كل ما ينكره الشرع وينهى عنه ويذمه ويذم أهله، ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع، وفي مقدمتها الشرك بالله عز وجل وإنكار وحدانيته أو ربوبيته أو أسمائه أو صفاته.

وعبارات المفسرين في تفسير المعروف والمنكر - لا تتجاوز ذلك.

فقيل: المعروف: كل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد.

وقيل: المعروف: الخير كله، والمنكر: جميع الشر.

وقيل: المعروف: ما عرف حسنه شرعًا وعقلًا، والمنكر: ما عرف قبحه شرعًا وعقلًا.

وقيل: المعروف: الإحسان والطاعة، وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه[٢].

وقيل: المعروف: طاعة الله وما يعرفه الشرع وأعمال البر كلها.

وقيل: المعروف: الإيمان، والمنكر الشرك، وقيل: المعروف السنة، والمنكر البدعة [٣].

وقيل: المعروف: خلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام، والمنكر عبادة الأصنام وقطع الأرحام، وقيل المعروف: الطاعات والفضائل أجمع.

وقيل: العرف: صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

---

(١) انظر، ٢ / ٩٦٠.

(٢) انظر تفسير ابن سعدي، ١ / ١٩٤ - ١٩٦، ٢ / ٧٧، ٣ / ٦٥ - ٦٦.

(٣) انظر تفسير البغوي، ٢ / ٥٨٠، ٤ / ٢٤٩.

وقيـل: المعروف: عبـادة الله وتوحيـده وكل ما أتبع ذلك، والمنكر: عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك [١] وهذه الأقوال كلها حق ولا تنافي بينها.

وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث:

(عرف) قد تَكرر ذكر - المعروف - في الحديث، وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسـان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرـع، ونهى عنه، من المحسَـنات والمقبَحـات، وهو من الصـــفـات الغـالبـة، أي أمر معروف بين النـاس، إذا رأوه لا ينكرونـه، والمعروف النصـفة وحسـن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، والمنكر ضـد ذلك جميعه اهـ [٢].

وقال: وقد تكرر ذكر - الإنكار والمنكر - في الحديث، وهو ضـــد المعروف، وكل ما قبّحه الشرع وحرّمه وكرهه فهو منكر، يقال: أنكر الشيء ينكره إنكارًا فهو مُنكِر، ونَكِره ينكَرهُ نُكْرًا فهو منكور، واستنكره فهو مستنكر، والنكير الإنكار، والإنكار الجحود، اهـ [٣].

عظم شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصـــل عظيم من آكد الأصـــول الإســـلامية وأوجبها وألزمها، حتى ألحقه بعض العلماء بالأركان التي لا يقوم بناء الإسـلام إلا عليها، وإنما أرسـلت الرسـل وأنزلت الكتب للأمر بالمعروف الذي رأســه وأصـله التوحيد، وللنهي عن المنكر الذي رأســه وأصـله الشرـك والعمل لغير الله، وشرع الجهاد لأجل ذلك، وإن كان الجهاد قدراً زائدًا على مجرد الأمر والنهي.

إذ بـالأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر يتوقف قيـام الدين، فلولاه ما قام الإســـلام، ولا ظهر دين الله، ولا علت كلمته، ويتوقف أيضًا قيام الدولة الإسلامية واستقامتها وصلاحها على القيام به، كما أن صلاح العباد متوقف على القيام به.

وبيـان ذلـك: أن جماع الـدين وجميع الولايات هو أمر ونهي، والأمر الذي بعث الله به رســـوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعث الله به رســـوله هو النهي عن المنكر، وبهذا نعـت الله النبي والمؤمنين فقـال تعـالى: { وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ }

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٩/ ٣٤٤ و٨ /٢٠٣، و١٤ / ٨.

(٢) انظر: ٣ / ٢١٦.

(٣) انظر: ٥ / ١١٥.

[التوبة: ٧١]، وجميع الولايات - كولاية الحكم، وولاية الحرب، وولاية المال، وولاية الحسبة، وغيرها، إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وولي الأمر إنما نُصِّب ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا هو مقصود الولاية، ولهذا يجب على كل ولي أمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل، فإن تعذر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل.

بل إن صلاح العباد جميعهم يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ إن صلاح العباد ومعائشهم في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس كما قال تعالى:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران: ١١٠] ، ولا يرى تركه والمداهنة فيه إلا من أضاع حظه ونصيبه من العلم والإيمان، فما أَجَلَّ هذا الأصل وما أَعْظَمَهُ وأخطر شأنه في الإسلام؟ [(١)].

والعلماء عليهم واجب عظيم ومسؤولية خطيرة، فإن عليهم أمر الناس وإرشادهم إلى الخير، ونهيهم وتحذيرهم من الشر، وعليهم نصيحتهم وترغيبهم في الخير، وترهيبهم من الشر، وعليهم أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئًا، فإن الله تعالى لما ذمّ اليهود على حرصهم ومبادرتهم الإثم والعدوان، وأكلهم الحرام في قوله تعالى:{وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾} [المائدة: ٦٢] ، بيّن واجب العلماء وحضّهم على القيام به، وهو نهيهم للناس عن المعاصي والآثام التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل وتقوم عليهم الحجة، فقال تعالى:{ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ } [المائدة: ٦٣]، أي هلّا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس الذين منَّ الله عليهم بالعلم والحكمة عمّا وقعوا فيه من الإثم وأكل الحرام.

وقد وبّخَ الله العلماء في تركهم واجب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف فقال تعالى في الآية السالفة الذكر:{لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [المائدة: ٦٣].

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٨ / ٧٥ - ٦٧ وص٣٠٦، وانظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ٧ / ٣٣ - ٣٤.

كما أخذ الله الميثاق على أهل العلم أن يبينوا للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وحذّرهم من الكتمان وتوعدهم عليه فقال تعالى:{**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ**} [آل عمران: ١٨٧]، وقال تعالى:{ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ** } [البقرة: ١٥٩]،{ **إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾**} [البقرة: ١٦٠]، وقال تعالى:{ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾**} [البقرة: ١٧٤]، { **أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾**} [البقرة: ١٧٥]، وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: **مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ** [(١)].

وهذا الوعيد الشديد لما ينشأ عن ترك هذا الواجب العظيم - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من الفساد والشر إذ كيف يصلح الناس، وكيف ينزجر الناس عن المعاصي، وكيف تعظم المعصية في قلوب الجاهلين، وكيف يقفون عند الحدود، وكيف يتورعون عن الشبهات، والعلماء يرونها فلا ينكرونها؟!

فما أعظم واجب العلماء؟ وما أشد خطر تقصيرهم في القيام به [(٢)].

قال الإمام أحمد - رحمه الله - في رسالة الصلاة ما نصه: (فرحم الله رجلًا رأى أخاه يسبق الإمام، فيركع أو يسجد معه، أو يصلي وحده فيسيء في صلاته، فينصحه ويأمره وينهاه، ولم يسكت عنه، فإن نصيحته واجبة عليه لازمة له، وسكوته عنه إثم ووزر، وإن الشيطان يريد أن تسكتوا عن الكلام فيما أمركم الله به، وأن تدعوا التعاون على البر والتقوى الذي أوصاكم الله به، والنصيحة التي عليكم بعضكم لبعض، لتكونوا مأثومين مأزورين، وأن يضمحل الدين ويذهب، وأن لا تحيوا سنة ولا تميتوا بدعة، فأطيعوا الله بما أمركم به من التناصح والتعاون على البر والتقوى، ولا تطيعوا الشيطان؛ فإن الشيطان لكم

(١) ابن ماجه: المقدمة (٢٦٤). الحديث رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم عن أبي هريرة، وعلم عليه السيوطي بالصحة، العجلوني، كشف الخفاء، ٢/ ٣٥٢ مطبعة الفنون - حلب.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيرالقرآن العظيم، ٢ / ٣١٥، طبعة الحكومة المجموع فيها تفسيري ابن كثير والبغوي، وانظر أيضا تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي ٢ / ١٤٨.

عـدو مبين، بذلك أخبركم الله عز وجل فقال تعالى:{ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } [فاطر: ٦]، وقال تعالى: { يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ } [الأعراف: ٢٧].

واعلموا أنه ما جاء النقص إلا من المنسـوبين إلى الفضـل، المكبرين في الجماعات فيمن بالمشرـق والمغرب من أهل الإسـلام؛ لسـكوت أهل العلم والفقه والبصرـ عنهم، وتركهم ما لزمهم من النصـيحة، والتعليم، والأدب، والأمر، والنهي، والإنكار، والتغيير، فلم يروا آمراَ ولا نـاهيـا، ولا نـاصـحًا، ولا مؤدبًا، ولا معلمًا، ولا منكراَ ولا مغيّراَ، إلا ما شـاء الله، فجرى أهل الجهالة على المسابقة للإمام، وجرى معهم كثير ممن ينسب إلى العلم والفقه والبصر والنظر استخفافًا منهم بالصلاة.

والعجب كل العجب من اقتداء أهل العلم بأهل الجهل ومجراهم معهم في المسـابقة للإمام في الركوع والسـجود، والرفع والخفض، وفعله معهم، وتركهم ما حملوا وسـمعوا من الفقهـاء والعلماء، وإنمـا الحق الواجب على العلماء أن يعلموا الجاهل وينصـحوه، ويأخذوا على يـده، فهم فيما تركوا آثمون عصـاة خـائنون، لجريـانهم معهم في ذلـك وفي كثير من مسـاويهم: من الغش والنميمة، ومَحْقَرة الفقراء والمسـتضـعفين، وغير ذلك من المعاصي مما يكثر تعداده، وجاء الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: وَيْلٌ لِلْعَالِمِ مِنَ الْجَاهِلِ حَيْثُ لاَ يُعَلِّمُهُ— فتعليم الجاهل واجب على العالم، لازم له؛ لأنه لا يكون الويل للعالم من الجـاهل حيث لا يعلمه من تطوع، لأن الله لا يؤاخذ على ترك التطوع، وإنما يؤاخذ على ترك الفرائض. اهـ [1].

---

(١) انظر رسالة الصلاة للإمام أحمد ص١١٠ - ١١١، مطبعة الإمام ومعها رسالتان.

مسألة:

الأصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه فرض كفاية ولكنه يصير فرض عين في حالتين:

الأولى: أن لا يعلم به إلا هو. **الثانية:** أن لا يتمكن من إزالته إلا هو. قال أبو زكريا النووي - رحمه الله - في شرح صحيح مسلم: " وقد يتعين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني يصير فرض عين، كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو غلامه أو ولده على منكر أو تقصير في المعروف " [(١)].

فائدة:

القائم والمؤدي لفرض الكفاية، له ميزة على القائم بفرض العين، تلك هي أن القائم بفرض العين أسقط الحرج عن نفسه فقط، والقائم بفرض الكفاية أسقط الحرج عن نفسه وعن المسلمين وفرض العين إذا ترك. وقد قال اختص هو بالإثم، وفرض الكفاية إذا ترك أثم الجميع.

قال ابن النحاس[(٢)]وقد قال النووي - رحمه الله - في " زوايد الروضة ": للقائم بفرض الكفاية مزية على القائم بفرض العين، من حيث إنه أسقط الحرج عن نفسه وعن المسلمين

وقد قال إمام الحرمين - رحمه الله - في " الغياث ": " والذي أراه أن القيام بفرض الكفاية أفضل من فرض العين؛ لأنه لو ترك المتعين لاختص هو بالإثم، ولو فعله اختص بسقوط الفرض، وفرض الكفاية لو ترك أثِمَ الجميع، ولو فعله سقط الحرج عن الجميع، ففاعله ساع في صيانة الأمة عن الإثم، ولا يشك في رجحان من حل محل المسلمين أجمعين في القيام بمهمة من مهمات الدين والله أعلم " اهـ[(٣)].

---

(١) مسألة: شَرْط سقوط الحرج عن الباقين، إذا قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من يكفي هو أن يكون سكوته لعلمه أن هذا الواجب قد قام به من يكفي.
قال ابن النحاس في كتابه " تنبيه الغافلين ص١٥ - ١٦ ": " واعلم أن مقتضى فرض الكفاية، أنه إذا قام به البعض حاز الأجر الجزيل من الله تعالى، وسقط الحرج عن الباقين، ولكن يشترط في سقوط الحرج هنا أن يكون الساكت عن الأمر والنهي إنما سكت لعلمه بقيام من قام عنه بالغرض، فإن سكت ولم يعلم بقيامه، فالظاهر - والله أعلم - أنه لا يسقط عنه الحرج؛ لأنه أقدم على ترك واجب عمدًا، كما لو أقدم على الفطر في رمضان؛ ظانًّا منه النهار باقٍ وكان ليلًا، أو جامع ظانًّا أن الفجر قد طلع وكان ليلًا، فإنه يأثم بذلك. ا هـ.

(٢) تنبيه الغافلين، ص ١٧ - ١٨.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٥ - ٩، سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، ص ١٧.

ومن المواقف:

رأيت رب العزة في المنام:

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا عبد الرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. قلت: بفضلك يا رب. ثم قلت: يا رب أمتني على الإسلام. فقال عز وجل: وعلى السنة أيضاً. وتوفي رحمه الله، في شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائة، وكان سبب موته أنه دخل حمام بيروت، وكان لصاحب الحمام شغل، فأغلق الباب عليه، وذهب ثم جاء وفتح الباب، فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى تحت خده، وهو مستقبل القبلة. وقيل: إن امرأته فعلت ذلك به ولم تكن عامدة لذلك [١].

إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا:

قال عبد الله بن داود: كتب رجل كتاباً على لسان أبي حنيفة إلى والي جرجان فوصله بأربعة آلاف درهم، فقيل لأبي حنيفة فقال: إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا. كان أبو حنيفة يقول: ما صليت صلاة إلا وأنا أستغفر الله من تركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان أبو حنيفة يقول: ابن أبي ليلى استحل مني ما لا أستحل من سنور.

* * *

(١) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ١ / ١٩٨، ٢٧٠.

الصلاة والسلام علي الحبيب محمد ﷺ

مواقـــف عربيـــة

الصلاة والسلام علي الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم

قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾} [الأحزاب: ٥٦]، فالصّلاة من العبد دعاء ومن الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة، وبه سمّيت الصّلاة لما فيها من الدّعاء والاستغفار.

وفي الحديث: **التّحيّات لله والصّلوات..** ▬ قال أبو بكر: الصّلوات معناها التّرحّم.

وقوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ} [الأحزاب: ٥٦]، أي يترحّمون.

وتكون الصّلاة بمعنى الدّعاء: وفي الحديث قوله صلي الله عليه وسلم: **إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطرا فليطعم، وإن كان صائما فليصلّ**▬[1].

قوله:

فليصلّ: يعني فليدع لأرباب الطّعام بالبركة والخير. ومنه قوله صلي الله عليه وسلم: **من صلّى عليّ صلاة صلّت عليه الملائكة عشرا**▬. وكلّ داع فهو مصلّ.

وأمّا قولنا: اللّهمّ صلّ على محمّد، فمعناه عظّمه في الدّنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمّته، وتضعيف أجره ومثوبته.

وقيل: المعنى لمّا أمرنا الله سبحانه بالصّلاة عليه صلي الله عليه وسلم ولمّا نبلغ قدر الواجب من ذلك أحلناه على الله، اللّهمّ صلّ أنت على محمّد، لأنّك أعلم بما يليق به.

وهذا الدّعاء قد اختلف فيه هل يجوز إطلاقه على غير النّبيّ صلي الله عليه وسلم، أو لا؟. والصّحيح أنّه خالص له، ولا يقال لغيره.

وقال الخطّابيّ: الصّلاة الّتي بمعنى التّعظيم والتّكريم لا تقال لغيره، والّتي بمعنى الدّعاء والتّبريك تقال لغيره. ومنه: اللّهمّ صلّ على آل أبي أوفى " أي ترحّم وبارك.

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاريّ رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال له بشير بن سعد رضي الله عنه قد أمرنا الله أن نصلّي عليك، فكيف نصلّي عليك؟ قال:

---

(١) معنى فليصل: أي فليدعو لصاحب الطعام. والحديث أخرجه مسلم (١١٥٠)، والترمذي (٧٨٠) وصححه الألباني صحيح الألباني (٦٢٦). وعند مسلم بلفظ ♂إذا دعي أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل إني صائم▬ - مسلم (١١٥٠).

قولوا: اللّهمّ صـلّ على محمّد، وعلى آل محمّد، كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمّد، وعلى آل محمّد، كما باركت على آل إبراهيم، والسّلام كما قد علمتم[١]. وزاد ابن خزيمة فيه: فكيف نصلّي عليك إذا نحن صلّينا في صلاتنا... " الحديث.

٢ - عن أبي مســعود رضي الله عنه قال: أقبل رجل [٢]. حتّى جلس بين يدي رســول الله صـلي الله عليه وسـلم ، ونحن عنده، فقال: يا رسـول الله أمّا السّلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصـلّي عليك إذا نحن صـلّينا في صلاتنا صلّى الله عليك؟ قال: فصمت رسول الله صلي الله عليه وسلم حتّى أحببنا أنّ الرّجل لم يسأله. ثمّ قال: إذا أنتم صلّيتم عليّ فقولوا: **اللّهمّ صلّ على محمّد النّبيّ الأمّي، وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم**[٣].

و عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هديّة؟ خرج علينا رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم فقلنا: قد عرفنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلّي عليك؟ قال: **قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على آل إبراهيم، إنّـك حميد مجيد، اللّهمّ بارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد**[٤].

---

(١) أحمد (٥/ ٢٧٤)، ومسـلم (٤٠٥)، والنسـائي (٣/ ٤٥، ٤٦)، والترمذي (٣٢٢٠)، وقال حديث حسن صحيح. وأبو داود (٩٨٠، ٩٨١)، ومالك في الموطأ (١/ ١٦٥، ١٦٦).

(٢) هو بشير بن سعد.

(٣) أحمد في المسـند " (٤/ ١١٩). والحاكم في المستدرك " (١/ ٢٦٨) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وهو عند ابن خزيمة في صحيحه.

(٤) البـخـاري - الـفـتـح (١/ ٦٣٥٧)، ومســـلـم (٤٠٦) والـلـفـظ لـه، وفي لـفـظ آخـر عـنـد الـبـخـاري الفتح (٦١/ ٣٣٧٠) من طريق عبد الله ابن عيسى ـ بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ سـمعتها من النبيّ ﷺ، فقلت: بلى، فاهدها لي، فقال: سـألنا رسـول الله ﷺ ، فقلنا: يا رسول الله! كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإنّ الله قد علّمنا كيف نسلّم. قال: قولوا: اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّهمّ بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وقد جمع هذا الحديث بين إبراهيم وآله في الصـــلاة والبركة، وهو على خلاف ما جزم به المؤلف من أن أكثر الأحاديث الصـحاح والحسـان، مصرحـة بذكر النبي ﷺ وبذكر آله، أما في حق المشـبه به وهو إبراهيم وآله، فإنما جاءت بـذكر آل إبراهيم فقط دون ذكر إبراهيم أو بـذكره فقط دون ذكر آلـه، ولم يجئ حديث صــحيح فيه لفظ إبراهيم وآل إبراهيم وهو سهو منه رحمه الله، وبتفصيل أكثر. انظر فتح الباري (١١/ ١٥٨ - ١٥٩).

وعن أبي سـعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسـول الله هذا السّـلام عليك قد عرفناه، فكيف الصّلاة عليك؟ قال: **قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد عبدك ورسولك، كما صـلّيت على إبراهيم، وبـارك على محمّد وعلى آل محمّـد، كما بـاركت على آل إبراهيم▬**[١].

وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله كيف الصّلاة عليك؟ قال: قل: **اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد▬**.

وفي لفظ آخر عند النّسائيّ أنّ رجلا أتى نبيّ الله صلي الله عليه وسلم فقال: كيف نصلّي عليك يا نبيّ الله؟ قال: **قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم، إنّـك حميـد مجيـد، وبـارك على محمّـد وعلى آل محمّـد، كما بـاركت على إبراهيم، إنّك حميد مجيد▬**[٢].

فضائل الصّلاة على رسول الله صلي الله عليه وسلم:

- صلاة بصلوات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم قال: **من صـلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشرا▬**[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: **من ذكرت عنده فليصلّ عليّ، ومن صلّى عليّ مرّة صلّى الله عليه عشرا▬**[٤].

وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: سـمعت النّبيّ صـلي الله عليه وسـلم يقول: **ما من عبد يصلّي عليّ إلاّ صلّت عليه الملائكة ما دام يصلّي عليّ، فليقلّ العبد من ذلك أو ليكثر▬**[٥].

---

(١) البخاري - الفتح (١١/ ٦٣٥٨)، والنسائي (٣/ ٤٩)، وابن ماجه (٩٠٣).

(٢) أحمد في♂المسند " (١/ ١٢٦)، والنسائي (٣/ ٤٨) وإسناده حسن.

(٣) رواه مسلم برقم (٤٠٨).

(٤) رواه النسـائي في♂عمل اليوم والليلة " (ص ٦٠)، وابن السـني (٢٨٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٤٣)، وقال النـووي رحـمـه الله: إسـنـاده جـيّـد. انـظـر كـتـاب " الأذكـار " لـه (ص ١٤٥). وقال ابن القيم رحمه الله: إسناده صحيح، انظر " جلاء الأفهام " (ص ٢٩٥).

(٥) رواه الإمام أحمد في المسـند (٣/ ٤٤٥)، وابن ماجه برقم (٩٠٧). وإسـماعيل القاضي في " فضل الصلاة على النبي ◘ " (ص ٩٢٥) وحسّنه الألباني لشواهده، انظر صحيح الجامع برقم (٥٦٢٠)، وكذا

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ☻ قال: **من صلّى على رسول الله** صلي الله عليه وسلم **صلاة صلّى الله عليه وملائكته سبعين صلاة فليقلّ من ذلك أو ليكثر▬**[1].

- رفع للدّرجات وحطّ للسّيّئات:

فعن أبي طلحة الأنصاريّ رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله صلي الله عليه وسلم يوما طيّب النّفس يرى في وجهه البشر. قالوا: يا رسول الله: أصبحت اليوم طيّب النّفس يرى في وجهك البشر. قال: **أجل، أتاني آت من عند ربّي** عز وجل، **فقال: من صلّى عليك من أمّتك صلاة، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيّئات، ورفع له عشر درجات، وردّ عليه مثلها▬** [2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشر صلوات وحطّ عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات▬** [3].

- كفاية الهموم ومغفرة الذّنوب:

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم، إذا ذهب ثلثا اللّيل قام فقال: **يا أيّها النّاس، اذكروا الله، جاءت الرّاجفة تتبعها الرّادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه▬**. قال أبيّ: قلت: يا رسول الله إنّي أكثر الصّلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي[4] ؟ فقال: **ما شئت▬**. قال: قلت: الرّبع؟ قال: **ما شئت، فإن زدت فهو خير لك▬**. قلت: النّصف؟ قال: **ما شئت، فإن زدت فهو خير لك▬**. قال: قلت: فالثّلثين؟ قال: **ما شئت، فإن زدت فهو خير**

تعليقه على كتاب♂فضل الصلاة على النبي ◘ " (ص ٢٥).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٧٢)، قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد وإسناده حسن، انظر مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٠)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر تخريجه على المسند برقم (٦٧٥٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٩)، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير برقم (٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٠٢)، والنسائي (٣/ ٥٠) واللفظ له، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع برقم (٦٢٣٥).

(٤) صلاتي: قال المنذري: معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك، انظر الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠١).

لكـــ. قلت: أجعل لك صلاتي كلّها؟ قال: **إذا تكفى همّك ويغفر لك ذنبك**ـــ [١].

– **سبب لنيل شفاعته** صلي الله عليه وسلم:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ☻ أنّه سمع النّبيّ صلي الله عليه وسلم يقول: **إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول، ثمّ صلّوا عليّ فإنّه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرا، ثمّ سلوا الله لي الوسيلة فإنّها منزلة في الجنّة، لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشّفاعة**ـــ[٢].

عن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **من صلّى عليّ حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا، أدركته شفاعتي يوم القيامة**ـــ [٣].

وعن رويفع بن ثابت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **من صلّى على محمّد وقال: اللّهمّ أنزله المقعد المقرّب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي**ـــ [٤].

– **سبب لعرض اسم المصلّي على رسول الله** صلي الله عليه وسلم:

فعن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **أكثروا الصّلاة عليّ، فإنّ الله وكّل بي ملكا عند قبري، فإذا صلّى عليّ رجل من أمّتي، قال لي ذلك الملك، يا محمّد إنّ فلان بن فلان صلّى عليك السّاعة**ـــ [٥].

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٤٥٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ١٣٦)، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. ورواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه♂فضل الصلاة على النبي ◘ " (ص ٢٩، ٣٠). قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد وإسناده جيّد، انظر مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٠).

(٢) رواه مسلم برقم (٣٨٤).

(٣) قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين وإسناد أحدهما جيّد ورجاله وثقوا. انظر مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٠). وأيضا حسّن الحديث الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير برقم (٦٢٣٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٠٨)، وقال الحافظ الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وأسانيدهم حسنة، انظر مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٣).

(٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس (١/ ٩٣)، وحسّنه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٥٣٠)، وصحيح الجامع الصغير برقم (١٢١٨).

وعن عمّار بن ياسر ☻ قال: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسلم: **إنّ لله تعالى ملكا أعطاه سـمع العباد، فليس من أحد يصلّي عليّ إلاّ أبلغنيها، وإنّي سألت ربّي أن لا يصلّي عليّ عبد صلاة إلاّ صلّى عليه عشر أمثالها** ـــ [(١)].

وعن ابن مسـعود رضي الله عنه عن النّبيّ صـلي الله عليه وسـلم قال: **إنّ لله تعالى ملائكة سيّاحين في الأرض يبلّغوني من أمّتي السّلام** ـــ [(٢)].

- طهرة من لغو المجلس:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم: **ما اجتمع قوم ثمّ تفرّقوا عن غير ذكر الله وصـلاة على النّبيّ** صـلي الله عليه وسـلم، **إلاّ قاموا عن أنتن من جيفة** ـــ [(٣)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صلي الله عليه وسلم، قال: **ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصـلّوا على نبيّهم إلاّ كان عليهم ترة** [(٤)] **فإن شـاء عذّبهم وإن شاء غفر لهم** ـــ [(٥)].

(١) رواه الطبراني والبزار، وحسّـنه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٥٣٠)، وأيضا صحيح الجامع الصغير برقم (٢١٧٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسـند (١/ ٣٨٧، ٤٤١، ٤٥٢). والنسـائي (٣/ ٤٣)، والدارمي برقم (٢٧٧٧)، والحاكم في المسـتدرك (٢/ ٤٢١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وإسماعيل بن إسحاق القاضي في♂فضل الصلاة على النبي ◘ " (ص ٣٤)، وأيضا صححه الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير برقم (٢١٧٠).

(٣) رواه أبو داود الطيالسي (١٧٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، والضياء المقدسي في المختارة والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٤١١) بلفظ:♂**ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عن غير صلاة على النبي ◘ إلاّ تفرقوا على أنتن من ريح الجيفة**ـ. قال ابن القيم رحمه الله: قال أبو عبد الله المقدسي (الضـياء): هذا عندي على شرط مسلم. راجع جلاء الأفهام (ص ٧٨) وأيضا صحح الحديث الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير برقم (٥٣٨٢).

(٤) ترة: نقص وتبعة وحسرة، انظر النهاية لابن الأثير (١/ ١٨٩).

(٥) رواه الإمـام أحـمـد في المسـند (٢/ ٤٤٦، ٤٥٢، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٩٥)، والـترمـذي بـرقـم (٣٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٦)، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ◘ (ص ٥١)، وصحح الحديث أيضا الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٧٤)، وعبد القادر الأرناؤوط، انظر تعليقه على كتاب♂جامع الأصول " (٤/ ٤٧٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم: **ما قعد قوم مقعدا لا يذكرون الله** عز وجل **ويصـلّون على النّبيّ** صـلي الله عليه وسـلم، **إلاّ كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنّة للثّواب**ـــ[1].

- سبب في إجابة الدّعاء:

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: **كلّ دعاء محجوب حتّى يصلّى على النّبيّ** صلي الله عليه وسلمـــ [2].

- انتفاء الوصف بالبخل والجفاء:

عن الحسـين بن عليّ بن أبي طالب ☻ عن النّبيّ صـلي الله عليه وسـلم قال: **البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ**ـــ[3].

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّ رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم، قال: **إنّ أبخل النّاس من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ**ـــ[4].

وعن الحسـن البصري - رحمه الله - قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **بحسب امرىء من البخل أن أذكر عنده فلا يصلّي عليّ**ـــ [5].

(١) رواه الإمام أحمد في المسـند (٢/ ٤٦٣) وابن حبان (٢٣٢٢) كما في موارد الظمآن. والحاكم (١/ ٤٩٢)، وإسـماعيل القـاضي في♂فضـل الصـلاة عـلى النـبـي ◘ " (ص ٥٢، ٥٣)، وقال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصـحيح. انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٧٩) وأيضـا صـححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة برقم (٧٦)، وصحيح الجامع الصغير برقم (٧٥٠٠).

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه الطبراني في الأوسـط ورجاله ثقات وحسّـنه الألباني، انظر صـحيح الجامع (٤٢٩٩).

(٣) رواه الترمذي برقم (١٤٥٦) وقال: حديث حسـن صـحيح غريب. والنسائي في♂عمل اليوم والليلة " (٥٥، ٥٦)، ورواه الإمام أحمد في المسـند (١/ ٢٠١)، وابن حبان (٢٣٨٨) موارد، والحاكم في المسـتدرك (١/ ٥٤٩) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه " فضل الصلاة على النبي ◘ " (ص ٤٣). وصححه الألباني بشواهده، انظر حاشيته على الكتاب المذكور (ص ٤٣).

(٥) رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه♂فضل الصلاة على النبي ◘ " (ص ٤٣). وقال مخرج الكتاب الألباني: إسناده مرسل صحيح.

وعن قتادة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم: **من الجفاء** [١] **أن أذكر عند رجل فلا يصلّي عليّ** [٢].

- دليل إلى الجنّة:

عن ابن عبّاس ☻ قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **من نسي** [٣] **الصّلاة عليّ خطىء طريق الجنّة** [٤].

وعن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر - رحمه الله - قال: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسلم: **من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فقد خطىء طريق الجنّة** [٥].

---

(١) قال الحافظ السخاوي: قوله " من الجفاء " هو بفتح الجيم والمد وهو ترك البر والصلة ويطلق أيضا على غلظ الطبع، انظر كتاب " القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع " (ص ١٤٦).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: " لو تركنا وهذا المرسل وحده لم نحتج به، ولكن له أصول وشواهد قد تقدمت من تسمية تارك الصلاة عليه عند ذكره بخيلا وشحيحا، والدعاء عليه بالرغم. وهذا من موجبات جفائه، انظر كتابه " جلاء الأفهام " (ص ٣٢١)، وقال السخاوي - بعد أن أورد الحديث -: أخرجه النميري هكذا من وجهين من طريق عبد الرزاق وهو في " جامعه " ورواته ثقات، انظر كتابه " القول البديع " (ص ١٤٦).

(٣) من نسى الصلاة عليّ: قال العلامة المناوي قال في الإتحاف: المراد بالنسيان هنا: الترك، نظير قوله تعالى في توبيخ الفاجر:{أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ} [طه: ١٢٦] أي: تركت آياتنا فجزاؤك أنك تترك من الرحمة وتوضع في العذاب، وليس المراد بالنسيان هنا: الذهول، لأن الناسي - أي: الذي ذهل من حفظه - غير مكلف أي ليس بمؤاخذ. انظر كتابه " فيض القدير " (٦/ ١٢٩) بتصرف يسير.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٩٠٨)، قال الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث: أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس والبيهقي في " الشّعب " من حديث أبي هريرة. وابن أبي حاتم من حديث جابر. والطبراني من حديث حسن بن علي. وهذه الطرق يشد بعضها بعضا، انظر فتح الباري (١١/ ١٧٢). كما قوّى الحديث لشواهده أيضا ابن الملقن. انظر " فيض القدير " (٦/ ٢٣٢).

(٥) رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه " فضل الصلاة على النبي ◘ " (ص ٤٦) من عدّة أوجه. قال الحافظ بن كثير: هذا مرسل جيّد يتقوى بالذي قبله. أ. هـ يعني حديث ابن عباس عند ابن ماجه، انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٠).

الفوائد والثّمرات الحاصلة بالصّلاة عليه صلي الله عليه وسلم:

الأولى: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

الثّانية: موافقته سبحانه في الصّلاة عليه صلي الله عليه وسلم، وإن اختلفت الصّلاتان.

الثّالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرّابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلّي مرّة.

الخامسة: أنّه يرفع له عشر درجات.

السّادسة: أنّه يكتب له عشر حسنات.

السّابعة: أنّه يمحى عنه عشر سيّئات.

الثّامنة: أنّه يرجى إجابة دعائه إذا قدّمها أمامه، فهي تصاعد الدّعاء إلى عند ربّ العالمين.

التّاسعة: أنّها سبب لشفاعته صلي الله عليه وسلم إذا قرنها بسؤال الوسيلة له، أو أفردها.

العاشرة: أنّها سبب لغفران الذّنوب.

الحادية عشرة: أنّها سبب لكفاية الله العبد ما أهمّه.

الثّانية عشرة: أنّها سبب لقرب العبد منه صلي الله عليه وسلم يوم القيامة.

الثّالثة عشرة: أنّها تقوم مقام الصّدقة لذي العسرة.

الرّابعة عشرة: أنّها سبب لقضاء الحوائج.

الخامسة عشرة: أنّها سبب لصلاة الله على المصلّي وصلاة ملائكته عليه.

السّادسة عشرة: أنّها زكاة للمصلّي وطهارة له.

السّابعة عشرة: أنّها سبب لتبشير العبد بالجنّة قبل موته.

الثّامنة عشرة: أنّها سبب للنّجاة من أهوال يوم القيامة.

التّاسعة عشرة: أنّها سبب لردّ النّبيّ صلي الله عليه وسلم الصّلاة والسّلام على المصلّي والمسلّم عليه.

العشرون: أنّها سبب لتذكّر العبد ما نسيه كما تقدّم.

الحادية والعشرــون: أنّها ســبب لطيب المجلس، وألاَّ يعود حسرــة على أهله يوم القيامة.

الثّانية والعشرون: أنّها سبب لنفي الفقر كما تقدّم.

الثّالثة والعشرـون: أنّها تنفي عن العبد اسـم البخل إذا صـلّى عليه عند ذكره صلي الله عليه وسلم.

الرّابعـة والعشرــون: أنّهـا ترمي صـــاحبها على طريق الجنّة وتخطئ بتاركها عن طريقها.

الخامســة والعشرــون: أنّها تنجي من نتن المجلس الّذي لا يذكر فيه الله ورســوله ويحمد ويثنى عليه فيه، ويصلّى على رسوله صلي الله عليه وسلم.

السّــادسـة والعشرون: أنّها سـبب لتمام الكلام الّذي ابتدئ بحمد الله والصّلاة على رسوله.

السّابعة والعشرون: أنّها سبب لوفور نور العبد على الصّراط.

الثّامنة والعشرون: أنّه يخرج بها العبد عن الجفاء.

التّاسـعة والعشرـون: أنّها سبب لإبقاء الله سبحانه الثّناء الحسن للمصلّي عليه بين أهل السّماء والأرض، لأنّ المصلّي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرّمه ويشرّفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بدّ أن يحصل للمصلّي نوع من ذلك.

الثّلاثون: أنّها ســبب للبركة في ذات المصــلّي وعمله وعمره وأســباب مصــالحه، لأنّ المصلّي داع ربّه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدّعاء مستجاب، والجزاء من جنسه.

الحادية والثّلاثون: أنّها سـبب لنيل رحمة الله له، لأنّ الرحمة إمّا بمعنى الصّـلاة كما قاله طائفة، وإمّا من لوازمها وموجباتها على القول الصّحيح، فلا بدّ للمصلّي عليه من رحمة تناله.

الثّانية والثّلاثون: أنّها سبب لدوام محبّته للرّسول صلي الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الّذي لا يتمّ إلاّ به، لأنّ العبد كلّما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبّه تضاعف حبّه له وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه، نقص حبّه من قلبه، ولا شيء أقرّ لعين المحبّ من رؤية محبوبه، ولا أقرّ لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه، جرى لسانه بمدحه والثّناء عليه، وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحبّ ونقصانه في قلبه، والحسّ شاهد بذلك.

الثّالثة والثّلاثون: أنّ الصّلاة عليه صلي الله عليه وسلم سبب لمحبّته للعبد، فإنّها إذا كانت سببا لزيادة محبّة المصلّى عليه له، فكذلك هي سبب لمحبّته هو للمصلّي عليه صلي الله عليه وسلم.

الرّابعة والثّلاثون: أنّها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنّه كلّما أكثر الصّلاة عليه صلي الله عليه وسلم وذكره، استولت محبّته على قلبه، حتّى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامر ه، ولا شكّ في شيء ممّا جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوبا مسطورا في قلبه، لا زال يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلّما ازداد في ذلك بصيرة وقوّة معرفة، ازدادت صلاته عليه صلي الله عليه وسلم.

الخامسة والثّلاثون: أنّها سبب لعرض اسم المصلّي عليه صلي الله عليه وسلم وذكره عنده.

السّادسة والثّلاثون: أنّها سبب لتثبيت القدم على الصّراط، والجواز عليه، لحديث عبد الرّحمن بن سمرة الّذي رواه عنه سعيد بن المسيّب في رؤيا النّبيّ صلي الله عليه وسلم وفيه: **ورأيت رجلا من أمّتي يزحف على الصّراط ويحبو أحيانا ويتعلّق أحيانا، فجاءته صلاته عليّ فأقامته على قدميه وأنقذته**ـ[1].

السّابعة والثّلاثون: أنّ الصّلاة عليه صلي الله عليه وسلم أداء لأقلّ القليل من حقّه، مع أنّ الّذي يستحقّه لا يحصى علما ولا قدرة، ولا إرادة، ولكنّ الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقّه.

---

(١) رواه أبو موسى المديني وبنى عليه كتابه ♂الترغيب والترهيبـ وقال: هذا حديث حسن جدّا، وانظر جلاء الأفهام (ص ٣٦٨).

الثّامنة والثّلاثون: أنّها متضـمّنة لذكر الله تعالى وشـكره، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرسـاله، فالمصـلّي عليه صـلي الله عليه وسـلم قد تضمّنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله، وسـؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله كما عرّفتنا ربّنا وأسماءه وصفاته، وهدانا الله بها إلى طريق مرضـاته، وعرّفنا جلّ جلاله ما لنا بعد الوصـول إليه، والقدوم عليه، فهي متضمّنة لكلّ الإيمان، بل هي متضـمّنة للإقرار بوجوب الرّبّ المدعوّ وعلمه وسـمعه وقدرته وإرادته وحياته وكلامه، وإرسـال رسـوله، وتصـديقه في أخباره كلّها، وكمال محبّته، ولا ريب أنّ هذه هي أصـول الإيمان، فالصّـلاة عليه صـلي الله عليه وسـلم متضمّنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به، ومحبّته له، فكانت من أفضل الأعمال.

التّاسعة والثّلاثون: أنّ الصّلاة عليه صلي الله عليه وسلم من العبد هي دعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربّه نوعان:

أحـدهما: سـؤاله حوائجه ومهمّاته وما ينوبه في اللّيل والنّهار، فهذا دعاء وسـؤال، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.

والثّاني: سـؤاله أن يثني على خليله وحبيبه، ويزيد في تشريفه وتكريمه وإيثاره ذكره، ورفعه، ولا ريب أنّ الله تعالى يحبّ ذلك ورسـوله يحبّه، فالمصـلّي عليه صـلي الله عليه وسلم قد صرف سـؤاله ورغبته وطلبه إلى محابّ الله ورسوله، وآثر ذلك على طلبه حوائجه ومحابّه هو، بل كان هذا المطلوب من أحبّ الأمور إليه وآثرها عنده، فقد آثر ما يحبّه الله ورسـوله على ما يحبّه هو، فقد آثر الله ومحابّه على ما سـواه، والجزاء من جنس العمل. فمن آثر الله على غيره، آثر الله على غيره.

ومن المواقف:

هذه مشية الخدام في دار السلام:

سـمعنا أبا يحيى زكريا بن يحيى السـمسـار يقول رأيت أحمد بن حنبل في المنام وعلى رأسـه تاج مرصع بالجوهر وفي رجليه نعلان من ذهب وهو يخطر بهما قال قلت أبا عبد الله ماذا فعل الله بك قال غفر لي وأدناني من نفسـه وتوجني بيده هذا التاج وقال هذا بقولك القرآن كلام الله غير مخلوق قال قلت فما هذه الخطرة التي لم أعرفها لك في دار الدنيا قال هذه مشية الخدام في دار السلام [1].

(١) أبو طاهر أحمد بن محمد السـلفي، معجم السـفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية - مكة المكرمة، ص ٤٨.

قال الحســن بن محمد: رأيت أحمد بن حنبل رضي الله عنه في النوم فقال يا أبا علي لو رأيت صـلاتنا على النبي صـلي الله عليه وسـلم في الكتب كيف تزهو بين يدينا؟ ولذا قال سفيان الثوري: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله صلي الله عليه وسلم فإنه يصلي عليه ما دام اسمه في ذلك الكتاب صلي الله عليه وسلم. وقال عبد الله بن عبد الحكم: رأيت الشــافعي رضي الله عنه في النوم فقلت ما فعل الله بك؟ فقال رحمني وغفر لي وزفني إلى الجنة كما تزف العروس، ونثر علي كما ينثر على العروس، فقلت بماذا بلغت هذه الحالة؟ فقال لي قائل: بقولك في (كتاب الرسالة) من الصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم، قلت فكيف ذلك؟ قال: وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة فوجدت الأمر كما رأيت صلي الله عليه وســلم. وذكر في جلاء الأفهام من هذا أشــياء كثيرة. وفي حديث ابن عباس مرفوعا: **جاءني جبريل ؛ فقال إنه من ذكرت عنده فلم يصــل عليك فأبعده الله وأسحقه، فقلت آمين▬** رواه الترمذي وحسـنه. ومن حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعا: **أن جبريل عرض لي فقال بعد من ذكرت عنده فلم يصــل عليك فقلت آمي▬** رواه الحاكم وقال صحيح الإسـناد، والترمذي وحسـنه عن أبي هريرة مرفوعا: **رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصــل علي▬**. وعن الحسـين بن علي رضـوان الله عليهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: **البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي▬** رواه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه والترمذي وزاد في سـنده علي بن أبي طالب وقال حديث حسـن صحيح غريب. وما أحسن قول الإمام الصرصري في ذلك: من لم يصل عليه إن ذكر اسـمه فهو البخيل وزده وصـف جبان وإذا الفتى في العمر صـلى مرة في سـائر الأقطار والبلدان صلى عليه الله عشرا فليزد عبد ولا يجنح إلى نقصان وأخرج النسائي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلي الله عليه وسلم: **ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله** عز وجل **وصـلاة على النبي** صـلي الله عليه وسـلم **إلا قاموا عن أنتن من جيفة▬** ورواه أبو داود الطيالسي- إلا أنه قال: **إلا قاموا عن أنتن جيفة▬** قال الإمام أبو عبد الله المقدسي: هذا على شرط مسلم [1].

* * *

(١) محمد بن أحمد بن سـالم السـفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص١٨.

مواقف المبتلين

مواقـف عربيـة

مواقف المبتلين

إن جوهر العلاقة بين النفس الإنسـانية والحياة الدنيا هي علاقة ابتلاء وتمحيص وفتنة، وسـنشـير بإيجاز لمعنى كل من النفس والابتلاء والفتنة تمهيدا للحديث عن مظاهر هذا الابتلاء وأنواعه ونتائجه.

ولفظ " الابتلاء " مأخوذ من مادة (ب ل و) التي تدل على نوع من الاختبار من ذلك قولهم: بلي الإنسان وابتلاه الله أي اختبره، قال الشاعر:

بليت وفقدان الحبيب بليّة ::: وكم من كريم يبتلى ثمّ يصبر

ويكون البلاء بالخير والشر، والله عز وجل يبلي العبد بلاء حسنا وبلاء سيئا، وذلك راجع إلى معنى الاختبار لأنه بذلك يختبر صبره وشكره، وبلوته تأتي أيضا بمعنى جزيته (١)، وتأتي كذلك بمعنى استخبرته، يقال:

بلوته فأبلاني أي استخبرته فأخبرني، والاسم من الابتلاء: البلوى والبلية والبلاء والجمع من ذلك: بلايا، وفي الحديث: " اللهم لا تبلنا إلاّ بالتي هي أحسن " ويقال: أبلاه الله بلاء حسنا إذا صنع به صنعا جميلا، وقال ابن قتيبة:

يقال: من الخير أبليته ومن الشر بلوته، وعقب على ذلك الرأي ابن منظور فقال: والمعروف (في اللغة) أن الابتلاء يكون بالخير وبالشر معا من غير فرق بين فعليهما ومن ذلك قوله تعالى:{وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥].

وقال ابن بري: يأتي الابتلاء أيضا بمعنى الإنعام كما في قوله - عز من قائل - :{وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾} [الدخان: ٣٣]. أي إنعام بيّن، وقال تعالى في قصة سليمان عندما سخّر له من يأتيه بعرش بلقيس في طرفة عين:{قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} [النمل: ٤٠]، وفي الحديث: **من أبلي فذكر فقد شكر** — قال ابن الأثير: الإبلاء هنا — هو الإنعام والإحسان [١].

واصطلاحا: الابتلاء: التكليف في الأمر الشّاقّ، ويكون في الخير والشر معا، ولكنهم (عادة ما) يقولون: في الخير أبليته إبلاء وفي الشر: بلوته بلاء.

وقال المناوي: البلاء كالبلية: الامتحان، وسمي الغم بلاء لأنه يبلي الجسد.

(١) النهاية لابن الأثير ١/ ١٥٥.

وقال ماجد كيلاني: الابتلاء هو اختبار مدلول العبادة بمظاهرها الدينية والاجتماعية والكونية وهو المظهر العملي لعلاقة العبودية بين الله عز وجل والإنسان.

هذا ويرتبط مفهوم الابتلاء بمفهوم آخر يتعلق به تعلقا شديدا وقد يرادفه أحيانا، ألا وهو مفهوم الفتنة، وسنعرض لهذا بإيجاز - فيما يلي.

وقال تعالى:{تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾} [الملك: ١ - ٢].

إن الابتلاء سنة ثابتة في حياة البشر لا يستطيعون الخروج منها، وللابتلاء صور ومظاهر وقوانين وسنن تفصيلية لسنة الابتلاء الأصلية والأساسية ومن تلك السنن:

سنة التداول: بمعنى أن الله تعالى يداول أحوال الناس من شدة إلى رخاء ومن رخاء إلى شدة، ومن نصر إلى هزيمة، ومن هزيمة إلى نصر، ومن يسر إلى عسر، ومن عسر إلى يسر إلى غير ذلك من مظاهر تقلبات الأحوال وتغيير المواقف وتداول المواقع، حتى تظهر بذلك مواقف الناس، وتنكشف بواطن ما في صدورهم وفي هذه السنة يقول الله عز وجل:{وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ} [آل عمران: ١٤٠].

وإن كانت هذه الآية الكريمة نزلت في أعقاب غزوة أحد، ليتبين للمؤمنين سنة الله عز وجل في النصر والهزيمة، وإن كانت العاقبة والمحصلة النهائية للمؤمنين، والنصر موعود لهم، ولكن هناك حكمة تقتضي أن يذوق المؤمنون طعم الهزيمة.

ومداولة الأحوال لا يقتصر على تعاقب النصر والهزيمة فإن اختلاف الأحوال لا يقتصر على تعاقب النصر والهزيمة فإن اختلاف الأحوال والظروف التي يمر بها الإنسان تدخل في إطار هذه السنة، ولهذا قال بعض المفسرين أن معنى نداولها بين الناس: من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر إلى غير ذلك.

ثم إن وعد الله للمؤمنين بالنصر لا يعني أن الأمر سيجري وفق أهوائهم وأن الثمرة ستأتي على ما يشتهون، كلا. بل إن حكمة الله تقتضي بأن تتربى النفوس المؤمنة على تحمل نتائج الأخطاء، وأن تتعلم بأن المعصية تبعدهم عن رحمة الله وتوفيقه وعونه، فليس من الصدفة أو المجازفة ما يحصل في حياة البشر من تغييرات في أحوالهم، فإن وراء ذلك إرادة ومشيئة إلهية ذات حكمة بالغة على الإنسان أن يعرفها ويفقهها.

ومن سـنن الابتلاء سـنة التدافع بين الحق والباطل فإن الله أراد لهذه الحياة أن تكون مسرحاً للصراع بين أنصار الحق والباطل، بين قوى الخير وقوى الشر، قال تعالى:{ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾} [الأنبياء: ٣٥]، وقال:{وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا } [الفرقان: ٢٠]. فالتدافع بين أهل الحق وأهل الباطل سنة حتمية لا بد منها، فلا يتصور أن يعيش الحق والباطل في سلم دون صراع ومن دون غلبة أحدهما على الآخر، إلا لعلة كضعف أصحابهما أو جهلهما بمعاني الحق والباطل ومقتضيات ولوازم هذه المعاني أو ضعف تأثير هذه المعاني فيهم، ولقد ضرب الله مثلاً لهذه الحقيقة حقيقة الحق الثابت والباطل الزاهق في قوله سبحانه:{ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾} [الرعد: ١٧].

ذلك مثل الحق والباطل في هذه الحياة، فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابياً طافياً ولكنه زبد أو خبث، ما يلبث أن ينتهي ويذهب جفاء مطروحاً لا حقيقة له ولا تماسك فيه، والحق هادئاً ساكناً، وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات، ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء الزلال والمعدن الصافي ينفع الناس:{كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ } [الرعد: ١٧]، لقد مضت سنة الله في تدافع الحق والباطل أن الغلبة للحق وأهله، وأن الاندحار والمحق للباطل وأهله كما قال تعالى:{وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} [الشورى: ٢٤]، غير أن للنصر عوامل وأسباباً، وانتصار الله للحق وأهله لا يأتي إلا بجهد وتعب، وقد يصيب المؤمنين كثير من الأذى. والنصر إنما يتحقق في واقع الناس إذا هيأ الله في أنفسهم عوامل النصر التي أرشد إليها الإسلام وأمر بها الله ورسوله وأبعدوا عن أنفسهم عوامل الفشل ومعوقات النصر.

ومن أهم عوامل النصر: الإيمان، فقد وعد الله أهل الإيمان بالنصر والتأييد كما قال:{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧].

وقال:{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾} [غافر: ٥١].

حكمة الله عز وجل في الابتلاء:

من أسـماء الله عز وجل " الحكيم " ولهذا الاسـم كما لغيره من الأسماء الحسنى آثار في الخلق تترتب عليه، ومن مقتضى ذلك أن تكون أفعاله - سـبحانه وتعالى -، وما يجري به قضـاؤه وقدره لا يخلو من الحكمة، علمها من علمها وجهلها من جهلها، وسـنحاول هنا أن نتأمل بعض - وليس كل - أسرار الابتلاء بأنواعه المختلفة.

أولا: حكمة الابتلاء بالضراء أو الشر:

للابتلاء بالضراء أو الشر حكم عديدة نشير إلى أهمها فيما يلي:

أ – تقوية الإيمان بالقضاء والقدر:

يقول الشيخ محمد بن عثيمين: على الإنسان أن يؤمن بقضاء الله وقدره، قال تعالى:{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾} [الحج: ٧٠]،{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾} [الحديد: ٢٢].

وعلى المسـلمين أن يؤمنوا بمشـيئة الله في عموم ملكه فإنه ما من شيء في السـماوات أو في الأرض إلا وهو ملك لله عز وجل:{لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾} [المائدة: ١٢٠]، ومـا من شيء في ملكـه إلا وهو بمشـيئته وإرادته فبيده الملك، وبيده مقاليد السماوات والأرض، ما من شيء يحدث من رخاء وشدة، وخوف وأمن، وصحة ومرض، وقلة وكثرة، إلا بمشـيئته سـبحانه وتعالى. هو سبحانه خالق الإنسان ومدبره، فللإنسان عزيمة وإرادة، ولـه قـدرة وعمـل، والذي أودع فيه تلك العزيمة وخلق فيه القدرة هو الله عز وجل ولو شاء لسلبه الفكر فضاعت إرادته، ولو شاء لسلبه القدرة فما استطاع العمل.

إن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة لا يتم الإيمان إلا به، لكنه ليس حجة للإنسان على فعـل معاصي الله أو التهاون بما أوجب الله، وجه ذلك أنّ الله أعطاك عقلا تتمكن به من الإرادة، وأعطاك قدرة تتمكن بها من العمل فلذلك إذا سـلب عقل الإنسـان لم يعاقب على معصية، ولا ترك واجب، وإذا سلب قدرته على الواجب لم يؤاخذ بتركه.

إن الاحتجاج بالقدر على المعاصي أو ترك الواجبات حجة داحضـة باطلة أبطلها الله في كتابه ويبطلها العقل والواقع.

أبطلها الله في كتابه فقال تعالى:{ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ } [النساء: ١٦٥].

ب – الابتلاء جسر يوصل إلى أكمل الغايات:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: إذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته وجدت أنه ساقهم به إلى أجلّ الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الجسر لكماله كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة إلا عليه، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين المنهج في حقهم والكرامة، فصورته صورة ابتلاء وامتحان وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنة عظيمة تجنى من قطوف الابتلاء والامتحان، فتأمل حال أبينا آدم ♠ وما آلت إليه محنته من الاصطفاء والاجتباء والتوبة والهداية ورفعة المنزلة، ولولا تلك المحنة التي جرت عليه وهي إخراجه من الجنة وتوابع ذلك لما وصل إلى ما وصل إليه.

ج – الابتلاء وسيلة للتمكين في الأرض:

قيل للشافعي - رحمه الله - يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل أن يمكّن أو يبتلى؟ (أي بالضراء)، فقال الشافعي: لا يمكّن حتى يبتلى، فإنّ الله تعالى ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا - صلوات الله عليهم أجمعين - فلما صبروا (على الابتلاء) مكّنهم.

د – تمحيص المؤمن وتخليصه من الشوائب المنافية للإيمان:

إن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم أو في أرزاقهم، أو غير ذلك مما يتصل بهم مما يسرهم الكمال فيه ويؤلمهم النقص منه، تكمن حكمتها في التمحيص الناتج عن هذا الابتلاء والإمتحان، يقول الله تبارك وتعالى: {إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [آل عمران: ١٤٠ - ١٤٢].

فالبلايا والمحن محك يكشــف عما في القلوب وتظهر به مكنونات الصــدور، ينتفي بها الزيف والرياء، وتنكشـف الحقيقة بكل جلاء.. تطهير لا يبقى معه زيف ولا دخل، وتصحيح لا يبقى فيه غبش ولا خلل، إن الشـدائد والنوازل تستجيش مكنون القوى وكوامن الطاقات. وتتفتح بها في القلوب منافذ ما كان ليعلمها المؤمن في نفســه إلا حين تعرض للابتلاء، وعند الحوادث يتميز الغبش من الصفاء والهلع من الصبر، والثقة من القنوط.

فالابتلاء قد يقتضيـ في بعض أشــكاله أن يكون بالمصــيبة وبما تكره النفوس، وتحمّل المؤمن مصـائب الامتحان الإلهي بصبر وصـدق مع الله ورضا بقضـائه وقدره؛ هو من أفضل أعماله الصــالحة، التي يكتب الله له بها أجرا عظيما وثوابا جزيلا. قال الله تعالى:{ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾} [التوبة: ١٢٠ - ١٢١]، إن هذه الضراء ليست هي خاتمة المطاف، وسرعان ما تنقشــع وتزول، يقول الله تعالى:{فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ } [الشرح: ٥ - ٦]. فهذه مصائب امتحان، وهي في سبيل الله، وتحملها والصبر عليها من صالحات الأعمال.

هـ - الردع والتحذير من الغرور:

إنّ العقوبـة العاجلة على ما اقترفه الإنســان أو الجماعة أو الأمة من معاص تقتضيــ حكمـة المولى عز وجـل أن تعجـل عقوبتها حيث إن فيها ردعا وتحذيرا وعبرة، لهم ولغيرهم من الأفراد والجماعات، وقد أشــارت إلى ذلك الآية الكريمة:{كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ } [الأعراف: ١٦٣]. وقوله عز من قائل:{وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ } [الأعراف: ١٦٥]، وقـال ســبحـانـه:{قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾} [الأنعام: ١١].

و الرحمة بالعصاة والتخفيف عنهم يوم القيامة:

من حكمة الابتلاء بالعقوبة أن يعجل الله للمذنب عقوبته فتأتيه في الدنيا تخفيفا عنه يوم القيامة، يقول الله عز وجل:{ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾} [الشورى: ٣٠].

قال علي رضي الله عنه: هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل، وإذا كان يكفّر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه!! وقد روي عنه مرفوعا قوله رضي الله عنه: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي صلي الله عليه وسلم:{ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ } [الشورى: ٣٠]، يا علي، ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يثنّى عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة** [1].

وقال ابن عون: إن محمد بن سيرين لما ركبه الدّين اغتم لذلك، فقال: إني لأعرف هذا الغم، هذا بذنب أصبته منذ أربعين سنة. وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا بها.

ز – إقامة حجة العدل على العباد:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: ومنها (أي من الحكم في الابتلاء بالضراء) إقامة حجة عدله عز وجل على عبده ليعلم هذا العبد أن لله عليه الحجة البالغة، فإذا أصابه من المكروه شيء فلا يقول: من أين هذا؟ ولا من أين أتيت؟ ولا بأي ذنب أصبت؟ وما نزل بلاء قط إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة.

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، انظر سنن الترمذي، حديث رقم (٢٥٠٧).

ومن المواقف:

الإمام البويطي: قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم!:

هو العلامة، سـيد الفقهاء، يوسـف أبو يعقوب بن يحيى المصري البويطي صـاحب الشافعي ولازمه مدة وفاق الأقران، وكان إماماً في العلم قدوة في العمل زاهداً ربانياً متهجداً، دائم الذكر.. سـعى به أصـحاب ابن أبي دُؤاد حتى كتب فيه ابن أبي دُؤاد إلى والي مصر ـــ فامتحنه أي في محنة خلق القرآن فلم يجب، وكان الوالي حسـن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك، قال: إنه يقتدى بي مئة

ألف، ولا يدرون المعنى!! فأمر به أن يحمل إلى بغداد.

قال الربيع بن سـليمان: رأيته على بغل في عنقه غلٌ، وفي رجليه قيدٌ وبينه وبين الغل سـلسـلة فيها لَبِنَةٌ طوبة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق الله الخلق ـــ بكن فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقاً خُلق بمخلوق.. ولئن دخلت عليه لأَصْدُقَنّه يعني الواثق ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم ـــ.

وتوفي رحمه الله في قيده مسجوناً بالعراق في سنة إحدى وثلاثين ومئتين من الهجرة.

الإمام نعيم بن حماد: إني مخاصم:

هو العلامة صـاحب التصـانيف، وكان شـديداً في الرد على الجهمية حُمل إلى العراق في إبان تلك الغيمة مع البويطي مقيدين..

وكان يقول: من شـبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصـف به نفسـه فقد كفر، وليس في ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه ـــ.

قال ابن يونس: حُمل على القول بتلك الفرية فامتنع أن يجيب فسجن ومات في سجنه سـنة تسع وعشرين ومئتين، وجر بأقياده، فألقي في حفرة، ولم يكفن ولم يصلى عليه.. وأوصى نُعيم بن حماد أن يدفن في قيوده وقال: إني مخاصم ـــ.

الإمام الخزاعي: إني لأحتسب خُطاي إلى هذا الكافر:

هو أبو عبد الله أحمد بن نصر الخزاعي، كان أماراً بالمعروف، قوالاً بالحق من أكابر العلماء العاملين، ومن أهل العلم والديانة.

حمل من بغداد إلى سامراء مقيداً، وجلس له الواثق فقال له: ما تقول في القرآن؟ــ قال: كلام اللهــ، قال: أفمخلوق هو؟ــ قال: كلام اللهــ قال: فترى ربك يوم القيامة؟ــ قال: كذا جاءت الروايةــ قال: ويحك يُرى كما يُرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان، ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته...ــ، ما تقولون فيه؟

فقال قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم، ووافقه فقهاء، قال الواثق: ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقده، ودعا بالسيف وقام. وقال: إني لأحتسب خُطاي إلى هذا الكافر.. فضرب عنقه بعد أن مدوا له رأسه بحبل وهو مقيد.

قال الحسن بن محمد الحربي: سمعت جعفر الصائغ يقول: رأيت أحمد بن نصر حين قتل... قال رأسه: لا إله إلا الله والله أعلم.

وعُلق في أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأس أحمد بن نصر دعاه

الإمام إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فجعله الله إلى ناره وبقي رأسه منصوباً ببغداد، والبدن مصلوباً بسامراء وفي رجليه زوج قيود.

محنة الإمام أحمد بن حنبل مع الخلفاء:

كان في بغداد أيام المأمون تيارات ثقافية متضادة: منها ما كان عليه السلف الصالح من أهل السنة والجماعة الممثل في حلقات أهل الحديث والفقهاء وغيرهم ممن يرجعون إلى النصوص الشرعية. ويثبتون لله ما أثبته لنفسه وما صح عن رسوله صلي الله عليه وسلم إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تأويل ولا تعطيل ومن أبرز هؤلاء: الإمام أحمد ومحمد بن نوح وأحمد بن نصر الخزاعي وغيرهم. ومنها تيار المعتزلة القائلين بخلق القرآن وتأويل آيات الصفات وغير ذلك مما هو معروف من مذهبهم: كالقول بالعدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان الرشيد يقاوم القول بخلق القرآن فلم يجرؤ أحد عليه مدة حياته كما روي عن محمد بن نوح قال: سمعت هارون الرشيد يقول: بلغني أن بشرا المريسي زعم أن القرآن

مخلوق، علي إن أظفرني الله به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد قط، فلما مات الرشـيد وتولى الأمين أراد المعتزلة حمله على ذلك فأبى.

فلما تولى المأمون الخلافة، وكان يميل إلى المعتزلة ويقربهم وكان أسـتاذه أبو الهذيل العلاف من زعماء المعتزلة وكذلك قاضيه أحمد بن أبي دؤاد فأشار عليه ابن أبي دؤاد بإظهار القول بخلق القرآن، فأظهر القول بذلك عام ٢١٢ هـ فكان المأمون يناظر من يغشى مجلسه في ذلك ولكنه لم يلزم بذلك أحدا بل ترك الناس أحرارا فيما يذهبون إليه، فلما كان ٢١٨ هـ رأى المأمون حمل الناس وخصوصا العلماء والقضاة والمفتين على القول بخلق القرآن الكريم؛ وكان المأمون آنذاك في الرقة فأرسل إلى واليه على بغداد إسحاق بن إبراهيم وهو صاحب الشرطة ببغداد أن يجمع من بحضرته من القضاة ويمتحنهم فيما يقولون ويعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه، ويعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله بمن لا يقول بهذا القول وكان ذلك في ربيع الأول من عام ٢١٨ هـ

فثار العلماء حين سـمعوا كتاب المأمون إلى نائبه في بغداد وقال واحد منهم: لقيت ثمانمائة شـيخ ونيفا وسـبعين فما رأيت أحدا يقول بهذه المقالة - يعني خلق القرآن - وقد حبس وعذب وقتل في هذه المحنة خلائق لا يحصـون كثرة كما يراه القارئ المتتبع لتلك الحقبة من التاريخ، وصارت هذه المحنة هي الشغل الشاغل للدولة والناس خاصتهم وعامتهم وأصبحت حديث مجالسهم وأنديتهم وحاضرتهم وباديتهم في العراق وغيره وقام الجدل فيها بين العلماء، ووقع امتحان الأمراء للعلماء والقضاة والفقهاء والمحدثين في مصر والشام وفارس وغيرها حتى تناول الإمام البخاري وشيوخه الأجلة الأفذاذ: يحيى بن معين وعلي بن المديني ويزيد بن هارون وزهير بن حرب وغيرهم من الأئمة المجمع على جلالتهم وإمامتهم في حفظ السنة المطهرة وعلومها.

وأرسل المأمون لصاحب الشرطة في بغداد بأن يوافيه بجواب من امتحن منهم فوافاه بجوابهم وإذا هو يتضـمن إنكار هذه المقالة والتشـنيع على من قال بها فلم يقتنع المأمون بذلك، فبعث إليه بكتاب ثان يأمره فيه بإشخاص سبعة من المحدثين المشهورين في بغداد أو ثمانية وهم -: محمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو مسلم ويحيى بن معين وزهير بن حرب وإسماعيل بن داود وإسماعيل بن أبي مسعود وأحمد بن إبراهيم الدورقي. لكي يمتحنهم وفي مقدمتهم أحمد بن حنبل. إلا أن ابن أبي دؤاد حذف اسـم الإمام أحمد من القائمة لمعرفته بصلابته وشدته في هذا الأمر.

ثم أمر المأمون بعد ذلك بحمل الإمام أحمد ومحمد بن نوح إليه في طرسوس فحملا إليه بأغلالهما فأما محمد بن نوح فمات في أثناء الطريق قبل أن يصل. وأما الإمام أحمد ومرافقوه فبلغهم وفاة المأمون قبل وصولهم فعادوا إلى بغداد، وألقي الإمام أحمد في الحبس. ويقال: إن أحمد دعا على المأمون وكانت وفاة المأمون في عام ٢١٨.

ثم تولى الخلافة المعتصم، وكان المأمون قد أوصاه بتقريب ابن أبي دؤاد والاستمرار بالقول بخلق القرآن وأخذ الناس بذلك. وكان أحمد في السجن فاستحضره من السجن، وعقد له مجلسا مع ابن أبي دؤاد وغيره؛ وجعلوا يناقشونه في خلق القرآن، وأحمد يستدل عليه بالنصوص الواردة. ويقول لهم: أعطوني دليلا من كتاب الله أو سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم، وانفض المجلس ذلك اليوم دون شيء، وأمر المعتصم برده إلى السجن. وفي اليوم التالي أحضر من السجن، وعقد المجلس وكان موقفه رائعا جليلا كموقفه في الأمس ورغم المحاولات والمناقشات صمم الإمام أحمد على كلامه، وفشل القوم كفشلهم بالأمس. وانفض الاجتماع، ورد الإمام أحمد إلى السجن، وفي اليوم الثالث أعيد انعقاد المجلس، وأحضر الإمام أحمد من السجن وأعيدت المناقشة. وكان المعتصم عند عقد مجلس المناظرة قد بسط بمجلسه بساطا، ونصب كرسيا جلس عليه وازدحم الناس إذ ذاك كازدحامهم أيام الأعياد، وكان مما دار بينهم أن قال للإمام أحمد: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله غير مخلوق قال الله تعالى:{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة: ٦].

قال: هل عندك حجة غير هذا؟ قال: نعم قول الله تعالى:{ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾} [الرحمن: ١ - ٢]، ولم يقل خلق القرآن، وقال تعالى:{يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾} [يس: ١ - ٢]، ولم يقل المخلوق، فقال المعتصم: أعيدوه للحبس وتفرقوا، فلما كان من الغد جلس المعتصم مجلسه ذلك. وقال: هاتوا أحمد بن حنبل فاجتمع الناس، وسمعت لهم ضجة ببغداد فلما جيء به، وقف بين يديه والسيوف قد جردت والرماح قد ركزت والأتراس قد نصبت والسياط قد طرحت.

فسأله المعتصم عما يقول بالقرآن. قال: أقول غير مخلوق، وأستدل بقوله تعالى:{وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى} [السجدة: ١٣] الآية، قال: فإن يكن القول من الله تعالى فإن القرآن كلام الله، وأحضر المعتصم له الفقهاء والقضاة فناظروه بحضرته ثلاثة أيام وهو يناظرهم، ويظهر عليهم بالحجج القاطعة ويقول: أعطوني دليلا من كتاب الله أو كلام رسوله صلي الله عليه وسلم، فقال المعتصم قهرنا أحمد وحلف ليضربنه بالسياط، وأمر

الجلادين فأحضروا ولما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم فقال: ائتوني بغيرها.

قـال أبو عبد الله: ثم صـــيرت بين العقابين [١]. فعلق الإمام أحمد بالعقابين، ورفع حتى صار بينه وبين الأرض مقدار قبضة، قال أحمد: وشدت يداي وجيء بكرسي فوضع له - يعني للمعتصـم - وابن أبي دؤاد قائم على رأسـه والناس أجمعون قيام ممن حضر، فقال لي إنسان ممن شـهدني: خذ بناتي الخشـبتين بيدك، وشد عليهما فلم أفهم ما قال. قال: فتخلعت يداي لما شددت، ولم أمسك الخشبتين، قال أبو الفضل - يعني ابنه صالحا - ولم يزل أبي - رحمه الله - يتوجع منهما من الرسـغ إلى أن توفي، قال أبو عبد الله فقلت: يا أمير المؤمنين إن رسـول الله صـلي الله عليه وسلم قال: **لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث**ـــ [٢]. الحديث. فبم تسـتحل دمي وأنا لم آت شـيئا من هذا. يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل كوقوفي بين يديك، يا أمير المؤمنين راقب الله، فلما رأى المعتصـم ثبوت أبي عبد الله وتصـميمه لان فخشي ـ ابن أبي دؤاد من رأفته عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن تركتـه قيـل: إنك تركت مذهب المأمون وســخطت قوله، أو أن يقال: غلب خليفتين فهاجه ذلك، وطلب كرسـيا جلس عليه، وقام ابن أبي دؤاد وأصـحابه على رأسـه ثم قال للجلادين: تقدموا وجعل أحدهم يتقدم إلى الإمام أحمد فيضر ـبه سـوطين ثم يتنحى ثم يتقدم الآخر فيضربه سوطين، والمعتصم يحرضهم على التشديد في الضرب، ثم قام إليه المعتصم وقال له يا أحمد: علام تقتل نفسـك إني والله عليك لشـفيق فما تقول؟ فيقول أحمد: أعطوني دليلا من كتاب الله وسـنة رسـوله حتى أقول به، ثم رجع المعتصـم، فجلس فقال للجلاد: تقدم وحرضـه على إيجاعه بالضر ـب ويقول: شـدوا قطع الله أيديكم، قال أحمد: فذهب عقلي عند ذلك فلم أفق إلا وقد أفرج عني ثم جيء بي إلى دار إسـحاق ابن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر فصـليت فقالوا صليت والدم يسيل منك فقلت: قد صلى عمر رضي الله عنه وجرحه يثعب دما وكان ذلك في رمضان سنة ٢١٨. ثم نقل أحمد إلى بيته واستقر فيه حيث لم يقو على السير فلما برئت جراحه، وقوي جسـمه خرج إلى المسـجد، وصـار يدرس في المسـجد ويملي الحديث حتى مات المعتصم.

---

(١) والعقابان بضم العين خشبتان يوضع بينهما الرجل ليجلد قاله في تاج العروس.

(٢) صـحيح البخاري الديات (٦٤٨٤)، صحيح مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٦)، سنن الترمذي الديات (١٤٠٢)، سـنن النسـائي تحريم الدم (٤٠١٦)، سـنن أبو داود الحدود (٤٣٥٢)، سـنن ابن ماجه الحدود (٢٥٣٤)، مسند أحمد بن حنبل (٣٨٢/١)، سنن الدارمي الحدود (٢٢٩٨).

فلما ولى الواثق منع الإمام أحمد من الاجتماع بالناس وقال: لا تساكني في بلد أنا فيه فأقام الإمام ببغداد مختفيا لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق، وذلك مدة خمس سنوات تقريبا.

فلما تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢ بقيت المحنة قائمة خلال عامين من حكمه ثم رفعت سنة ٢٣٤ وكانت قد بدأت من السنة الأخيرة من خلافة المأمون وهي سنة ٢١٨ وانتهت في السنة الثانية أو الثالثة من خلافة المتوكل سنة ٢٣٤ حيث أوقف المتوكل أخذ الناس بالمحنة. وأصدر إعلانا عاما في كافة أنحاء الدولة نهى فيه عن القول بخلق القرآن، وتهدد من يخوض في ذلك بالقتل فعم الناس الفرح في كل مكان، وأثنوا على سجايا الخليفة ومآثره ونسوا شروره ورذائله، وسمع الدعاء له من كل جانب، وذكر اسمه مع اسمي الخليفتين أبي بكر وعمر وعمر بن عبد العزيز.

وكان المتوكل يكره العلويين، ويسرف في مطاردتهم فجعل المعتزلة يحيكون دسائسهم لدى الخليفة ضد الإمام أحمد، ويتهمونه بالجنوح إلى العلويين، وتتطور المحنة لتأخذ لونا آخر، وتشتد الرقابة على الإمام أحمد وامتدت أعناق أهل الفتنة فاتهموا الإمام أحمد لدى الخليفة أنه يؤوي في بيته أحد العلويين ذوي القدر الخطير ويثور الخليفة فيرسل من فوره إلى بغداد لمفاجأة بيت الإمام أحمد والقبض على العلوي المزعوم، وفي ليلة من الليالي بعد أن نام الناس، وهدأت الحركة وأرخى الليل سدوله على بغداد الهادئة الساكنة سمع أحمد دقا عنيفا على باب داره فقام إلى الباب ففتحه فإذا به أمام رجلين وامرأتين أما الرجلان فهما مظفر حاجب عبد الله بن إسحاق نائب بغداد والآخر ابن الكلبي صاحب البريد. وأما المرأتان فمهمتهما هي مهمة البوليس النسوي في أيامنا هذه. قال مظفر: يقول لك الأمير: إن أمير المؤمنين كتب إليه أن عندك طلبته العلوي، وقال ابن الكلبي: نعم إنك تؤوي في بيتك علويا من أعداء أمير المؤمنين وقد جئنا لأخذه، فقال الإمام أحمد: إني لا أعرف هذا ولا أرى سوى طاعة أمير المؤمنين في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثرة. وسكت الإمام قليلا سكتة ذكر فيها حرمانه من المسجد بدون مسوغ، واستأنف يقول: إني أتأسف عن تأخري عن الصلاة وعن حضور الجمعة ودعوة المسلمين، قال ابن الكلبي: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلفك ما عندك طلبته أفتحلف؟ قال أحمد: إن استحلفتني حلفت فأحلفه ابن الكلبي بالله، فحلف وبالطلاق فحلف. وكان نساء الدار والصبيان قد حضروا، وحضر ابنه صالح فقال ابن الكلبي: أريد أن أفتش منزلك ومنزل ابنك صالح، وقام مظفر وابن الكلبي ففتشا البيت وفتشت المرأتان النساء فلم يعثروا على شيء وفتشا بيت صالح، فلم يجدا شيئا وفتشت المرأتان

أماكن الحريم وجاءوا بشمعة فأدلوها في البئر، وانصرفوا بعد أن لم يجدوا شيئا.

وتولى ابن الكلبي وصف حال الإمام أحمد للمتوكل من احتباسه عن الجمعة والجماعة بدون مسوغ ومن صدق لهجته فيما يكن لأمير المؤمنين من السمع والطاعة في المنشط والمكره ومن براءته مما عزاه إليه خصومه، وأذن الله بانكشاف الغمة فجاءه بعد يومين كتاب من علي بن الجهم أن أمير المؤمنين قد صح عنده براءتك مما قذفت به وكان أهل البدع قد مدوا أعناقهم فالحمد لله الذي لم يشمتهم بك.

وأقبلت الخلافة على الإمام تخطب وده وتطلب المؤانسة بقربه والتبرك بدعائه وأخذت الأيام تدبر مولية عن المعتزلة. فمرض ابن أبي دؤاد بالفالج، وجاء بعض أعيان الدولة يتقربون إلى الإمام أحمد بذكر ما نزل بابن أبي دؤاد ويومئون إلى أن كرامة الإمام على الله أوجبت ذلك القصاص فلم يلتفت إليهم الإمام أحمد وصمت ولم يرد، وظهر عليه التبرم بما قالوا.

ومضت الأيام في إدبارها على المعتزلة فغضب الخليفة على ابن أبي دؤاد وقبض على أبنائه وصادر أملاكه وأمواله وجواهره، وأخذ ابن أبي دؤاد إلى بغداد بعد أن أشهد عليه ببيع ضياعه فكان يأتي إلى الإمام أحمد من يحمل إليه تلك الأنباء فيكرم نفسه أن تنزل إلى مستوى الشماتة الرخيص بل كان الخليفة نفسه يرسل إليه كأنه يستفتيه فيما يرى من مصير أموال ابن أبي دؤاود فكان يسكت ولا يجيب بشيء وهو موقف جدير أن يلقي على الناس دروسا في عظمة النفس وشدة الإقبال على جلائل الأمور والانصراف عن سفاسفها وتوافهها رحم الله الإمام أحمد لقد كان إماما في كل مكرمة.

ثم أرسل إليه الخليفة المتوكل كتابا يقول فيه: قد صح نقاء ساحتك، وقد أحببت أن آنس بقربك وأتبرك بدعائك وقد وجهت إليك بعشرة آلاف درهم معونة على سفرك وفرح آل أحمد بالعافية تقبل مع السعة والجاه، وحل بالدار نشاط وأنس، ودب فيها بعد الوحشة دبيب الحركة بمن صار يغشاها من رسل الخليفة وكبار رجال الدولة. قال ابنه صالح: لما جاء كتاب المتوكل بالمال ناداني أبي في جوف الليل فقمت إليه فإذا به يبكي فلما رآني قال: ما نمت ليلتي هذه سلمت من هؤلاء حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم.

فلما كان الصباح جاء الحسين البزاز والمشايخ فقال: يا صالح جئني بالميزان وبالدراهم ثم أخذ يزن المال ويقول: وجهوا هذا إلى أبناء المهاجرين وهذا إلى أبناء الأنصار وهذا لفلان ليفرق في ناحيته وهذا لفلان وهكذا حتى فرقها كلها فلما فرقها أحس أنه فرق معها كربته وتنفس الصعداء ونفض الكيس ثم تصدق به.

وكان لا بد لأحمد من تلبية أمر الخليفة لا خضوعا لقوة السلطان بل وفاء لحق السمع والطاعة الذي فرضه الإسلام لأولي الأمر في غير معصية، فخرج من بغداد إلى سامراء ومعه يعقوب المعروف بقوصرة وهو الرسول الذي حضر إليه من لدن الخليفة بالمال والخطاب وخرج معه بعض بنيه وكان يعقوب شديد السرور بنجاح مهمته فقد قبل أحمد بن حنبل أن يخرج معه، وكان يدرك مبلغ السرور الذي سيدخل قلب أمير المؤمنين بذلك.

نزل الإمام بسامراء ضيفا على أمير المؤمنين ولم يكن للخليفة من هم بعد أن عرف كل شيء عن أحمد إلا أن يرضيه، وأن لا يحمله علي شيء يكرهه.

عرف الخليفة أن أحمد لا يقبل ماله فلم يكن له بد من النزول على رغبته واحترام إرادته ولكن لا بد من أن يصله في قرابته فليكن المال لأهله وبنيه دون أن يعلم وتسلم صالح ابنه بأمر الخليفة عشرة آلاف على الفور مكان التي فرقها أبوه ببغداد على أبناء المهاجرين والأنصار وسواهم.

وعرف رجال القصر لهفة الخليفة وشدة إقباله على أحمد وإكباره له فأقبلوا عليه بمثل ما أقبل سيدهم كل يخطب وده ويبتغي إليه المنزلة ويحاول أن يسره بما يستطيع.

أمر الخليفة أن تفرش الدار التي هيئت له بالفرش الوثيرة وأن ترتب له ومن معه من بنيه مائدة شهية واسعة وأمر أن يقطع له ملابس فاخرة: طيلسان وقلنسوة وشارات رسمية من السواد الذي اختارته الدولة العباسية شعارا لها.

ويحضر يحيى بن خالد فيقول: إن الخليفة أمرني أن أصير لك مرتبة في أعلى ويصير ولده المعتز في حجرك تؤدبه بما شئت من أدب القرآن وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم.

وجاء يحيى في اليوم التالي يدعوه أن يركب إلى دار المعتز ويقول في لهجة مهذبة: تركب يا أبا عبد الله فيقول الإمام أحمد: ذاك إليكم وكان يوما مشهودا في القصر ألبسوه هناك الطيلسان وما أمر له به الخليفة من ألوان الثياب والشارات ويقول بعض الخدم: إن الخليفة كان مع أمه مستترين خلف ستار من ستور القصر يرقب في خفاء ما يكون من

أحمد، فلما رآه يدخل أخذته خفة وغشـيته هزة من الفرح ولمع السرور في عينيه وقال. يا أمه قد أنارت الدار بدخول أحمد.

يقول ابنه صالح: لما عاد أبي من القصر إلى الدار التي أعدت له نزع عنه الثياب التي أنعم بها عليه. وجعل يبكي ويقول: سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم، ما أحسبني سلمت من دخولي على هذا الغلام فكيف بالخليفة الذي يجب نصحه من وقت أن تقع عيني عليه إلى أن أخرج من عنده؟! ثم التفت إلى الملابس وقال لابنه: وجه بهذه الثياب إلى بغداد لتباع وحذار أن يشتري أحد منكم شيئا منها.

أما الفرش الوثيرة الطرية فقد نحى نفسه عنها، وألقى بنفسه على مضربة خشنة له، ونظر إلى حجرة في جانب الدار فأمر أن يحول إلى ركن منها وأن لا يسرج فيها سراج قط، وأما المائدة فقد عافها فلم يدخل بطنه شيء منها وكانت شهية حافلة.

وأخيرا بلغ الضجر بالإمام أحمد كل مبلغ وبرم بكل شيء وزهد في كل شيء ولم يعد أبغض إليه من أن يلقى رجال الخليفة حتى كان يدعهم مع بنيه في الدهليز، ويقبل على صلاته ما شاء الله، وكان المرض ينزل به فيراه عافية سابغة لما فيه من عافية احتجابه عنهم. اشتكت عينه مرة فلما برئت ضاق ببرئها وقال لولده صالح: ألا تعجب كانت عيني تشتكي فتمكث حينا حتى تبرأ ثم هي في هذه المرة تبرأ في سرعة. والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان أيام المعتصم وإني لأتمنى الموت في هذا، إن هذا فتنة الدنيا وكان ذاك فتنة الدين نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وأما مرضه ووفاته فإنه مرض تسعة أيام قال ابنه عبد الله: سمعت أبي يقول: استكملت سبعا وسبعين سنة فحم من ليلته وهو محموم يتنفس تنفسا شديدا، وقال صالح: وكنت قد عرفت علته وكنت أمرضه إذا اعتل.

وجاء الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده فحجبه وأتى ابن علي بن الجعد فحجبه، وكثر الناس فقال لي: أي شيء ترى؟ قلت: تأذن لهم فيدعون لك قال: أستخير الله تعالى فأذن لهم فجعلوا يدخلون عليه أفواجا، ويسلمون عليه ويرد عليهم بيده، ويسألونه عن حاله، ويدعون له حتى تمتلئ الدار، ثم يخرجون ويدخل فوج آخر، وكثر الناس، وامتلأ الشارع، وأغلقنا باب الزقاق، وجاء رجل من جيراننا قد خضب فسر به، وقال: إني لأرى الرجل يجيء شيئا من السنة فأفرح به فدخل فجعل يدعو له فيقول أبي: ولجميع المسلمين.

وجاء رجل فقال: تلطف لي بالإذن عليه فإني قد حضرت ضربه يوم الدار، وأريد أن استحله. فقلت له، فأمسك فلم أزل به حتى قال: أدخله فأدخلته فقام بين يديه وجعل يبكي وقال: يا أبا عبد الله أنا كنت ممن حضر ضربك يوم الدار، وقد أتيتك فإن أحببت القصاص فأنا بين يديك وإن رأيت أن تحلني فعلت. قال: على أن لا تعود لمثل ذلك قال: نعم قال: فإني جعلتك في حل فخرج يبكي وبكى من حضر من الناس ثم قال: وجه فاشتر تمرا وكفر عني كفارة يمين فأخبرته بأني قد فعلت قال: الحمد لله. ثم قال اقرأ علي الوصية فقرأتها فأقرها وكنت أنام إلى جنبه فإذا أراد حاجة حركني فأناوله، وجعل يحرك لسانه ولم يئن إلا في الليلة التي توفي فيها، ولم يزل يصلي قائما أمسكه فيركع ويسجد وأرفعه في ركوعه ولم يزل عقله ثابتا.

وتسامع الناس بمرضه وكثروا وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل ببابه وباب الزقاق المرابطة وأصحاب الأخبار، ثم أغلق باب الزقاق حتى تعطل بعض الباعة، وحيل بينهم وبين البيع والشراء، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور وربما تسلق، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب وجاءه صاحب ابن طاهر فقال: إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهي أن يراك فقال: هذا مما أكرهه وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره، وأصحاب الخير يكتبون بخبره إلى العسكر. والبرد تختلف كل يوم وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه وجعلوا يبكون، وجاء قوم من القضاة وغيرهم فلم يؤذن لهم فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال: ادعوا لي الصبيان بلسان ثقيل فجعلوا ينضمون إليه وجعل يشمهم ويمسح بيده على رؤوسهم وعينه تدمع فقال له رجل: لا تغتم لهم يا أبا عبد الله فأشار بيده فظننا أن معناه إني لم أرد هذا المعنى. وكان يصلي قاعدا ويصلي وهو مضطجع لا يكاد يفتر ويرفع يده في إيماء الركوع واشتدت علته يوم الخميس ووضأته فقال: خلل الأصابع، وثقل ليلة الجمعة فلما كان يوم الجمعة الموافق اثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام ٢٤١ توفي صدر النهار لساعتين منه فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت وامتلأت السكك والشوارع وقال صالح: وجه ابن طاهر يعني نائب بغداد بحاجبه مظفر ومعه غلامين معهما مناديل فيها ثياب وطيب فقلت: أقرئ الأمير السلام وقل له: إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه في حياته مما كان يكره، ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكرهه في حياته.

وقـد كـانـت الجـارية غزلت له ثوبا عشـــاريا قوم بثمانية وعشرـــين درهما ليقطع منه قميصـين فقطعنا له لفافتين وأخذ منه فوران لفافة أخرى فأدرجناه في ثلاث لفائف واشترينا له حنوطا وفرغ من غسله وكفناه، وحضر نحو مائة من بني هاشم ونحن نكفنه، وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرـير، وقال صـالح: وجه الأمير ابن طاهر فقال: من يصــلي عليه؟ قلـت: أنـا، فلما صرت إلى الصـــحراء إذا ابن طـاهر واقف فخطا إلينا خطوات وعزانا ووضـــع السرـير فلما انتظرت هنيهة تقدمت وجعلت أسـوي صـفوف الناس فجاءني ابن طاهر فقبض هـذا على يدي ومحمد بن نصرـــ على يدي وقالوا: الأمير. فمانعتهم فنحياني وصـــلى ولم يعلم النـاس بذلك فلما كان من الغد علم الناس فجعلوا يجيئون ويصـــلون على القبر، ومكث الناس ما شاء الله يأتون فيصلون على القبر فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة سوى ما كان في الأطراف والحواري والســطوح والمواضــع المتفرقة، ومن كان في الســفن في الماء وقد حزر من حضر جنازته فكانوا سبعمائة ألف وقيل: ثمانمائة ألف وقيل: بلغوا ألف ألف وثلاثمائة ألف، وقيـل غير ذلك مما يدل على أنهم جمع غفير وكان رضي الله عنه يقول في حال صـــحته: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

وقد صـــنفت في ترجمته مصـــنفات مســـتقلة منها: المناقب لأبي الفرج بن الجوزي في مجلد، ومنها لأبي إسـماعيل الأنصاري في مجلدين، ومنها لأبي بكر البيهقي في مجلد، ومنها لأبي زهرة مجلد، ومنهـا لأحمد الدومي في مجلد، وغير ذلك عدا ما في غضـــون كتب التاريخ والتراجم من ذكر مناقبه وثناء الناس عليه رحمه الله وسائر أئمة المسلمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم [١].

(١) المصـــادر: - القاضي أبو الحســـين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة. - ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب. أبو زهرة: أحمد بن حنبل. الدكتور عبد الله العبد المحسن التركي: أصول مذهب الإمام أحمد.
- عبد الحليم الجندي: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة. أحمد عبد الجواد الدومي: أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا - ولتر م. باتون ترجمة عبد العزيز عبد الحق: أحمد بن حنبل والمحنة.
أحمد عبد الرحمن البنا الســاعاتي: الفتح الرباني وشرحه بلوغ الأماني، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد. عبد القـادر بن أحمـد بن بـدران: المـدخـل إلى مـذهب الإمام أحمد بن حنبل. عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، أحمد بن حنبل، مجلة البحوث الإسلامية -.

محنة البخاري:

تعرض البخاري للامتحان والابتلاء، وكثيرا ما تعرض العلماء الصادقون للمحن فصبروا على ما أوذوا في سبيل الله، ولقد حسد البعض البخاري لما له من مكانة عند العلماء وطلاب العلم وجماهير المسلمين في كل البلاد الإسلامية، فأثاروا حوله الشائعات بأنه يقول بخلق القرآن، ولذلك قصة يرويها أبو أحمد بن عدي فيقول: ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل البخاري لما ورد نيسابور اجتمع الناس عليه فحسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه واجتماعهم عليه. فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه في المجلس فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقران مخلوق هو أم غير مخلوق فأعرض عنه البخاري ولم يجبه، فقال الرجل يا أبا عبد الله فأعاد عليه القول فأعرض عنه، ثم قال في الثالثة فالتفت إليه البخاري وقال القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه وقعد البخاري في منزله.

وقالوا له بعد ذلك ترجع عن هذا القول حتى نعود إليك قال لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجة فيما تقولون أقوى من حجتي وأعجبني من محمد بن إسماعيل ثباته، وكان يقول أما أفعال العباد فمخلوقة فقد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا مروان بن معاوية حدثنا أبو مالك عن ربعي عن حذيفة قال: قال النبي صلي الله عليه وسلم: **إن الله يصنع كل صانع وصنعته**.

وبه قال وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول ما زلت أسمع أصحابنا يقولون إن أفعال العباد مخلوقة قال البخاري حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بمخلوق قال الله تعالى{ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ } [العنكبوت: ٤٩].

وقال البخاري: القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر.

وقال أيضا: من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقله إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة.

وقال أحمد بن ســلمة: دخلت على البخاري فقلت يا أبا عبد الله هذا رجل مقبول بخراسان خصوصا في هذه المدينة وقد لج في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيـه فما تـرى فقبـض على لحيتـه ثم قـال:{وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ } [غافر: ٤٤]، اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيســابور أشرا ولا بطرا ولا طلبا للرئاسـة إنما أبت علي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين وقد قصـدني هذا الرجل حســدا لما آتاني الله لا غير ثم قال لي يا أحمد إني خارج غدا لتتخلصــوا من حديثه لأجلي، فأخبرت جماعة أصحابنا فو الله ما شيعه غيري كنت معه حين خرج من البلد وأقام على باب البلد ثلاثة أيام لإصلاح أمره.

وقال محمد بن أبي حاتم أتى رجل عبد الله البخاري فقال يا أبا عبد الله إن فلانا يكفرك فقال: قال النبي صــلي الله عليه وســلم: **إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما** وكان كثير من أصـحابه يقولون له إن بعض الناس يقع فيك فيقول:{إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا } [النسـاء: ٧٦]، ويتلو أيضـا:{وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ } [فاطر: ٤٣]، فقـال لـه عبـد المجيـد بن إبراهيم كيف لا تـدعو الله على هؤلاء الـذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك، فقال: قال النبي صـلي الله عليه وسـلم : **صـبروا حتى تلقوني على الحوض** وقال صلي الله عليه وسلم : **من دعا على ظالمه فقد انتصر**.

محنته مع أمير بخارى:

روى أحمد بن منصـور الشـيرازي قال سـمعت بعض أصـحابنا يقول لما قدم أبوعبد الله بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق أحد إلا اسـتقبله ونثر عليه الدنانير والدراهم والسـكر الكثير فبقي أياما قال فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد بن أحمد أمير بخارى إن هذا الرجل قد أظهر خلاف السـنة فقرأ كتابه على أهل بخارى فقالوا لا نفارقه فأمره الأمير بالخروج من البلد فخرج.

قال أحمد بن منصور فحكى لي بعض أصحابنا عن إبراهيم بن معقل النسفي قال رأيت محمد بن إسـماعيل في اليوم الذي أخرج فيه من بخارى فتقدمت إليه فقلت يا أبا عبد الله كيف ترى هذا اليوم من اليوم الذي نثر عليك فيه ما نثر فقال لا أبالي إذا سلم ديني.

وروي عن بكر بن منير بن خليد بن عســكر أنه قال: بعث الأمير خالد ابن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إســماعيل أن احمل إلي كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسـمع منك فقال لرسوله أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضر في مسـجدي أو في داري وإن لم يعجبك هذا فإنك سـلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة لأني لا أكتم العلم لقول النبي صـلي الله عليه وسلم " من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار " فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

لعل الله يخلصنى بدعائهم:

وقـال أبو عمرو المسـتملى حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلى فقرأ علينا كتاب البويطى إليـه وإذا فيـه والـذى أسـألـك أن تعرض حالى على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصـنى بدعائهم فإنى في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصـلاة فضـج الناس بالبكاء والدعاء له.

انظر إلى هذا الحبر رحمه الله لم يكن أسـفه إلا على أداء الفرائض ولم يتأثر بالقيد ولا بالسجن فرضي الله عنه وجزاه عن صبره خيرا

اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني:

كان أبو يعقوب البويطي إذا سـمع المؤذن وهو في السـجن يوم الجمعة اغتسـل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السـجن، فيقول له السـجان: أين تريد فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عـافـاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني.[1]

* * *

(١) وفيات الأعيان، ٧ / ٦٣.

احوال المجاهدين في سبيل الله

مواقــف عربيــة

أحوال المجاهدين في سبيل الله

الجهاد لغة: مثل المجاهدة مصدر قولهم جاهد يجاهد، وذلك مأخوذ من مادّة (ج هـ د) الّتي تدلّ في الأصل على المشقّة، ثمّ يحمل على هذا الأصل ما يقاربه، ومصدر الثلاثيّ من ذلك قولهم: جهد (بالفتح)، وجهد (بالضّمّ) وكلاهما يعني إمّا: الوسع والطّاقة أو التعب والمشقّة، ومن ثمّ يكون الاختلاف بين الفتح والضّمّ راجعا إلى اختلاف اللّهجات، فهو بالضّمّ لغة أهل الحجاز، وبالفتح في لغة غيرهم، وقال بعض اللّغويّين: إنّ الجهد بالفتح المشقّة، وبالضّمّ الوسع والطّاقة، ومن الجهد بمعنى المشقّة قولهم جهد دابّته وأجهدها إذا حمل عليها في السّير فوق طاقتها، ومن المشقّة أيضا: جهد الرّجل فهو مجهود، يقال أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهدا شديدا، وجهد عيشهم بالكسر أي نكد واشتدّ.

ومن الجهد بمعنى الطّاقة قوله عز وجل:{وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} [التوبة: ٧٩].

أي طاقتهم، قال ابن منظور: قال الفرّاء: الجهد في هذه الآية الطّاقة، تقول هذا جهدي أي طاقتي، وقرأ جهدهم بالفتح من قولك اجهد جهدك في هذا الأمر أي ابلغ غايتك، ولا يقال اجهد جهدك، وقيل: إذا كان المعنى هو المشقّة أو الغاية فالفتح لا غير، وإذا كان الوسع والطّاقة فيجوز الفتح والضّمّ، ويراد بالجهد في حديث أمّ معبد شاة خلّفها الجهد عن الغنم ـ الهزال، ومن ذلك قولهم:

جهد الرّجل إذا هزل، قال الجوهريّ: يقال جهد الرّجل فهو مجهود (من المشقّة)، يقال: أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهدا شديدا، وجهد عيشهم (بالكسر) أي نكد واشتدّ.

ومن الجهد (بالضم) ما جاء في حديث الصّدقة: أيّ الصّدقة أفضل؟ قال: جهد المقلّ أي قدر ما يحتمله حال القليل المال.

والاجتهاد: أخذ النّفس ببذل الطّاقة وتحمّل المشقّة، يقال جهدت رأيي وأجهدته: أتعبته بالفكر، وجاهد العدوّ مجاهدة وجهادا: قاتله، وفي الحديث: **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة** ـ، الجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطّاقة من قول أو فعل، والمراد بالنّيّة: إخلاص العمل لله، أي إنّه لم يبق بعد فتح مكّة هجرة؛ لأنّها قد صارت دار إسلام، وإنّما هو الإخلاص في الجهاد وقتال الكفّار، والجهاد (أيضا) المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللّسان أو ما أطاق من شيء، قال الرّاغب:

والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدوّ الظّاهر، ومجاهدة الشّيطان، ومجاهدة النّفس؛ وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى:{وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ} [الحج: ٧٨]، وقال عليه الصّلاة والسّلام: **جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم، والمجاهدة تكون باليد واللّسان**، قال صلي الله عليه وسلم: **جاهدوا الكفّار بأيديكم وألسنتكم**.

و اصطلاحا: قال الرّاغب: الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدوّ، وقال الجرجانيّ: هو الدّعاء إلى الدّين الحقّ، وقد جمع ابن حجر بين هذين النّوعين من الجهاد وأضاف غيرهما فقال: الجهاد بذل الجهد في قتال الكفّار. ويطلق أيضا على مجاهدة النّفس والشّيطان والفسّاق والكفّار. فأمّا مجاهدة النّفس، فعلى تعلّم أمور الدّين ثمّ على العمل بها ثمّ على تعليمها.

وأمّا مجاهدة الشّيطان، فعلى دفع ما يأتي به من الشّبهات وما يزيّنه من الشّهوات.

وأمّا مجاهدة الكفّار، فتقع باليد والمال واللّسان والقلب.

وأمّا مجاهدة الفسّاق، فباليد ثمّ اللّسان، ثمّ القلب.

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾} [البقرة: ١٥٣ - ١٥٤].

قال تعالى:{وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾} [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٣].

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾} [آل عمران: ١٥٦ - ١٥٨].

قال تعالى:{فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾} [آل عمران: ١٩٥].

قال تعالى:{فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء: ٧٤ - ٧٧].

قال تعالى:{إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾} [التوبة: ٦٠].

قال تعالى:{ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾}

[التوبة: ٨٦ - ٨٩].

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾} [التوبة: ١١١].

قال تعالى:{ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾} [التوبة: ١٢٠].

قال تعالى:{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النحل: ١١٠].

قال تعالى:{وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ } [الحج: ٥٨ - ٥٩].

قال تعالى:{ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾} [التوبة: ٤١].

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ } [الحج: ٧٧ - ٧٨].

قال تعالى:{ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾} [البقرة: ١٩٠ - ١٩٣].

وقال تعالى:{فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا } [النساء: ٨٤].

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا (٩٤)} [النساء: ٩٤].

قال تعالى:{لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا (٩٥) دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا (٩٦)} [النساء: ٩٥ - ٩٦].

وعن أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه عن النّبيّ صلي الله عليه وسلم أنّه قال: **أفضل العمل: الإيمان باللهّ، والجهاد في سبيله**[١].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **ألا أخبرك برأس الأمر كلّه وعموده وذروة سنامه؟** قلت: بلى يا رسول الله قال: **رأس الأمر الإسلام، وعموده الصّلاة، وذروة سنامه الجهاد**[٢].

وعن سهل بن سعد السّاعدي رضي الله عنه أنّ زيد بن ثابت أخبره أنّ رسول الله صلي الله عليه وسلم أملى عليّ:{لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ } [النساء: ٩٥]، قال فجاءه ابن أمّ مكتوم وهو يملّها عليّ. فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان رجلا أعمى - فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلي الله عليه وسلم فخذه على فخذي. فثقلت عليّ حتّى خفت أن ترضّ فخذي. ثمّ سرّي عنه، فأنزل الله عز وجل:{غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ} [النساء: ٩٥][٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله؟ قال: **إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدّرجتين كما بين السّماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنّه أوسط الجنّة، وأعلى الجنّة، وفوقه عرش الرّحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنّة**[٤].

(١) البخاري - الفتح ٥ (٢٥١٨) واللفظ له. ومسلم (٨٤).

(٢) الترمذي (٢٦١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) البخاري - الفتح ٦ (٢٨٣٢).

(٤) البخاري - الفتح ٦ (٢٧٩٠).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسـول الله صـلي الله عليه وسلم سئل: أيّ العمل أفضل؟ فقال: **إيمان باللهّ ورسـوله**ـــ. قيل: ثمّ ماذا؟. قال: **الجهاد في سـبيل الله**ـــ. قيل: ثمّ ماذا؟ قال: **حجّ مبرور**ـــ[١].

عن مجاشـع بن مسـعود رضي الله عنه قال: انطلقت بأبي معبد إلى النّبيّ صلي الله عليه وسـلم ليبـايعـه على الهجرة. قـال: **مضـت الهجرة لأهلهـا، أبـايعـه على الإسـلام والجهاد**ـــ. فلقيت أبا معبد، فسألته فقال: صدق مجاشع[٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم: **تكفّل الله لمن خرج في سـبيله، لا يخرجه إلاّ جهاد في سـبيلي، وإيمان بي، وتصـديق برسلي، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنّة، أو أرجعه إلى منزله الّذي خرج منه بما نال من أجر، أو غنيمة، والّذي نفس محمّد بيده، ما من كلم يكلم في سبيل الله إلاّ جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم. لونه لون دم، وريحه ريح مسـك. والّذي نفس محمّد بيده، لو لا أن يشـقّ على المسـلمين ما قعدت خلاف سريّة تغزو في سـبيل الله أبدا. ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشقّ عليهم أن يتخلّفوا عنّي، والّذي نفس محمّد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثمّ أغزو فأقتل، ثمّ أغزو فأقتل**ـــ[٣].

عن أبي سـعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: جاء أعرابيّ إلى النّبيّ صـلي الله عليه وسـلم. فقال: يا رسول الله أيّ النّاس خير؟. قال: **رجل جاهد بنفسه وماله، ورجل في شعب من الشّعاب يعبد ربّه ويدع النّاس من شرّه**ـــ[٤].

---

(١) البخاري - الفتح ١ (٢٦) واللفظ له. ومسـلم (٨٣) من حديث أبي هريرة و(٨٤) من حديث أبي ذر، و(٨٥) من حديث ابن مسعود.

(٢) البخاري - الفتح ٧ (٤٣٠٧) واللفظ له. ومسلم (١٨٦٣).

(٣) البخاري - الفتح ٦ (٣١٢٣) إلى قوله (أو غنيمة) ومسلم ٣ (١٨٧٦).

(٤) البخاري الفتح ١١ (٦٤٩٤) واللفظ له. وله لفظ آخر ٦ (٢٧٨٦): أي الناس أفضل؟ فقال: ♂مؤمن يجاهد..ـــ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم، فقال: دلّني على عمل يعدل الجهاد. قال: **لا أجده**. قال: **هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تـدخـل مسـجدك فتقوم ولا تفتر، وتصـوم ولا تفطر؟ " قال: ومن يسـتطيع ذلك؟**. قال أبو هريرة: إنّ فرس المجاهد ليستنّ [١] في طوله [٢] فيكتب له حسنات[٣].

وعن سـلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: **رباط يوم وليلة خير من صـيام شـهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الّذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتن**[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النّبيّ صـلي الله عليه وسلم قال: **ما أحد يدخل الجنّة يحبّ أن يرجع إلى الدّنيا وله ما على الأرض من شيء إلاّ الشّـهيد يتمنّى أن يرجع إلى الدّنيا فيقتل عشر مرّات، لما يرى من الكرامة**[٥].

وعن عائشـة ♥: أنّ سـعدا قال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّه ليس أحد أحبّ إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذّبوا رسـولك صـلي الله عليه وسلم وأخرجوه، اللّهمّ فإنّي أظنّ أنّك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم.

قال مجاهد رحمه الله: قلت لابن عمر:

الغزو، قال: إنّي أحبّ أن أعينك بطائفة من مالي، قلت: أوسـع الله عليك، قال: إنّ غناك لك، وإنّي أحبّ أن يكون من مالي في هذا الوجه، وقال عمر:

إنّ ناسا يأخذون من هذا المال ليجاهدوا، ثمّ لا يجاهدون فمن فعله فنحن أحقّ بماله حتّى نأخذ منه ما أخذ.

قال ابن دقيق العيد: الجهاد أفضـل الأعمال مطلقا؛ لأنّه وسيلة إلى إعلان الدّين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه؛ ففضيلته بحسب فضيلة ذلك، والله أعلم.

(١) استن الفرس يستن استنانا: أي عدا لمرحه ونشاطه شوطا أو شوطين ولا راكب على ظهره.

(٢) الطول والطيل بالكسر: الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره والآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى.

(٣) البخاري - الفتح ٦ (٢٧٨٥).

(٤) الترمذي (١١٦٥) وقال: حديث حسـن صـحيح. وعند البخاري من حديث سهل بن سعد، وعند مسلم (١٨٨١) نحوه.

(٥) البخاري - الفتح ٦ (٢٨١٧) واللفظ له. وأحمد (٣/ ١٠٣).

قال العزّ بن عبد السّلام: إذا كانت مشقّة الغبار عاصمة من عذاب النّار فما الظّنّ بمن بذل ماله وغرّر بنفسه في قتال الكفّار.

وقال نقلا عن بعض أهل العلم: إنّ أتمّ الشّرائع وأكمل النّواميس هو الشّرع الّذي يؤمر فيه بالجهاد.

وقال أيضا: إنّما شرفت النّفقة في سبيل الله؛ لأنّها وسيلة إلى أفضل الأعمال بعد الإيمان، وإذا كانت حسنة الوسيلة بسبع مئة فما الظّنّ بحسنة الجهاد في سبيل الله.

وقال أيضا: إنّما ضمن الله الرّجعة والرّضوان والغفران لمن جاهد في سبيله ابتغاء مرضاته ونصرة دينه، فإنّ الله لا يقبل من الأعمال إلاّ ما أريد به وجهه.

وقال: لمّا بذل الشّهداء أنفسهم من أجل الله، أبدلهم الله حياة خيرا من حياتهم الّتي بذلوها وجعلهم جيرانه، يبيتون تحت عرشه ويسرحون من الجنّة حيث شاؤوا، لمّا انقطعت آثارهم من السّروح في الدّنيا.

وقال: من سهر في سبيل الله فقد ترك غرضه من النّوم؛ طاعة لله بما يتجشّمه من خوف العدوّ؛ ولذلك حرّمت عينه على النّار.

وقال: يشرف البذل بشرف المبذول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولمّا كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطّائعين وأشرفها لشرف ما بذله، مع محو الكفر ومحق أهله وإعزاز الدّين وصون دماء المسلمين.

من فوائد الجهاد في سبيل الله:

- الجهاد من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- هو دليل على حسن الظّنّ بالله وقوّة اليقين.
- الجهاد لإعلاء كلمة الله فيه عزّ الإسلام والمسلمين وقمع الشّرك وأعوانه.
- لولا الجهاد لاستفحل الشّر ولفسدت الأرض.
- فيه تمحيص للقلوب واختبار للنّفوس.
- الشّهداء أحياء عند ربّهم يرزقون.
- من أسباب التّمكين في الأرض.
- الجهاد فيه إرضاء لله وإذلال ودحر للشّيطان وأعوانه.
- من أفضل كسب المؤمن غنائم الجهاد.

- جهاد الأعداء والانتصار عليهم فيه شفاء لصدور المؤمنين، وإذهاب لغيظ قلوبهم.
- به ينال العبد أعلى الجنان ويقرّب من عرش الرّبّ الرّحمن.
- من أسمى معاني الجهاد إعلان العبوديّة لله عز وجل ودحض ما سواها.
- ليس ثمّة عمل يعدل الجهاد في سبيل الله.
- من الضّرورة بمكان أن يسأل العبد ربّه الشّهادة في سبيل الله دائما.

ومن المواقف:

تجز ذؤابتيها للجهاد:

قال العتبيّ: سبا الروم نساءَ مسلماتٍ فبلغ الخبر الرقّة وبها الرشيد ومنصور بن عمّار هناك، فقصّ منصور يحضّ على الغزو، فإذا خرقةٌ مصرورةٌ مختومة قد طرحت إلى منصور، وإذا كتاب مضمومٌ إلى الصرّة فقرأه فإذا فيه: إنّي امرأةٌ من بيوتات العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات، وبلغني تحضيضك على الغزو، فعمدت إلى أكرم شيء في بدني عليّ، وهما ذؤابتاي، فجززتهما وصررتهما في هذه الصرّة المختومة، فأنشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غازٍ في سبيل الله، فعلَّ الله ينظر إليّ نظرةً على تلك الحال فيرحمني، فبلغ ذلك الرشيد فبكى ونادى النفير.

تعليق:

قد أتت هذه المرأة بما دلّ على خلوص دينها وصحّة يقينها، وغضبها لربّها، وغيرتها على أهل ملّتها، وامتعاضها عندما بلغها من انتهاك أعداء الله محارمه التي حرّمها، واستخفافهم بحدود الإسلام الّتي عظّمها، وقصدت بما أتته من جزّها ذؤابتيها التقرّب إلى خالقها ورجاء مغفرته لها، والله يحقّق برأفته وسعة رحمته رجاءها، ويغفر لنا ولها، ولم تقصد بما فعلته الأمر الّذي حرَم عليها فيؤثمها، فقد جاء عن النبيّ صلي الله عليه وسلم أنّه لعن الغارفة وهي التي تجزّ ناصيتها عند المصيبة، وإلى الله نرغب في أن يجعلنا ممّن يغضب له ويحام عن دينه ويوالي ويعادي فيه، بتوفيقه[1].

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٤١٤/١ - ٤١٥.

لو قيل لي شيء من هذا:

يـروي البخـاري فيقـول كنـت بنيسـابور أجلـس في الجـامع فـذهب عمـرو بـن زرارة وإسـحاق بـن راهويـه إلى يعقـوب بـن عبـد الله والي نيسـابور فـأخبروه بمكـاني فاعتـذر إلـيهم وقـال مـذهبنا إذا رفـع إلينـا غريـب لم نعرفـه حبسـناه حتـى يظهـر لنـا أمـره فقـال لـه بعضـهم: بلغنـي أنـه قـال لـك لا تحسـن تصـلي فكيـف تجلـس فقـال لـو قيـل لي شيء مـن هـذا مـا كنـت أقـوم مـن ذلـك المجلـس حتـى أروي عشرـة آلاف حـديث في الصـلاة خاصة.

أنت الذي يقول إني أحفظ سبعين ألف حديث:

قال أبو جعفر سـمعت أبا عمر سـليم بن مجاهد يقول كنت عند محمد بن سـلام البيكندي فقال لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سـبعين ألف حديث قال فخرجت في طلبه حتى لحقته قال أنت الذي يقول إني أحفظ سـبعين ألف حديث قال نعم وأكثر ولا أجيئك بحديث من الصـحابة والتابعين إلا عرفتك مولد أكثرهم ووفاتهم ومسـاكنهم ولسـت أروي حديثا من حديث الصـحابة أو التابعين إلا ولي من ذلك أصـل أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم.

قال محمد بن يعقوب بن الأخرم: سـمعت أصـحابنا يقولون لما قدم البخاري نيسـابور استقبله أربعة آلاف رجل ركبانا على الخيل سوى من ركب بغلا أو حمارا وسوى الرجالة.

فوجدها في سرادق الطاغية تقاتل الترك:

وكان حبيب بن مســلمة الفهري رجلا غزاء للترك فخرج ذات مرة الى بعض غزواته فقالت له امرأته اين موعدك قال سرادق الطاغية او الجنة ان شاء الله تعالى قالت اني لأرجو ان اسبقك الى اي الموضعين كنت به فجاء فوجدها في سرادق الطاغية تقاتل الترك [١].

وجميع ملكي لك الفداء:

قال محمد بن أبي حاتم ركبنا يوما إلى الرمي، فجعلنا نرمي وأصـاب سـهم أبي عبد الله البخاري وتد القنطرة الذي على نهر ورادة فانشـق الوتد فلما رآه أبو عبد الله نزل عن دابته فأخرج السـهم من الوتد وترك الرمي وقال لنا ارجعوا ورجعنا معه إلى المنزل. فقال لي يا أبا جعفر لي إليك حاجة مهمة قالها وهو يتنفس الصـعداء، وقال لمن معنا اذهبوا مع أبي جعفر حتى تعينوه على ما سألته فقلت أية حاجة هي. قال لي: تضمن قضاءها؟ قلت نعم على

(١) أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ٢٩٧/١.

الرأس والعين. قال: ينبغي أن تصير إلى صاحب القنطرة فتقول له إنا قد أخللنا بالوتد فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله أو تأخذ ثمنه وتجعلنا في حل مما كان منا. وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر الفربري. فقال لي أبلغ أبا عبد الله السلام وقل له أنت في حل مما كان منك وجميع ملكي لك الفداء وإن قلت نفسي أكون قد كذبت، غير أني لم أكن أحب أن تحتشمني في وتد أو في ملكي فأبلغته رسالته فتهلل وجهه واستنار وأظهر سرورا وقرأ في ذلك اليوم على الغرباء نحوا من خمسمائة حديث وتصدق بثلاثمئة درهم.

كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟:

وقال حاتم: كنا مع شقيق في مصافِ نحارب الترك في يوم لا ترى إلا رؤوس تطير ورماح تقصف وسيوف تقطع، فقال لي: كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ قال: لا والله، قال: لكنني والله أرى نفسي هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة، ثم نام بين الصفين، ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه.

أحب إليّ من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير:

لما صافَّ قتيبة بن مسلم للترك، وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه، يبصبص بأصبعه نحو السماء. قال: تلك الأصبع أحب إليّ من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير، وهذا فهم راسخ من قتيبة بن مسلم الباهلي لأسباب النصر، ألا وهو التوكل على الله تعالى، وتوثيق الصلة به واستلهام النصر منه، ولقد عبأ جيشه وتأكد من حسن إعداده ولكنه بحاجة إلى التأكد مما هو أهم من الإعداد المادي حيث يتجاوز المسلمون بالسلاح المعنوي حدود التكافؤ المادي في القُوَى بمراحل عديدة ولما كان محمد بن واسع في جيشه سارع إلى السؤال عنه، فلما أخبر بأنه مستغرق في مناجاة الله تعالى ودعائه واطمأن قلبه وارتفع مستوى الأمل بالنصر عنده قال تلك الكلمات الإيمانيه الرفيعة: تلك الإصبع أحب إلى من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير. إن قوى الأرض كلها بيد الله تعالى، وإن النظر إلى القوى المادية من حيث العدد والعُدد والمواقع، إنما هو حسابات البشر والله جل جلاله قادر على تغيير هذه الموازين في لحظة، وإن من أهم استجلاب نصر الله تعالى دعاء الصالحين، فلذلك استبشر قتيبة خيراً حينما علم باستغراق محمد بن واسع في الدعاء، وهذا الفهم الرفيع من قتيبة رحمه الله يبين لنا سبباً مهما من أسباب انتصاراته الباهرة، التي ظلت تتولى أكثر من عشر سنوات فبالرغم من كونه بطلا لا يُشَقُّ له غبار، وقائداً مخططا يضع للأمور أقرانها، وسياسيا محنكا لا يُخدع،

فإنه لم يغتر بكل ذلك بل اعتبر ذلك كله من الأمور الثانوية، ونظر قبل ذلك إلى مدى توثيق الحبل الذي يصل جيشه بالله تعالى فلما عرف بأن محمد بن واسع قد وصل ذلك الحبل بالدعاء وبما سبق ذلك من شهرته بالإيمان القوي والعمل الصالح حصل له اليقين وزال عنه سبب من أسباب الخوف المتمثل بضعف الصلة بالله تعالى[١].

فإن فاجئنا العدو كان بنا حراك:

وقال بن أبي حاتم ورأيته استلقى على قفاه يوما ونحن بفربر في تصنيفه كتاب التفسير وأتعب نفسه ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث فقلت له إني أراك تقول إني ما أثبت شيئا بغير علم قط منذ عقلت فما الفائدة في الاستلقاء قال أتعبنا أنفسنا اليوم وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العد فأحببت أن استريح وآخذ أهبة فإن فاجئنا العدو كان بنا حراك.

فتح عمورية على يد المعتصم سنة ٢٢٣ هـ:

" في هذه السنة أوقع ملك توفيل بن ميخائيل بأهل سلطته من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة، قتل فيها خلقا كثيراً من المسلمين، وأسر ما لا يحصون كثرة، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات ومثل بمن وقع في أسره من المسلمين فقطع آذانهم وأنوفهم وسمل أعينهم - قبحه الله.

ولما بلغ ذلك المعتصم انزعج لذلك جداً وصرخ في قصره بالنفير، ثم نهض من فوره وأمر بتعبئة الجيوش واستدعى القاضي والشهود فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقه، وثلثه لولده، وثلثه لمواليه وخرج بالجيش إعانة للمسلمين فوجدوا ملك الروم قد فعل ما فعل وشمر راجعا إلى بلاده وتفارط ولم يمكن الاستدراك فيه، فقال للأمراء أي بلاد الروم أمنع؟ فقالوا: عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام وهى عندهم أشرف من القسطنطنية " فعزم على فتحها.

رب وامعتصماه انطلقت ::: ملء أفواه الصبايا اليتم
صادفت أسماعنا لكنها ::: لم تصادف نخوة المعتصم

(١) سير أعلام النبلاء، ١٢١/٦، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ٣/ ١٨٦.

تجهّز المعتصم جهازاً لم يجهزه أحد كان قبله من الخلفاء، وأخذ معه آلات الحرب والأحمال والجمال والقرب والدواب والنفط والخيل والبغال شيئاً لم يسمع بمثله، وسار إلى عمورية في جحافل أمثال الجبال وقدم المعتصم إليها صبيحة يوم الجمعة لستِ خلون من رمضان فدار حولها دو رة ثم نزل قريباً منها، وقد تحصّن أهلها تحصيناً شديداً وملؤوا أبراجها بالرجال والسلاح، وهي مدينة عظيمة كبيرة جداً ذات سور منيع وأبراج عالية كبار كثيرة، وقسم المعتصم الأبراج بالأمراء فنزل كل أمير تجاه الموضع الذي أقطعه وعينه له، ونزل المعتصم قبالة مكان هناك قد أرشده إليه بعض من كان فيها من المسلمين، وكان قد تنصّر عندهم وتزوج منهم، فلما رأى أمير المؤمنين والمسلمين رجع إلى الإسلام وخرج إلى الخليفة فأسلم وأعلمه بمكان في السور كان قد هدمه السيل وبنى بناءَ ضعيفا بلا أساس، فنصب المعتصم المجانيق حول عمورية فكان أول موضع انهدم من سورها ذلك الموضع الذي دلهم عليه ذلك الأسير فبادر أهل البلد فسدوه بالخشب الكبار المتلاصقة فألحّ عليها المنجنيق لجعلوا فوقها البرادع ليردوا حرة الحجر فلم تغْن شيئاً وانهدم السور من ذلك الجانب وتفسّخ. فكتب نائب البلد إلى ملك الروم يعلمه بذلك، وبعث ذلك مع غلامين من قومهم فلما اجتازوا الجيش في طريقهما أنكر المسلمون أمرهما فسألوهما من أنتما؟ فقالا: من أصحاب فلان لأمير سموّه من أمراء المسلمين، فحملا إلى المعتصم فقررهما فإذا معهما كتاب من " مناطس " نائب عمورية إلى ملك الروم يعلمه بما حصل لهم من الحصار، وأنه عَازم على الخروج من أبواب البلد بمن معه بغتة على المسلمين ومناجزهم القتال كائناً في ذلك ما كان. فلما وقف المعتصم على ذلك أمر بالغلامين فخلع عليهما، وأن يعطى كل غلام منهما بدرة، فأسلما من فورهما، فأمر الخليفة أن يطاف بهما حول البلد وعليهما الخلع، وأن يوقفا تحت حصن " مناطس " فينثر عليهما الدراهم والخلع، ومعهما الكتاب الذي كتب به مناطس إلى ملك الروم فجعلت الروم تلعنهما وتسبهما، ثم أمر المعتصم عند ذلك بتجديد الحرس والاحتياط والاحتفاظ من خروج الروم بغتة، فضاقت الروم ذرعاً بذلك، وألحّ عليهم المسلمون في الحصار، وقد زاد المعتصم في المجانيق والدبّابات وغير ذلك من آلات الحرب، ولما رأى المعتصم عمق خندقها وارتفاع سورها، أعمل المجانيق في مقاومة السور وكان قد غنم في الطريق غنماً كثيراً جداً ففرقها في الناس وأمر أن يأكل كل رجل رأساً ويجيء بملء جلده تراباً فيطرحه في الخندق، ففعل الناس ذلك فتساوى الخندق بوجه الأرض من كثرة ما طرح فيه من الأغنام ثم أمر بالتراب فوضع فوق ذلك حتى صار طريقاً ممهداً، وأمر بالدبابات أن توضع فوقه فلم يحوج الله إلى ذلك، وبينما الناس في الجسر

المردوم إذ هدم المنجنيق ذلك الموضـع المعيب فلما سـقط ما بين البرجين سـمع الناس هدة عظيمة فظنها من لم يرها أن الروم قد خرجوا على المسـلمين بغتة، فبعث المعتصم من نادى في الناس: إنما ذلك سـقوط السـور ففرح المسـلمون بذلك فرحاً شـديداً لكن لم يكن ما هدم يسـع الخيال والرجال إذا دخلوا، وقويَ الحصـار وقد وكلت الروم بكل برج من أبراج السـور أميراً يحفظه، فضـعف ذلك الأمير - وندوا - الذي هدمت ناحيته من السـور عن مقاومة ما يلقاه من الحصـار فذهب إلى مناطس فسـأله نجدة فامتنع أحد من الروم أن ينجده وقالوا: لا نترك ما نحن موكلون بحفظه.

قال: وندوا، إن الحرب عليّ وعلى أصحابي، ولم يبق معي أحد إلا جرح، فصيروا أصحابكم على الثلمه يرمون قليلاً وإلا افتضحتم. وذهبت المدينة فأبوا أن يمدوه بأحد.

فلما يئسَ منهم خرج إلى المعتصم ليجتمع به (ليطلب الأمان على الذرية) فلما وصل إليه أمر المعتصـم المسـلمين أن يـدخلوا البلـد من تلـك الثغرة التي قد خلت من المقاتلة، فركب المسـلمون وتقـدموا إلى الثملـة، ولم يقـدر الروم على دفع المسـلمين بعد أن تكاثروا ودخلوا المـدينـة قهراً وتتـابع المسـلمون إليهـا يكبرون وتفرقـت الروم عن أماكنها فجعل المسـلمون يقتلونهم في كل مكان حيث وجدوهم وقد حشروهم في كنيسـة هائلة ففتحوها قسراً وقتلوا من فيهـا وأحرقوا عليهم باب الكنيسـة فاحترقت فأحرقوا عن آخرهم، ولم يبق فيها موضـع محصـن سوى المكان الذي فيه النائب وهو مناطس في حصن منيع فركب المعتصم فرسه وجاء حتى وقف بحـذاء الحصـن الذي فيه " مناطس " فناداه المنادي ويحك يا مناطس! هذا أمير المؤمنين واقف تجاهك فقالوا: ليس بمناطس ها هنا مرتين، فغضـب المعتصـم من ذلك وولى فنادى مناطس: هذا مناطس... هذا مناطس، فرجع الخليفة ونصـب السلالم على الحصن وطلع عليه الحسـن الرومي فقال له: ويحك انزل على حكم أمير المؤمنين، فتمنع ثم نزل متقلداً سيفاً فوضـع السـيف في عنقه ثم جِيءَ به حتى أوقف بين يدي المعتصـم فضربه بالسوط على رأسه ثم أمر به أن يمشي إلى مضرـب الخليفة مهاناً إلى الوطاق الذي فيه الخليفة نازل فأوثق هناك. وأخـذ المسـلمون من عمورية أموالاً لا تحد ولا توصـف فحملوا منها ما أمكن حمله، وأمر المعتصـم بـإحراق مـا بقى من ذلك، وبإحراق ما هنالك من المجانيق والدبابات وآلات الحرب لئلا يتقوى بهما الروم على شيء من حرب المسلمين "[1].

(١) نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، ص٣٣٦.

وأما اليوم فـ:

ربَّ وامعتصماه انطلقت ::: ملء أفواه الصبايا اليتمِ

لامست أسماعهم لكنها ::: لم تلامس نخوة المعتصمِ

أمتي هل لكِ بين الأممِ ::: منبرٌ للسيف أو للقلمِ

أتلقاك وطرفي حاسرٌ ::: خجلاً من أمسك المنصرمِ

ألإسرائيل تعلو رايةٌ ::: في حمى المهد وظل الحرمِ

أوما كنت إذا الموت اعتدى ::: موجةً من لهبٍ أو من دمِ

كم من امرأة اليوم تقول: وا معتصماه! وا إسلاماه! في أفغانستان وفلسطين والفلبين ولا يجيبها مجيب، كم من طفل يقتل! كم من مسجد يهدم! كم من شعيرة لله عز وجل تسحق! ثم لا مجيب يجيب! بلغت الأمة من الذلة والمهانة يوم تركت الجهاد وتخلت عن الدين مبلغاً لا يعلمه إلا الله، يقول عليه الصلاة والسلام: **إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى تراجعوا دينكم**ــ وبيع العينة منتشر- وهي أن تباع السلعة من الرجل ديناً، ثم يشتريها بثمن أقل قسطاً قسطاً ومقدماً وهذا موجود وفاشٍ **وأخذتم أذناب البقر**ــ تتحول الأمة من أمة جهاد إلى أمة مزارعة، والزراعة ليست حراماً، لكن أبطال الإسلام وشباب لا إله إلا الله وحملة التوحيد يتحولون إلى باعة بطاطس، وخيار وباذنجان وجرجير وخس في الأسواق، ويصبح حمل السلاح لا يطيقه إلا القليل، ويصبح الآلاف من الشباب لا يستطيع أحدهم شحن المسدس والرمي به، ولا يحمل الرشاش، بل أجزم جزماً لو اعتدي على كثير من البيوت الآن لما استطاع الشباب المدافعة عن بيوتهم، بعضهم لا يملك سلاحاً، عندهم سكاكين للبصل في المطبخ، والسلاح أصبح كيماوي ومزدوج، وبعضهم عنده سلاح لكنه لا يستطيع أن يرمي، ولا يصيب الهدف، وما لديه تدريب قال تعالى:{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال: ٦٠]، والرسول عليه الصلاة والسلام ربى شبابه على القوة العسكرية وعلى حمل السلاح والأنفة، اسمع إلى أبي تمام يصور معركة المعتصم في عمورية، لما انتهى المعتصم، وعاد إلى بغداد، عاد وعلم النصر- فوق رأسه والعلماء يبكون لنصر- الله ويفرحون، واستقبلته الأمة ونساء الأمة وأطفال الأمة، لأنهم أثبت عدة للا إله إلا الله، وقف أبو تمام يحيي هذا البطل ويقول:

السيف أصدق إنباءً من الكتبِ ::: في حده الحد بين الجد واللعبِ
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به ::: نظمٌ من الشعر أو نثرٌ من الخطبِ
يا يوم وقعة عمورية انصرفت ::: عنك المنى حفلاً معسولة الحلبِ

ثم قال:

تدبير معتصمٍ بالله منتقم ::: لله مرتقب في الله مرتغب

ثم يروي أبو تمام قصة المنجمين الذين أتوا قبل المعركة إلى المعتصم وقالوا: لا تحاربوهم هذا الشهر، قال: ولِمَ؟ قالوا: لأن برج الثور حل علينا، وبرج الثور إذا حل، لا ينتصر المقاتل، قال: آمنت بالله وكفرت بكم، قال: أبو تمام:

أين الرواية أم أين الدراية ::: كم صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذبِ
طلاسم وأحاديثٌ منمقةٌ ::: ليست بنفع إذا عدت ولا غربِ
فالنصر في شهب الأرماح لامعةً ::: بين الخميسين لا في السبعة الشهبِ

فالنصر في السيوف وليس في النجوم

إلى أن يقول في آخرها:

لما رأت أختها بالأمس قد خربت ::: كان الخراب لها أعدى من الجربِ

إلى أن يقول للخليفة: أنت لست الذي انتصر، بل الله الذي رمى بك:{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ} [الأنفال: ١٧].

رمى بك الله جنبيها فهدمها ::: ولو رمى بك غير الله لم يصبِ

إنه تدبير الله وقوته{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾} [غافر: ٥١ - ٥٢]،{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾} [محمد: ٧]،{إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ} [آل عمران: ١٦٠]، إن يخذلكم بأعمالكم وتصرفاتكم وأكلكم الربا وسكوتكم على المنكرات؛ تبرج النساء، وانتشار المخدرات، وضياع الشباب:{وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ} [آل عمران: ١٦٠]، من يقدم لكم النصر؟ فهذه أمور عاشها السلف [1].

(١) من دروس للشيخ عائض القرني، ١٤٦ /٤.

إذ جاءه سهم فذبحه فألقاه عني:

قال حاتم الأصم: كنا مع شقيق البلخي ونحن مصافو الترك في يوم لا أرى فيه إلا رؤوساً تندر، وسيوفاً تقطع، ورماحاً تقصف، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين: كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثله في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ قلت: لا، والله. قال: لكني والله، أرى نفسي في هذا اليوم مثله في الليلة التي زفت فيها امرأتي. قال: ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه. قال حاتم: ورأيت رجلاً من أصحابنا في ذلك اليوم يبكي فقلت: مالك؟ قال: قتل أخي. قال: قلت: حبط أجرك، صار إلى الله وإلى رضوانه. قال: فقال لي: اسكت، ما أبكي أسفاً عليه ولا على قتله، ولكني أبكي أسفاً ألا أكون دريت كيف كان صبره لله عند وقوع السيف به. قال حاتم: فأخذني في ذلك اليوم تركي فأضجعني للذبح فلم يكن قلبي به مشغولاً، كان قلبي بالله مشغولاً أنظر ماذا يأذن الله به في، فبينا هو يطلب السكين من خفه إذ جاءه سهم فذبحه فألقاه عني.

يصارح الحجاج برأيه في أخيه:

قال محمد بن الحسن بن دريد: بلغني أن طاووساً كان يقول: بينا أنا جالس مع الحجاج بمكة إذ مر رجل يلبي حول البيت، فرفع صوته بالتلبية، فقال الحجاج: علي بالرجل، فأتي به، قال: ممن الرجل؟ قال: من المسلمين، فقال: ليس عن هذا سألتك، قال: فعم سألت، قال: عن البلد، قال: من أهل اليمن، قال: كيف تركت محمد بن يوسف؟ قال: تركته عظيماً جسيماً، ركاباً خراجاً ولاجاً، قال: ليس عن هذا سألتك، قال: فعم سألت؟ قال: عن سيرته؟ قال: تركته ظلوماً غشوماً، مطيعاً للمخلوق، عاصياً للخالق، قال: فما الذي حملك علي بهذا فيه، وأنت تعرف مكانه مني؟ قال: أتراه مكانه منك أعز بمكاني من الله عز وجل وأنا قاضي دينه، ووافد بيته، ومصدق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فسكت الحجاج فما أحار جواباً، وقام الرجل فدخل الطواف.

فاتبعته فإذا هو في الملتزم، وهو يقول: اللهم إني أعوذ بك، اللهم فاجعل لي في الكهف إلى جودك، والرضا بضمانك، مندوحةً عمن سواك الباخلين، وغنىً عما في أيدي المستأثرين، اللهم فرجك القريب، ومعروفك القديم، وعادتك الحسنة، فلما كان عشية عرفة، رأيته واقفاً على الموقف فدنوت منه، فسمعته يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي، فلا تحرمني الأجر على مصيبتي بتركك القبول مني، قال: فلما كان غداة جمعٍ أفاض مع الناس، فسمعته يقول: يا سوءتاه منك يا رب وإن غفرت. ثم لم أره بعد ذلك[1].* * *

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص ١٣٦.

احوال الذاكرين الله
عز وجل

مواقــف عربيــة

أحوال الذاكرين الله عز وجل

الذكر هو جلاء القلوب وصـقالها، ودواؤها اذا غشـيتها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره اسـتغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشـتياقا، واذا وطأ في ذكره قلبه للسانه نسى في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضا من كل شيء.

وبه يزول الوقر عن الاسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمه عن الأبصار.

زين الله به السنة الذاكرين كما بالنور أبصار الناظرين.

والذكر منشـور الولاية الذي من أعطيه اتصـل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الاجساد لها قبور، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا.

وهو منزل القوم الذي منه يتزودون وفيه يتجرون وإليه دائما يترددون وهو سـلاحهم الـذي به يقاتلون قطاع الطرق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسـقامهم الذي متى فاقهم انتكسـت منهم القلوب، والسـبب الواصـل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيب.

إذا مرضـنا تداوينا بذكركم ::: فنترك الذكـر أحيانا فننتكس

به يسـتدفعون الأفات، ويسـتكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات. إذا اضلتهم البلاء فـإليـه ملجؤهم، وإذا نزلـت بهم النوازل فـإليـه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سـعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضـاحكا مسرورا إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكوراً.

وفى كل جارحه من الجوارح عبودية مؤقتة والذكر عبودته القلب واللسـان، وهى غير مؤقتة، فهاهم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل مكان قياما وقعودا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

والذكر باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسـن البصرـى رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشـياء: في الصـلاة وفى الذكر وقراءة القرآن فإن وجدتهم... وإلا فاعلمو ان الباب مغلق.

وبالذكر يصرح العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان. قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنس(١).

ما عرف قدر جلاله من فتر لحظة عن ذكره.

قال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره ولا طابت الآخره إلا بعفوه ولا طابت الجنه إلا برؤيته.

أبــدا نفــوس الطالبين ::: إلى ريــاضــكم تحــن
وكــذا القلوب بــذكركم ::: بــعــد المــخــافــة تــطــمــئن
حــنــت بــذكركم ومــن ::: يهــوى الحبيب ولا يحــن

وفى القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله عز وجل، فإذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبعا له، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة وفنى الفاقة، والذكر يجمع المفترق ويفرق المجتمع ويقرب البعيد ويبعد القريب فيجمع ما تفرق على البعد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقها وتشتتها عليه، وانفرطها له في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته.

ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه.

ويفرق أيضا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره.

ويفرق ما اجتمع على حربه من جند الشيطان فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية وكلما كان أقوى صلبا لله سبحانه وتعالى وأمثل تعلقا به وإرادة له كانت السرية أكتفت وأكثر وأعظم شوكة بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر.

ويقرب إليه الآخره فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها.

والذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته، والقلب إذا كان نائما فاتته الأرباح والمتاجر، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر فإن الغفلة نوم ثقيل.

---

(١) ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، جـ٢، ص ٤٢١، ٤٢٢.

والذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون، والذكر يثمر المقامات كلها من اليقظه إلى التوحيد ويعدل عتق الرقاب، والحمل على الخيل في سبيل الله ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل، وهو خير الأعمال على الإطلاق قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الورق والذهب وخير لكم أن تلتقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟** قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **ذكر الله**[1].

قال تعالى:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾} [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

يقول سيد قطب: وذكر الله اتصال القلب به والاشتغال بمراقبتة وهو ليس مجرد تحريك اللسان وإقامة الصلاة ذكر الله...

وهو يشمل كل صورة يتذكر فيها العبد ربه ويتصل به قلبه سواء جهر بلسانه بهذا الذكر أم لم يجهر والمقصود هو الاتصال المحرك الموحى على أية حال.

وإن القلب ليظل فارغا أو لاهيا أو حائرا حتى يتصل بالله ويذكره ويأنس به فإذا هو مليء جاد قار يعرف طريقه ويعرف منهجه ويعرف من أين وإلى أين ينقل خطاه!

ومن هنا يخص القرآن كثيرا وتحض السنة كثيرا على ذكر الله ويربط القرآن بين هذا الذكر وبين الأوقات، والأحوال التي يمر بها الإنسان لتكون الأوقات والأحوال مذكرة بذكر الله ومنبهة على الاتصال به حتى لا يغفل القلب ولا ينسى.

(١) الترمذى وابن ماجه.

وسبحوه بكرة وأصيلا:

وفى البكرة والأصيل خاصة ما يستجيش القلوب إلى الاتصال بالله مغير الأحوال، ومبدل الظلال وهو باق لا يتغير ولا يتبدل ولا يحول ولا يزول وكل شيء سواه يتغير ويتبدل ويدركه التحول والزوال [1].

وقال تعالى:{وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ } [الكهف: ٢٤].

وقال تعالى في سورة آل عمران في وصف المؤمنين:{ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾} [آل عمران: ١٩١].

عن عيسى ♠ انه قال: طوبى لمن كان قيله تذكرا ونظره عبرا.

قال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة ألهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة.

وقال وهب بن منبه: ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ولا فهم امرئ قط إلا علم، ولا علم امرؤ قط إلا عمل.

وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله عز وجل حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة.

وقال بعض الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغيرالعبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة.

وعن عيسى ♠ أنه قال: يا بن آدم الضعيف، اتق الله حيث ما كنت، وكن في الدنيا ضيفا، واتخذ المساجد بيتا، وعلم عينيك البكاء، وجسدك الصبر، وقلبك الفكر، ولا تهتم برزق غد.

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه بكى يوما بين أصحابه فسئل عن ذلك؟ فقال: فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادكر [2].

---

(١) الظلال، جـ ٥، ص٢٨٧١.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن، جـ ص٤٣٨.

قال تعالى لموسى ♠:{ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾} [طه: ٤٢].

وقال تعالى على لسان نبيه موسى:{كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾} [طه: ٣٣ - ٣٥].

وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾} [الأنفال: ٤٥].

وفى الأثر الإلهى: " إن عبدى - يا عبدى - الذي يذكرنى وهو ملاق قرنه".

قال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يستشهد به.

وسمعته يقول: المحبون يفتخرون بذكر من يحبونه في هذه الحال كما قال عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح كأنها ::: أشطان بئر في لبان الأدهم

وقال الآخر:

ذكرتك والخطى يخطر بيننا ::: وقد نهلت منا المثقفة السمر

قال آخر:

ولقد ذكرتك والرماح شواجر ::: نحوى وبيض الهند تقطر من دمى

وهذا كثير في أشعارهم وهو مما يدل على قوة المحبة، فإن ذكر المحب محبوبة في تلك الحال التي لا يهم المرء فيها غير نفسه يدل على أنه عنده بمنزلة نفسه أو أعز منها (١).

وقال تعالى:{ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾} [الجمعة: ١٠].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾} [الأحزاب: ٣٥].

وذكر الله كثيرا: وهو حلقة الاتصال بين نشاط الانسان كله وعقيدته في الله.

(١) ابن القيم: مدارج السالكين، جـ٢، ص٤٢٧، ٤٢٨.

واستشعار القلب لله في كل لحظه فلا ينفصل بخاطر ولا حركة عن العروة الوثقى.

وإشراق القلب ببشاشة الذكر الذي يسكب فيه النور والحياة(٢).

وقال تعالى:{فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾} [البقرة: ٢٠٠].

وقال تعالى:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾} [الحديد: ١٦].

وقال تعال:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾} [الأنفال: ٢].

إنهـا الارتعـاشـــة الوجـدانيـة التي تنتـاب القلب المؤمن حين يذكر بالله في أمر أو نهى فيغشاه جلاله وتنتقض فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته إلى جانب تقصيره هو وذنبه فينبعـث إلى العمل والطاعة.... أو هى كما قالت أم الدراء ♥ فيما رواه الثورى عن عبد الله بن خيثم عن شـهر بن حوشـب عن أم الدرداء قالت: الوجل في القلب كاحتراق السعفة، أما تجد له قشـــعريرة؟ قال: بلى. قالت: إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك، فإن الدعاء يذهب ذلك...

إنها حال ينال القلب منها أمر يحتاج إلى الدعاء ليســتريح منها ويقر! وهى الحالة التي يجـدها القلب المؤمن حتى يذكر الله في حدود أمر أو نهى فيأتمر معها وينتهى كما يريد الله، وجلا وتقوى لله.

{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [الأنفال: ٢].

والقلـب المؤمن يجـد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيمانا وما ينتهى به إلى الاطمئنان... إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشرـــى بلا وســـاطة ولا يحول بينه وبينه شيء إلا الكفر الـذي يحجبـه عن القلـب، ويحجب القلب عنه، فاذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هـذا القرآن ووجـد في إيقاعاته المتكررة زيادة في الإيمان تبلغ به إلى الاطمئنان... وكما أن إيقاعات القرآن على القلب المؤمن تزيده إيمانا فإن القلب المؤمن هو الذي يدرك هذه

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، جـ٥، ص٢٨٦٣.

الإيقاعات التي تزيده إيمانا........ لذلك يتكرر في القرآن تقرير هذه الحقيقة في أمثال قوله تعالى ومن ذلك قول أحد الصحابة رضوان الله عليهم: كنا نؤتى الإيمان قبل أن نؤتى القرآن[١].

وقال تعالى:{ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ } [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى:{فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾} [النساء: ١٠٣].

وقال تعالى:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾} [الزخرف: ٣٦].

وقد قضت مشيئة الله في خلقه الانسان ذلك، واقتضت أنه حين يغفل قلبه عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه فيلزمه ويصبح له قرين سوء يوسوس له ويزين له السوء، وهذا الشرط وجوابه هنا في الآية يعبران عن هذه المشيئة الكلية.

ووظيفة قرناء السوء من الشياطين ان يصدوا قرنائهم عن سبيل الله بينما هؤلاء يحسبون أنهم مهتدون:

وقال تعالى:{ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ } [آل عمران: ٤١] [٢].

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : **أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شىء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض**ـــ [١].

وعن معاذ بن جبل قال: سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم: أى الأعمال أحب الى الله عز وجل؟ قال: **أن تموت ولسانك رطب بذكر الله** عز وجلـــ [٢].

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، جـ٣، ص١٤٧٥.

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، جـ٥، ص٣١٨٩.

(٢) أحمد.

(٣) ابن حبان والبزار.

وعن معاذ بن جبل يرفعه أيضا: **ليس تحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله** عز وجل **فيها** [٣].

وعن عائشة ♥ عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال: **ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله تعالى إلا تحسر عليها يوم القيامة** [٤].

وعن قيس بن سعد بن عبادة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ لا حول ولا قوة الا بالله** [٥].

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **أكثروا من: لا حول ولا قوة الا بالله فإنها من كنز الجنة** [٦].

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **ألا ادلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة الا بالله فيقول الله: أسلم عبدى واستسلم** [٧].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لقيت إبراهيم ♠ ليلة أسرى بى فقال: يا محمد أقرئ امتك منى السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر** [٨].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبى صلي الله عليه وسلم قال: **من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة** [٩].

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشيء أتشبت به قال: **لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله** [١].

---

(٤) الطبرانى والبهيقى.

(٥) البيهقى.

(٦) أحمد والترمزى.

(٧) الطبرانى وابن حبان.

(٨) الحاكم.

(١) رواه الترمذى.

(٢) الترمذى.

(٣) الترمذى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسـول الله صلي الله عليه وسلم قال: **يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى في نفســه وإن ذكرنى وملأ ذكرته في ملأ خير منهم** [٢].

وعن أبي موسى الأشـعرى رضي الله عنه ن النبى صـلي الله عليه وسـلم قال: **مثل الذي يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت** [٣].

وعن أبي موسى الأشـعرى رضي الله عنه عن النبى قال: **يصـبح على كل سـلامى من أحدكم صـدقة: فكل تسـبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكـل تكبيرة صــدقـة صــدقـة ونهى عن المنكر صــدقـة وأمر بالمعروف ويجزئ من ذلك ركعتان من الضحى** [٤].

وعن سـعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله فقال: **أيعجز أحدكم أن يكسـب في كل يوم ألف حسـنة؟** " فسأل سائل من جلسائه: كيف يكسب ألف حسـنة؟ قال: **يسبح مائة تسبيحه فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة** [٥].

وعن معاذ رضي الله عنه أن رســول الله أخذ بيده وقال: **يا معاذ والله إنى لأحبك في الله** فقال: **أوصـيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صــلاة تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** [٦].

وعن رسـول الله قال: **من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثـا وثلاثين وقـال تمـام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملـك ولـه الحمـد وهو على كـل شيء قـدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر** [٧].

(٤) متفق عليه.

(٥) البخارى.

(٦) مسلم.

(٧) مسلم.

(١) ابو داوود.

(٢) مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنـه أن فقراء المهـاجرين أتوا رســول الله فقـالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلا والنعيم المقيم: يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون. فقال: **ألا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثلما صنعتم؟** قالوا: بلى يا رسول الله قال: **تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين** قال أبو صالح الراوى عن أبي هريرة لما سئل عن كيفية ذكرهن قال: يقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين[1].

وزاد مسلم في روايته: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله: **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**.

" والدثور " جمع دثر وهو المال الكثير.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله فقال: علمنى كلاما أقوله قال: **قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم** قال: هؤلاء لربي فما لي؟ قال: **قل: اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى**[2].

وعن أبي مالك الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله: **الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأن – أو تملأ ما بين السماوات والأرض**[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حراز من الشيطان يومه ذلك يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه** وقال: من قال: **سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن**

(٣) متفق عليه.

(٤) مسلم.

(١) مسلم.

كانت مثل زبد البحر▬ [٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله: **لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه شمس▬** [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله: **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم▬**[٢].

وعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله قال: **أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون▬** [٣].

وعن أم أنس ♥ انها قالت: قلت: يا رسـول الله أوصـنى قال: **اهجرى المعاصى فإنها أفضـل الجهـاد وأكثرى من ذكر الله فـإنـك لا تـأتين الله بشيـء أحب من كثرة ذكره▬** [٤].

وعن أبي موسى رضي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله: **لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر لله أفضل▬** [٥].

وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأنباء ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر: مسـاكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها! قيل: ومما أطيب ما فيها؟

قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره.

يـا ذا الـذي أنـس الـفـؤاد ::: أنـت الـذي مـا إن سـواه أريد
تفني الليـالي والزمـان بـأسـره ::: وهـواك غض في الفؤاد جـديـد

وقال بعض العارفين: إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا.

وقـال آخر: إنـه لتمر بي أوقـات أو قول: إن أهـل الجنـة في مثـل هـذا إنهم لفي عيش طيب.

(٢) متفق عليه.
(٣) مسلم.
(٤) متفق عليه.
(٥) أحمد والحاكم وابن حبان.
(٦) الطبرانى.
(٧) الطبرانى.

يـــا مـــن يـــذكرني بعهـــد أحبتي ::: طـــاب الحـــديـــث بذكرهم ويطيب
أعـــد الحـــديـــث علي من جنبـــاته ::: إن الحـــديـــث عن الحبيـــب حبيب
ملآ الضـــلوع وفـــاض عن اجنابها ::: قلـــب إذا ذكر الحبيـــب يـــذوب
مـــا زال يخفق ضـــاربـــاً بجنـــاحه ::: يـــاليـــت شـــعري هل تطير قلوب

قال ابن القيم: فمحبة الله ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه ولأراده بـالحـب والخوف والرجاء والتوكل، والمعاملة بحيث يكون هو وحده المســتولي على هموم العبـد وغزماته، وإرادته هو جنة الدنيا والنعم الذي لا يشـــبهة نعيم وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين.

والله مـــا طلعـــت شمس ولا غربت ::: إلا وحبـــك مقرون بـــأنفـــاســـي
ولا جلســـــــت إلي قوم أحـــدثهم ::: إلا وأنـــت حـــديثي بين جلاســـي

قال الفتح الموصـــلي: المحب لا يجد مع حب الله للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكرالله طرى عين.

لا لأني أنســـــاك أكـــثر ذكراك ::: ولـــكـــن بـــذاك يجري لســـــاني

ولله در القائل:

خـــطرات ذكرى تســـتثير مودتي ::: وأحس منـــهـــا في الفؤاد دبيبـــاً
لا عضـــو في إلا وفـــيـــه محبـــة ::: فعهـــدك أعضـــائي خلقن قلوبـــاً
إذا نســـي النـــاس العهود وأغفلوا ::: فعهـــدك في قلبي وذكرك في فمي

والمحب لله طاهر القلب كثير الذكر متســبب إلى رضــوانه بكل ســبيل يقدر عليه من الوسائل والنوافل شوقاً.

ذكرتـــك لآني نســـيتـــك لحظـــه ::: وأهون مـــا في الذكر ذكر لســـاني

وكان أحد العباد يستشعر حضور الملائكة لمجالس الذكر فيقول حين يشرح في ذكره: أهـــلاً بمـــلائـــكـــة ربي لا أعـــدمـــكـــم الـــيـــوم خـــيراً خـــذوا عـــلي بركة الله.

يـقـول يـحـيـى بـن مـعـاذ الـرازي: يـا جـهـول لـو ســـمـعـت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك لمت شوقاً إلي مولاك.

والله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته فعن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاويه عل حلقه في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى فقال: الله. ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: الله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلي الله عليه وسلم أقل عنه حديثاً مني وإن رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج علي حلقه من أصحابه فقال: **ما أجلسكم؟—** قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده علي ما هدانا إليه للإسلام ومن به علينا. قال: **الله ما أجلسكم إلا ذاك—** قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: **أما إن لم أستحلفكم تهمة لكم ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله تبارك وتعال يباهي بكم الملائكة—** [(١)].

وإن مدمن الذكر يدخل الجن وهو يضحك، فلله درها من منزلة ومباهاة الله عز وجل بالذاكرين الملائكة دليل على شرف الذاكر عنده ومحبته له، وأنفرية علي غيره ومن الأعمال.

يقول ابن القيم: من الذاكرين من يبتدئ بذكر اللسان وإن كان على غفلة ثم لا يزال فيه حتي يحضر قلبه فيتواطأ علي الذكر، ومنهم من لا يبتدئ على غفلة بل يسكن حتي يحضر قلبه فيشرع في الذكر بقلبه، فإذا قوي استتبع لسانه فتواطأ جميعاً، والأول: ينقل الذكر من لسانه إلي قلبه والثاني: ينتقل من قلبه إلى لسانه من غير أن يخلو قلبه منه، بل يسكن أولاً حتي يحس بطهور الناطق فيه، فإذا أحس بذلك نطق قلبه ثم انتقل النطق إلى ذكر اللسان ثم يستغرق في ذلك حتي يجد كل شيء منه ذاكراً.

وأفضل الذكر وأنفعه: ما وطأ فيه القلب واللسان وكان من الأذكار النبويه وشهد الذاكر معانيه ومقاصده [(١)].

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : **لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على رسول الله** صلي الله عليه وسلم **إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب—** [(٢)].

ومبنى الدين على قاعدتين: الذكر والشكر قال تعالى:{ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾**} [البقرة: ١٥٢].

(١) مسلم.

(١) ابن القيم: الفوائد، ص ٢٦٠.

(٢) النسائي.

وقال النبى صــلي الله عليه وســـلم لمعاذ: **والله إنى لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**.

وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللســـان بل ذكر القلبى واللســـانى وذكره يتضــمن ذكر أسـمائه وصـفاته وذكر أمره ونهيه، وذكره بكلامه وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كمالـه ونعوت جلالـه والثنـاء عليـه بـأنواع المدح. وذلك لا يتم إلا بتوحيده فذكره الحقيقى يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

وأمـا الشـــكر: فهو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهرا وباطنا، وهذان الأمران هما جماع الدين فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته، وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس والســماوات والأرض ووضــع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الكتاب وأرسل الرسل وهى الحق الذي به خلقت السماوات والأرض وما بينهما.

فثبت بما ذكر أن غاية الخلق والأمر أن يذكر وأن يشــكر، يذكر فلا ينسى ـ ويشــكر فلا يكفر. وهو سبحانه ذاكر لمن ذكره شاكر لمن شكره، فذكره سبب لذكره وشكره سبب لزيادته من فضله، فالذكر للقلب واللسان والشكر للقلب محبة وانابة، وللسان ثناء وحمد وللجوراح طاعة وخدمة [٣].

وعن أبى هريرة رضي الله عنـه قال: قال رســول الله صــلي الله عليه وســلم : **ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة**[١].

وأى لحظـة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له وكان خسرـــانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله.

وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ثم أعرض لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصله.

فعن أم حبيبة زوج النبى صـلي الله عليه وسـلم قالت: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسلم : **كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر وذكرًا لله عز وجل**" [٢].

(٣) ابن القيم: الفوائد، ص ١٧٦، ١٧٧.

(١) أحمد وأبو داود.

(٢) الترمذى.

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: **ليس تحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله** عز وجل **فيها**ــ [٣].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لكل شيء جلاء وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل.

وذكر البيهقى مرفوعا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه كان يقول: **لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله** عز وجل، **وما من شيء أنجى من عذاب الله** عز وجل **من ذكر الله** عز وجلــ قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: **ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع**ــ.

ولا ريب أن القلب يصدأ النحاس والفضة وغيرها، وجلاؤه بالذكر فإنه يجلوه حتى كالمرأة البيضاء. فإذا ترك صدأ فإذا ذكره جلاه.

وصدأ القلوب بأمرين بالغفلة وبالذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكبا على قلبه وصدؤه بحسب غفلته، وإذا صدأ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هى عليه، فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ اظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هى عليه.

فاذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقا ولا ينكر باطلا. وهذا أعظم عقوبات القلب وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فانهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره.

قال تعالى:{وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾} [الكهف: ٢٨].

فإذا أراد العبد أن يقتدى برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟

وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحى؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطا.

(٣) البيهقى والطبرانى.

ومعنى الفرط قد فسرـ بالتضـييع أى: أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به، وبه رشـده وفلاحه ضـائع قد فرط فيه، وفسرـ بالإسراف أى: قد أفرط وفسرـ بالهلاك وفسرـ بالخلاف للحق، وكلها أقوال متقاربة، والمقصـود: أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصـفات، فينبغى للرجل أن ينظر في شيخه وقدرته ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليتمسـك بغرزه، ولا فرق بين الحى والميت إلا بالذكر، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحى والميت.

ومن المواقف:

عجزت النساء أن يلدن مثلك يا معاذ:

معاذ بن جبل رضي الله عنه

قال رسـول الله صلي الله عليه وسلم: **خذو القرآن من أربعة: من ابن مسعود وأبي معاذ بن جبل وسالم أبى حذيفه**[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: جمع القرآن على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم أربع كلهم من الأنصار: أبي بن كعب وزيد ومعاذ بن جبل وأبو زيد وأحد عمومتى "[٤].

وقال عمر بن الخطاب: عجزت النساء أن يلدن مثلك يا معاذ.

هـذا العـالم العـابـد المجاهد ما بكى عند الموت إلا على مجالس الذكر، ففى مرض موته قـال: اخنق ختقـك فوعزتـك إنى أحبـك..... اللهم إنى كنـت أخافك وأنا اليوم أرجوك.... اللهم إنـك تعلم إنى مـا كنت أحب البقاء في الدنيا لكرى الأنهار ولا غرس الأشـجار، وإنما لمكابدة الساعات، وظمأ الهواجر ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

وقـال معـاذ رضي الله عنـه: مـا عمـل أدمى عمـل أنجى لـه من عذاب الله، من ذكر الله قـالـوا: يـا أبـا عـبـد الـرحـمـن، ولا الـجـهـاد في سـبـيـل الله؟ قـال: ولا الـجـهـاد إلا أن يضرب بسـيفه حتي ينقطع لأن الله تعالى يقول في كتابه:{ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾} [العنكبوت: ٤٥].

---

(١) البخارى.

(٢) البخارى ومسلم.

يختم القرآن كله في كل ركعه!!!:
ذو النورين: عثمان بن عفان.

قال عبد الرحمن التيمى: لأغلبن الليلة على المقام قال: فلما صليت العتمه تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه، فبينما أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفي فإذا هو بعثمان بن عفان فبدأ بأم القرآن فقرأ حتى ختم القرآن فركع وسجد ثم أخد نعليه فلا أدرى أصلى قبل ذلك شيئا أم لا.

فكان رضي الله عنه يقرأ القرآن في ركعه ثم يوتر بها.

وعن ابن سيرين قال: قالت امرأه عثمان حين قتل: لقد قتلتموه وإنه ليحيى الليل كله بالقرأن في كل ركعه.

قال ابن كثير: وقد روى من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحده عند الحجر الأسود أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه ولهذا روينا عن عمر أنه قال في قوله تعالى:{ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾} [الزمر: ٩]، هو عثمان بن عفان.

وقال فيه حسان بن ثابت:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ::: يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

قال النووى: فمن الذين كانوا يختمون الختمة في اليوم والليله: عثمان ابن عفان رضي الله عنه وتميم الدارى، وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعى وغيرهم.

يسبح مائة ألف تسبيحه في اليوم:
أبو الدرداء رضي الله عنه.

عن أبي حليس: قيل لأبي الدرداء وكان لا يفترض من الذكر: كم تسبح في كل يوم؟ قال: مائة ألف إلا أن تخطئ الأصابع!!

يختم القرآن في سبع:

تميم الدارى رضي الله عنه.

عن أبى المهلب: كان تميم الدارى يتم القرآن في سبع.

وعن ابن سيرين: أن تميمًا الدارى كان يقول القرآن في كل ركعة.

يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة:

أبو هريرة رضي الله عنه.

عن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يقول: أسبح قدر ديتى!!!

يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان:

أبو مسلم الخولانى.

كان يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان ويقول: " اذكروا الله حتى يرى الجاهل أنك مجنون "، وفى رواية: " أنه مجنون ".

يختم القرآن في رمضان كل ليلتين:

الأسود بن يزيد النخعى.

عن إبراهيم قال: كان الأسود النخعى يختم القرآن في رمضان كل ليلتين وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان كل ست ليال.

يقرأ القرآن كل ليلة ثلاث مرات:

الإمام سليم بن عتر.

قاضى مصر وواعظها وقاصها وعابدها، وكان يدعى الناسك لشدة تألهه، وعن الحارث بن يزيد أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن كل ليله ثلاث مرات.

يختم القرآن كل ليلتين:

سعيد بن جبير رضي الله عنه.

عن عبد الملك بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين.

يقوم الليل بربع القرآن:

عروة بن الزبير.

عن ابن شـوذب قال: كان عروه يقرأ القرآن كل يوم في المصـحف نظراً، ويقوم به الليل فما تركه إلا ليلة قطعت رجله وكان وقع فيها الأكله فنشرـت، وكان إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون فيأكلون ويحملون.

يختم القرآن كل جمعة:

عبد الله بن محيريز.

قال عمرو بن عبد الرحمن بن محيريز: كان جدى يختم في كل جمعة وربما فرشـــنا له فلم ينم عليه.

يقرئ الناس أربعين سنة:

أبو عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب مقرئ الكوفة.

عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **خيركم الذي تعلم القرآن وعلمه** [1].

قال أبو عبد الرحمن: فذلك أقعدنى هذا المقعد.

قال أبو إســحاق الســبيعى: أن أبا عبد الرحمن كان يقرئ الناس في المســجد الأعظم أربعين سنه.

وقـال رحمه الله: أنا أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشرـــ آيات لم يجاوزوهن إلى العشرـ الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به وأنه سيرث القرآن بعدنا قوم يشرـبونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم بل لا يجاوز هاهنا ووضـع يده على حلقه.

يشتم من فيه رائحة المسك:

نافع بن عبد الرحمن.. المقرئ المدنى.

قال مالك: نافع إمام الناس في القرآءة.

وقـال أحمـد بن بن هلال المصرـــى: قـال لى رجل ممن قرأ على نافع: أن نافعا كان إذا تكلم يشـتم من فيه رائحة المسك، فقلت له: يا أبا عبد الله، تتطيب كلما قعدت تقرئ؟ قال: ما أمس طيبا ولكنى رأيت النبى صلي الله عليه وسلم وهو يتفل في في فمن ذلك الوقت أشم من فِيَ هذه الرائحة؟

---

(١) البخارى.

جزى الله بـــالخيرات عنـــا آئمـــة ::: لنا نقلوا القرآن عذبا وســــلســــلا

ما أظن الله خلق مثلك!!:

قتاده بن دعامة.

قال سفيان الثورى: هل كان في الدنيا مثل قتادة؟!

وقال سعيد بن المسيب لقتاده: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك.

قال ســلام بن أبي مطيع كان قتاده يختم القرآن في ســبع فإذا جاء رمضــان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة.

يبل عمامته من دموع عينه:

منصور بن زاذان.

شيخ واسط علما وعملا المتيسر له قراءة القرآن.

قال عنه ابن ســعد: كان ثقة حجة سريع القراءة يريد أن يترســل فلا يســتطيع، وكان يختتم في الضحى.

قــال يــزيــد بــن هــارون: كــان مــنصـــور بــن زاذان يــقــرأ الــقــرآن كــلــه في صـــلاة الضـــحـــى وكــان يــخــتــم الــقــرآن في الأولى إلى الــعصرـــ ويــخــتــم في الــيــوم مــرتــين ويصـــلى الــلــيــل كــلــه، وكــان رحــمــه الله يــبــل عــمامــتــه مــن دموع عينيه.

قال هشـــيم: كان منصـــور لو قيل له: إن ملك الموت على الباب ما كان عنده زيادة في العمل. وكان يصلى من طلوع الشمس إلى أن يصلى العصر ثم يسبح على المغرب.

- يذكر الله حتى تغيب الشمس في المسجد:

حسان بن عطية.

قـال الأوزاعى: مـا رأيت أحداً أكثر عملا في الخير من حســـان بن عطية وقال الأوزاعى أيضا: كان حسان بن عطية إذا صلى العصر يذكر الله تعالى في المسجد حتى تغيب الشمس.

- نظر في المصحف حتى خشى أن يذهب بصره:

حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة.

قال المذهبى: كان إمامًا حجة قيما بكتاب الله عابدا خاشــعا قانتا لله ثخين الورع عديم النظير.

كان شـعيب بن حرب يقول لأصـحابه الحديث: ألا تسـألنى عن صـاحب الدر؟ قراءة حمزة.

وقال يحيى بن معين: سـمعت محمد بن فضـيل يقول: ما أحسـب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفه إلا بحمزة.

وقال حمزه: نظرت في كتاب الله حتى خشيت أن يذهب بصرى.

وكان رحمه الله يقرئ القرآن حتى يتفرق الناس ثم ينهض فيصلى أربع ركعات ثم يصلى ما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشـاء، وحدث بعض جيرانه أنه لا ينام الليل وأنهم يسمعون قراءته يرتل القرآن.

ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف من نور القرآن.

أبو جعفر زيد بن القعقاع القارئ:
أحد القراء العشرة

قال سـلمان بن مسـلم: شـهدت أبا جعفر حين احتضر، جاء أبو حازم ومشـيخه فأكبوا عليه يصرخون به فلم يجبهم.

وكان ختنه على بن أبي جعفر: ألا أريكم منه عجباً؟

قـالـوا: بـلى، فـكشـف عـن صـدره فـإذا دواره بـيضـاء مـثـل الـلبن فقـال أبو حازم وأصحابه: هذا والله نور القرآن. قال سـليمان: فقالت لى أم ولده بعد ما مات: صار ذلك البياض غرة بين عينيه!!!

وعن نـافع قـال: لما غسـل أبو جعفر القـارئ نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقه المصحف فما شك من حضره أنه نور القرآن رحمه الله.

بأبي وأمى ذلك السـيد الذي خالط القرآن لحمه ودمه، وكان نورا في صـدره وبين عينيه بعد وفاته.

عن مالك بن أنس: كان جعفر القارئ إذا مر سـائل وهو يصلى بالليل دعاه فيستتر منه ثم يلقى إليه إزاره!!

يختم القرآن أربعة وعشرين ألف ختمة؟!:
أبو بكر بن عياش شيخ الإسلام وبقية الأعلام.

قال الذهبي: قد روى من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة وهذه عبادة يخضع لها.

قال يحيى الحماني: لما حضرت أبا بكر الوفاة بكت أخته فقال لها: ما يبكيك؟ انظرى إلى تلك الزاوية فقد ختم أخوك فيها عشرة ألف ختمة.

كان رحمه الله يقول: يا ملكى ادعو الله لى فإنكما أطوع لله منى.

قال الإمام النووى: هو الإمام المجمع على فضله واسمه وكنيته على الصحيح روينا عن ابنه إبراهيم قال: قال لى أبي: إن أباك لم يأت فاحشه قط، وإنه ختم القرآن منذ ثلاثين سنة كل يوم مرة. وروينا عنه أنه قال لابنه: يا بنى إياك أن تعصى الله في هذه الغرفة فإني ختمت فيها اثنتى عشرة ألف ختمة وروينا عنه أنه قال لابنته عند موته وقد بكت: يا بنية لا تبكى، أتخافين أن عذبنى الله تعالى وقد ختمت في هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة؟!

إذا قرأ القرآن لم تحس في المسجد حركة كأن ليس فيه أحد:
يحيى بن وثاب القارئ؟!

قال الأعمش: يحيى بن وثاب أقرأ من بال على ترب.

وقال الأعمش: كان يحيى من أحسن الناس قراءة وربما أشتهيت تقبيل رأسه لحسن قراءته وكان وإذا قرأ لم تحس في المسجد حركة كأن ليس في المسجد أحد.

وقال الأعمش: كنت إذا رأيته قلت: هذا قد وقف للحساب.

يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات:
كرز بن وبره.

له الصيت البالغ في النسك والتعبد.

سأل ربه أن يقوى حتى يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات.

يقرأ القرآن في يوم وليلة ويصوم الدهر:

ثابت البنانى.

قال السمعانى: هو من تابعى البصرة صحب أنس أربعين سنة وكان أعبد أهل البصرة.

قال شعبة: كان ثابت البنائى يقرأ القرآن في يوم وليلة ويصوم الدهر.

يقرأ القرآن في ركعتين:

أبو حنيفة النعمان.

قال الكرورى: كان أبو حنيفة النعمان يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة وفى رمضان كل يوم مرتين مرة في النهار ومرة في الليل.

وقال ابن المبارك: كان أبو حنيفة يجمع القرآن في ركعتين، وقال أيضا: أربعة من الأئمة ختموا القرآن في ركعتين: عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعد بن جبير وأبو حنيفة.

وعن أسد بن عمر: كان أبو حنيفة عامة الليل يقرأ القرآن في ركعة وعن مسعر بن كدام قال: دخلت المسجد فرأيت رجلاً يصلى فاستحليت قراءته فقرأ سبعًا فقلت يركع ثم قرأ الثلث ثم النصف فلم يزل يقرأ حتى ختمه كله في ركعة فنظرت فإذا أبو حنيفة.

يختم القرآن كل ليلة ويصوم الدهر:

وكيع بن الجراح.

قال الكفوى: قال حيى بن أكتم: صحبته في الحضر والسفر وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة.

وعن محمد بن جرير قال: مكث وكيع بعبادان أربعين ليلة وختم أربعين مرة وتصدق بأربعين ألف درهم.

جزءوا الليل ثلاثة أجزاء يختمون فيها القرآن بينهم كل ليلة:

الحسن بن صالح بن حى الثورى:

قال وكيع: كان الحسن وعلى ابنا صالح وأمهما قد جزءوا الليل ثلاثة أجزاء يختمون فيه القرآن في بيتهم كل الليلة، فكان كل واحد يقوم بثلثه فماتت أمهما فكانا يختمانه، ثم مات على فكان الحسن يختم كل ليلة.

يختم القرآن كل ليلة ويدعو لألف إنسان:

يحيى بن معين:

أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة.

وقال عمرو بن على: كان يحيى بن سعيد القطان يختم القرآن كل يوم وليلة يدعو لألف إنسان ثم يخرج بعد العصر يحدث الناس.

وقال على بن المدينى: كنا عند يحيى بن سعيد فقرأ رجل سورة الدخان فصعق يحيى وغشى عليه.

قال أحمد بن حنبل: لو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى - يعنى الصعق.

وقال يحيى بن معين: كان يحيى بن سعيد يجيء معه بمسباح فيدخل يده في ثيابه فيسبح.

يختم القرآن في رمضان ستين ختمة:

إمام الدنيا وناصر السنة الشافعى.

قال حسين الكرابيسى: بت مع الشافعى ليلة فكان يصلي نحو ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله ولا بآيه عذاب إلا تعوذ وكأنما له الرجاء والهيبة جمعا.

وقال الربيع بن سليمان: كان الشافعى يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة كل ذلك في صلاة.

قال الربيع: نمت في منزل الشافعي ليالِ فلم يكن ينام إلا يسيرا من الليل.

وقال الحميدى: كان الشافعى يختم القرآن كل يوم ختمة.

هم الرجال وعيب أن يقال لمن ::: لم يتصف بمعانى وصفهم رجل

يصلى في اليوم والليله ثلاثمائة ركعة:
إمام أهل السنه: أحمد بن حنبل.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان أبى يصلى في كل يوم وليله ثلاثمائة ركعة فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلى في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وكان قرب الثمانين.

أنت تدرى أيها الحيران عنا ::: كيف فوق الشمس أزمانا حللنا

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل: وكان يقرأ في كل يوم سبعا يختم في كل سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلى عشاء الأخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلى ويدعو.

وقال هلال بن علاء: خرج الشافعى ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة فلما أن صاروا بمكه نزلوا بموضع، فأما الشافعى فإنه استلقى، ويحيى ابن معين أيضا استلقى، وأحمد بن حنبل قائم يصلى فلما أصبحوا قال الشافعى: لقد علمت للمسلمين مائتى مسألة.

قيل ليحيى بن معين: أى شيء علمت؟ قال: نفيت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم مائتي كذاب.

وقيل لأحمد بن حنبل: فأنت؟ قال: صليت ركعات ختمت فيها القرآن.

وعن جعفر بن أبى هاشم قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ختمت القرآن في يوم فعددت موضع الصبر فإذا هو نيف وتسعون.

يختم القرآن في كل يوم وفى رمضان ثلاث ختمات في اليوم.

أبو عباس: أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء.

قال أبو الحسين محمد بن على صاحب الجنيد بن محمد: صحبت أبا العباس بن عطاء عدة سنين متأدباً بأدبه، وكان له في كل يوم ختمة وفى كل شهر رمضان - في كل ويوم وليلة ثلاث ختمات.

يصلى كل يوم خمس مئة ركعة:

بشر بن الحارث الحافى.

قال على بن المدينى: ما رأيت أخوف لله منه كان يصلى كل يوم خمس مائة ركعة.

وقال ابن المدينى: حفر بشر قبره وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن.

يغشى عليه إذا سمع القرآن:

عبد الرحمن بن مهدى.

قال على بن المدينى: كان ورد عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن قال المذهبى: عبد الرحمن له دلاله عجيبة وكان يغشى عليه إذا سمع القرآن.

يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة:

عمر بن هانئ العبسى الدارانى.

قال أبو داود: كان عمير بن هانئ قدريا يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة

يختم القرآن أربع مرات في اليوم:

أبو قبيصة محمد بن عبد الرحمن الضبى.

قال إسماعيل الخطي: سألت أبا قبيصة وكان أدرس من رأيناه للقرآن عن أكثر ما قرأ في يوم وكان يوصف بسرعة القرآءة فامتنع أن يخبرنى، فلم أزل به حتى فال: قرأت يومًا من أيام الصيف أربع ختم وبلغت في الخامسة حتى:{بَرَآءَةٌ} وأذنت العصر.

قال: وكان من أهل الصدق.

يختم القرآن اثنتى عشرة ألف ختمة:

الكتانى أبو بكر محمد بن على بن جعفر.

قال مذهبى: يقال: ختم الكتانى في الطواف اثنتى عشرة ألف ختمة وكان من الأولياء.

وكان رحمه الله يقول: من حكم المريد أن يكون نومه غلبة وأكلة فاقة وكلامه ضرورة.

صار القرآن كأنه بين عينيه:

أبو سهل القطان: أحمد بن محمد بن عبد الله.

قال أبو عبد الله بن بشر القطان: ما رأيت أحسن انتزاعا لما أراد كمن أتى القرآن من أبي سهل بن زاد وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل فلكثرة درسه للقرآن كأنه بين عينيه.

يسبح وهو بين يدي الحجام:

الإمام أحمد بن حرب.

قال زكريا بن دلويه: كان أحمد بن حرب إذا جلس بين يدى الحجام ليحف شاربه يسبح فيقول له الحجام: اسكت ساعة فيقول: اعمل أنت عملك وربما قطع من شفته وهو لا يعلم.

وقال محمد بن يحيى: مر أحمد بن حرب بصبيان يلعبون فقال أحدهم: أمسكوا، فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل فقبض على لحيته وقال: الصبيان يهابونك وأنت تنام؟ فأحيا الليل بعد ذلك حتى مات.

وقال يحيى بن يحيى التميمى: إن لم يكن أحمد بن حرب من الأبدال ولا أدرى من هم؟!

وقال أحمد بن حرب رحمه الله: عبدت الله خمسين سنة فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء: تركت رضا الناس حتى قدرت أتكلم بالحق، وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة.

ينشر وهو يذكر الله:

ولما مات كان يسمع من جسده قراءة القرآن.

الإمام القدوة الشهيد أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل المعروف بابن النابلسى.

سجنه بنو عبيد - الفاطميون - وصلبوه على السنة وسمع الدارقطنى يذكره ويبكى ويقول: كان يقول: وهو يسلخ:{كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا} [الإسراء: ٥٨].

قال أبو الفرج بن الفرج: أقام جوهر - القائد - لأبى تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسى وكان ينزل الأكواخ فقال له: بلغنى أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهما وفينا تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرمى العاشر فيكم أيضا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الألوهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديا فسلخه.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصـوفى: أخبرنى الثقة أن أبا بكر سـلخ من مفرق رأسـه حتى بلغ الوجه وكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاخ فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه، وأخبرني الثقة أنه كان إماما في الحديث والفقه صائم الدهر كبير الصـوله عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان سمع من جسده قراءة القرآن.

يختم القرآن كل ليلة:

أبو بشر أحمد بن محمد بن حسنويه.

ذكر العلامه ابن الأثير في " اللباب في تهذب الأنسـاب " وقال: سمع محمد ابن إسحاق يقول: كان أبو بشر - يختم القرآن كل ليلة - توفى سنة ٣٩٠ هـ رحمه الله تعالى.

يموت ساجداً لله:

جعفر بن الحسن الحنبلى.

قال الحافظ ابن رجب: كان من عباد الله الصـالحين أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر وله المقامات المشـهوده في ذلك كان مداوما على الصـيام والتهجد والقيام له ختمات كثيره جداً كل ختمه منها ركعه توفى في الصلاة - ساجداً - سنة ٥٠٦هـ رحمة الله تعالى.

كان من شدة اشتغاله بالله مثل مجنون أو واله:

أبو الحسن الباهلى.

قال عنه أبو إسحاق الإسفراييني: أنا في جنب شيخنا أبي الحسن الباهلي كقطرة في بحر.

وقال ابن الباقلانى: كان الباهلى من شدة اشتغاله بالله مثل مجنون أو واله.

يحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة:

الحافظ ابن عساكر.

قال ابن القاسـم: كان أبي مواظباً على صـلاة الجماعة وتلاوة القرآن يختم كل جمعة ويختم في رمضـان كل يوم، وكان كثير النوافل والأذكار ويحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة.

نور يأتيه من السماء حتى يبصر فيتوضأ:

الإمام عبد الرحمن بن على بن المسلم.

قال ابن الحاجب: كان فقيهًا عدلاً صـالحاً يتلو كل يوم وليلة ختمة وقال أبو حامد ابن الصـابونى في كتابه: أضر في الآخره وأقعد، فاحتاج إلى وضوء في الليل وما عنده أحد فذكر أنه قال: بينا أنا أتفكر إذ بنور من السـماء داخل البيت فبصرت بالماء فتوضـأت، حدث بعض إخوانه بهذا وأوصاه ألاَّ يخبر به إلا بعد موته.

كثير الأوراد والذكر:

ابن قدامة المقدسى.

قال المذهبى: كان قدوة صالحاً قانتاً لله ربانياً خاشعا مخلصاً وعديم النظير كبير القدر كثير الأوراد والذكر والمروءة والفتوة والصفات الحميدة قل أن ترى العون مثله يتلو كل ليله سبعاً مرتلاً في الصلاة وفى النهار سبعين بين الصلاتين.

يقرأ ختمتين قبل أن يطلع الفجر:

أحمد بن رضوان مصنف كتاب الواضح في القراءات العشر.

قال أبو بكر الخطيب: كان أحمد بن رضـوان أحد القراء المذكورين بإتقان الروايات، له في ذلك تصـانيف توفى وهو شـاب، وقد كان الناس يقرؤون عليه في حياة الحمامى لعلمه، حضرته ليلة في الجامع فقرأ ختمتين قبل أن يطلع الفجر.

عديم النظير كبير القدر:

شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال عنه البزار: أما تعبده رضي الله عنه فإنه قل أن سـمع بمثله؛ لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه فيه، حتى أنه لم يجعل لنفسـه شـاغلة تشغله عن الله تعالى ما راد له لا مواظبا على تلاوة القرآن العظيم، وكـان قـد عرفـت عبـادته لا كلمه أحمد بغير ضرورة بعد صـلاة الفجر فلا يزال في الذكر يسمع نفسه وربما يسمع ذكره من إلى جانبه هكذا دأبه حتى ترتفع الشمس.

وقال شـيخ الإسلام ابن القيم: حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يـذكر الله تعالى إلى قريب من انتصـاف النهار، ثم التفت إلى وقال: هذه غدوتى ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتى أو كلاما قريبا من هذا.

وقال لى مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفس وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلامًا هذا معناه.

وقال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟!

وقال: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وقال لى مرة: ما يصنع أعدائى بى؟ أنا جنتى وبستانى في صدرى إن رحت فهى معى لا تفارقنى، إن حبسى خلوة وقتلي شهادة وإخراجى من بلدى سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندى شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير ونحو هذا.

وقال لى مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. ماشاء الله.

ولما دخل القلعة وصار داخل سورها نظر إليها وقال:{فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ} [الحديد: ١٣].

وما هذا إلا لتفرغه لتلاوة القرآن في السجن بعد أن أخذوا منه أقلامه وكتبه ودفاتره.

وختم القرآن مده إقامته بالقلعة ثمانين أو إحدى وثمانين ختمة انتهى في آخر ختمة إلى آخر:{ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ } [القمر: ١]،{ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾} [القمر: ٥٤ - ٥٥]، ثم كمت بعد وفاته وهو مسبح، كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء - يختم في عشرة أيام [1].

من كثرة ذكرة يقال عنه مجنون:

(١) بتصرف من كتاب تحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء: ص٢٢٨، ٢٦٠ - وص٣٩٦ - ٤٠١ وبتصرف، صلاح الأمه: ج٣/ص٣٧ وما بعدها.

أبو مسلم الخولانى.

وكان أبو مسلم الخولانى كثير الذكر فرآه بعض الناس فأنكر حاله، فقال لأصحابه: أمجنون صاحبكم؟! فسمعه أبو مسلم فقال: لا يا أخى ولكن هذا دواء الجنون.

عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون** [٢].

وقد شرطت على قوم صحبتهم ::: بأن قلبى لكم من دونهم غرض
ومن حديثى بكم قالوا به مرض ::: فقلت لا أذهب الله عنى ذلك المرض

يسبح وهو مصلوب:
ماهان العابد.

أمر الحجاج بن يوسف الثقفى بصلب ماهان فرفع على خشبة وهو يسبح ويهلل ويعقد بيده حتى بلغ تسعاً وعشرين فبقى شهراً بعد موته ويده على ذلك العقد مضمومة.

لتحشرن عظامى بعدما بليت ::: يوم الحساب وفيها حبكم علق

يسبح وهو يغسل!!:
خالد بن معدان.

وكان خالد بن معدان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحه سوى ما يقرأ من القرآن فلما مات وضع على سريره ليغسل فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح.

ظلت تسبح حتى اختلست من أيدى الرجال أمام القبر.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: كانت عندنا امرأة بمكة تسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة فماتت فلما بلغت القبر اختلست من أيدى الرجال.

في مرض الموت يقول في اليوم الله الله خمسة عشر ألف مرة:
ابن عساكر.

قال ولده إسماعيل: كان أبي في كل يوم وليلة من أيام مرضه يقول: الله الله، نحواً من خمسة عشر ألف مرة فما زال يقولها حتى طفئ.

---

(٢) أحمد.

يشتهى الجنه ويأمر بذكر الله:
الحافظ المقدسى.

الإمـام الحافظ عبد الغنى المقدسى العابد الأثرى على الحفاظ قال له ابنه: أبو موسى في مرض موته: ما تشـتهى؟ فيقول: أشـتهى الجنة أشـتهى رحمة الله لايزيد على ذلك، أشـتهى النظر إلى وجه الله سبحانه.

وجـاء جـماعـه يـعـودونـه فسـلموا عليـه فرد عليهم وجعلوا يتحـدثون فقـال: مـا هذا؟ اذكروا الله، قالوا: لا إله إلا الله فلما قاموا جعل يذكر الله بشـفتيه ويشـير بعينيه فقمت لأناول رجلاً كتاباً من جانب المسجد فرجعت وقد خرجت روحه.

أشد الناس مواظبه على الخير والذكر:
حماد بن سلمة.

قال عفان: رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة ولكن أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله تعالى منه رحمة الله.

وقال موسى بن إسـماعيل التبودكي: لو قلت لكم: إنى ما رأيت حماد بن سـلمة ضـاحكا لصـدقـت كـان مشـغـولاً إمـا أن يـحـدث، أو يـقـرأ، أو يسـبـح، أو يصلى قد قسم النهار على ذلك.

قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد.

يموت ممسكاً بالمسبحة وهو يسبح:
أسد الشام: عبد الله الونينى.

حكى ابن كثير كيف كان موته فقول: انصرف من الصلاة فقال للشيخ داود المؤذن وكان يغسـل الموتى: انظر كيف تكون غدا، ثم صـعد الشـيخ إلى زاويته فبات يذكر الله تعالى تلك اللية، ويتذكر أصـحابه ومن أحسـن إليه وهو بأدنى شيء يدعو لهم، فلما دخل وقت الصـبح صـلى بأصـحابه ثم اسـتند يذكر الله تعالى وفى يده سبحة فمات وهو كذلك جالس لم يسقط ولم تسـقط السـبحة من يده، فلما انتهى الخبر إلى الملك الأمجد صـاحب بعلبك، فجاء إليه فعانه كذلك، فقال: لو بنينا عليه بنيانا هكذا يشـاهد الناس منه آية فقيل له ليس هذا من السـنة فنحى وكفن وصـلى عله ودفن تحت اللوزة التي كان يجلس تحتها يذكر الله تعالى رحمه الله.

فاقد الأحبال الصوتية عند موته يقرأ القرآن بصوت جهوري:

يحكى الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى فيقول:

حدثنى أخى الشيخ محفوظ الشنقيطى مدير عام العلاقات بمجمع الملك فهد للمصحف الشريف عن شيخ القراء بالمجمع الشيخ عامر السيد عثمان - رحمه الله تعالى - أنه فقد أحباله الصوتيه في السنوات السبع الآخرة من حياته وكان يدرس تلاميذه القراءة، فلا يصحح لهم إلا بشهيق وإيماء ثم مرض مرض الوفاة وكان طريح السرير الأبيض بالمستشفى، ففوجئ آل المستشفى بالرجل مدة ثلاثة أيام ختم فيهن القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ثم أسلم الروح إلى بارئها.

أنت تعمل، وأنا أعمل:

- كان حجام يأخذ من شارب معروف وكان معروف يسبح فقال الحجام لا يتهيأ أخذ الشارب وأنت تسبح فقال معروف: أنت تعمل وأنا لا أعمل.

حتى كاد أن يسقط:

قال أبو بكر بن أبي طالب دخلت مسجد معروف وكان في منزله فخرج إلينا ونحن جماعة فقال السلام عليكم ورحمة الله فرددنا ♠ فقال حياكم الله بالسلام ونعمنا وإياكم في الدنيا والأحزان ثم أذن فلما أخذ في الأذان اضطرب وارتعد حين قال: أشهد أن لا إله إلا الله فقام شعر حاجبيه ولحيته حتى خفت أن لا يتم أذانه وانحنى حتى كاد أن يسقط.

تأخذ بيدك سبحة؟!:

ورؤى في يد الجنيد سبحة، فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟! فقال: طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه [1].

* * *

(١) الرسالة القشيرية، ص ١٨.

مواقف الغاضين بصرهم

مواقف عربية

مواقف الغاضين بصرهم

غض البصر: غضّ بصره يغضّه غضّا، وهو مأخوذ من مادّة (غ ض ض) الّتي تدلّ على معنيين:

أحدهما: الكفّ والنّقص، والاخر: الطّراوة، وغضّ البصر من المعنى الأوّل، وكلّ شيء كففته فقد غضضته، ومنه قولهم تلحقه في ذلك غضاضة، أي أمر يغضّ له بصره.

والإغضاء: إدناء الجفون، وهذا مشتقّ من اللّيلة الغاضية: الشّديدة الظّلمة، ومثله الغضاضة فمعناها: الفتور في الطّرف، فيقال: غضّ وأغضّ وذلك إذا وانى بين جفنيه ولم يلاق (أي بينهما) [1].

قال القرطبيّ: البصر: هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواسّ إليه، وبحسب ذلك كثر السّقوط من جهته، ووجب التّحذير منه، وغضّه واجب عن جميع المحرّمات. وكلّ ما يخشى الفتنة من أجله [2].

وقد قال المولي عز وجل:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾} [النور: ٣٠ - ٣١].

وعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه، أنّه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **اضمنوا لي ستّا من أنفسكم أضمن لكم الجنّة: اصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم** [3].

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٢٤٨) والصحاح (٣/ ١٠٩٥) ولسان العرب (٥/ ٣٢٦٥، ٣٢٦٦).

(٢) تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٤٨ (المجلد السادس).

(٣) أحمد (٥/ ٣٢٣) واللفظ له، الحاكم (٤/ ٣٥٨ - ٣٥٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال

وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **إيّاكم والجلوس في الطّرقات** . فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بدّ، نتحدّث فيها. فقال: **فإذا أبيتم إلاّ المجلس فأعطوا الطّريق حقّه**. قالوا: وما حقّ الطّريق يا رسول الله؟. قال: **غضّ البصر، وكفّ الأذى، وردّ السّلام، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر** [١].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنّه قال: سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري [٢].

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه: حفظ البصر أشدّ من حفظ اللّسان.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من نظرة إلاّ وللشّيطان فيها مطمع.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: إذا مرّت بك امرأة فغمّض عينيك حتّى تجاوزك.

و قال سعيد بن أبي الحسن: قلت للحسن: إنّ نساء العجم يكشفن صدورهنّ ورؤوسهنّ. قال: اصرف بصرك. يقول الله تعالى:{**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ**} [النور: ٣٠].

وقال وكيع بن الجرّاح - رحمه الله تعالى: خرجنا مع سفيان الثّوريّ في يوم عيد فقال: إنّ أوّل ما نبدأ به في يومنا غضّ أبصارنا.

وقال العلاء بن زياد العدويّ - رحمه الله تعالى -: لا تتبع بصرك حسن ردف المرأة، فإنّ النّظر يجعل الشّهوة في القلب.

وقال شجاع بن شاه - رحمه الله تعالى - : من عمّر ظاهره باتّباع السّنّة، وباطنه بدوام المراقبة، وغضّ بصره عن المحارم، وكفّ نفسه عن الشّهوات، (وذكر خصلة سادسة) هي أكل الحلال.قال: لم تخطئ له فراسة.

وقال ابن دقيق العيد - رحمه الله تعالى -: إنّ التّقوى سبب لغضّ البصر، وتحصين الفرج.

الذهبي: مرسل وله شاهد. والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣١). وذكره الألباني في الصحيحة (٣/ ٤٥٤) برقم (١٤٧٠). وكذا في صحيح الجامع (١/ ٣٣٩) رقم (١٠٢٩).

(١) البخاري - الفتح ١١ (٦٢٢٩) واللفظ له. ومسلم (٢١٢١).

(٢) مسلم (٢١٥٩).

وقال ابن كثير. رحمه الله تعالى -: عند تفسير قوله تعالى:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ } [النور: ٣٠]، هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضّوا من أبصارهم عمّا حرِّم عليهم فلا ينظروا إلاّ إلى ما أباح لهم النّظر إليه، وأن يغضّوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتّفق أن وقع البصر على محرِّم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا.

وقال الحافظ ابن حجر نظما في آداب الطّريق:

جمعت آداب من رام الجلوس على ال ::: طّريق من قول خير الخلق إنسانا
افش السّلام وأحسن في الكلام وش ::: مّت عاطسا وسلاما ردّ إحسانا
في الحمل عاون ومظلوما أعن وأغث ::: لهفان اهد سبيلا واهد حيرانا
بالعرف مر، وانه عن نكر وكفّ أذى ::: وغضّ طرفا وأكثر ذكر مولانا

وقال الشّاعر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ::: لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الّذي لا كلّه أنت قادر ::: عليه ولا عن بعضه أنت صابر
- كسبت لقلبي نظرة لتسرّه ::: عيني فكانت شقوة ووبالا
ما مرّ بي شيء أشدّ من الهوى ::: سبحان من خلق الهوى وتعالى

وقال آخر:

ألم تر أنّ العين للقلب رائد ::: فما تألف العينان فالقلب يألف

وقال أبو الطّيّب المتنبّيّ:

وأنا الّذي اجتلب المنيّة طرفه ::: فمن المطالب والقتيل القاتل

- قال الشّاعر:

كلّ الحوادث مبداها من النّظر ::: ومعظم النّار من مستصغر الشّرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ::: فتك السّهام بلا قوس ولا وتر
المرء ما دام ذا عين يقلّبها ::: في أعين العين موقوف على الخطر
يسرّ مقلته ما ضرّ مهجته ::: لا مرحبا بسرور بعده الضّرر

قال بعض السّلف: من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته.

قال الشّاعر:

وأغضّ طرفي مـــا بـــدت لي جارتي ::: حـــتّى يواري جـــارتي مـــأواهـــا

وقال ابن تيميّة - رحمه الله تعالى -: قد أمر الله في كتابه بغضّ البصر وهو نوعان: غضّ البصر عن العورة، وغضّه عن محلّ الشّهوة.

فالأوّل منهما: كغضّ الرّجل بصره عن عورة غيره، كما قال النّبيّ: **لا ينظر الرّجل إلى عورة الرّجل ولا المرأة إلى عورة المرأة** ويجب على الإنسان أن يستر عورته.

وأمّا النّوع الثّاني: فهو غضّ البصر عن الزّينة الباطنة من المرأة الأجنبيّة وهذا أشدّ من الأوّل.

من فوائد غض البصر:

- إنّ غضّ البصر عن العورة الّتي ينهى عن النّظر إليها كالمرأة والأمرد الحسن له ثلاث فوائد:

(١) حلاوة الإيمان ولذّته والّتي هي أطيب وأحلى ممّا تركه لله، فإنّ من ترك شـيئا لله عوّضه الله خيرا منه.

(٢) نور القلب والفراسـة، ولذلك ذكر الله عز وجل، عقب آيات غضّ البصر الّتي في سـورة النّور قوله تعالى:{ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [النور: ٣٥]، وذلك لأنّ الله عز وجل يجزي العبد على عمله بما هو من جنسـه. فلمّا منع العبد نور بصره أن ينفذ إلى ما لا يحلّ، أطلق نور بصيرته وفتح عليه باب العلم والمعرفة.

(٣) قوّة القلب وثباته وشجاعته فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجّة.

- يبدل الله صاحبه نورا يجد حلاوته في قلبه.
- فيه طاعة لله ورسوله يترتّب عليها محبّة توصله إلى إلى الجنّة.
- من أهمّ الصفات الّتي يتحلّى بها المؤمن وتتولّد من الحياء.
- فيه راحة للنّفس والبدن.
- يصون المحارم ويجنّب الوقوع في الزّلل.
- يجعل المجتمع المتحلّي بهذه الصّفة مجتمعا آمنا متحابّا.
- يصون المجتمع من انتشار الزّنى.

- يضرّ بالشّيطان وأعوانه ويستجلب العفّة.

ومن مضار إطلاق البصر:

- إطلاق البصر بريد الزنى ورسوله الأوّل.
- لوعة القلب وهياج الشّوق فيجرّ إلى الحرام.
- يفسد القلب والخلق.
- دليل قلّة الحياء وفقد الحشمة.
- من أسباب شيوع الفاحشة في المجتمعات فتسقط وتنهار.

ومن المواقف:

متى ذهبت عينك؟:

دخل الشعبي الحمام وفيه رجل حاسر، فغمض عينيه، فقال له الرجل: يا شيخ، متى ذهبت عينك؟ فقال: مذ أبدى الله عورتك[1].

متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟:

ودخل أبو حنيفة الحمام فرأى فيه قوماً لا مآزر لهم، فأغلق عينيه، وجعل يتهدي بيديه. فقال له أحدهم: متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟ قال: منذ انكشفت عورتكم [2].

ما سبب الذنب؟:

سئل ذو النون ما سبب الذنب؟ قال اعقل ويحك ما تقول فإنها من مسائل الصديقين سبب الذنب النظرة ومن النظرة الخطرة فإن تداركت الخطرة بالرجوع الى الله ذهبت وإن لم تذكرها امتزجت بالوساوس فتتولد منها الشهوة وكل ذلك بعد باطن لم يظهر على الجوارح فإن تذكرت الشهوة وإلا تولد منها الطلب فإن تداركت الطلب وإلا تولد منه العقل.

---

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٨٤/٤.

(٢) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ١٩٣.

حتى لا أُبالي استقبلتني امرأة أو حائط:

وقال أبو يزيد: لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز لي أن أسأل هذا ولم يقوله رسول الله صلي الله عليه وسلم إياه؟ فلم أسأله.

ثم إن الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء؛ حتى لا أُبالي استقبلتني امرأة أو حائط.

* * *

مواقف المواسين

مواقف عربية

مواقف المواسين

و المواساة مصدر قولهم: واسيته وهي لغة في آسيته، ويقال: أسوت الجرح إذا داويته، ولذلك يسمّى الطّبيب الآسي.

وأسّيت فلانا إذا عزّيته من هذا، أي قلت له: ليكن لك بفلان أسوة فقد أصيب بمثل ما أصبت به فرضي وسلّم، ومن هذا الباب آسيته بنفسي (وواسيته).

وقال الرّاغب: الأسو: إصلاح الجرح وأصله:

قال ابن مسكويه: المواساة: معاونة الأصدقاء والمستحقّين ومشاركتهم في الأموال والأقوات.

وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى -: المواساة: أن يجعل صاحب المال يده ويد صاحبه في ماله سواء.

وقال غيرهما: المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرّزق.

أنواع المواساة:

قال ابن القيّم - رحمه الله تعالى: المواساة للمؤمنين أنواع:

الأوّل: مواساة بالمال. **الثّاني:** مواساة بالجاه. **الثّالث:** مواساة بالبدن والخدمة. **الرّابع:** مواساة بالنّصيحة والإرشاد. **الخامس:** مواساة بالدّعاء والاستغفار لهم. **السّادس:** مواساة بالتّوجّع لهم.

قال: وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلّما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلّما قوي قويت، وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم أعظم النّاس مواساة لأصحابه بذلك، فلا أتباعه من المواساة بحسب اتّباعهم له، ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرّد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟

فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم [1].

وهذا النّوع الأخير الّذي يعني المشاركة إنّما يرمي إلى جبر خاطر المحتاجين عندما يتعذّر القيام بسدّ هذه الحاجة، وفي هذا ما يعينهم على الرّضا الصّبر وتحمّل المشاقّ.

من المواساة جبر خاطر المسلم وإدخال السّرور على قلبه:

---

(١) الفوائد ص ٢٢٤.

لمّا كانت المواســاة لا تقتصر ــ على مشــاركة المســلم لأخيه في المال والجاه أو الخدمة والنّصيحة.. أو غير ذلك فإنّ من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصّة في أوقات حزنه، وعند تعرّضــه لما يعكّر صــفوه، وهنا فإنّ إدخال السّرــور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطّيّبة، أو المســاعدة الممكنة بالمال أو الجاه، أو المشــاركة الوجدانيّة هو من أعظم المواســاة وأجلّ أنواعها، وقد كان صــلي الله عليه وســلم يواسي بالقليل والكثير، وقد علّمنا؟ أنّ من أقال مســلما من عثرته أقال الله عثرته، وأنّ الله عز وجل لا يزال في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه.

إنّ حاجة المسلم تتنوّع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهنـاك من تكون حـاجتـه إلى عمـل أو وظيفـة، وهنـاك من تكون حـاجتـه إلى كلمة طيّبة، وهناك من تكون حاجته إلى دفع الظّلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلى مشـاركة النّاس له في أتراحـه أو أفراحه، وهناك من تكون حاجته في وضــع الدّين عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات وكلّ ذلك يدخل في إطار القاعدة العامّة للمواســاة، وهي أن يكون المســلم في حاجة أخيه، وعلى المســلم أن يعرف أنّ فائدة هذه المواســاة لا ترجع إلى صــاحب الحاجة (المواسى) فقط، وإنّما تشمل أيضا المواسي لأنّ الله عز وجل يقف إلى جانبه ويكون في حاجته، هذا في الدّنيا، ويجازيه عليها أفضـل جزاء يوم القيامة، وقد أخبر الصّـادق المصدوق صلي الله عليه وسلم : **أنّ من لقي أخاه بما يحبّ ليسرّه بذلك سرّه الله** عز وجل **يوم القيامة**ـــ.

لقد حفلت سـير أعلام النّبلاء بنماذج مشرّقة من المواسـاة، ومن تأمّل هذه الصّـفحات المشرقة الّتي حفلت بها سـير هؤلاء يتّضـح أنّ مجالسـة المسـاكين والتّحدّث معهم فيه جبر خاطرهم وإدخال السّرــور عليهم، وإذا كان الإنســان واجدا فإنّه كان يتكفّل بنفقة هؤلاء وإعالتهم مع المحافظة على كرامتهم وتقديم المعونة لهم سرّا.

وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النّبيّ صلي الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخـذا بطرف ثوبـه حتّى أبـدى عن ركبته، فقال النّبيّ صــلي الله عليه وســلم: **أمّا صــاحبكم فقد غامر**ـــ فسـلّم وقال: يا رسـول الله إنّي كان بيني وبين ابن الخطّاب شيء فأسرعت إليه ثمّ ندمت، فســألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر " (ثلاثا) ثمّ إنّ عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فســأل: أثمّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النّبيّ صلي الله عليه وسلم فجعل وجه النّبيّ صلي الله عليه وسلم يتمعّر (أي تذهب نضارته من الغضـب) حتّى أشـفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم (مرّتين) فقال النّبيّ صـلي الله عليه وسلم: **إنّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صـدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟**ـــ (مرّتين) فما

أوذي بعدها [١].

وعن أنس قال: لمّا قدم النّبيّ صـــلي الله عليه وســـلم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوما أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقـد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ حتّى خفنا أن يذهبوا بالأجر كلّه، فقال النّبيّ صـــلي الله عليه وسلم: **لا ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم**ـــ [٢].

وعن عائشـــة ♥ قالت: كان النّبيَ صـــلي الله عليه وســـلم إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثّناء. قالت: فغرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشّدق، قد أبدلك الله عز وجـل بهـا خيرا منهـا. قـال: **مـا أبدلني الله** عز وجـل **خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي النّاس، وصدّقتني إذ كذّبني النّاس، وواستني بمالها إذ حرمني النّاس، ورزقني الله** عز وجل – **ولدها إذ حرمني أولاد النّساء**ـــ [٣].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنّه قال: قال رسـول الله صلي الله عليه وسلم: **لا يزال الله في حاجة العبد ما دام في حاجة أخيه**ـــ [٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **من أقال مسلما أقاله الله عثرته**ـــ [٥].

---

(١) البخاري - الفتح ٧ (٣٦٦١).

(٢) الـترمـذي (٢٤٨٧) وقـال: حســـن صـحـيـح، والـلـفـظ لـه، وذكـره ابـن كـثـير في البـدايـة والنهـايـة (٣/ ٢٢٧) وقال: رواه أحمد على شرط الشيخين.

(٣) أحمد (٦/ ١١٧ - ١١٨) واللفظ له، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٢٦) وقال: إسناده لا بأس به، وذكره الحافظ في الإصابة (٤/ ٢٨٣) وعزاه لابن عبد البر، وهو في الاستيعاب (٤/ ٢٨٦، ٢٨٧) حاشية على الإصابة.

(٤) الطبراني في الكبير (٥/ ١١٨)، وذكره الـدمياطي في المتجر الرابح (٥٣٧) وقال: رواه الطبراني بإســـناد جيد، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات (٨/ ١٩٣). واللفظ فيه.

(٥) أبـو داود (٣٤٦٠) والـلـفـظ لـه، أحـمـد (٢/ ٢٥٢) وقـال الشـــيـخ أحـمـد شـــاكـر: إســـنـاده صــحـيـح (١٣/ ١٦٨) حديث (٧٤٢٥)، والحاكم (٢/ ٤٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال محقق♂جامع الأصول " (١/ ٤٤٠): إسناده صحيح.

وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النّبيّ صلي الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **من كان معه فضل ظهر**[1]**فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له—** قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتّى رأينا أنّه لا حقّ لأحد منّا في فضل[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال: قدم علينا عبد الرّحمن بن عوف وآخى النّبيّ صلي الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الرّبيع - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنّي من أكثرها مالا، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلّقها حتّى إذا حلّت تزوّجتها. فقال عبد الرّحمن: بارك الله لك في أهلك، فلم يرجع يومئذ حتّى أفضل شيئا من سمن وأقط، فلم يلبث إلاّ يسيرا حتّى جاء رسول الله صلي الله عليه وسلم وعليه وضر من صفرة[3]، فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم: **مهيم؟—** [4] قال: تزوّجت امرأة من الأنصار. قال: **ما سقت فيها؟—** " قال: وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال: **أولم ولو بشاة—** [5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: **كان رجل يداين النّاس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه، لعلّ الله يتجاوز عنّا، فلقي الله تعالى فتجاوز عنه—** [6].

وقال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله تعالى -: المواساة من أخلاق المؤمنين.

- وقال أبو الأعرج رضي الله عنه لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم رضي الله عنه أربعين فقيها أدنى خصلة فينا التّواسي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه ممارين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا.

---

(١) الظهر: يراد به ما يركب من الدواب وخصه اللغويون بالإبل. والفضل: ما زاد عن الحاجة.

(٢) مسلم (١٧٢٨).

(٣) معنى الحديث أنه وجد به لطخامن طيب له لون فسأل عنه فأخبره أنه تزوج وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته.

(٤) مهيم: أي ما شأنك وما حالك؟.

(٥) البخاري. الفتح ٧ (٣٧٨١).

(٦) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٨٠) من حديث حذيفة، و(٦٤٨١) من حديث أبي سعيد، ومسلم (١٥٦٢) واللفظ له.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنّا نسـمّي جعفرا أبا المساكين، كان يذهب إلى بيته، فإذا لم يجد لنا شيئا، أخرج لنا عكّة أثرها عسل، فنشقّها ونلعقها.

- و قال الذّهبيّ: قيل: كانت لأبي برزة الأسلميّ جفنة من ثريد غدوة، وجفنة عشـيّة للأرامل واليتامى والمساكين.

- وعن أبي حمزة الثّماليّ رضي الله عنه قال: إنّ عليّ بن الحسين كان يحمل الخبز باللّيل على ظهره يتّبع به المساكين في الظّلمة، ويقول: إنّ الصّدقة في سواد اللّيل تطفئ غضب الرّبّ.

- وعن عمرو بن ثابت رضي الله عنه قال: لمّا مات عليّ بن الحسين وجدوا بظهره أثرا ممّا كان ينقل الجرب باللّيل إلى منازل الأرامل.

- وعن محمّد بن إسحاق رضي الله عنه قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلمّا مات عليّ بن الحسين، فقدوا ذلك الّذي كانوا يؤتون باللّيل.

ومن جملة فوائد المواساة:

- تورث حبّ الله عز وجل ثمّ حبّ الخلق.
- دليل حبّ الخير للآخرين.
- تشيع روح الأخوّة بين المسلمين.
- تقوّي العلاقات بين المسلمين.
- تساعد على قضاء حاجات المحتاجين وسدّ عوز المعوزين.
- تدخل السّرور على المسلم وترفع من معنويّاته فيقبل على الحياة مسرورا.
- المواساة تجعل صاحبها من المسرورين يوم القيامة.
- المواساة من أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل.
- المواساة تدعو إلى الألفة وتؤكّد معنى الإخاء وتنشر المحبّة.
- المواساة تدفع الغيظ وتذهب الغلّ وتميت الأحقاد.

ومن المواقف:

بحث في المواساة:

عن يعقوب بن شـيبة، قال: أظل عيد من الأعياد رجلاً يومئ إلى أنه من أهل عصره وعنده مائة دينار، لا يملك سواها.فكتب إليه رجل من إخوانه يقول له: قد أظلنا هذا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، ويستدعي منه ما ينفقه.

فجعل المائة دينار في صرة، وختمها، وأنفذها إليه.فلم تلبث الصرة عند الرجل إلا يسيراً حتى وردت عليه رقعة أخ من إخوانه، وذكر إضـافته في العيد، ويسـتدعي منه مثل ما استدعاه، فوجه بالصرة إليه بختمها.

و بقي الأول لا شيء عنده، فكتب إلى صديق له، وهو الثالث الذي صارت إليه الدنانير، يذكر حاله، ويستدعي منه ما ينفقه في العيد، فأنفذ إليه الصرة بخاتمها.

فلما عادت إليه صرته التي أنفذها بحالها، ركب إليه، ومعه الصرة، وقال له: ما شـأن هذه الصرة التي أنفذتها إلي.

فقال له: إنه أظلنا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصـبيان، فكتبت إلى فلان أخينا، أسـتدعي منه، ما ننفقه، فأنفذ إليّ هذه الصرة، فلما وردت رقعتك عليّ، أنفذتها إليك.فقال له: قم بنا إليه.فركبا جميعاً إلى الثاني، ومعهما الصرة، فتفاوضـوا الحديث، ثم فتحوها، فاقتسموها أثلاثاً.

قال أبو الحسـن: قال لي أبي: والثلاثة: يعقوب بن شـيبة، وأبو حسـان الزيادي القاضي، وأنسيت أنا الثالث [1].

إيثار نادر:

ونقل عن الواقدي قال كان لي صـديقان أحدهما هاشـمي والآخر نبطي فكنا في الصـداقة كنفس واحدة فنالتني ضـيقة شـديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن فنصـبر على البؤس والشـدة وأما صـبياننا هؤلاء فقد نقطّع قلبي عليهم رحمة لأنهم يرون صـبيان جيراننا وقد تزينوا في عيدهم وهم فرحون ولا بأس بالاحتيال فيما نصرفه في كسـوتهم قال فكتبت إلى صـديقي الهاشـمي أسـأله التوسـعة عليّ بشيء فوجه إليّ كيسا فيه ألف درهم فما استقر قراره حتى كتب إليّ صـديقي الآخر يشكو إلى مثل ما شكوته إلى الهاشمي فوجهت إليه بالكيس على حاله وخرجت إلى المسجد وأنا مستح من امرأتي فلما دخلت عليها لم تعنفني لعلمها

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ٣٣٥/١.

بالحال فبينما أنا كذلك إذ أقبل صديقي الهاشمي ومعه الكيس بختمه فقال أصدقني عما فعلته فيما وجهتُ به إليك فاعلمته بالخبر فقال إنك وجهت به إليّ ولا أملك إلا ما بعثت به إليك وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه إليّ كيس بختمه فاخرجنا للمرأة مائة درهم وتقاسمنا الباقي أثلاثا ونما الخبر إلى المأمون فاحضرني وسألني عن الخبر فشرحته له فأمر لنا بسبعة آلاف دينار منها ألف للمرأة وألفان لكل واحد منا [١].

المواساة من أخلاق المؤمنين:

حدث إبراهيم بن بشار، قال: أمسينا يعني مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة، وليس معنا شيء نفطر عليه ولا لنا حيلة، فرآني مغتما حزينا، فقال: يا إبراهيم بن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة، وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين، أغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة، أعزة في الدنيا أذلة يوم القيامة، لا تغتم ولا تحزن فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله والملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجلوا الراحة في الدنيا، لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة فإذا نحن برجل قد جاءنا بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا، وقال: كلوا يرحمكم الله. قال ابن بشار: فسلم، فقال: كل يا مغموم. فدخل سائل فقال: أطعمونا شيئا، فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر ورفعه إليه، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين [٢].

عيسي بن طلحة: يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق:

ثم إن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد ابن عبد الملك وقد قطعت رجله فقال عروة لبعض بنيه اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها ففعل فقال له عيسى إنا لله وإنا إليه راجعون يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك رأيك وعلمك فقال عروة ما عزاني أحد عن رجلي مثلك [٣]

---

(١) تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة، طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق: أبو عمار السخاوي، دار الفتح - الشارقة - ١٩٩٧م، ٢١٥/١.

(٢) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، ١ /١١٠.

(٢) الأصفاني، الأغاني، ١٧ / ٢٤٤.

الوليد بن عبد الملك: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه:

وقدم على الوليد بن عبد الملك رجل من عبس ضرير محطوم الوجه فسـأله عن سـبب ذلك فقال بت ليلة في بطن واد ولا أعلم في الأرض عبسـيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سـيل فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد إلا صـبيا مولودا وبعيرا ضـعيفا فند البعير والصـبي معي فوضعته واتبعت البعير فما جاوزت ابني قليلا إلا ورأس الذئب في بطنه فتركته واتبعت البعير فرمحني رمحة حطم بها وجهي وأذهب عيني فأصـبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر فقال الوليد بن عبد الملك اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه[1].

سعيد بن المسيب لم يزد على كلمة (لا):

ومن مواقف سـعيد بن المسـيب الشـهيرة في ذلك قصـه تزويج ابنته وقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان تقدم لخطبتها لابنه الوليد حين ولاه العهد ويذكر المؤرخون أنه أرسـل موكبا كبيرا على رأسـه مندوب خاص نزل المسـجد ووقف على حلقة سـعيد فأبلغه سلام أمير المؤمنين وأنه قدم يخطب إليه ابنته لابنه الوليد ولى العهد وانتظر الناس أن يستبشر سعيد بهذا التشريف الذي ناله ولكنه لم يزد على كلمة (لا) وكان لسعيد تلميذ متين الدين والخلق يدعى عبد الله بن أبي وداعة افتقده أياما فلما عاد إليه قال له سعيد: أين كنت فقال توفيت زوجتى فانشغلت بها قال سعيد فهلا أخبرتنا فشهدناها ثم أراد التلميذ أن يقوم فقال سعيد هل أحدثت امرأة غيرها قال يرحمك الله ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال سـعيد إن أنا فعلت تفعل؟ قال نعم فأمر بالشـهود وكتابة العقد قال ابن أبي وداعة: فقمت وما أدرى ما أصـنع من الفرح وصرت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ وأسـتدين؟ وصليت المغرب. وكنت صـائما فقدمت عشـائي لأفطر وكان خبزا وزيتا وإذا بالباب يقرع فقلت من هذا فقال سـعيد ففكرت في كل إنسـان إسـمه سـعيد إلا سـعيد بن المسـيب فإنه لم ير منذ أربعين سـنه إلا ما بين بيته والمسـجد فقمت وخرجت وإذا بسـعيد بن المسـيب وظننت أنه بدا له فقلت يا أبا محمد هلا أرسلت إلى فأتيتك قال لا أنت أحق

(٣) الأصفاني، الأغاني، ١٧ / ٢٤٦.

أن تزار قلت فما تأمرني قال رأيتك رجلا عزبا قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم صعدت إلى السطح وناديت الجيران فجاءوني وقالوا ما شأنك قلت زوجني سعيد بن المسيب ابنته وقد جاء بها على غفلة وها هي في الدار فنزلوا إليها وبلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج[1].

* * *

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٣٧٦/٢.

مواقف الداعين الله عز وجل

مواقف عربية

مواقف الداعين الله عز وجل

أعلم يا أخى أن الله عز وجل قد دعانا إلى دعائه وسؤاله والتضرع له فقال جل شأنه:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)} [غافر: ٦٠].

عن الألتجاء والعوده إلى الله - جلت قدرته - أمر قد طلب من المسلم على الدوام في الرخاء والبلاء في اليسر والعسر.

فالأستعانه بالله فرار الى الله وتعلق القلب به وطلب العون منه أستعانه من عاجز فقير ضعيف بقوى قادر غنى، واستغاثة من ملهوف جائر برب رؤوف رحيم.

ودعاء الله توجه إلى مصرف الكون ومدبر الأمر لزيل علة أرفع غمه أو كشف كربه أو حقق أمنيه ورغبة.

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)} [البقرة: ١٨٦].

فأية رقة وأية انعطاف وأية شفافيه وأى إناس فوق هذا، ألفاظ شفافه تنير، إنها تسكب في القلب المؤمن النداوه الحلوه والود والموانسة والرضا المطمئن والثقه واليقين يعيش منها المؤمن في جناب رضا وقربة نديه وملاذ أمين وقرار مكين، وهو يدعو سيد السادات الذي ليس له مثل ولا نظير.

سبحانه من لطيف لم تخف عليه مضمرات القلوب، فيصفح له عنها بنطق بيان ولم تستتر دونه مضمنات الغيوب، فيعبر له عنها بحركة لسان لكنه أنطق الألسن بذكرة لتستمر على وله العبوديه وتظهر به شواهد الربوبيه.

ولو لم يكن في الدعاء إلا رقة لكفى{فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ٤٣].

ولو لم يكن في فضله إلا هذه الآية لكفى:{ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ} [الفرقان: ٧٧].

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **أفضل العبادة الدعاء**[١].

(١) الحاكم.

فالدعاء تذلل وخضـوع وإخبات وانطراح على سـيده الكريم، قال صلي الله عليه وسلم: **الدعاء هو العباده**ــــ [٢].

قـال الخـاطبى: معنـاه: أن معظم العبادة أو أفضـــل العباده كقولهم: الناس بنو تميم، والمال الإبل وكقول النبى صلي الله عليه وسلم: **الحج عرفه**ــــ.

وقال رسـول الله صـلي الله عليه وسـلم: **إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء**ــــ [٣].

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**ــــ [٤].

وقال صـلى الله عله وسـلم: **من سره أن يسـتجيب الله له عند الشـدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء**ــــ [٥].

ولا بـد من وجود عبـاد يـدعون الله ويرفعون الأكف إليـه تلك سـنة الله في كونه وبين خلقه.

فعن سـلمان رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلي الله عليه وسلم: **إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يسـتحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صـفراً**ــــ [٦] وفى رواية: **صفراً خائبتين**ــــ.

يقول ابن القيم: والـدعـاء من أنفع الأدويـه، وهو عـدو البلاء يـدافعـه ويعـالجه ومنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن.

كما روى الحاكم في صحيحه من حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **الدعاء سلاح المؤمن**ــــ [٧].

وله من البلاء ثلاثة مقامات:

أحدهما: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

---

(١) البخارى وأحمد.
(٢) ابن حبان.
(٣) البخارى وأحمد.
(٤) الترمذى والحاكم.
(٥) الترمذى.
(٦) الحاكم.

الثانى: أن يكون أضـــعف من البلاء فيقوى عليـه البلاء فيصـــاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبة.

وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشه ♥ قالت: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لا يغني حذر من قدر الدعاء ينفع مما نزل ومما لم نزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**▬.

وفيهع أيضاً من حديث ابن عمرعن النبى صلي الله عليه وسلم قال: **الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء**▬.

وفيه أيضـاً من حديث ثوبان عن النبى صـلي الله عليه وسـلم قال: **لا يرد القدر إلا بالدعاء ولا يزد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**▬.

وإذا أجمع مع الدعاء حضـور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصـادف وقتا من أوقات الإجابه الســته وهى: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان وبين الأذان والإقامة وأداء الصلوات المكتوبه وعند صعود الإمام يوم الجمعه المنبر حتى تقضىـ الصلاه من ذلك اليوم، وآخر ساعه بعد العصرـ وصادف خشوعا في القلب وانكسارا بين يدى الرب وذلا له وتضرعا ورقـة واســتقبـل الـداعى القبلة وكان على طعارة ورفع يديه إلى الله وبدأ بحمد الله والثناء عليـه، ثم ثنى بـالصــلاة على محمـد عبده ورســوله صــلي الله عليه وســلم ثم قدم بين يـدى حـاجـتـه الـتـوبـه والاســتـغـفـار، ثـم دخـل وعـلى الله وألـح عـلـيـه في المســألـة وتملقـه ودعـاه رغبـة ورهبـة وتوسـل بـأسـمائـه وصــفـاتـه وتوحيـده، وقدم بن يدى دعائه صدقه فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً ولا سما إن صادف الأدعية التي أخبر النبى صلي الله عليه وسلم أنها مظنة الإجابة أو أنها متضمنة للإسم الأعظم(١).

فمنها ما في الســنن وفى صــحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريده عن أبيه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: **اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إلـه إلا أنـت الأحد الصـمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**▬ فقال: **لقد سأل الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب**▬ وفى لفظ: **لقد سألت الله باسمه الأعظم**▬ (٢).

---

(١) ابن القيم: الداء والدواء، ص٩.

(١) الترمذى.

آداب الدعاء:

وإتماماً للفائده نســوق هنا مجموعه من الآداب التي يجب أن تحلى بها الداعى وهى التي وردت بها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الســلف الصــالح من الصــحابه والتابعين، وهى في بعضها مستحبة والبعض الآخر من الواجبات.

أولاً: الجزم في الدعاء والثقة بالله في حصول الإجابة:

لا بـد للعبد المؤمن مهما كان الأمر الذي يدعو فيه الله - جل شــأنه - عظيمًا أو ثقيلا صعبا ينبغي أن يكون في قلبه الثقة بالله عز وجل في وصول وحصول الإجابة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رســول الله صــلي الله عليه وســلم: **إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطنى فإنه لا مستكره له**[٣].

بل لابد أن نتأكد أن الدعاء إذا خلا من اليقين ولم تحلل بالجزم ربما بعد عن الإجابة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلي الله عليه وسلم: **ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**[١].

قال سـفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجـاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله:{ **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾**} [الحجر: ٣٦ - ٣٧].

ولذا قيل في قوله: **وأنتم موقنون بالإجابة** أى: والحال أنكم موقنون بها أى كونوا عنـد الـدعـاء على حـالـة تســتحقون بها الإجابة من إتيان المعروف واجتناب المنكر ورعاية شروط الدعاء: كحضور القلب، وترصد الأزمنة الشرفة، واغتنام الأحوال اللطيفة كالسجود إلى غير ذلك، حتى تكون الإجابه على قلوبكم أغلب من الرد.

أو أراد وأنتم معتقـدون أن الله لا يخيبكم لســعـه كرمـه وكمال قدرته وإحاطة علمه لتحقق صــدقـه الرجـاء وخلوص الـدعـاء؛ لآن الـداعى مالم يكن رجاؤه واثقا لم يكن دعاؤه صادقاً.

---

(٢) البخارى.

(٣) الترمذى.

" من قلب غافل " أى معرض عن الله أو عما سأله.

" لآه " من اللهو أى: لاعب بما ســـأله أو مشـــتغل بغير الله تعالى وهذا عمدة أداب الدعاء ولذا خص بالذكر.

ثانياً: الإلحاح في الدعاء:

وأمـا الألحـاح في الـدعـاء فممـدوح؛ لأنـه لون من ألوان التـذلـل إلى المولى، ولون من الخضوع لعظمته، ولون من حسن الظن برحمته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنـه قال: قال رســـول الله صـــلي الله عليه وســـلم: **لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطعة رحم مالم يستعجل**، قيل: يا رسول الله، ما ارسـتعجال؟ قال: **دعوت فلم أر يسـتجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء**[٢].

قال ابن مسعود: " كان رسول لله صلي الله عليه وسلم إذا دعا، دعا ثلاثاً وإذا سأل، سأل ثلاثاً " [٣].

وفى صـحيح مسـلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسـول الله صـلي الله عليه وسلم ما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبله حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يانبى الله كفاك مناشـدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك.

وهذا نبى الله يعقوب صـلي الله عليه وسـلم ما زال يدعو ويدعو فذهب بصره واشـتد روعه، وألقى ولده في الجب ولا يدرى عنه شـيئا وأخرج الولد من الجب ودخل قصر العزيز، إلى أن شـب وترعرع ثم راودته المرأه عن نفسـها، فأبى وعصـمه الله، ثم دخل السـجن فلبث فيه بضـع سـنين ثم أخرج من السـجن، وكان على خزائن الأرض ومع طول هذا الوقت كله ويعقوب يقول لبنيه: {يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾} [يوسف: ٨٧].

(١) مسلم.

(٢) مسلم.

ثالثاً: خفض الصوت ولينه:

فإن خفض الصوت أعظم في الأدب والتعظيم، ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفه الأصوات ولله المثل الاعلى.

ولأنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فأن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه وذلت جوارحه، وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

ولأنه أبلغ في الإخلاص وأبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته فكلما خفض الصوت كان أبلغ في حمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وتعالى.

ولأنه دمل على صاحبه من الله فيسأله مسألة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد وهذه من النكت السريعة البديعة جدا، ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله:{إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾} [مريم: ٣].

ولأن ذلك أدعي إلى دوام الطلب والسؤال، وإخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشمشات والمضاعفات، وأحفظ لهذه النعمة العظيمة التي ما مثلها نعمة من عين حاسد وهذا باب عظيم أنفع وإنما يعرفه أهله وهذه فائدة شريفة نافعة.

ولهذا قال تعالى:{ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥].

ولهذا أمر الله بالدعاء وتعبد به ثم قرن عز وجل بالأمر صفات تحسن معه وهى: الخشوع والاستكانة والتضرع.

قال الحسن: لقد أدركت أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدرون على أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت إن هو إلا همس بينهم وبين ربهم.

قال تعالى:{إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾} [مريم: ٣].

قال ابن القيم في فوائد إخفاء الدعاء العديد الكثير فيقول:

أولها: أنه أعظم إيمانا لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاء الخفى.

ثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم؛ ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الصوت، وإنما تخفض عندهم الأصوات ويخفت عندهم الكلام بمقدار ما يسمعونه، ومن رفع صوته لديهم مقتوه ولله المثل الأعلى.

فإذا كان ربنا يسمع الدعاء الخفى فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت.

ثالثها: أنه - يعنى الإخفاء - أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فإن الخاشع الذليل الخاضع إنما يسأل مسأله مسكين ذليل قد أنكسر قلبه وذلت جوارحه في إلاخلاص.

رابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

خامسها: أنه أبلغ في جمعه القلب على الله في الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته فكلما خفض صوته كان أبلغ في حمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه.

سادسها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعجب، بخلاف ما إذا رفع الصوت فإنه يكل لسانه وتضعف بعض قواه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمًا ولا غائباً إنكم تدعون سميعا بصيراً**[1].

رابعاً: سؤال الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا:

قال تبارك وتعالى:{**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**} [الأعراف: ١٨٠].

وعن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: اللهم إنى أسالك بأنى أشهد أنك لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال: **لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب**[2].

---

(١) البخارى.

(٢) أحمد.

وعن أنس رضي الله عنه أنه كان مع النبى صلي الله عليه وسلم جالساً ورجل يصلى ثم دعا: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لاإله الا انت المنان بديع السماوات والأرض ياذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال النبى صلي الله عليه وسلم: **لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى**ـــ[٣].

خامساً: الدعاء بصالح الأعمال:

وقد ورد هذا وصح في حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم صخرة وانحطت على فم الغار الذى كانوا بداخله، فتوسلوا إلى ربهم بأخلص أعمالهم وأصوبها فاستجاب ربهم لدعائهم.

سادساً: الصلاة على النبى صلي الله عليه وسلم :

وهذا من الأمور التي غفل عنها الناس وهو من الأمور العظيمه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبى** صلي الله عليه وسلمـــ[٤]. وفى رواية: **كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبى** صلي الله عليه وسلم **وآل محمد**ـــ[٥].

سابعاً: طيب المطعم، رفع اليدين، استقبال القبلة.

ثامناً: الإكثار من ذكر الله واستغفاره والتوبه إليه، تطهير النفس وتزكية القلب.

تاسعاً: تعظيم المسألة.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **إذا تمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه**ـــ[٦].

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **إذا سأل احدكم فليكثر فإنما يسأل ربه**ـــ[٧].

(١) أحمد وابوداود.

(٢) البيهقى.

(٣) الطبرانى.

(٤) الطبرانى.

(٥) ابن حبان.

وقال المناوى: إذا تمنى أحدكم خيراً من خير الدارين فليكثر الأمانى فإنما يسأل ربه الذي رباه وأنعم عليه وأحسن إليه، فيعظم الرغبة ويوسع المسألة ويسأله حتى شسع النعل، فإن خزائن الجود سماء الليل والنهار ولا يفنيها عطاء وإن جل وعظم فعطاؤه بين الكاف والنون وليس ذا بمناقض لقوله سبحانه:{وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ} [النساء: ٣٢]، فإن ذلك نهى تمنى ما لأخيه بغيا وحسداً وهذا تمنى على الله خيراً في دينه ودنياه وطلب من خزائنه فهو نظير:{وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ} [النساء: ٣٢].

وقد ذم الله من دعا ربه فقط فقال تعالى:{ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾} [البقرة: ٢٠١ - ٢٠٢].

وفى صحيح البخارى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **إن في الجنه مائة درجه أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فأسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنه أو أعلى الجنه - أراه قال: وفوق عرش الرحمن - ومنه تفجر أنهار الجنه**[1].

وكثيراً ما نجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه ولإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكراً لحسنته أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك فأجيبت دعوته، فيظن الظان أن السر في لفظ ذلك الدعاء فيأخذ مجرداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الذي ينبغى فانتفع به فظن غيره أن استعمال هذا الدواء بمجرد كاف في حصول المطلوب، كان غالطا وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس.

ومن هذا أنه قد يتفق دعاءه باضطرار عند قبر، فيجاب، فيظن الجاهل أن السر للقبر ولم يعلم أن السر للأضطرار وصدق اللجوء إلى الله، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله كان أفضل وأحب إلى الله.

(١) البخارى.

والأدعية والتعوذات بمثابة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به، والساعد ساعدًا قوياً والمانع مفقودًا حصلت النكاية في العدو، ومتى تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعى لم يجمع بين قبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع الإجاه لم يحصل الأثر.

ولما كان الصحابه ♦ أعلم الأمة بالله ورسوله صلي الله عليه وسلم وأفقههم في دينه كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وادابه من غيرهم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستنصر به على عدوه وكان أعظم جنده وكان يقول: إنى لا أحمل هم الإجابه ولكن أحمل هم الدعاء فإن الإجابه معه.

وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه ::: من جود كفيك ما دعوتنى الطلب

الرب يغضب إن تركت سؤاله ::: وابن أدم حين يسأل يغضب

فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابه فإن الله سبحانه وتعالى يقول:

{ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ} [غافر: ٦٠]،{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ} [البقرة: ١٨٦].

وفى سنن ابن ماجه من حديث أبي هريره قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **من لم يسأل الله يغضب عليه**ـــ(٢).

وهذا يدل على أن رضاه في سؤاله وطاعته وإذا رضى الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه كما أن كل بلاء ومعصية في غضبه.

وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد أثراً: **أنا الله لا إله إلا أنا إذا رضيت باركت وليس لبركتى منتهى، وإذا غضبت لعنت، ولعنتى تبلغ السابع من الولد**ـــ.

وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجاوب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها أعظم الأسباب الجالبة لكل خير وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمته بمثل طاعته والتقرب إليه والإحسان إلى خلقه.

(١) ابن ماجه والترمذى.

ومن المواقف:

تعالوا نستنشق رياض السلف الصالح ونرى هذه الهمم السامقة " أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ".

يسير بجيش المسلمين على صفحة الماء بسبب الدعاء:

قال سهم بن منجاب: غزونا مع العلاء الحضرمى دارين قال: فدعا بثلاث دعوات فاستجاب الله له فيهن كلهن قال: سرنا معه قال: فنزلنا منزلاً وطلبنا الوضوء فلم نقدر عليه فقال فصلى ركعتين ثم دعا الله فقال: " للهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم أنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ من الأحداث، وإذا تركناه فلا تجعل لأحد يه نصيب غيرنا قال: فما جاوزنا غير بعيد فإذا نحن بنهر من ماء سماء يتدفق قال: فنزلنا فروينا وملأت إداوتى وتركتها وقلت لأنظرن هل استجيب له؟ قال: فسرنا ميلا أو نحوه فقلت لأصحابى: إنى نسيت إداوتى فذهبت إلى ذلك المكان فكأنما لم يكن فيه ماء قط فأخذت إداوتى فجئت بها فلما أتينا دارين وبيننا وبينهم البحر، فدعا الله أيضاً فقال: اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم إنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك فاجعل لنا سبيلا إلى عدوك ثم اقتحم بنا البحر فوالله ما ابتلت سروجنا حتى خرجنا اليهم، فلما رجعنا اشتكى البطن فمات فلم نجد مما نغسله به فكفناه في ثيابه فدفناه فلما سرنا غير بعيد إذا نحن بماء كثير فقال: بعضنا لبعض ارجعوا لنستخرجه فنغسله فرجعنا وطلبنا قبره فخفى علينا قبره فلم نقدر عليه فقال، رجل من القوم: إنى سمعته يدعو الله يقول: اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم أخف جثمانى ولا تطلع على عورتى أحداً فرجعنا وتركناه.

يدعو الله فيبعث له حماره:

عن الشعبى أن قوما من المهاجرين خرجوا متطوعين في سبيل الله فنفق حمار رجل منهم فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى، فانطلق أصحابه مرتجلين وتركوه فقام فتوضأ فصلى ثم رفع يديه فقال: اللهم إنى خرجت مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيى الموتى، وتبعث من في القبور اللهم فأحيى لى حمارى. ثم قام إلى الحمار فضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه ثم ركبه فأجراه حتى لحق بأصحابه فقالوا له: ما شأنك؟ قال: شأنى ان الله بعث لى حمارى؟!

قال الشعبى: أنا رأيت الحمار بيع أو يباع في مكان بالكوفة [١].

---

(١) مجابو الدعوه، ص ٨٥.

أقسم على الله فأبره! البراء بن عازب:

لقى البراء المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له: يا براء إن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: **إنك لو أقسمت على ا لله لأبرك—** فأقسم على ربك قال: أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقنى بنبيك فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً[٢].

يدعو الله بعز الاسلام والشهاده فبينالهما معا!! النعمان بن مقرن:

في يوم نهاوند قال النعمان بن مقرن رضي الله عنه: " اللهم إنى أسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذل يذل به الكفار ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة. أمنوا رحمكم الله " قال جبير: فأمنا وبكينا.

وفى رواية معقل بن يسار: قال النعمان: إنى أدعو الله عز وجل بدعائه فعزمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها: اللهم أعط النعمان اليوم الشهادة في نصر المسلمين وافتح عليهم، ثم حمل فكان أول صريع[٣].

من جدع أنفك وأذنك؟! عبد الله بن جحش:

قال سعد بن أبي وقاص: أن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال يوم أحد: ألا تدعوا الله؟ فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا بقيت العدو فلقنى رجلاً شديداًبأسه شديداً حرده أقاتله ويقاتلنى ثم ارزقنى الظفر عليه حتى أقتله وأخذ سلبه. فأمن عبد الله بن جحش ثم قال: اللهم ارزقنى رجلاً شديداً حرده شديدا بأسه أقاتله فيك ويقاتلنى ثم يأخذنى فيجدع أنفي وأذنى فإذا لقيتك غدا قلت: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفى رسولك صلي الله عليه وسلم فتقول: صدقت. قل سعد: يا بنى كانت دعوة عبد لله بن جحش خيرا من دعوتى لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط!![٤].

(١) الحاكم.

(٢) مجابو الدعوه، ص٦٢.

(٣) الطبرانى.

ياله من دعاء!!:

أخرج البخارى عن أسـلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اللهم ارزقنى شـهادة في سبيلك، واجعل موتى في بلد رسول الله صلي الله عليه وسلم. قالت حفصة: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: اللهم قتلا في سبيلك ووفاة ببلد نبيك صلي الله عليه وسلم. قالت: فقلت: وأنى يكون هذا؟ قال: يأتى به الله إذا شاء (٥).

أغرب من الأساطير، أبو معاويه الأسود:

كان أبو معاويه - رحمه الله - من كبار أولياء الله، صـحب سـفيان الثورى وإبراهيم بن أدهم وغيرهما،

قيل: إنه ذهب بصره فكان إذا أراد التلاوه في المصحف أبصر بأذن الله

قال أحمد بن فضـل العكي: غزا أبو معاوية الأسـود فحضرـ المسلمون حصنا فيه علج لا يرمى بحجر ولا نشـاب إلا أصـاب، فشـكو إلى أبي معاوية فقرأ:{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ} [الأنفال: ١٧]، فقال استرونى منه، فلما وقف قال: أين تردون بأذن الله؟

قالوا المذكير. فقال: أى رب، قد سـمعت ما سـألونى فأعطنى ذلك. بسـم الله. ثم رمى المذاكير فوقع!!! (١).

يدعو ربه أن يحشر في حواصل الطيور! عتيبة الغلام:

قـال ريـاح القـيـس: بـات عـنـدى عتبـه الغلام فسـمعتـه يقول في سـجوده: " اللهم احشرـ عتبة في حواصـل الطير، وبطون السباع فاستجاب الله دعاءه ولقى ربه شهيداً وأكلت الطيور لحمه " (٢).

---

(١) البخارى.

(٢) سير أعلام النبلاء، جـ ٩، ص ٧٨.

(٣) صفة الصفوه، جـ ٤، ص ٢٠٠.

دعاء الله بصالح الأعمال:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أن رسـول الله صـلي الله عليه وسلم قال: **بينما ثلاثة رهط يتماشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فبينما هم فيه إذا نحطت صخره فـأطبقـت عليهم الغـار فقال بعضــهم لبعض: انظروا أفضـــل أعمال فعلتموها فـأســألوه بهـا لعلـه يفرج عنكم. فقال أحدهم: اللهم إنه كان لى والدان كبيران وكـانـت لى امرأة وأولاد صـــغـار فكنـت أرعى عليهم فإذا أرحت غنمى بدأت بأبوي فسقيتهما فلم أت حتى نام أبواى فطلبت الأناء ثم حلبت ثم قمت بحلابى عند رأس أبواى والصـبية يتضاورن عند رجلى أكره أن أبدأ بهم قبل أبوى وأكره أن أوقظهما من نومهما فلم أزل كـذلـك قائما حتى أضـــاء الفجر، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فرجة نرى منها الســـماء ففرج الله لهم فرجة فرأوا منها الســـماء. وقال آخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عم فأحببتها حباً كانت أعز الناس إلى فسـألتها نفســها فقالت: لا، حتى تأتين بمائة دينار فسـعيت حتى جمعـت مـائة دينار فأتيتها بها فلما كنت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها. اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة ففرج الله عنهم فرجه. وقال الثالث: اللهم إنى استأجرت أجيرا بفرق ذرة فلما قضى عرضـته عليه فأبى أن يأخذه ورغب عنه فلم ازل أعتمل فيه حتى جمعـت منه بقراً ورعاءها فجاءنى فقال: اتق الله وأعطنى حقى ولا تظلمنى فقلت له: اذهب إلى تلك البقرة ورعاتها فخذها فذهب فاستاقها، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلـت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقى منها ففرج عنهم فخرجوا يتماشون**[٣].

(١) البخارى ومسلم.

سمعت لأهل السماء ضجة فسألت الله يولينى قتله:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل من أصحاب النبى صلي الله عليه وسلم من الأنصار يكنى أبا معلق، وكان تاجرا يتجر بمال له ولغيره يضرب في الأفاق وكان ناسكا ورعا، فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له: ضع ما معك فإنى قاتلك قال: ما تريد فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له: ضع ما معك فإنى قاتلك قال: ما تريد من دمى؟ شأنك والمال قال: أما المال فلى ولست أريد إلا دمك قال: أما إذا أبيت فذرنى أصلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يرد، اسألك بعزك الذي لا يرام، وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينى شر هذا اللص، يا مغيث أغثنى، يا مغيث أغثنى ثلاث مرات قال: دعا بها ثلاث مرات فإذا بفارس قد أقبل بيده حربه واصعها بين أذنى فرسه فلما أبصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله ثم أقبل إليه فقال: قم، قال: من نت بأبي وأمى؟ فقد أغاثنى الله بك اليوم، قال: أنا ملك من السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثانى فسمعت لأهل السماء ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لى: دعاء مكروب فسألت الله تعالى أن يولينى قتله.

قال أنس: فاعلم أنه توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بها الدعاء أستجيب له مكروبا أو غير مكروب [1].

دعا امرأة عثمان على قتلته:

عن شداد الأعمى قال: كنت أطوف بالبيت فإذا رجل أعمى يطوف بالبيت يقول: اللهم اغفر لى وما أراك تفعل قال: فقلت: أما تتقى الله؟ قال: إن لى شأنا أليت أنا وصاحب لى لئن قتل عثمان لنلطمن حر وجهه، فدخلنا عليه وإذا رأسه في حجر امرأته ابنة الفرافصة فقال بلها صاحبى: أكشفى عن وجهه قال: لم؟ قال: ألطم وجهه قال: أما تذكر ما قال فيه رسول لله صلي الله عليه وسلم؟ قال فيه كذا وقال فيه كذا قال: فاستحا صاحبى فرجع فقلت لها: أكشفى عن وجهه، قال: فذهبت تدعو على فلطمت وجهه فقالت: مالك! يبس الله يدك، وأعمى بصرك، ولا غفر لك ذنبك قال: فوالله ما خرجت من الباب حتى يبست يدى وعمى بصرى وما أرى الله يغفر لى ذنبى [2].

(١) مجابو الدعوة، ص ٦٣.

(٢) مجابو الدعوة، ص ٦٧.

أصابتنى دعوه سعد:

عن جابر بن سـمرة قال: شـكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه حتى قالوا: إنه لا يحسـن يصلى فقال سعد: أما أنا فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلي الله عليه وسلم لا أحزم عنهـا أركد في الأولیین وأحذف الأخريين قال عمر: ذلك الظن بك يا أبا إســحاق، ثم بعـث رجـالا يســألون عنـه في مجالس الكوفة فكانوا لايأتون مجلســا إلا أثنوا خيرا، وقالوا معروفا حتى أتوا مسـجداً من مســاجدهم فقال رجل يقال به أبوســعدة: فقال اللهم إذا سألتمونا فإنه كان لا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية فقال سعد: اللهم إن كان كاذبا فاعم بصره وأطل فقره وعرضه للفتن.

قال عبد الملك: فأنا رأيته يتعرض للإماء في السـكك فإذا قيل له: كيف أنت يا أبا سعدة قال: كبير فقير مفتون أصابتنى دعوة سعد [٣].

ألا دعوتم: ألا دعوتم لنا معكم؟!:

عن ابن عباس ☻ قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اخرجوا بنا إلى أرض قومنا قـال: فخرجنـا، فكنـت أنـا وأبى بن طعـب في مؤخر الناس فهاجت ســحابة فقال أبي: اللهم اصرف عنا أذاها فلحقناهم وقد ابتلت رحالهم فقال عمر: أما أصابنا؟ قلت: إن أبا المنذر قد دعا الله أن يصرف عنا أذاها فقال عمر: أدعوتم لنا معكم [٥]!.

دعا أنجع من الأطباء!!:

عن عمر بن ثابت البصـري قال: دخلت في أذن رجل من أهل البصـره حصـاة فعالجها الأطباء فلم يقدروا عليها حتى وصـلت صـماخه فأسـهرت ليلة ونغصـته عيش نهاره، فأتى رجلاًمن أصـحاب الحسـن فشـكا ذلك إليه فقال: ويحك إن كان شيء ينفعك الله به فدعوة العلاء بن الحضرمى التي دعا بها في البحر في المفازة قال: وما هي يرحمك الله قال: يا على يا عظيم يا حليم يا عليم قال: دعا بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين صـكت الحائط وبرأ [١].

---

(٣) مجابو الدعوة، ص ٦٩، ٧٠.

(١) سير أعلام النبلاء، جـ ١، ص٢٩٨.

(٢) مجابو الدعوة، ص ٧٨.

أتاك الغوث أبا حفص:

قال خوات بن جبير: أصاب الناس قحط شديد على عهد عمر فخرج عمر بالناس فصلى بهم ركعتين وخالف بين طرفي ردائه، فجعل اليمين على اليسـار واليسار على اليمين ثم بسط يده فقال: اللهم إنا نسـتغفرك ونسـتسـقيك، فما برح مكانه حتى مطروا، فبيناهم كذلك إذا أعراب قد قدموا فأتوا فقالوا: يا أمير المؤمنين: بينما نحن في بوادينا في يوم كذا في سـاعه كذا إذ أظلنا غمام فسمعنا به صوتا: أتاك الغوث أبا حفص أتا ك الغوث أبا حفص [٢].

والله لقد ولدته أمه وهى ميته!!:

قـال زيد بن أسـلم: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرض للناس إذ مر به رجل معه ابن له على عاتقه فقال عمر: ما رأيت غرابا بغراب أشبه من هذا بهذا فقال الرجل: أما والله يا أمير المؤمنين لقد ولدته أمه وهى ميتة قال: ويحك كيف ذاك؟ قال: خرجت في بعث كذا وكذا وتركتها حاملاً وقلت: أستودع الله ما في بطنك، فلما قدمت من سرى أخبرت أنها قد ماتت فينا أنا ذات ليلة قاعد في البقيع مع بنى عم لى إذ نظرت فإذا ضـوء شـبه السراج في المقـابر فقـال لبنى عمى: مـا هذا؟ قالوا: لا ندرى غير أنا نرى هذا الضـوء كل ليلة عند قبر فلا نـة فـأخـذت معى فـأسـاً ثم انطلقت نحو القبر فإذا القبر مفتوح وإذا هذا في حجر أمه فدنوت فنادانى مناد: أيها المستودع ربه خذ وديعتك أما لو استودعته أمه لوجدته، فأخذت الصبى وانضم القبر.

جعلك الله حماراً [٣]:

يحكى عن أهل البصرة: مررنا ببعض المياه التي بيننا وبين البصرة فسـمعنا نهيق حمار فقلنا: ما هذا النهيق؟ قالوا: هذا رجل كان عندنا فكانت أمه تكلمه بالشيء فيقول: انهقى نهيقك فكانت أمه تقول: جعلك الله حمارا فلما مات نسـمع هذا النهيق عند قبره كل ليلة [٤].

---

(٣) مجابو الدعوة، ص ٧٩.

(١) مجابو الدعوة، ص٨٣، ٨٤.

(٢) مجابو الدعوة، ص ٨٤.

اطلعت الله فيما أمرني ونهاني فسألته فأعطاني:

حدث محمد بن سويد: أن أهل المدينة قحطوا وكان فيها رجل صالح لازم لمسجد النبى صلي الله عليه وسلم فبينما هم في دعائهم إذا أنا برجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتن أو جز فهما ثم بسط يديه إلى الله فقال: يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يده ولم يقطع دعاءه، حتى تغشت السماء بالغيم وأمطروا حتى صاح أهل المدينة مخافة الغرق فقال: يارب، إن كنت تعلم أنهم قد أكتوا فارع عنهم، وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف موضعه ثم بكر عليه فنادى: يا أهل البيت فخرج الرجل فقال: قد أتتك في حاجة قال: وما هى؟ قال: تخصنى بدعوة قال: سبحان الله! أنت أنت وتألنى أن أخصك بدعوة؟! قال: ما الذي بلغك ما رأيت؟ قال: أو رأيتنى؟ قلت: نعم، قل: اطلعت الله فيما أمرنى ونهاني فسألته فأعطاني [1].

خذ هذه فأدها عن أمانتك وأقصر في الخطبه فإنك لن تراني:

استودع محمد بن المنكدر وديعة فاحتاج إليها فأنفقها فجاء صاحبها يطلبها فقام فتوضأ وصلى ثم دعا فقال: ياساد الهواء بالسماء ويا كابس الأرض على الماء ويا واحدًا قبل كل أحد كان، ويا واحداً بعد كل أحد يكون أد عنى امانتى فسمع قارئ يقول: خذ هذه فأدها عن أمانتك وأقصر في الخطبة فإنك لن ترانى [2].

إن كنت كاذبا سود الله وجهك:

قال علي بن زيد بن جدعان: كنت جالسا إلى سعيد بن المسيب فقال: يا أبا الحسن: مر قائدك يذهب بك فتنظر إلى وجه هذا الرجل وإلى جسده فانطلق قال: فإذا وجهه وجه زنجى وجسده أبيض فقال سعيد: إنى أتيت على هذا وهو يسب طلحة والزبير وعليا رحمة الله عليهم فنهيته فأبى فقلت: كنت كاذبا فسود لله وجهك فخرجت في وجهه قرحه فاسود وجهه [3].

(٣) مجابو الدعوة، ص ٩٧.

(٢) مجابو الدعوة، ص ٩٨.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤ / ٢٤٢.

قد مسخت يداه يدى خنزير؟!:

قال سويد بن سعيد: خرجت أنا وعمى إلى مكران فكان معنا رجل يسب أبا بكر وعمر ☻ فنهيناه فلم ينته فقلنا له: اعتزلنا فاعتزلنا فلما دنا خروجنا هرب منا فقلنا: لو حبنا حتى نرجع إلى الكوفة، فلقينا غلام له فقلنا له: قل لمولاك يعود إلينا فقال: إن مولاى قد حدث به أمر عظيم لى وأخرج ذراعاه فإذا هما ذراعا خنزير قال: فصحبنا حتى انتهينا إلى قرية من قرى الواد كثيرة الخنازير، فلما رآها صاح صيحة ووثب فمسخ خنزير وخفي علينا فجئنا بغلامه ومتاعه إلى الكوفة [(١)].

ارتحلوا فوالله لا أقتل قوما سقاهم الله من السماء وأنا أنظر؟!:

قال السرى بن يحيى: بلغنا أن مكا من موك الأعاجم أقبل في جيش فلقى عصابة من المسليمن فلما رأوه اعتصموا بربوة فصعدوا فوقها فقال ذلك الملك: ما أجد لهؤلاء شيئاً أشد عليهم من أن نحيط بهم ثم نتركهم مكانهم حتى يموتوا من العطش فأحاطوا بهم فأصابهم حر شديد وعطش فاستسقوا الله فأقبلت سحابة فجعل الرجل يحمل تره يتلقى به الماء حتى يمتلئ ثم يشرب حتى يروى فقال ذلك الملك: ارتحلوا فوالله لا أقتل قومًا سقاهم الله من السماء وأنا أنظر [(٢)].

اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك:

قال بقية بن مخلد: كنا في البحر فهبت الرياح وهاجت الأمواج فبكى الناس وضجوا فقيل لابن معيوف: هذا إبراهيم بن أدهم لو سألته أن يدعو الله وإذا هو نائم في ناحية السفينه ملفوف راسه في كساء فدنا منه فقال: يا أبا إسحاق أما ترى ما الناس فيه؟ فقال: اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك قال: فهدأت السفينة [(٣)].

---

(١) مجابو الدعوة، ص ١٠٠.

(٢) مجابو الدعوة، ص ١٠٨.

(٣) حلية الأولياء، ٨/٥.

صنعت مثل الذي صنعت فرد الله على بصري:

قال عبد العزيز بن رواد: أضاف ابن عمر رجلا أعمى فأكرمه ابن عمر وأنامه في منزله الذي ينام فيه، فلما كان في جوف الليل قام ابن عمر فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم صلى ركعتين، ثم دعا بدعاء فهمه الأعمى، فلما رجع ابن عمر إلى مضجعه قام الأعمى إلى فض وضوء اين عمر فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم صلى ركعتين، ثم دعا بذلك الدعاء فرد الله عليه بصره فشهد الصبح مع ابن عمر بصيرا فلما فرغ التفت إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن! دعاء سمعتك البارحه تدعو به فهمته فقمت فصنعت مثل الذي صنعت فرد الله على بصري قال: ذلك دعاء علمناه رسول الله صلي الله عليه وسلم وأمرنا أن لا نعلمه أحداً يدعو به في أمر الدنيا قال: قل: اللهم رب الأرواح الفانية، والأجساد الفانية أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلى أجسادها وبطاعة الأجساد الملتئمة بعروقها وبكلماتك النافذة فيهم وأخذك الحق منهم والخلائق بين يديك ينتظرون فصل قضائك ويرجون رحمتك ويخافون عقبك أن تجعل النور في بصرى واليقين في قلبى وذكرك بالليل والنهار على لسانى وعملاً صالحاً فارزقني [١].

فحللته من وثاقه ومضينا:

قال مالك بن دينار رضي الله عنه خرجت إلى الحج فرأيت طيرا في منقاره رغيف فتبعته فجاء إلى شيخ موثوق وصار يلقمه لقمة لقمة ثم طار وجاء بماء في فمه فسكبه في فم الشيخ فقلت له: من أنت؟ قال: من الحجاج أخذني اللصوص وربطوني هاهنا فصرت على الجوع خمسة أيام ثم قلت يا من يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فأنا مضطر فارحمني فأرسل الله لي هذا الغراب قال مالك فحللته من وثاقه ومضينا[٢].

يا قسورة:

قيل لإبراهيم بن أدهم: هذا السبع قد ظهر لنا قال: أرنيه، فلما رآه، قال: يا قسورة، إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فعودك على بدئك فولى السبع ذاهبا قال: أحسبه قال: يصوت بذنبه قال: فتعجبت كيف فهم السبع كلام إبراهيم بن أدهم فأقبل علينا إبراهيم، فقال: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكفنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجاؤنا— قال خلف: فما زلت أقولها منذ سمعتها، فما عرض لي لص ولا غيره [٣].

---

(١) مجابو الدعوة، ص ١٢٤.

(٢) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ٢/٢٦٠.

(٣) ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة - ١ / ١٤٠.

في فم كل واحدة منهن دينار واحد:

حدث صالح بن سليمان، أو غيره قال: احتاج إبراهيم بن أدهم إلى دينار، وكان على شاطئ البحر، فدعا الله عز وجل، فتشرعت السمك في فم كل واحدة منهن دينار واحد، فأخذ دينارا واحدا[1].

قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك:

ذكر سعيد بن صدقة أبو مهلهل قال: جاء إبراهيم بن أدهم إلى قوم قد ركبوا سفينة في البحر، فقال له صاحب السفينة: " هات دينارين، قال: ليس معي ولكن أعطيك من يدي، قال: فعجب منه، وقال: إنما نحن في بحر، فكيف تعطيني؟ قال: ثم أدخله فساروا حتى انتهوا إلى جزيرة في البحر، فقال صاحب السفينة: والله لأنظرن من أين تعطيني؟ هل اختبأ ها هنا شيئا؟ قال: فقال له: يا صاحب الدينارين أعط حقي، قال: نعم، فخرج إبراهيم فمضى واتبعه الرجل وهو لا يدري، فانتهى إلى الجزيرة فركع فلما أراد أن ينصرف قال: يا رب، إن هذا قد طلب مني حقه الذي له علي، فأعطه عني، قال وهو ساجد، قال: فرفع رأسه فإذا ما حوله دنانير، وإذا الرجل، فقال: جئت، خذ حقك ولا تزدد، ولا تذكر هذا، قال: ومضوا فأصابتهم عجاجة وظلمة وأحسوا بالموت، فقال الملاح: أين صاحب الدينارين؟ أخرجوه، قال: فجاءوا إليه، فقالوا: ما ترى ما نحن فيه، ادع الله معنا؟ قال: فرفع يديه وأرخى عينيه، وقال: يا رب، يا رب، قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك، قال: فسكنت العجاجة وساروا "[2].

هذا أجرة عملك في يومين وإن زدت زدناك:

كان في زمان مالك بن دينار أخوان محدثان يعبدان النار فقال الأصغر للأكبر قد عبدناها مدة طويلة فننظر إن أحرقتنا تركناها وإلا فلازمناها فوضع كل منها يده فيها فأحرقته فذهبا إلى مالك بن دينار ليعلمهما الإسلام فغلبت الشقاوة على الأكبر فقال لا أعبد غيرها فلما أسلم الصغير ذهب إلى مكان خراب يعبد ربه فلما أصبح قالت له امرأته اذهب إلى السوق واطلب عملا نأكل منه فذهب إلى مكان وصلى فيه إلى الليل ثم رجع قالت امرأته هل عملت قال عملت شيئا عند الملك وقال أعطيك كلا فباتوا جياعا فلما كان في اليوم الثاني خرج للعبادة وقال يا رب أكرمتني بالإسلام فأسألك بحق هذا الدين وهذا

(١) ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة - ١ / ١٤٢.

(٢) ابن أبي الدنيا، الأولياء، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣، ١ / ٣٥.

اليوم يوم الجمعة أن ترفع عن قلبي هم نفقة عياله فلما رجع ليلاً وجد عياله في فرح وعندهم طعام كثير فسألهم عن ذلك فقالت جاءنا وقت الظهر رجل معه طبق فيه ألف دينار وقال قولي لزوجك هذا أجرة عملك في يومين وإن زدت زدناك فذهبت بدينار إلى الصيرفي وكان نصرانيا فعرف أن الدينار من هدايا الآخرة فأسلم وأعطاني ألف درهم لما أخبرته بأمرك وأمر الرجل الذي جاءنا بالطبق فسجد زوجها شكرا لله[1].

فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيتُ كلَّ رجل منهم قد أعطي ماسأل:

وقال الشعبيّ: رأيتُ عجباً، كنّا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان، فقال القومُ: ليقمْ كلُّ رجلُ منكم فليأخذ بالرَكن اليماني وليسأل الله حاجته فإنه يُعطى، قمْ، ياعبد الله بن الزبيرز! فإنك أولُ مولود ولد في الهجرة. فقام فأخذ بالركن اليماني فقال: اللهّمّ إنك عظيمٌ تُرجى لكلّ عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك صلي الله عليه وسلم ألا تميتني حتى توليني الحجاز ويُسلّم عليّ بالخلافة! وجاء فجلس، وقالوا: قُم، يامصعب! فقام حتى إذا أخذ بالركن اليماني فقال: اللهمّ إنك ربّ كلّ شيء، وإليك يصير كلُّ شيء، أسألك بقدرتك على كلّ شيء ألا تميتني حتى توليني العراقين وتزوجني سكينة بنت الحسين! وجاء فجلس، وقالوا: قم، ياعبد الملك! فقام فأخذ الركن وقال: اللهم ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم ربّ الأرض ذات النبت بعد القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك، وأسألك بحقك على جميع خلقك، وأسألك بحق الطائفين حول بيتك ألا تميتني حتى توليني شرق الأرض وغربها، ولاينازعني أحدٌ ألا أُتيتُ برأسه! ثمّ جاء فجلس، ثمّ قالوا: قم، ياعبد الله بن عمر! فقام حتى أخذ بالركن ثمّ قال: اللهمّ إنك رحمان رحيم، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك إلا تميتني حتى تُوجب لي الجنة! - قال الشعبيّ: فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيتُ كلَّ رجل منهم قد أعطي ماسأل. وبُشر عبد الله بن عمر بالجنة [2].

(١) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم ماريني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - ٢٠٠١ / ٢٠٠٢، ٢٧/١، ٦٩، ٢ / ٢٦٠، ٢٨٠.
(٢) المرزباني، نور القبس، ٩٢/١.

ألست صاحبي بالأمس؟:

ـ وعن عبد الله بن المبارك المجمع على دينه وعلمه وورعه، أنه قال: خرجت إلى الجهاد ومعي فرس فبينما أنـا في بعض الطريق إذ صرع الفرس، فمر بي رجـل حســن الوجـه طيب الرائحة، فقال: أتحب أن تركب فرسـك. قلت: نعم. فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى مؤخره، وقال: أقسـمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله وبعظمة عظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله وبســلطان ســلطان الله وبلا إله إلا الله وبما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة إلا بالله إلا انصرـفت. قال: فانتفض الفرس وقام، فأخذ الرجل بركابي وقال: اركـب فركبـت ولحقـت بـأصــحـابي، فلما كان من غداة غد وظهرنا على العدو فإذا هو بين أيدينا، فقلت: ألسـت صـاحبي بالأمس؟ قال: بلى. فقلت: سـألتك بالله من أنت؟ فوثب قائماً فاهتزت الأرض تحته خضرـاء، فإذا هو الخضرــ ♠. قال ابن المبارك رضي الله تعالى عنه: فما قــلــت هــذه الــكــلــمات عــلى عــلــيــل إلا شــــفــي بــإذن الله تعالى[1].

اصبروا، فإنما هي الليلة:

قال الفضـيل بن عياض، قال إبراهيم التيمي: لما حبسـت الحبسـة المشـهورة، أدخلت السـجن، فأنزلت على أناس في قيد واحد، ومكان ضـيق، لا يجد الرجل إلا موضـع مجلسـه، وفيه يأكلون، وفيه يتغوطون، وفيه يصلون.

قال: فجيء برجل من أهل البحرين، فأدخل علينا، فلم نجد مكاناً، فجعلوا يتبرمون به، فقال: اصبروا، فإنما هي الليلة.

فلما دخـل الليـل، قـام يصــلي، فقـال: يـا رب، مننت علي بدينك، وعلمتني كتابك، ثم سلطت علي شر خلقك، يا رب، الليلة، الليلة، لا أصبح فيه.

فما أصــبحنا حتى ضربت أبواب الســجن: أين البحراني، أين البحراني؟ فقال كل منا: ما دعي الساعة، إلا ليقتل، فخلي سبيله.

فجاء، فقام على باب السجن، فسلم علينا، وقال: أطيعوا الله لا يضيعكم[2].

(١) كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢٩٨/٢.

(٢) القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، ٤٢/١.

وإني قد استحييت من الله:

قيل إنه في آخر سنة حج قال: قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة وأقول كل مرة: اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك، فرجع فتوفي في العام القابل[١].

اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك، فأرحنا منه كيف شئت:

عن عبد الواحد بن زيد: كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع، وحبيب أبو محمد فجاء رجل، فكلم مالكا، فأغلظ له في قسمة قسمها، قال: وضعتها في غير حقها، وتتبعت بها أهل مجلسك، ومن يغشاك لتكثر غاشيتك، وتصرف وجوه الناس إليك، قال: فبكى مالك، وَقَال: والله ما أردت هذا، قال: بلى، والله لقد أردته فجعل مالك يبكي والرجل يغلظ له، فلما أكثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك، فأرحنا منه كيف شئت، قال: فسقط والله الرجل على وجهه ميتا، فحمل إلى أهله على سرير، وكان يقول: إن أبا محمد مستجاب الدعوة [٢].

اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء:

رؤي الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وألبسي نعلين من ذهب وقال يا أحمد ادعني بالدعوات التي كنت تدعوني بها في الدنيا فقلت اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء فقال يا أحمد قم فادخل الجنة[٣].

إن كنت تعلم إني على صواب فلا تهتك ستري:

قال بعضهم رأيت النبي صلي الله عليه وسلم في المنام فسألته عن أحمد فقال اسأل عنه موسى فسألته فقال هو من الصديقين وقال بعضهم رأيت زبيدة في المنام وكنيتها أم العزيز وشعرها أبيض فسألتها عن ذلك فقالت لما جردوا الإمام أحمد للضرب زفرت جهنم زفرة فلم يبق أحد في القبور إلا ابيض شعره ولما ضربه الجلاد أول ضربة بالسوط شق خاصرته فقال اللهم اعم بصره ثم رآه بعد ذلك وهو أعمى فسأله عن ذلك فقال حتى تخرج الروح قبل أن تقول القرآن مخلوق فقال الإمام أحمد اللهم إن كان صادقا فرد عليه

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٣٩٣/٢.

(٢) يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي " ٦٥٤ - ٧٤٢ "، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ٥/ ٣٩٢.

(٣) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ١٠٧/١.

بصره فرد الله بصره وفي السوط الأول قال بسم الله وفي الثاني قال لا حول ولا قوة إلا بالله وفي الثالث قال القرآن كلام الله غير مخلوق وفي الرابع لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ثم انقطعت حاشية سراويله فقال اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش ان كنت تعلم إني على صواب فلا تهتك ستري فرفعت سراويله.

وما يدريك أنه يحبك؟!:

عن مالك بن دينار قال احتبس علينا المطر بالبصرة فخرجنا يوما بعد يوم نستسقي فلم نر أثرا لإجابة فخرجت أنا وعطاء السليمى وثابت البناني ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المري وآخرين حتى صرنا الى المصلى بالبصرة فاستسقينا فلم نر أثرا لإجابة وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت في المصلى فلما اظلم الليل إذا بأسود دقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف فجاء الى ماء فتمسح ثم صلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء فقال سيدي الى كم ترد عبادك فيما لاينقصك أنفد ما عندك أقسمت عليك بحبك لي إلا ما سقيتنا غيثك الساعة الساعة.

فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء وأخذتنا كأفواه القرب فما خرجنا حتى خضنا الماء فتعجبنا من الأسود فتعرضت له فقلت أما تستحي مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لي وما يدريك أنه يحبك قال تنح عن همتي يا من اشتغل عنه بنفسه أين كنت انا حين خصني بتوحيده ومعرفته أتراه بدأني بذلك إلا لمحبته لي ثم بادر يسعى فقلت ارفق بنا قال أنا مملوك على فرض من طاعة مالكي الصغير فدخل دار نحاس فلما أصبحنا أتيت النحاس فقلت له عندك غلام تبيعنيه للخدمة قال نعم عندي مائة غلام فجعل يخرج إلى واحدا بعد واحد وأنا أقول غير هذا الى أن قال ما بقي عندي أحد فلما خرجنا اذا الأسود قائم في حجرة خربة فقلت بعني هذا قال هذا غلام مشوم لا همة له إلا بالبكاء فقلت ولذلك اريده فدعاه وقال لي خذه بما شئت بعد ان تبرئني من عيوبه فاشتريته بعشرين دينارا فلما خرجنا قال يا مولاي لماذا اشتريتني قلت لنخدمك نحن قال ولم ذاك قلت أليس انت صاحبنا البارحة في المصلى قال وقد اطلعت على ذلك فجعل يمشي حتى دخل مسجدا فصلى ركعتين ثم قال إلهي وسيدي سر كان بيني وبينك أظهرته للمخلوقين أقسمت عليك إلا قبضت روحي الساعة فإذا هو ميت[1].

---

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١٧/٤.

بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك:

قال رباح القيسي: سمعت مالك بن دينار، يقول: أصاب الناس بالبصرة قحط شديد، فخرجنا نستسقي فإذا أنا بسعدون في بعض الخرابات فقلت له بالذي خلقك استسق لنا، فرفع رأسه إلى السماء وقال " يا فاطر الأشباح والأرواح ومنشئ السحاب والرياح وفالق الأصباح بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك ولا تهلك بلادك بذنوب عبادك " قال فما استتم كلامه حتى أرخت السماء غرابيلها وجادت بوابلها فخرج يخوض الماء وهو يقول:

قل لدنياي أبعدي وتولي ::: ان تريني فإنني لا أراك
وصلي واملكي وداد سوائي ::: انني مغرم بحب سواك
إن تكوني أسرت بالذنب قوما ::: فاذهبي أنت لست من أسراك (١)

يا أيها الراقد كم ترقد!:

قال مالك بن دينار كنت حاجاً فغلبتني عيناي فرقدت عند الكعبة فوقف سعدون على رأسي، فقال:

يا أيها الراقد كم ترقد ::: قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته ::: فازدد إذا ما سجد السجد (٢)

لئن لم ترك العين.. فقد أبصرك القلب:

قال مالك بن دينار: مررت ببعض سكك البصرة، فإذا الصبيان يرمون رجلاً بالحجارة ويقولون: هو يزعم إنه يرى ربه على الدوام. قال فزجرت عنه الصبيان، وقلت له: ما الذي يزعم هؤلاء؟ قال وما يزعمون؟ قلت يزعمون أنك تزعم ترى ربك على الدوام، فبكى، وقال والله! ما فقدته لما أطعته. ثم أنشأ يقول:

على بعدك لا يصبر ::: من عادته القرب
ولا يقوى على هجرك ::: من تيمه الحب
لئن لم ترك العين ::: فقد أبصرك القلب (٣)

---

(١) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ١ / ٢٠.

(٢) النيسابوري، عقلاء المجانين، ١ / ٢٢.

(٣) النيسابوري، عقلاء المجانين، ١ /٥٢.

أخبرت أهل النار بحبي إياك:

وقال ذو النون: " تسمعوا يوماً على أبي سليمان، فسمعوه يقول: يا رب!، أن طالبتني بسريرتي طالبت بتوحيدك!، وإن طالبت بذنوبي طالبت بكرمك!، وإن جعلتني من أهل النار أخبرت أهل النار بحبي إياك ".

قد وضعنا في هذه ما أصابها:

وقال: " كنت في ليلة باردة في المحراب، فأتلفني البرد، فخبأت إحدى يدي من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة، فغلبت عيناي فنمت، فهتف بي هاتف: يا أبا سليمان!، قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها. فآليت على نفسي أن لا أدعوا إلا ويداي خارجتان، حراً أو برداً ".

إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم:

وعن محمد بن منصور الطوسي، قال: قعدت مرة إلى معروف، فلعله قال: واغوثاه يا الله، عشرة آلاف مرة، وتلا:{إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ } [الأنفال: ٩].

يا أبت كنت الساعة بالأنبار:

قال خليل الصياد غاب ابني محمد فجزعت أمه عليه جزعا شديدا فأتيت معروفا فقلت أبا محفوظ قال ما تشاء قلت ابني محمد غاب وجزعت أمه عليه جزعا شديدا فادع الله أن يرده عليها فقال اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك فأت به قال خليل فأتيت باب الشام فإذا ابني محمد قائم منبهر قلت محمد قال يا أبت كنت الساعة بالأنبار.

إيش الخبر:

قال أبو محمد الضرير جار مردوية الصائغ أرسل الى مردوية فأتيته فقال إن ابني قد غاب عنا منذ أيام وقد ضيقوا على النساء لما يبكين فاغد بنا الى معروف قال فغدوت أنا وهو الى معروف فسلم عليه وهو في المسجد فقال معروف ما الذي جاء بك يا أبا بكر قال إن ابني قد غاب عنا منذ أيام وقد ضيقوا على النساء لما يبكين قال فقال معروف يا عالما بكل شيء ويا من لا يخفى عليه شيء ويا من علمه محيط بكل شيء أوضح لنا أمر ذا الغلام ثلاث مرار قال ثم انصرفنا من عنده قال فلما أن أصبحت قبل صلاة الفجر إذا رسول مردوية قد جاءني يدعوني فقلت إيش الخبر فقال قد جاء الغلام فجئت فاذا الغلام قاعد بين يدي مردويه فقال لي اسمع العجب قال فقال الغلام كنت أمشي بالكوفة فأتاني نفسان فأخذا بيدي فأخرجاني من الكوفة وقالا امض إلى بيتكم فلم أقعد ولم آكل ولم أشرب ومررت ببئر تسع أو قال تسعين ثم رأيتهما فلم يتحركا حتى أتيتكم فأطعموني فإني ما أكلت شيئًا حتى جئتكم [1].

* * *

(١) حلية الأولياء، ٨ /٣٦٢.

أحوال المتورعين عن الحرام

مواقف عربية

أحوال المتورعين عن الحرام

أكل الحرام وشربه ولبسه والتغذي به موجبٌ لسخط الله في الدنيا والآخرة، تمحق به البركات، وتخرب به عامر الديار، وتتفرق بسببه البيوتات، ورد عنه صلي الله عليه وسلم من حديث ابن عباس ☻ : **إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملاً أربعين يوماً، وأيما عبدٍ نبت لحمه من سحت فالنار أولى به**ـــ فالله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً:{وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ} [النور: ٢٦] [١].

ولقد ذكر النبي صلي الله عليه وسلم: **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟!**ـــ [٢].

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه بسند رجاله رجال الصحيح سوى رجلين لكنهما وثقا، عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال: **يؤتى يوم القيامة بأناسٍ معهم الحسنات كأمثال جبال تهامة، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباءً منثوراً، ثم يقذف بهم في النار، فقيل: يا رسول الله! كيف ذلك؟ قال: كانوا يصلون ويصومون، ويزكون ويحجون، غير أنهم إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه، فأحبط الله أعمالهم**ـــ وفي صحيح البخاري رحمه الله، من حديث خولة الأنصارية ♥ أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: **إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**ـــ.

وقيل لـ سفيان رحمه الله: لو دعوت الله؟ فقال: إن ترك الذنوب هو الدعاء.

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بالورع عما حرم الله يقبل الدعاء والتسبيح.

---

(١) أخرجه الطبرانى كما في مجمع الزوائد (٢٩١/١٠) قال الهيثمى: فيه من لم أعرفهم. وأخرجه أيضاً: الطبرانى في الأوسط (٣١٠/٦، رقم ٦٤٩٥).

(٢) رواه مسلم.

ومن المواقف:

ثمرة الأكل من الحلال:

قال الشـبلي رحمه الله تعالى: " عزمت أن لا آكل إلا حلالاً وأنا أطوف بالبراري، فرأيت شـجرة فمددت يدي إليها فنادتني الشـجرة: تأدب يا شـبلي مع الله تعالى فإني لرجل يهودي، فتركتها وانصرفت ".

فكيف حال من مد يده إلى حرام:

وعن الفضـيل العسـقلاني رضي الله عنه انه اشـتهى سـمكاً منذ مدة سنين وعاهد نفسه أنه لا يأكله إلا حلالاً، فمد يده ليأكل منه، وإذا بشوكة قد أصابت يده، فقال: " إذا كان هذا حال من مد يده إلى حلال، فكيف حال من مد يده إلى حرام ". فحلف أن لا يأكله بقية عمره.

يا أويس، هذا رزق من عند الله تعالى:

وحكي أن أويس القرني رضي الله عنه مكث ثلاثة أيام لا يأكل شيئاً، ثم مشى فرأى ديناراً في الأرض، فرفعه إليه وقال: هم وغم، ثم ألقاه من يده؟ فبينما هو كذلك، إذا بشـاة في فمها رغيف سـاخن، فقال في نفسه: لعل هذه الشاة أخذته من راعيها، فأنطقها الله تعالى وقالت: " يا أويس، هذا رزق من عند الله تعالى، أتاني به جبريل ♠، وأمرني بدفعه لك ".

أطعمنا له فأطعمنا:

وكان بعض الصـالحين ♦ إذا جاء أوان الفواكه ذهب إلى السـوق فيشتري منها ويذهب بها إلى الكتاتيب، فمن أشـار إليه أطعمه من تلك الفواكه، ويقول للمعلم: " هل عندك فقير أو يتيم؟ فيقول هذا وهذا، فيعطيهم من تلك الفواكه، فلما مات الرجل رئي في المنام وهو في بسـتان عظيم كثير الفواكه، وهو يأكل منها ما أحب، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أطعمنا له فأطعمنا ".

إذا سألني ربي، من أين لك هذا؟:

وقال أبو بكر رضي الله عنه: دخلت على أبي مسـلم في يوم عيد، فرأيت عليه قميصـاً مرقعاً، وبين يديه خروف وهو يأكل منه، فقلت: يا أبا مسـلم، فقال: لا تنظر إلى الخروف ولكن انظر إذا سألني ربي، من أين لك هذا؟ فأي جواب أقوله وما اعتذاري.

أنفقوا دنياهم في بطونهم:

وعن أبي موسى بن إبراهيم رضي الله عنه، أنه قال: رأيت فتح الموصلي يوم عيد، وقد رأى الناس بالثياب والعمائم، فقال: لثوب يبلى، وجسد يأكله الدود غداً، هؤلاء أنفقوا دنياهم في بطونهم وعلى ظهورهم، ويأتون ربهم مغلسين.

فرجع من انطاكية إلى الشام ماشياً:

ـــ وذكر غيره أن عبد الله بن المبارك استعار قلماً من الشام، فعرض له سفر فسافر إلى انطاكية، وكان قد نسي القلم معه فتذكره هناك فرجع من انطاكية إلى الشام ماشياً حتى رد القلم إلى صاحبه وعاد[1].

أكلت فرسي حرامًا:

ـــ كان عبد الله بن المبارك في غزوة فنزل عند نهر ونصب رمحه وربط فرسه وتوضأ وشرع يصلي فلما سلم وجد فرسه أنها انفلتت وأكلت من الزرع.

فقال: أكلت فرسي حرامًا فلا ينبغي لي أن أغزو عليها فتركها لصاحب الزرع واشترى غيرها وغزا عليها [2].

ليس كل خلاف يُستراح له:

ـــ وعندما ناظره أهل الكوفة في النبيذ وجعلوا يستدلون على حله بأقوال وشرب بعض أهل الكوفة له، قال: " دعوا عند الاختلاف الاحتجاج بالرجال "، أوكما قال؛ ولله در الأول حين قال:

ليس كل خلاف يُستراح له إلا خلافاً له حظ من النظر.

(١) كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١/١٥٨.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن سلمان، إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، ١/١.

طاعته موقوفة منذ سنة لأنه أخذ تمرتين:

اشـــترى إبراهيم بن أدهم رضي الله عنـه تمرا من رجـل بمكة فرأى تمرتين بين يديه فأخذهما ظانا أنهما من التمر الذي اشـتراه ثم توجه إلى بيت المقدس فرأى في منامه ملكين يقول أحدهما للآخر من هذا قال إبراهيم بن أدهم زاهد خراســان غير أن طاعته موقوفة منذ سـنة لأنه أخذ تمرتين من مكة فلما طلع الفجر توجه إلى مكة فوجد أن البائع قد مات فسـأل ولده أن يجعله في حل ففعل ثم رجع إلى بيت المقدس فرأى الملكين في منامه فقال أحدهما لصاحبه هذا إبراهيم بن ادهم قد قبل الله طاعته الموقوفة منذ سنة فبكى إبراهيم من الفرح وكان بعد ذلك لا يأكل في كل سبعة أيام إلا أكلة من الحلال[1].

مخافة أن يشتري من الشاة المسروقة:

ويقولون: إن الإمام أبو حنيفة رحمه الله - سرقت شـاة في زمانه، فأتى قصـاباً أو رجلاً راعياً وقال: كم عمر الشـاة - أقصى شيء تعيشـه الشاة - قال له: خمس سنوات، فامتنع من أكل لحوم الشياه لمدة خمس سنوات مخافة أن يشتري من نفس الشاة المسروقة.

أفتحله لنا أم تحرمه علينا؟:

وروي أن أخت بشر بن الحارث قصـدت أحمد بن حنبل فقالت: إنا قوم نغزل الليل ومعاشـنا منها، وربما تمر بنا مشـاعل بني طاهر ولاة بغداد ونحن على السـطح فنغزل في ضـوئها الطاقة والطاقتين، أفتحله لنا أم تحرمه علينا؟فقال لها: من أنت؟قالت: أخت بشر، قا ل آه ياآل بشر لا عدمتكم، لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم [2].

من غير بيت بشر:

وروى أن امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل تسـأله فقالت إني امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل على ذلك شيء فقال يجب أن تبيني فلما انصرـفت قال أحمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع، فقال دخلت دار بشر فقال قد عجبت أن تكون هذه السائلة من غير بيت بشر [3].

* * *

(١) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ٢٩٥/٢.

(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٥٠/١.

(٣) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ٣١٦/١، ٢١٦/٢.

البعد عن الغيبة والنميمة

مواقف عربية

البعد عن الغيبة والنميمة

الغيبـة لغـة: هي الاســم من الاغتياب وهو مأخوذ من مادّة (غ ي ب) الّتي تدلّ على السّتر، يقول ابن فارس:

الغين والياء والباء " أصـل صحيح يدلّ على تستّر الشّيء عن العيون ثمّ يقاس من ذلك الغيب: ما غاب ممّا لا يعلمه إلاّ الله. ويقال: غابت الشّمس تغيب غيبة وغيوبا وغيبا. وغاب الرّجـل عن بلـده، وأغابت المرأة فهي مغيبة، إذا غاب بعلها... والغيبة: الوقيعة في النّاس من هـذا، لأنّهـا لا تقال إلاّ في غيبة، وتغيّب مثل غاب، ويتعدّى بالتّضــعيف فيقال غيّبته، وهو التّواري في المغيـب، واغتـابه اغتيابا إذا ذكره بما يكره من العيوب، والاســم الغيبة، فإن كان باطلا فهو الغيبة في بهت.

واصطلاحا: قال الجرجانيّ: الغيبة: ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه.

وقـال المنـاويّ: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبته...، قال: ومن أحسن تعاريفها ذكر العيب بظهر الغيب▬.

وقال الكفويّ: أن يتكلّم خلف إنسان مستور بكلام هو فيه.

وقال التّهانويّ: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، ســواء ذكرت نقصــانا في بدنه أو في لبســـه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، أو في ولده، أو في ثوبه، أو في داره، أو في دابّته.

قال: ولا تقتصرـ الغيبة على القول، بل تجري أيضا في الفعل كالحركة والإشارة والكناية، لما ورد عن عائشـة ♥ أنها أشـارت بيدها إلى امرأة أنّها قصـيرة فقال صـلي الله عليه وسـلم: **اغتبتها▬** والتّصديق بالغيبة غيبة.

قال ابن حجر: هي ذكر المرء بما يكرهه، ســواء كان ذلك في بدن الشّـــخص أو دينه أو دنياه، أو نفســـه أو خلقه أو ماله. وقال الرّاغب: هي أن يذكر الإنســـان عيب غيره من غير محوج إلى ذكر ذلك.

وقال ابن الأثير: الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه.

وقال ابن التّين: الغيبة ذكر المرء ما يكرهه بظهر الغيب.

أسباب الغيبة وبواعثها:

قال الغزاليّ - رحمه الله -: للغيبة أسباب وبواعث، وفيما يلي خلاصتها:

١ - شفاء المغتاب غيظه بذكر مساوىء من يغتابه.

٢ - مجاملة الأقران والرّفاق ومشاركتهم فيما يخوضون فيه من الغيبة.

٣ - ظنّ المغتاب في غيره ظنّا سيّئا مدعاة إلى الغيبة.

٤ - أن يبرّئ المغتاب نفسه من شيء وينسبه إلى غيره أو يذكر غيره بأنّه مشارك له.

٥ - رفع النّفس وتزكيتها بتنقيص الغير.

٦ - حسد من يثني عليه النّاس ويذكرونه بخير.

٧ - الاستهزاء والسّخرية وتحقير الآخرين.

الفرق بين الغيبة والبهتان والشتم:

قال الجرجانيّ: الغيبة ذكر مساوئ الإنسان التي فيه في غيبة.

والبهتان ذكر مساوئ للإنسان، وهي ليست فيه.

والشّتم: ذكر المساوئ في مواجهة المقول فيه. وإلى هذا ذهب كلّ من المناويّ والكفويّ.

حكم الغيبة:

عدّ الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر وقال:

الّذي دلّت عليه الدّلائل الكثيرة الصّحيحة الظّاهرة أنّها كبيرة: لكنّها تختلف عظما وضدّه بحسب اختلاف مفسدتها. وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال، وقتل النّفس بقوله صلي الله عليه وسلم: **كلّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه** والغصب والقتل كبيرتان إجماعا، فكذا ثلم العرض [1].

(١) الزواجر (٣٧١).

علاج الغيبة:

إنّ الغيبـة مرض خطير، وداء فتّاك، ومعول هدّام، وســـلوك يفرّق بين الأحباب، وبهتان يغطّي على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شرورا بين المجتمع المسلم، وتقلب موازين العدالة والإنصـــاف إلى الكـذب والجور، وعلاج هـذا المرض لا يكون إلاّ بـالعلم والعمـل، فـإذا عرف المغتـاب أنّه تعرّض لســـخط الله يوم القيامة بإحباط عمله وإعطاء حســـناته من يغتابه أو يحمل عنه أوزاره، وأنّه يتعرّض لهجوم من يغتابه في الدّنيا، وقد يســـلّطه الله عليه، إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وفّق للعلاج.

هل تحل الغيبة في بعض الأحيان؟:

قال النّوويّ - رحمه الله:

اعلم أنّ الغيبة تباح لغرض صـــحيح شرعيّ لا يمكن الوصـــول إليه إلاّ بها، وهو ســـتّة أسباب:

الأوّل: المتظلّم، فيجوز للمظلوم أن يتظلّم إلى السّـــلطـان والقاضي وغيرهما ممّن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثّاني: الاســتعانة على تغيير المنكر، وردّ العاصي إلى الصّــواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصـوده التّوصّل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

الثّالث: الاسـتفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟

ومـا طريقي في الخلاص منـه، وتحصـــيـل حقّي، ودفع الظّلم؟ ونحو ذلـك، فهـذا جائز للحاجة، ولكنّ الأحوط والأفضـل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنّه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك، فالتّعيين جائز.

الرّابع: تحذير المسلمين من الشّرّ ونصيحتهم.

وذلك من وجوه:

منها: جرح المجروحين من الرّواة والشّـــهود، وذلك جائز بإجماع المســـلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور ألاّ يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنيّة النّصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقّها يتردّد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرّر المتفقّه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النّصيحة، وهذا ممّا يغلط فيه. وقد يحمل المتكلّم بذلك الحسد، ويلبّس الشّيطان عليه ذلك، ويخيّل إليه أنّه نصيحة فليفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إمّا بأن لا يكون صالحا لها، وإمّا بأن يكون فاسقا، أو مغفّلا، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامّة ليزيله، ويولّي من يصلح، أو يعلم ذلك منه، ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغترّ به، وأن يسعى في أن يحثّه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة النّاس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلما، وتولّي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلاّ أن يكون لجوازه سبب آخر ممّا ذكرناه.

السّادس: التّعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب؛ كالأعمش والأعرج والأصمّ، والأعمى؛ والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك؛ ويحرم إطلاقه على جهة النّقص؛ ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستّة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه؛ ودلائلها من الأحاديث الصّحيحة مشهورة [1].

وقد قال المولى عز وجل:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾} [الحجرات: ١٢].

وقال عز وجل:{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾} [النساء: ١٤٨].

(١) انظر رياض الصالحين (٤٥٠ - ٤٥١)، والزواجر لابن حجر الهيثمي (٣٨٣ - ٣٨٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رســول الله صــلي الله عليه وســلم قال: **أتدرون ما الغيبة؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **ذكرك أخاك بما يكره** قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: **إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته. وإن لم يكن فيه فقد بهتّه**[(١)][(٢)].

وعن جابر بن عبد الله ☻ قال: كنّا مع النّبيّ صــلي الله عليه وســلم فارتفعت ريح منتنة فقال رســول الله صــلي الله عليه وســلم: **أتدرون ما هذه الرّيح؟ هذه ريح الّذين يغتابون المؤمنين**[(٣)].

وعن أبي برزة الأسلميّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبّعوا عوراتهم، فإنّه من اتّبع عوراتهم يتّبع الله عورته، ومن يتّبع الله عورته يفضحه في بيته**[(٤)].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: مرّ النّبيّ صــلي الله عليه وســلم بقبرين فقال: **إنّهما ليعـذّبـان وما يعذّبان في كبير. أمّا أحدهما فيعذّب في البول وأمّا الآخر فيعذّب في الغيبة**[(٥)].

و عن عمرو بن شـعيب عن أبيه عن جدّه أنّهم ذكروا عند رسـول الله صـلي الله عليه وسلم رجلا فقالوا: لا يأكل حتّى يطعم[(٦)] ولا يرحل حتّى يرحل له، قال النّبيّ صلي الله عليه وسلم: **اغتبتموه**. فقالوا: يا رسول الله إنّما حدّثنا بما فيه. قال: **حسبك إذا**

---

(١) بهته: أي قلت فيه البهتان وهو الباطل.

(٢) مسلم (٢٥٨٩).

(٣) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥١٥) واللفظ له، وقال: رواه أحمد وابن أبي الدنيا ورواة أحمد ثقات، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٤٨٤): سنده صحيح.

(٤) أبو داود ٤ (٤٨٨٠) واللفظ له وقال الحافظ العراقي في الإحياء (٣/ ١٠٤): سنده جيد.

(٥) أحمد في المســند (٥/ ٣٥ - ٣٦)، وابن ماجه (١/ ٣٤٩) واللفظ له وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٨٥): أخرجه أحمد والطبراني بإسناد صحيح.

(٦) أي أنه ضعيف إلى درجة احتياجه إلى مساعد يطعمه، وخادم يوكله، وساق يسقيه، ولا يسافر إلا إذا حمله آخر أو ركب على دابة.

ذكرت أخاك بما فيه[(١)(٢)].

وعن عائشة ♥ قالت: قلت للنّبيّ صلي الله عليه وسلم حسبك من صفيّة كذا وكذا - تعني قصيرة - فقال: **لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**. قالت: وحكيت له إنسانا، فقال: **ما أحبّ أنّي حكيت إنسانا وأنّ لي كذا وكذا**[(٣)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **لمّا عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الّذين يأكلون لحوم النّاس ويقعون في أعراضهم**[(٤)].

وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه عن النّبيّ صلي الله عليه وسلم قال: **من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النّار يوم القيامة**[(٥)].

قال عمر رضي الله عنه : عليكم بذكر الله تعالى؛ فإنّه شفاء. وإيّاكم وذكر النّاس فإنّه داء.

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّه مرّ على بغل ميّت فقال لبعض أصحابه: لأن يأكل الرّجل من هذا حتّى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم.

وعنه أيضا: في قوله عز وجل:{وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ} [الحجرات: ١١]. قال: لا يطعن بعضكم على بعض.

وقال الحسن - رحمه الله -: ذكر الغير ثلاثة: الغيبة، والبهتان، والإفك، وكلّ في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك.

---

(١) أي كافيك بتعداد أوصاف ثابتة فيه، ولكن يكره ذكرها ويجب سترها، ففيه الترهيب عن ذكر أخيك بما يكره مطلقا.

(٢) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٠٦): رواه الأصبهاني بإسناد حسن.

(٣) أبو داود (٤٨٧٥) واللفظ له، والترمذي (٢٥٠٢ - ٢٥٠٣) وقال: حديث صحيح.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود (٤٨٧٨) واللفظ له وقال مراجع رياض الصالحين (٥٧٨): إسناده صحيح.

(٥) الترمذي (١٩٣١) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، وقال مراجع رياض الصالحين (٥٧٩) حديث حسن.

قـال الحســـن البصريِّ - رحمـه الله -: والله للغيبة أسرع في دين الرّجل من الأكلة في الجسد.

وقال أيضـا - رحمه الله -: يا بن آدم إنّك لن تصيب حقيقة الإيمان حتّى لا تعيب النّاس بعيب هو فيك، وحتّى تبدأ بصـلاح ذلك العيب فتصـلحه من نفسـك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصّة نفسك. وأحبّ العباد إلى الله من كان هكذا.

وروي عن الحســـن رضي الله عنه: أنّ رجلا قال له: إنّ فلانا قد اغتابك فبعث إليه رطبا على طبق وقال: قد بلغني أنّك أهديت إليّ من حســـناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإنّي لا أقدر أن أكافئك على التّمام.

وعن ابن سيرين؛ قال: إنّه ذكر الغيبة فقال: ألم تر إلى جيفة خضراء منتنة.

عن الشّـــعبيّ - رحمه الله - أنّ العبّاس بن عبد المطّلب قال لابنه عبد الله: يا بنيّ، أرى أمير المؤمنين يدنيك، فاحفظ منّي خصـالا ثلاثا: لا تغتب من له سرّ، ولا يسـمعنّ منك كذبا، ولا تغتابنّ عنده أحدا.

وعن مجاهد في قوله تعالى: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قال: الّذي يأكل لحوم النّاس، واللّمزة: الطّعّان.

عن عبد الله بن المبارك رحمه الله - قال: قال بعضهم في تفسير العزلة: هو أن تكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخض معهم وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت.

وقال بشّار بن برد:

خير إخوانـك المشـــارك في المرّ ::: وأيـن الشـّريـك في المرّ أينـا

الّذي إن شـهدت سـرّك في الحيّ ::: وإن غبـت كـان أذنـا وعينـا

مثـل سـّر اليـاقوت إن مسـّه نا ::: ر جـلاه الـبلاء فـازداد زينـا

أنـت في معشـر إذا غبـت عنهم ::: بـدّلوا كـلّ مـا يزينـك شـينا

وإذا مـارأوك قـالـوا جمـيعـا ::: أنـت مـن أكرم البرايـا علينـا

وقال النّوويّ - رحمه الله -: اعلم أنّه ينبغي لمن سـمع غيبة مسـلم أن يردّها ويزجر قائلها، فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللّسان، فارق ذلك المجلس، فإن سـمع غيبة شـيخه أو غيره ممّن له عليه حقّ، أو كان من أهل الفضـل والصّـلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر.

وقال الغزاليّ - رحمه الله -: كان الصّــحابة ♦ يتلاقون بالبشرــ ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين.

قال بعضــهم: أدركنا السّــلف وهم لا يرون العبادة في الصّــوم ولا في الصّــلاة، ولكن في الكفّ عن أعراض النّاس.

من مضار الغيبة:

- صاحب الغيبة يعذّب في النّار بأكل النّتن القذر.
- ينال عقاب الله في قبره.
- تذهب أنوار إيمانه وآثار إسلامه.
- لا يغفر له حتّى يعفو عنه المغتاب.
- الغيبة معول هدّام وشرّ مستطير.
- تؤذي وتضرّ وتجلب الخصام والنّفور.
- مرض اجتماعيّ يقطع أواصر المحبّة بين المسلمين.
- دليل على خسّة المغتاب ودناءة نفسه.

ومن المواقف:

سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!!:

ــــ وجلس رجل في مجلس عبد الله بن المبارك فاغتاب أحد المســلمين، فقال له عبد الله بن المبــارك: يــا أخى هــل غزوت الروم؟! قال: لا. قال: هل غزوت فارس؟! قال: لا. فقال عبد الله بن المبارك: سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!!

أنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بينهم:

ـ وحدث الحسن بن عيسى بن ماسرحس، قال سمعت عبد الله بن المبارك، وقد قيل له يــا أبــا عبــد الرحمن إنــك تكثر القعود في البيــت وحــدك، فقال ليس أنا وحدي، أنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بينهم - يعني النظر في الكتب[1].

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٣٦٨/٤.

رضا الناس غاية لا تدرك:

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا أبا موسى، رضا الناس غاية لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحا، ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه، ودع الناس وما هم فيه.

ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا:

وقال بكر بن منير سمعت أبا عبد الله البخاري يقول أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا قلت صدق رحمه الله ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس وإنصافه فيمن يضعفه فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر ونحو هذا. وقل أن يقول فلان كذاب أو كان يضع الحديث حتى إنه قال إذا قلت فلان في حديثه نظر فهو متهم واه وهذا معنى قوله لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدا وهذا هو والله غاية الورع.

طالما لفظها الكرام:

اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم فقال له قتيبة أمسك أيها الرجل فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام[1].

كلام ... بالقرآن!:

ـ قال عبد الله بن المبارك خرجت حاجاً إلى ببت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت:{ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾} [يس: ٥٨]، قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت:{وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ} [الرعد: ٣٣]، فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت:{سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا } [الإسراء: ١]، فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت:{ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا} [مريم: ١٠]، فقلت ما أرى معك طعاماً تأكلين قال:{هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ} [الشعراء: ٧٩]، فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت:{فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا } [النساء: ٤٣]، فقلت لها أن معي طعاماً فهل لك في الأكل قال:{ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ } [البقرة: ١٨٧]، فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت:{وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } [البقرة: ١٥٨]، فقلت قد أبيح لنا الإفطار في

---

(١) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ٤٦٥/١.

السفر قالت:{وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٨٤]، فقلت لم لا تكلميني كما أكلمك قالت:{مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨]، فقلت فمن أي الناس أنت قالت:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾} [الإسراء: ٣٦]، فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت:{ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ } [يوسف: ٩٢]، فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت:{وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ} [البقرة: ١٩٧]، قال فأنخت ناقتي قالت:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ } [النور: ٣٠]، فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت:{ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } [الشورى: ٣٠]، فقلت لها أبصري حتى أعلقها قالت:{فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ } [الأنبياء: ٧٩]، فعلقت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت:{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾} [الزخرف: ١٣ - ١٤]، قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح فقالت:{ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ} [لقمان: ١٩]، فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر فقالت:{فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ} [المزمل: ٢٠]، فقلت لها لقد أوتيت خيراً كثيراً قالت:{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ } [البقرة: ٢٦٩]، فلما مشيت بها قليلاً قلت ألك زوج قالت:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ } [المائدة: ١٠١]، فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت:{ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا } [الكهف: ٤٦]، فعلمت أن لها أولاداً فقلت وما شأنهم في الحج قالت:{ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾} [النحل: ١٦]، فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت:{وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا } [النساء: ١٢٥]،{وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا } [النساء: ١٦٤]،{يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ} [مريم: ١٢]، فناديت يا إبراهيم يبا موسى يا يحيى فإذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت:{فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ } [الكهف: ١٩]، فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي وقالت:{كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾} [الحاقة: ٢٤]، فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت:{ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو

ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ} [الحديد: ٢١] [١].

أصدق ما يكون الرجل عند الموت:

وقال أحمد بن حفص: دخلت على أبي الحسن يعني إسماعيل والد أبي عبد الله البخاري عند موته فقال لا أعلم من مالي درهما من حرام ولا درهما من شبهة قال أحمد فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك ثم قال أبو عبد الله أصدق ما يكون الرجل عند الموت.

وكان الحسين بن محمد السمرقندي يقول كان محمد بن إسماعيل مخصوصا بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة كان قليل الكلام وكان لا يطمع فيما عند الناس وكان لا يشتغل بأمور الناس كل شغله كان في العلم.

اذكر القطن إذا وضع على عينيك:

وقيل: اغتاب رجل عند معروف، فقال: اذكر القطن إذا وضع على عينيك.

وكلامك يعرض على الله فلا تحترز:

قال: وسمعت حاتماً يقول: إن صاحب خبر يجلس إليك ليكتب كلامك لا حترزت منه، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز.

اغتبت رجلا في هذا الموضع:

- مر داود الطائي رحمه الله تعالى يوما بموضع فوقع مغشيا عليه فحمل إلى منزله فلما أفاق سئل عن ذلك فقال ذكرت أني اغتبت رجلا في هذا الموضع فذكرت مطالبته لي بين يدي الله تعالى [٢].

رمي اللسان لا يخطئ:

وقال سفيان الثوري لأن أرمى عدوي بسهمي خير له من أن أرميه بلساني لأن رمي

---

(١) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ١٧١/١.

(٢) الصفوري، زهة المجالس ومنتخب النفائس، ١ / ٧٧، ١٦٧.

(٣) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ٩٥/١.

تذكـر المـوت

مواقــف عربيــة

تذكر الموت

عن ابن عمر ☻ قال: أتيت النّبيّ صلي الله عليه وسلم عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار، فقال: يا نبيّ الله، من أكيس [١] النّاس وأحزم النّاس؟

قال: **أكثرهم ذكرا للموت، وأكثرهم استعدادا للموت، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدّنيا وكرامة الآخرة** [٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ نبيّ الله صلي الله عليه وسلم قال: **استحيوا من الله حقّ الحياء**. فقلنا: يا نبيّ الله، إنّا لنستحيي. قال: **ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حقّ الحياء فليحفظ الرّأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الاخرة ترك زينة الدّنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقّ الحياء** [٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : **استكثروا ذكر هاذم اللّذّات فإنّه ما ذكره أحد في ضيق إلاّ وسّعة ولا ذكره في سعة إلاّ ضيّقها عليه** [٤].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النّبيّ صلي الله عليه وسلم: **أنّ رجلا كان قبلكم رغسه [٥] الله مالا، فقال لبنيه لمّا حضر: أيّ أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال فإنّي لم أعمل خيرا قطّ، فإذا متّ فأحرقوني، ثمّ اسحقوني ثمّ ذرّوني في يوم عاصف. ففعلوا. فجمعه الله** عز وجل **فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك. فتلقّاه برحمته** [٦].

---

(١) أكيس الناس: أظرف وأفطن.

(٢) المنذري في الترغيب (٤/ ٢٣٨) وقال: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في الصغير بإسناد حسن. ورواه ابن ماجه مختصرا بإسناد جيد، والبيهقي في الزهد، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٠٩).

(٣) الترمذي (٢٤٥٨) وقال المباركفوري في التحفة (٧/ ١٥٥): أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي. وقال المناوي: قال: الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٣): واللفظ له هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال مخرج جامع الأصول (٣/ ٦١٦) بعد أن ذكر كلام الحاكم: وهو كما قال.

(٤) ذكره الهيثمي ١٠ (٣٠٩) وقال: رواه الترمذي - ينظر في جامع الأصول - وغيره باختصار رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وكذلك من حديث ابن عمر وحديث أنس وغيره وعند المنذري (٢٣٦/٤) وقال مخرج جامع الأصول (٣/ ٦١٦) بعد أن ذكر كلام الحاكم: وهو كما قال.

(٥) رغسه: أي أكثر له وبارك له فيه.

(٦) البخاري - الفتح ٦ (٣٤٧٨). مسلم (٢٧٥٧).

وعن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: **أكثروا من ذكر هاذم اللّذّات، الموت**[١][٢].

وعن بريدة. رضي الله عنه. قال: قال رسـول الله صلي الله عليه وسلم: **قد كنت نهيتكم عن زيـارة القبور، فقـد أذن لمحمّـد في زيـارة قبر أمّـه، فزوروهـا، فـإنّهـا تـذكّر الآخرة**[٣].

وفي رواية مسـلم وأبي داود والنّسـائيّ: قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضـاحي فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النّبيذ** [٤]. **إلاّ في سـقاء، فاشربوا في الأسـقية كلّها، ولا تشربوا مسكرا**[٥].

وعن عبد الله بن عمر ☻ قال: أخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم بمنكبي فقال: **كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سـبيل**. وكان ابن عمر يقول: إذا أمسـيت فلا تنتظر الصّباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[٦].

وعن البراء بن عازب ☻ قال: خرجنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصـار، فانتهينا إلى القبر ولمّا يلحد بعد، فجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنّما على رؤوسنا الطّير، وبيده عود ينكت[٧] به في الأرض، فرفع رأسه فقال:

---

(١) هاذم اللذات: هاذم أي قاطع فمعناه مزيل الشيء من أصله. قال السّهيلى: الرواية بالمعجمة (الموت) أزجر عن المعصية وأدعى إلى الطاعة فإكثار ذكره سنة مؤكدة، وقال الحفني: هاذم أي مفرق ومشتت اللذات، وبالمهملة مزيل الشيء من أصله كهدم الجدار. يأمر ض أن يتذكر المسلمون الموت دائما، فكل نفس ذائقته ليقل الطمع والشره على جمع الدنيا ولتؤدى الحقوق كاملة تامة، وليكثر الإنسان من الأعمال الصالحة ادخارا لثواب الله، وليقصر الأمل في اتساع الثروة وتشييد القصور، وغيرها من الأشياء التي تجلب الغفلة عن الله تعالى.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٧) وقال: حديث حسن غريب، والنسائي (٤/ ٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨). قال محقق♂جامع الأصول " (١١/ ١٤): وهو حديث حسن لشواهده الكثيرة.

(٣) هذه رواية الترمذي (١٠٦٦).

(٤) وكنت نهيتكم عن النبيذ: يعني إلقاء التمر ونحوه في ماء الظروف، إلا في سـقاء، أي إلا في قربة، إنما اسـتثناها لأن السقاء يبرد الماء، فلا يشتد ما يقع فيه اشتداد ما في الظروف.

(٥) مسلم (٩٧٧).

(٦) البخاري - الفتح ١١ (٦٤١٦).

(٧) ينكت: نكت في الأرض بيده وبقضيب: إذا أثر فيها بذلك.

استعيذوا بالله من عذاب القبر مرّتين، أو ثلاثا—. زاد في رواية: وقال: **إنّ الميّت ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟—**. وفي رواية: **ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: ربّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرّجل الّذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدّقت—**.

زاد في رواية: **فذاك قوله: —{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ }** [إبراهيم: ٢٧]، **ثمّ اتّفقا: فينادي مناد من السّماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنّة، وألبسوه من الجنّة، وافتحوا له بابا إلى الجنّة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفتح له في قبره مدّ بصره، وإنّ الكافر... فذكر موته—**. قال: **وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: هاه هاه [1]، لا أدري، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرّجل الّذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السّماء: أن كذب، فأفرشوه من النّار، وألبسوه من النّار، وافتحوا له بابا إلى النّار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيّق عليه قبره حتّى تختلف فيه أضلاعه—** وزاد في رواية: **ثمّ يقيّض له أعمى أبكم [2]، معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا، فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب، إلاّ الثّقلين، فيصير ترابا، ثمّ تعاد فيه الرّوح—** [3].

وعن مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير - رحمه الله - قال: القبر منزل بين الدّنيا والاخرة، فمن نزله بزاد ارتحل به إلى الآخرة، إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ.

- عن أبي معاوية قال: ما لقيني مالك ابن مغول إلاّ قال لي: لا تغرّنّك الحياة واحذر القبر أنّ للقبر شأنا.

---

(١) هاه هاه: من عادة المشدوه الحائر إذا خوطب أن يقول: هاه هاه، كأنه يستفهم عما يسأل عنه.

(٢) أبكم: الأبكم: الذي خلق أخرس.

(٣) أبو داود برقم (٣٢١٢)، (٤٧٥٣)، (٤٧٥٤) وقال محقق♂جامع الأصول " (١١/ ١٧٩): إسناده حسن. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٠٢) صحيح. وأصله عند البخاري ومسلم.

- روى أبو نعيم الحافظ بإسناده؛ أنّ عمر بن عبد العزيز شيّع مرّة جنازة من أهله، ثمّ أقبل على أصحابه ووعظهم، فذكر الدّنيا فذمّها وذكر أهلها، وتنعّمهم فيها، وما صاروا إليه بعدها من القبور، فكان من كلامه أنّه قال: إذا مررت بهم فنادهم إن كنت مناديا، وادعهم إن كنت داعيا، ومرّ بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، سل غنيّهم: ما بقي من غناه؟ وسل فقير هم: ما بقي من فقره؟ واسألهم عن الألسن الّتي كانوا بها يتكلّمون، وعن الأعين الّتي كانوا للذّات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الرّقيقة والوجوه الحسنة والأجساد النّاعمة ما صنع بها الدّيدان تحت الأكفان، وأكلت اللّحيان [1] وعفرت الوجوه، ومحيت المحاسن وكسرت الفق ار، وبانت الأعضاء، ومزّقت الأشلاء، وأين حجابهم وقبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم وجمعهم وكنوزهم (وكأنّهم) ما وطئوا فراشا، ولا وضعوا هنا متّكأ ولا غرسوا شجرا ولا أنزلوهم من اللّحد قرارا، أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس اللّيل والنّهار عليهم سواء؟ أليسوا في مدلهمّة ظلماء، قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبّة، وكم من ناعم وناعمة أضحوا ووجوهم بالية، وأجسادهم من أعناقهم بائنة، وأوصالهم ممزّقة، وقد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دما وصديدا، ودبّت دوابّ الأرض في أجسادهم، ففرّقت أعضاءهم، ثمّ لم يلبثوا إلاّ يسيرا حتّى عادت العظام رميما، فقد فارقوا الحدائق وصاروا بعد السّعة إلى المضائق، قد تزوّجت نساؤهم، وتردّدت في الطّرق أبناؤهم، وتوزّعت القرابات ديارهم وقراهم فمنهم والله الموسّع له في قبره الغضّ النّاظر فيه المتنعّم بلذّاته، يا ساكن القبر غدا ما راض وترد عليه الحوض وتلقى أصحابك. قال: فقال سلمان: أما إنّي لا أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدّنيا ولكنّ رسول الله صلي الله عليه وسلم عهد إلينا عهدا حيّا وميّتا.

(١) اللّحيان - بالفتح -: حائطا الفم وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم.

قال: لتكن بلغة أحدكم من الدّنيا مثل زاد الرّاكب وحولي هذه الأساودة [١]. قال: فإنّما حوله إجّانة [٢] وجفنة [٣] ومطهرة فقال له سعد: يا أبا عبد الله، اعهد إلينا بعهد نأخذ به بعدك. قال: فقال: يا سعد، اذكر الله عند همّك إذا هممت وعند يدك إذا قسمت وعند حكمك إذا حكمت[٤].

وعن خالد بن أحمد بن أسد قال:

أخذت بيدي عليّ بن جبلة يوما فأتينا أبا العتاهية فوجدناه في الحرم فانتظرناه فلم يلبث أن جاء فدخل عليه إبراهيم بن مقاتل بن سهل وكان جميلا فتأمّله أبو العتاهية وقال متمثّلا:

يا حسان الوجوه سوف تموتو ::: ن وتبلى الوجوه تحت التّراب

فأقبل عليّ بن جبلة فقال: اكتب:

يا مربّي شبابه للتّراب ::: سوف يمضي البلى بغضّ الشّباب
يا ذوي الوجوه الحسان المصونا ::: ت وأجسامها الغضاض الرّطاب
أكثروا من نعيمها أو أقلّوا ::: سوف تهدونها لعفر التّراب
قد نعتك الأيّام نعيا صحيحا ::: بفراق الإخوان والأصحاب

فقال أبو العتاهية: قل يا حامد، قلت: معك ومع أبي الحسن، قال: نعم، فقلت:

يا مقيمين رحّلوا للذّهاب ::: لشفير القبور وحطّوا الركاب
نعّموا الأوجه الحسان فما ::: صونكموها إلاّ بعفر التّراب
والبسوا ناعم الثّياب ففى ال ::: حفرة تعرون من جميع الثّياب
قد ترون الشّباب كيف يمو ::: تون إذا استنضروا بماء الشّباب

وعن الحسن؛ قال: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهنّ قطّ: يوم تبيت مع أهل القبور ولم تبت ليلة قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة ويوم يأتيك البشير من الله تعالى، إمّا بالجنّة أو النّار، ويوم تعطى كتابك بيمينك وإمّا بشمالك.

---

(١) جاء في لسان العرب: الأساودة: جمع قلّة لسواد وهو الشخص. وصرّح أبو عبيد بأنه شخص كلّ شيء من متاع وغيره.

(٢) الإجّانة بالتشديد: إناء يغسل فيه الثياب والجمع أجاجين.

(٣) الجفنة: قصعة الطعام.

(٤) الحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وقال بشر بن الحارث: نعم المنزل القبر لمن أطاع الله.

قال الأوزاعيّ - رحمه الله -: ما أكثر عبد ذكر الموت إلاّ كفاه اليسير.

قال ابن رجب - رحمه الله -: والله المسئول أن يجعلنا ممّن يبادر الفوت، ويراقب الموت ويتأهّب للرّحلة قبل الممات، وينتفع بما سمع من العظات بمنّه وكرمه.

وقال عديّ بن الرّعلاء:

ليس من مات فاستراح بميت ::: إنّما الميت ميّت الأحياء

إنّما الميت من يعيش شقيّا ::: كاسفا باله قليل الرّجاء

فأناس يمصّصون ثمادا [٢] ::: وأناس حلوقهم في الماء[١]

ولمّا انصرف النّاس من جنازة داود الطّائيّ - رحمه الله -، أنشد ابن السّمّاك - رحمه الله -:

انصرف النّاس إلى دورهم ::: وغودر ا لميّت في رمسه

مرتهن النّفس بأعماله ::: لا يرتجي الإطلاق من حبسه

لنفسه صالح أعماله ::: وما سواها فعلى نفسه

وقال الشاعر:

قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها ::: لله درّك ماذا تستر الحفر؟

ففيهم لك يا مغرور موعظة ::: وفيهم لك يا مغترّ معتبر

أنشد أبو جعفر القرشيّ:

تناجيك أجداث وهنّ سكوت ::: وساكنها تحت التّراب خفوت

أيا جامع الدّنيا لغير بلاغه ::: لم تجمع الدّنيا وأنت تموت؟

وعن الفضل بن مهلهل أخي الفضل وكان من العابدين قال: كان جليس لنا حسن التّخشّع والعبادة يقال له: مجيب، وكان من أجمل الرّجال فصلّى حتّى انقطع عن القيام، وصام حتّى اسودّ، ثمّ مرض فمات، وكان محمّد بن النّضر الحارثيّ له صديقا ومات محمّد قبله قال: فرأيت محمّدا في منامي بعد موت مجيب فقلت: ما فعل أخوك مجيب قال لحق بعمله قلت: فكيف وجهه ذاك الحسن؟

---

(١) لسان العرب (٢/ ٩١).

(٢) الثّماد: الماء القليل.

قـال: أبلاه والله التّراب. قال: وقلت: كيف وأنت تقول لحق بعمله؟ قال: يا أخي علمت أنّ الأجساد في القبور تبلى وأنّ الأعمال في الاخرة تحيا. قلت: يبلون حتّى لا يبقى منهم شيء ثمّ يجيئون يوم القيامة، إي والله يا أخي يبلون حتّى يصـيروا رفاتا ثمّ يحيون عند الصّـيحة، وأنشد بعضهم:

ما حال من سـكن الثّرى ما حاله؟ ::: أمسـى وقـد رثـّت هنـاك حباله
أمسـى ولا روح الحيـاة تصـيبه ::: أبـدا ولا لطف الحبيـب ينـالـه
أمسـى وقد درسـت محاسن وجهه ::: وتـفرّقـت في قبره أوصـالـه
واسـتبـدلـت منـه المجالس غيره ::: وتقسـّمـت من بعـده أموالـه
مـا زالـت الأيـّام تلعـب بالفتى ::: والمـال يـذهـب صـفوه وحلاله

عن عمر بن ذرّ أنّه كان يقول في مواعظه: لو علم أهل العافية ما تضـمّنته القبور من الأجسـاد البـاليـة لجـدّوا واجتهـدوا في أيّـامهم الخـاليـة خوفـا من يوم تتقلّب فيه القلوب والأبصار.

وقال النّضرـ بن المنذر لإخوانه: زوروا الاخرة بقلوبكم، وشـاهدوا الموقف بتوهّمكم، وتوسّدوا القبور بقلوبكم، واعلموا أنّ ذلك كائن لا محالة، فاختار لنفسه (امرؤ) ما أحبّ من المنافع والضّرر.

وروى ابن أبي الدّنيا عن الحسـن أنّه مرّ به شـابّ، وعليه بردة له حسنة فقال: ابن آدم معجب بشـبابه، معجب بجماله كأنّ القبر قد وارى بدنك وكأنّك لاقيت عملك، ويحك داو قلبك، فإنّ مراد الله إلى عباده صلاح قلوبهم.

شـهد الحسـن جنازة فاجتمع عليه النّاس، فقال: اعملوا لمثل هذا اليوم - رحمكم الله - فـإنّمـا هم إخوانكم يقـدمونكم، وأنتم بالأثر، أيّها المخلّف بعد أخيه إنّك الميّت غدا، والباقي بعدك الميّت في أثرك أوّلا بأوّل حتّى توافوا جميعا قد عمّكم الموت واستويتم جميعا في كربه وغصصه، ثمّ تخلّيتم إلى القبور، ثمّ تنشرون جميعا، ثمّ تعرضون على ربّكم عز وجل.

عن الحسن قال: أوذنوا بالرّحيل، وجلس أوّلهم على آخرهم وهم يلعبون.

وقال رجل لبعض السّلف: أوصني قال: عسكر الموتى ينتظرونك.

قال أبو العتاهية:

رويــدك يا ذا القصـــر في شـــرفاته ::: فإنّك عنه ســوف تسحى [1] وتزعج
ولا بــدّ من بيت انقطاع ووحشـــة ::: وإن غرّك البيــت الأنيق المبــهج

قال ابن أبي الدّنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرّحمن:

لبيـــك لأهوال القيــامـــة من بكى ::: ولا تنســينّ القبر يومــا ولا البلى
كفى حزنــا يومــا ترى فيه مكرما ::: كرامتــه أن يرقدوا جســـمه الثّرى

قال أحمد بن أبي الحواريّ: سـمعت مضر بن عبس يقول: رحم الله قوما زاروا إخوانهم بقلوبهم في قبورهم وهم قيام في ديارهم، يشيرون إلى زيارتهم بالفكر في أحوالهم.

وقال ابن أبي الدّنيا، حدّثنا محمّد السّــبغي قال: انتفض غنّام بن عليّ يوما وهو مع أصحابه فقال له بعضهم: ما الّذي أصابك؟ قال: ذكرت اللّحد.

عن مغيث الأسود الزّاهد؛ قال: زوروا القبور كلّ يوم تفكّركم.

حدّث محمّد بن خلف قال: سـمعت أبي قال: رجعنا من ميّت مع ابن السّـمّاك فأنشأ ابن السّمّاك يقول:

تمــرّ أقــاربي جــنــبـــات قبري ::: كــأنّ أقـــاربي لا يــعـــرفـــوني
ذوو الأمـــوال يقتســـمون مـــالي ::: ولا يـــألـــون أن جحـــدوا ديوني
وقـــد أخذوا ســـهامهم وعاشـــوا ::: فيـــا لله مـــا أســـرع مـــا نســـوني

عن عقبـة البزّار قـال: رأى أعرابي جنـازة فـأقبل يقول: هنيئا يا صـــاحبها. فقلت: علام تهنّئه؟ قال: كيف لا أهنّئ من يذهب به إلى حبس جواد كريم، نزله عظيم، عفوه جســـيم؟ قال: كأنّي لم أسمع القول إلاّ تلك السّاعة.

وقال بعضهم:

ولـــقـــد وقـــفـــت كمـــا وقف ::: ت وقـــد نـــظرت فمـــا اعتبرت
حصـــّل لنفســـك منـــــزلا ::: قبـــل الحصـــول كمـــا حصـــلت

(١) تســحى: من ســحوت الطّين عن وجه الأرض.. إذا جرفته، والفعل الماضي: ســحا مضــارعه مضــموم العين، أو مفتوحها أو مكسورها: يسحو، يسحاه ويسحيه ومعناه: جرفه يجرفه وما في معناه: لسان العرب.

وأوصى بعض الوزراء أن يكتب (على سبيل الموعظة):

أيـّهـا المـغـرور في الـدّن ::: يـا بـعـزّ تـقـتـنـيـه
وبـأهـل وبمـال ::: وبـقصـر تـبـتـنـيـه
كـم عـليهـا قـد سـحبنـا ::: ذيـل سـلـطـان بـتـيـه
تحسـب الأقـدار تجـري ::: بخـلـود تـرتجـيـه
إذ طـواك المـوت طـيـّا ::: فـاعـتـبر مـا نحـن فـيـه

وأنشدوا:

خليليّ مـا أفضـي ومـا أنا قائل ::: إذا جئت عن نفسي بنفسي أجادل؟
وقد وضـع الرّحمن بالحشـر عدله ::: وسـيق جميع النّاس واليوم باسـل
وجيء بجزم النـّار خـاضـعـة له ::: وثلـّث عروش عنـدهـا وتجـادل
فيـاليت شـعري ذلك اليوم هل أنا ::: ل الغفر أم أجزى بمـا أنـا فـاعل
فـإن أك مجزيـّا فعـدل وحجـّة ::: وإن يـك غفران ففضـل ونـائل

وقال بعضهم:

تزوّد قرينـا من فعـالـك إنّمـا ::: قرين الفتى في القبر مـا كـان يفعل
وإن كنت مشـغولا بشيء فلا تكن ::: بغير الـّذي يرضـى به الله تشـغل
فلن يصـحب الإنسان من بعد موته ::: إلى قبره إلاّ الـّذي كـان يعمـل
ألا إنّمـا الإنسـان ضـيف لأهله ::: يـقـيم قليلا عنـدهم ثمّ يرحـل

وقال بعضهم:

يـا غـافل القلب عن ذكر المنيّات ::: عمـّا قليـل سـتثوي بين أموات
فـاذكر محلـّك من قبل الحلول به ::: وتـب إلى الله مـن لهو ولـذّات
إنّ الحمـام لـه وقف [٢] إلى أمد [٣] ::: فـاذكر مصـائب أيّام وسـاعات
لا تطمئنّ إلى الـدّنيـا وزينتـهـا ::: قد حان للموت يا ذا اللّبّ أن يأتي[١]

(١) أهوال القبور، ص ١٤٥.
(٢) الوقف: الحبس.
(٣) الأمد: الأجل: أى إن الحمام - وهو الموت - محبوس إلى أجل يأتي فيه.

و كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات:

لا شـــيء مما ترى تبقى بشـــاشـــته ::: يبقى الإلـــه ويودي المـــال والولـــد

لم تـــغن عن هرمز يومـــا خزائنـــه ::: و الخلـــد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا ســـليمـــان إذ تجري الرياح له ::: و الإنس والجن فيمـــا بينـــهـــا ترد

أين الملوك التي كـــانـــت لعزتهـــا ::: من كـــل أوب إليهـــا وافـــد يفد؟

حوض هنـــالـــك مورود بلا كذب ::: لا بـــد من ورده يومـــا كما وردوا

و ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية ثم إن الإنسـان لا ينفك عن حالتي ضـيق وسـعة ونعمة ومحنة فإن كان في حال ضـيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه فإنه لا يدوم والموت أصعب منه أو في حال نعمة وسـعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها والسـكون إليها لقطعه عنها ولقد أحسن من قال:

اذكـــر المـــوت هـــادم اللـــذات ::: و تجـــهز لمصـــرع ســـوف يـــأتي

وقال غيره:

واذكـــر المـــوت تجـــد راحـــة ::: في إذكـــار الموت تقصـــير الآمـــل

وأجمعـت الأمـة على أن الموت ليس لـه ســـن معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك مسـتعدا لذلك وكان بعض الصـالحين ينادي بليل على سـور المدينة: الرحيل الرحيل فلما توفي فقد صوته أمير المدينة فسأل عنه فقيل: إنه قد مات فقال:

مـــا زال يلـــهج بـــالرحيل وذكره ::: حـــتى أنـــاخ بـــبـــابـــه الجمـــال

فـــأصـــــابـــه متيقظـــا متشـــمرا ::: ذا أهـــبـــة لم تـــلـــهـــه الآمـــال

وكـان يزيـد الرقـاشي يقول لنفســـه: ويحك يا يزيد من ذا يترضى عنك ربك الموت؟ ثم يقول: أيهـا الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفســـكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته والتراب فراشـــه والدود أنيســـه وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه

وقال التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا: ذكر الموت وذكر الموقف بين يدي الله تعالى وكـان عمر بن عبـد العزيز رضي الله عنـه يجمع العلماء فيتـذاكرون الموت والقيـامة والآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة

وقال أبو نعيم: كان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياما فإن سئل عن شيء قال: لا أدري لا أدري وقال أسباط: ذكر عند النبي صلي الله عليه وسلم رجل فأثنى عليه فقال ﷺ: " كيف ذكره للموت؟ فلم يذكر ذلك عنه فقال: ما هو كما تقولون ".

وقال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضى بالكفاف والتكاسل في العبادة فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته وصعوبة كأسه ومرارته فيا للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله كفى بالموت مقرحا للقلوب ومبكيا للعيون ومفرقا للجماعات وهادما للذات وقاطعا للأمنيات فهل تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك وانتقالك من موضعك وإذا نقلت من سعة إلى ضيق وخانك الصاحب والرفيق وهجرك الأخ والصديق وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر فيا جامع المال والمجتهد في البنيان ليس لك والله من مال إلا الأكفان بل هي والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب فأين الذي جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمدك وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك ولقد أحسن من قال في تفسير قوله تعالى:{وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ} [القصص: ٧٧]، أي: اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في الطين والماء والتجبر والبغي فكأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله: ::: رداءان تلوى فيهما وحنوط

وقال آخر:

هي القناعة لا تبغي بها بدلا ::: فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ::: هل راح منها بغير القطن والكفن؟

فصل: وقوله عليه الصلاة والسلام: " الكيس من دان نفسه " دان حاسب وقيل: ذل قال أبو عبيد: دان نفسه: أي أذلها واستعبدها يقال: دنته أدينه إذ ذللته فيذل نفسه في عبادة الله سبحانه وتعالى عملا يعده لما بعد الموت ولقاء الله تعالى وكذلك يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح عمله والتنصل من سالف زلله وذكر الله تعالى وطاعته في جميع أحواله فهذا هو الزاد ليوم المعاد والعاجز ضد الكيس والكيس: العاقل والعاجز: المقصر في الأمور فهو مع تقصيره في طاعة ربه واتباع شهوات نفسه متمن

على الله أن يغفر له وهذا هو الاغترار فإن الله تعالى أمره ونهاه وقال الحسن البصري: " إن قوما آلهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل " وتلا قوله تعالى:{ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾} [فصلت: ٢٣]، وقال سعيد بن جبير: " الغرة بالله أن يتمادى الرجل بالمعصية ويتمنى على الله المغفرة ".

من فوائد (تذكر الموت):

- إنّ تذكّر الموت بصورة دائمة يجعل المسلم يعطي كلّ لحظة حقّها من الواجب، ويبتعد عن المخالفات الشّرعيّة.

- ويجعل المؤمن يعمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته.

- بما أنّ الموت حتم على كلّ حيّ وتبدأ بعده مرحلة السّؤال والحساب فلا بدّ من التّذكّر والتّدبّر قبل فوات الأوان.

- كثير من النّاس وعلى مرّ التّاريخ يسعفهم الله بالحظّ ويمدّ لهم الأسباب فتتوفّر لهم الحماية الصّحّيّة والسّعادة الدّنيويّة فيستبعدون ذكر الموت من حسابهم فيبطشون ويتجبّرون ثمّ تقع الطّامّة عليهم فلا يجدون عدلا ولا صرفا وهؤلاء لا ينبغي أن يغترّ بما هم فيه.

- أحزم النّاس وأملكهم لشأنه أكثرهم ذكرا واستعدادا للموت.

- تذكّر الموت يدفع المرء إلى الحياء من الله فلا يقارف المعصية.

- إنّ من أشدّ الحياء من الله عز وجل تذكّر الموت والعمل لما بعده.

- موت المسلم وغسله وتكفينه والصّلاة عليه وحمله إلى المقابر ودفنه كلّها مظاهر تذكير وإنذار لكلّ أحد بأنّ هذا مصيره ولا يأخذ معه إلاّ ما قدّم من خير أو شرّ.

ومن المواقف:

ذكر ثم تموت:

عن مسـلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليـه وسـلم جاء ملك الموت إلى موسى ♠ فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فرجع الملك إلى الله عز وجل فقال إنك أرسـلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فرد الله عليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضـع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شـعرة فإنك تعيش بها سـنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فوالله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر.

إليه فيا ليت ما كان:

وروى أن عيسى ♠ مر برأس ميت فضربه برجله وقال تكلم بإذن الله تعالى فتكلم وقال يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس على سرير ملكي علي تاجي وحولي حشـمي وخدمي وجندي إذ تبدى لي ملك الموت فزال مني كل عضـو على حياله وخرجت نفسي إليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الأنس وحشة.

فأنت إذن والله ملك الموت:

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال كان داود ♠ رجلا غيورا وكان إذا خرج غلق الأبواب فغلق ذات يوم أبوابـه وخرج فـأشرفـت امرأته فإذا برجل في الدار فقالت من ادخل هذا دارنا لئن جاء داود فرآه ليلقين منه عنتا فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنعني الحجاب قال فأنت إذن والله ملك الموت ثم قبض روحه [(١)].

لكان حسبه:

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان إبراهيم ♠ غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فـإذا خرج أغلقـه فخرج ذات يوم بعـدمـا أغلق بابه فإذا هو برجل في جوف البيت فقال له من أدخلـك دارنـا قال ادخلنيها ربها فقال أنا ربها قال ادخلنيها من هو أملك لها منك فقال له إبراهيم من أنت من الملائكة قال ملك الموت فقال له هل تستطيع أن تريني

---

(١) العاقبة في ذكر الموت، ص ١٣٩.

الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض عنه فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ثم قبض روحه[١].

هذه الحاجة أهم حوائجي:

قال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد الخروج إلى أرض له فلبس أحسن ثيابه وركب إفره دوابه وخرج في خاصته وجنوده ورجاله فنفخ الشيطان فيه نفخة ملأه كبرا وعجبا فكان يمشي ولا يلتفت إلى أحد من الناس كبرا وإعجابا بنفسه فتصدى له رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد ♠ ولا التفت إليه فأخذ بلجام دابته فقال له ويلك لقد تعاطيت أمرا عظيما كف يدك عن اللجام فقال له أنا ملك الموت فتغير لون الملك ودهش واضطرب لسانه وقال سألتك إلا ما تركتني حتى أرجع إلى أهلي وأودعهم وأقضي حاجتي منهم فقال لا والله لا رأيت أهلك أبدا وقبض روحه فخر كخشبة ملقاة.

ثم لقي آخر في مثل حاله إلا أنه كان متواضعا فتعرض له فسلم عليه فرد ♠ فقال له إن لي إليك حاجة وأريد أن أذكرها لك في أذنك فقال هات فأعطاه أذنه قال أنا ملك الموت فقال له مرحبا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان غائب أحب إلي من أن ألقاه منك فقال له ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت إليها قال لا هذه الحاجة أهم حوائجي ومالي حاجة أهم علي ولا أحب إلي من لقاء الله عز وجل قال فاختر على أي حالة تريد أن أقبض روحك قال وتقدر على ذلك قال بذلك أمرت قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي وتقبل روحي وأنا ساجد قال نعم فتوضأ وصلى ثم قبض روحه في سجوده.

هيهات انقطعت المهلة:

وقال بكر بن عبد الله جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي التي جمعت فأتي بشيء كثير فلما رآه بكى تحسرا فقال له ملك الموت ما يبكيك فوالله ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك فقال له أمهلني حتى أفرقه قال هيهات انقطعت المهلة فهلا كان هذا قبل حضور أجلك ثم قبض روحه[٢].

(١) العاقبة في ذكر الموت، ص ١٣٩.

(٢) العاقبة في ذكر الموت، ص ١٤٠.

لعنك الله من مال:

ويروى أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صـنفا من أصـناف المال إلا اتخذه ثم ابتنى قصرا وجعل عليه حجابا وحراسـا ثم جمع أهله وعياله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون ثم قال يا نفسي تنعمي سنين فقد جمعت لك مـا يكفيـك فما فرغ من كلامـه حتى أقبل ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب فقرع البـاب بشـــدة عظيمة فوثب إليه الغلمان فقالوا له ويلك ما شـــأنك ومن أنت فقال ادعوا إلي مولاكم قـالوا إلى مثلـك يخرج مولانا قال نعم فأخبروا مولاهم فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع البـاب قرعـة أشـــد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أني ملك الموت فلما ســـمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والخشـــوع فقال قولوا له يدخل وقولوا له قولا لينا فدخل فقال له اصـنع بمالك ما أنت صـانع فإني لسـت بخارج عنك حتى أخرج بنفسك فأمر بماله فجمع فلما رآه قال لعنك الله من مال فأنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني عن النظر لنفسي فأنطق الله عز وجل المال فقال لم تسـبني وبي جلسـت مجالس الملوك وبي نكحت المتنعمات وبي فعلت وفعلت وكنت تنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في ســبيل الخير وطريق البر لنفعتك اليوم ثم قبض ملك الموت روحه فســقط ميتا.

فإلى أين أذهب؟:

وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من جبابرة بني إسرائيل في منزلة قد خلا ببعض أهله إذ رأى شـخصـا قد دخل عليه من باب بيته فوثب عليه مغضـبا فقال له ويلك من أنت ومن أدخلـك داري ومـا حملك على الهجوم علي في بيتي فقال له أما الذي أدخلني الدار فربها أنا الذي لا يمنعني الحجاب ولا اسـتأذن على الملوك ولا أخاف صـولة السـلاطين فأسـقط في يد الجبار وأرعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستخذيا متذللا فقال له فأنت إذن ملـك الموت قـال أنا هو قال فهل أنت ممهلني حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضـت أنفاسـك ونفدت ساعاتك فليس إلى إمهالك سبيل قال فإلى أين أذهب؟ قال إلى عملك الصـالح الذي قدمت وإلى بيتك الحسن الذي مهدت قال فإني لم أقدم عملا صالحا ولا مهدت بيتا حســنا قال فإلى لظى نزاعه للشـــوى ثم قبض روح فســقط بين أهله فمن صارخة تصرخ وباكية تبكي.

قال يزيد ولو يعلمون سوء المنقلب لكان العويل أعظم والبكاء أكثر[١].

أترضى حالك هذه للموت؟:

ـ وقال عبد الله بن المبارك، قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل من إخوانه كان يجالسه: أترضى حالك هذه للموت؟ قال: لا، قال: فهل أنت مجمع على الانتقال إلى حال ترضاها للموت؟ قال: ما سخت نفسي بذلك بعد، قال: ويحك، فهل بعد الموت دار فيها معتمل؟ قال: لا، قال: فهل تأمن أن يأتيك الموت على حالك هذه؟ قال: لا، فقال: ما رأيت مثل هذه الحال رضي بها عاقل، فاتق الله يا أخي واعمل قبل أن تندم[٢].

قد مات قوم وهم في الناس أحياء:

قال ابو بكر الخياط رأيت كأني دخلت المقابر فاذا اهل القبور جلوس على قبورهم بين ايديهم الريحان وإذا أنا بمعروف أبي محفوظ قائما فيما بينهم يذهب ويجئ فقلت أبا محفوظ ما صنع بك ربك أو ليس قدمت قال بلى ثم أنشأ يقول:

موت التقى حياة لا نفاذ لها ::: قد مات قوم وهم في الناس أحياء

أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت اليها عريانا:

- قيل لمعروف الكرخي في علته أوص فقال إذا مت فتصدقوا بقميصي- هذا فاني أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت اليها عريانا.

فعظم الله أجرك على موت قلبك:

- توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: إن كانت وفاتها عظة لك فعظم الله أجرك على موت أمك، وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك.

هل رد الله عليك حكماً؟:

وقال له: أيها القاضي، منذ كم تحكم بين عباد الله؟ قال: منذ ثلاثين سنة، قال: هل رد الله عليك حكماً ؟ قال: لا، قال: فإن الله لم يرد أحكامك في ثلاثين سنة وترد حكماً واحداً حكمه عليك.

(١) العاقبة في ذكر الموت، ص ١٤٢.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٣٨/٥.

فعظم الله أجرك على موت قلبك:

– توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: إن كانت وفاتها عظة لك فعظم الله أجرك على موت أمك، وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك.

أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة:

- عن مجاهد في قوله تعالى: " أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة " الآية قال كان فيمن كان قبلكم امرأة وكان لها أجير فولدت جارية وقالت لأجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ما ولدت هذه المرأة قال جارية فقال اما أن هذه الجارية لا تموت حتى تبغي بمائة ويتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت قال فقال الأجير في نفسه فأنا أريد هذه بعد أن تفجر بمائة لاقتلنها فاخذ شفرة فدخل فشق بطن الصبية وخرج على وجهه وركب البحر وخيط بطن الصبية فعولجت وبرأت وشبت فكانت تبغي فاتت ساحلا من سواحل البحر فاقامت عليه تبغي ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من أهل ساحل البحر ابغيني امرأة من أجمل الناس في القرية أتزوجها فقالت ها هنا امرأة من أجمل الناس وانها تبغي قال ائتني بها فأتتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير وقال لي كذا وكذا فقلت كذا وكذا فقالت إني قد تركت البغاء ولكن إن أراد تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه موقعا فبينا هو يوم عندها إذ أخبرها بأمره فقالت أنا تلك الجارية وأرته الشق في بطنها وقد كنت أبغي فما أدري بمائة أو أقل أو أكثر قال فإنه قال لي يكون موتها بالعنكبوت قال فبنى لها برجا في الصحراء وشيده فبينما هما يوما في ذلك البرج إذا عنكبوت في السقف فقال هذا عنكبوت فقالت: هذا يقتلني لا يقتله أحد غيري فحركته فسقط فوضعت إبهام رجلها عليه فشدخته وساخ سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت فنزلت هذه الآية:{ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ } [النساء: ٧٨] (١).

* * *

(١) حلية الأولياء، ٣ / ٢٨٨ - ٢٩٥.

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، غير مَكْفِيّ ولا مكفورٍ ولا مودَّعٍ ولا مستغني عنه ربّنا، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفّقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده. فيا أيها القارئ له، لك غُنْمُه وعلى مؤلفه غُرْمُه، لك ثمرتُه وعليه تَبِعَتُه، فما وجدتَ فيه من صوابٍ وحقٍ فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال وقد ذمّ الله تعالى من يَرَدَّ الحقَّ إذا جاء به مَن يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خُلُقُ الأمة الغضبية أي: اليهود. فقد قال ابن القيم رحمه الله: ": اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً، ورُدَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً.

وقرر أنه لا يردّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال: " فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات ".

وقال أيضًا: ".. فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب " (١).

فإذا مر بك - يا أخي - ما لا يعجبك فلا تصعِّر خدك، ولا تعرض بوجهك، ولا تسُلّ لسَانَكَ، ولا تجلب بخيلك ورَجِلَك، وخذ من الكتاب ما يعجبك واتهم الفهم.

فكَمْ مِنْ عائبٍ قوْلا صحِيحاً ::: وآفتُهُ منَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

ولا يصدنك عن الحكمة قائلها؛ فقد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون الرمية من غير الرامي، وربّ حامل فقه إلى من هو أفْقَهُ.

اعْمَلْ بعلمِي وغُضّ الطّرْفَ عَنْ زَلَلَي ::: يَنفَعْكَ قَوْلِي ولا يَضرُرْكَ تَقْصِيرِي

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٣٧٨.

وما وجد القارئ فيه من خطأ فإن قائله لم يألُ جهد الإصـابة، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

والنَّقْصُ في أصـلِ الطبيعـةِ كامنٌ ::: فَبَنُو الطبيعـةِ نَقْصُـهم لا يُجْحَدُ

وكيف يُعْصَـمُ من الخطأ من خُلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عُدَّت غلطاتُه أقربَ إلى الصـوابِ ممن عُدَّت إصـاباتُه، وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصـدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصـيحة لله، ولكتابه، ولرسـوله، ولإخوانه المسـلمين، وإن جعلَ الحقَ تبعاً للهوى: فَسَدَ القلبُ والعملُ والحالُ والطريقُ... والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين محمد وعلى آله أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

الفهرس

* * *